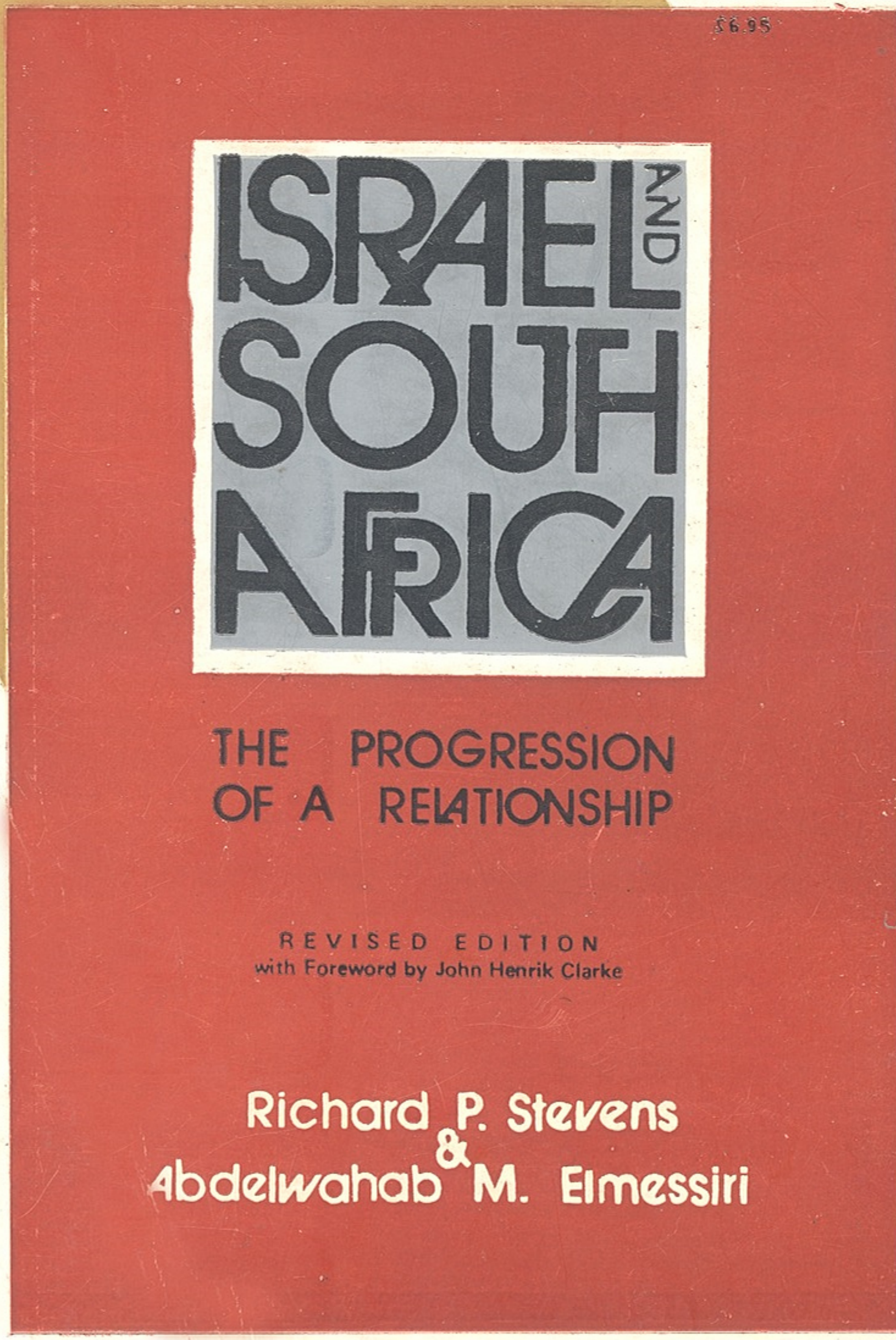
وزارة الاعلام
الهيئة العامة للاستعلامات
كتب مترجمة
(رقم ٧٢٤)



إسرائيل وجنوب أفريقيا

بقلم
ريتشارد ب. ستيفنز
عبدالوهاب المسيرى

وزارة الاعلام
الهيئة العامة للاستعلامات
(كتب مترجمة)
رقم ٧٢٤

اسرائيل وجنوب أفريقيا

بقلم
ريتشارد (ب) ستيفنز
و
عبد الوهاب (م) المسيرى

مقدمة

حينما قامت اللجنة الخاصة لمقاومة التفرقة العنصرية التابعة للامم المتحدة بنشر تقريرها عن العلاقات بين اسرائيل وجنوب افريقيا في سبتمبر ١٩٧٦ لفتت انتباه العالم الى علاقة ذات اهمية خاصة بالنسبة للمجتمع الدولي بينما كان يحاول معالجة مجالين للمشكلات البارزة في عصرنا ـ الشرق الاوسط وافريقيا الجنوبية ، فليس بالامر غير المهم أن تمتد جزور هاتين المشكلتين من أصل تاريخي وحد ، وأن يزداد وضوح القوى المحركة للنزاع وترابط العناصر الرئيسية يوما بعد يوم . ونظرا لحقيقة ان كلتا المشكلتين ترتبطان بالبنية الاجتماعية لتلك الدول الغربية التي قدمت الدعم ان لم يكن القوة الدافعة لنمو جنوب افريقيا واسرائيل ـ تتضاعف اهمية العلاقات المتبادلة بينهما .

ولم يكن تركيز اهتمام العالم على ارتباط اسرائيل بجنوب افريقيا مثار حرج لكثير من مؤيدي اسرائيل فحسب ، بل اطلق العنان أيضا لهجوم متوقع الى حد بعيد . وكانت دلالة هذا الاتجاه قيام المجلس اليهودي الامريكي في ٦ سبتمبر ١٩٧٦ بنشر دراسة توضح وجود علاقات تجارية بين تسع عشرة دولة من دول افريقيا السوداء وجنوب افريقيا .. وكان الهدف من هذه الدراسة ، التي اعدها الدكتور موسى دكتر ، هو (كشف المعيار المزدوج) الذي يطبقه على اسرائيل من يوجهون اليها النقد بسبب قيامها بالتجارة مع جنوب افريقيا . وأهتمت هذه الدراسة اهتماما بالغا بالعلاقات الاقتصادية بين كل من موزمبيق وانجولا وزامبيا وليسنو وبتشوانا وسوازيلاند بما في ذلك الاتحاد الجمركي الذي يضم الدول الثلاث الأخيرة) وبين جنوب افريقيا باعتبار ذلك تبريرا آخر لتصرف اسرائيل .

الا ان العلاقات في افريقيا الجنوبية ، كما يكشف اي تحليل موضوعي هي في حد ذاتها مثال صارخ للغاية للتراث الاستغلالي للامبريالية والاستعمار ولا سيما ما يتعلق بموزمبيق . كما ان الجهد الذي تبذله هذه الدول لتحويل هذه العلاقة ، وانكار وجودها في الواقع ، هو جوهر عهد الاستقلال ذاته . أما بقية الدول ، فان تجارتها الاجمالية مع جنوب افريقيا ضئيلة . واينما توجد هذه العلاقة ، فانها لا تماثل فقط الروابط الوثيقة التي كانت قائمة فيما مضى مع اسرائيل بمساندة الدول الغربية

بل تشير الى آثار التبعية الاقتصادية منذ عهد الاستعمار . وقد أوردت الدراسة التى أعدها المجلس اليهودى الأمريكى ان ثلاث من الدول التى تتبادل التجارة مع جنوب افريقيا ، وهى مالاوى وليسوتو وسوازيلاند ، لم تقطع علاقتها مع اسرائيل . وان تحول علاقاتها الى معقل البيض فى فى جنوب أفريقيا قد عرقله بصورة نسبية نفس القوى التى تقوم الآن بدعم الضعف الافريقى تبريرا للتعاون بين اسرائيل وجنوب افريقيا .

ومن الناحية الاخرى ، تتميز العلاقة بين اسرائيل وجنوب افريقيا بأنها أكثر من واقعية . ومهما كان مدى الصدمة التى تصيب دوائر مختلفة بشأن تقدم العلاقات بين جنوب افريقيا واسرائيل ، فان تلك العلاقات فى اطارها الفلسفى والتاريخى ، وفى صيغتها الثقافية والاقتصادية والسياسية ، هى علاقات عادية وطبيعية معا لأنها تنبع من طبيعة الصهيونية وسعيها للوصول الى قواعد النفوذ فى العالم الغربى . وهذا وهذا الطابع هو الذى يضع العلاقة بين اسرائيل وجنوب افريقيا فى اطار مختلف عن تلك العلاقة التى تخلفت عن ماضى استغلالى لافريقيا ينبعث من روديسيا وجنوب افريقيا . لانه فى هذا المعقل الابيض استخدمت طائفة من أكثر الطوائف اليهودية ثراء فى العالم ، ومرتبطة منذ عهد بعيد بالصهيونية السياسية ، طاقاتها الموفورة فى السعى لتحقيق الهدف الصهيونى .

ومع ذلك ـ وبعد أن استمدت وجودها من نظام اجتماعى كان التفاوت الاجتماعى فيه هو الشرط الفعلى لنمو اقتصاد البيض ـ تعامل التفرقة العنصرية معاملة سياسية من وجهة نظر المنظمات اليهودية ـ وقصارى القول ، أن المواقف أو المسائل التى توصف وحدها من وجهة نظر الطائفة بأنها « غير أخلاقية » ـ طبقا لما أوضحه مختلف النقاد اليهود فى جنوب أفريقيا ـ هى المواقف أو المسائل التى تؤثر تأثيرا مباشرا على الطائفة اليهودية أو القضية الصهيونية . ومن ناحية أخرى ، ثمة قاعدة من قواعد السلوك الصهيونى تقتضى من زعماء الكنيسة المسيحية وجماعات الحقوق المدنية للامريكيين السود واية جماعة تدعى انها تعبر عن مبدأ ، أن يلبوا عند الطلب مطالب اسرائيل كشرط لتعاون اليهود وتأييدهم . ولا حاجة الى القول بأن العلاقة لها مشاكلها حتى بالنسبة لمؤيدى اسرائيل من الزنوج الامريكيين من أمثال مستر بايارد راستن .

ورغم اعتراف العالم ، الآن ، بالطابع العنصرى لسياسة التفرقة العنصرية التى تمارسها جنوب أفريقيا ، ينبغى ان نتذكر أن الاعتراضات

القوية من جانب بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة هي وحدها السبب في اثارة مشكلة التفرقة العنصرية على المستوى الدولي . فقد كان إتحاد جنوب افريقيا يتمتع ـ بوصفه عضوا مؤسسا لعصبة الأمم ، والأمم المتحدة ـ بمكانة خاصة في المجاملة الدولية من جانب الغرب ، وتنطوي هذه المجاملة على احترام الدول لمؤسسات وقوانين الدول الاخرى . وعلى هذا ، وبالرغم من اثارة الهند لسياسات جنوب افريقيا العنصرية أمام الامم المتحدة في عام ١٩٥٤ اغفلت القضية باعتبارها مسألة اختصاص داخلي لا تدخل في نطاق اختصاص الامم المتحدة . الا أن الجمعية العامة ـ التي أصبحت في عام ١٩٥٧ أكثر تمثيلا للرأي العام العالمي عما كانت عليه في عام ١٩٤٥ الى حد بعيد ـ ناشدت جنوب افريقيا تعديل سياساتها العنصرية . وفي عام ١٩٦١ وافقت حتى الولايات المتحدة وبريطانيا ـ على مضض ـ على أن التفرقة العنصرية موضوع يصلح للمناقشة في الامم المتحدة نظرا لما تتسم به من طابع شاذ . وبعد ذلك بثلاثة أعوام ، في عام ١٩٦٤ ، رأى كل عضو في الأمم المتحدة ، عدا البرتغال وجنوب أفريقيا ـ انه من المناسب أن يوافق على ادانة التفرقة العنصرية . وفي عام ١٩٧٥ كان الفيتو الثلاثي ـ الامريكي البريطاني الفرنسي ـ هو الذي انقذ جنوب افريقيا من الطرد من الأمم المتحدة ، وكانت أوراق اعتماد جنوب افريقيا قد رفضت في الجمعية العامة للامم المتحدة قبل ذلك في اكتوبر ١٩٧٣ .

وكما أدى توسيع عضوية الأمم المتحدة وحقائق النظام الاقتصادي والسياسي العالمي المتغير الى عزلة جنوب أفريقيا ، دفعت نفس هذه العوامل بالذات ـ خلال السنوات العشر التالية ـ الى بعيد ـ عددا كبيرا من الدول الى تقويم اسرائيل والصهيونية ، لاسيما بعد التوسع الاسرائيلي سنة ١٩٦٧ . وهكذا انتهت الجمعية العامة للأمم المتحدة في قرارها الصادر في ١٠ نوفمبر ١٩٧٥ الى أن الصهيونية شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصري . ورغم استنكار الولايات المتحدة وعدد قليل من حلفائها لهذا القرار ووصفه بأنه « فاحش » و « عنصري » و « غير أخلاقي » ، كان هذا الاجراء من جانب الأمم المتحدة مقياسا لعزلة اسرائيل المتزايدة . كما أدى قيام الولايات المتحدة وحلفائها بالحيلولة دون طرد جنوب أفريقيا ، في نفس العام ، من الأمم المتحدة الى زيادة تأكيد اعتماد كلتا الدولتين على التأييد الأمريكي .

واذا كان تعاون اسرائيل وجنوب افريقيا اصبح مؤخرا مثارا للمناقشة ، فانه يمكن اعتبار الموضوع أوسع مما ينبغي وأضيق مما ينبغي في آن واحد

وذلك من وجهة نظر اكاديمية . فاذا اعتبرنا هذا التعاون مجرد علاقة بين دولتين استعماريتين استيطانيتين يصبح الموضوع وثيق الصلة بحركات التحرير وينطوى على مغزى بالنسبة للمناضل ، ولكن المغزى التاريخى والسياسى الكامل يغفل ويهمل بهذه النظرة . ومن ناحية اخرى ، اذا اعتبرنا الصلة بين الدولتين مظهرا وضعيا لظاهرة الاستعمار الاستيطانى وعدوانا ثقافيا واقتصاديا غربيا على شعوب آسيا وافريقيا ، فان هذه النظرة تحيل الصلة الخاصة بين الدولتين الى وضع ثانوى رغم اتساع مدى هذه الصلة .

وأملا فى التوفيق بين هذين الرأيين المتعارضين ، حاولنا أن نقدم للقارىء ، فى هذا الكتاب ، متطورا ماديا وتاريخيا واسعا وأن نقدم فى مواجهته صورة أكثر صراحة للرابطة الفعلية بما يدعمها من معلومات ووثائق . فيضم الجزء الأول مقالة بقلم عبد الوهاب المسيرى عن التبريرات الصهيونية لتفوق البيض ، جذورها فى الفكر الامبريالى فى القرن التاسع عشر . ويشير المقال ايضا الى تصور التفرقة العنصرية الذى يستوعب اليهودى باعتباره « رجلا أبيض » . وتكشف مقالة سميح فارسون أوجه الشبه بين جنوب افريقيا واسرائيل والتماثل المذهل فى ممارستها السياسية (حيازة الأراضى والتوسع وقوانين الهجرة ، الخ) . وينتقل القسم الثانى ، المؤلف من مقالتين بقلم ريتشارد ب. ستيفنز ، من التشابه فى التركيب الى الروابط التاريخية . فيكشف المقال الأول ، الذى يتناول العلاقة بين وايزمان وسمطس ، الأساس والمغزى السياسى والتاريخى لصداقة العمر بين زعيم جنوب افريقيا والزعيم الصهيونى وصلتها الوثيقة بتاريخ تطور جنوب افريقيا والصهيونية . ويكشف المقال الثانى وعنوانه « دراسة فى الصهيونية وجنوب افريقيا والتفرقة العنصرية » الجذور المركبة لقوة الصهيونية فى جنوب افريقيا والمفهومات الأدبية والسياسية لاتجاهات المؤسسات اليهودية ويكشف الروابط المبكرة بين جنوب افريقيا واسرائيل .

اما المقالة الثالثة بقلم المسيرى فهى دراسة للعلاقات السياسية والاقتصادية والعسكرية بين جنوب أفريقيا واسرائيل فى الوقت الحاضر .

والهدف من هذه المقالة الأخيرة أيضا أن تكون بمثابة مقدمة للجزئين التاليين من الكتاب وهما قراءات ووثائق . ويشمل القسم الأول كتابات ليهود جنوب افريقيا عن طبيعة الطائفة اليهودية ونموها الاقتصادى

ومساهمتها فى العلاقات بين اسرائيل وجنوب افريقيا . وثمة مقالات تبحث ايضا مواقف المؤسسات اليهودية من مسألة التفرقة العنصرية .

ورغم ان العلاقات بين اسرائيل وجنوب افريقيا كانت تظهر حتى عام ١٩٧٠ من خلال تقارير المنظمات اليهودية وحدها ، بالدرجة الأولى ، فانها اصبحت بعد ذلك التاريخ موضوعا اكثر شيوعا فى الصحف .

ونظرا لأن العلاقات بين اسرائيل وجنوب افريقيا اتخذت شكلا أكثر صراحة ــ فقد لفتت انظار افريقيا والأمم المتحدة بصورة متناسبة ــ يعرض القسم الأخير من هذا الكتاب الوثائق التى تتصل بهذه الناحية .

ريتشارد ب. ستيفنز
عبد الوهاب م. المسيرى

الجزء الأول
الأسس الثقافية والتماثل التاريخى

(١) التبريرات الصهيونية وواجب الرجل الأبيض (*)

بقلم : عبد الوهاب م . المسيرى

نبرر كافة الدول الاستعمارية الاستيطانية وجودها الشاذ فى آسيا وافريقيا بحقوق اسطورية معقدة ولأن الصهيونية ، لا تعدو أن تكون استعمارا استيطانيا ، تعمل وفقا لهذا الاسلوب وتتخذ التبريرات الصهيونية ، أحيانا ، اللغة التقليدية الطنانة عن نقاء الرجل الأبيض وتفوقه، وأحيانا أخرى تلجأ الى مصطلحات أقل شيوعا ولهجة تتميز بها تحددها أصولها التاريخية وممارستها السياسية الخاصة . وسوف نستكشف فى هذه المقالة تلك النواحى من أسطورة الاستيطان الصهيونية التى تشترك فيها الحركة مع الأشكال الأخرى للاستعمار الغربى .

ان الاستعمار الاستيطانى الأوربى قد بنى على افتراضات عنصرية معينة تتعلق بالتفوق الوراثى والثقافى للحضارة الغربية والرجل الأبيض . وكانت هذه الافتراضات بدورها هى التى اضفت الشرعية فى نظر المستعمرين ، على ادخال عنصر أجنبى من سكان الغرب على قارتى افريقيا وآسيا . وبمعنى آخر ، كان افتراض التفوق يصاحب الاستعمار ويشكل جزءا عضويا منه . وقد وصف لورد بلفور ، الذى كان له تأثير فيما يتعلق بجنوب افريقيا وفلسطين أيضا ، عملية الاستعمار الاستيطانى بأنها تعبير عن « الحقوق والامتيازات الكبرى » لأجناس أوروبا واعتبرت التفاوت بين الأجناس « الحقيقة التاريخية الواضحة للموقف » (١) .

ويرى كروسمان أن الاستعمار الاستيطانى الأوروبى بدأ بلغة حق الرجل الأبيض فى نقل الحضارة الى السكان الوطنيين الأقل تحضرا فى آسيا وافريقيا وذلك باحتلال القارتين احتلالا ماديا ولو كان ثمن ذلك « القضاء على السكان الأصليين » . وتلك طريقة غريبة لادخال الحضارة الى شعب بابادته (٢) . وقد اقترح ماكس نوردو ، حتى قبل اعتناقه للصهيونية التى تتطابق مع وجهة نظره الاستعمارية العنصرية ، توطين عمال أوروبا المتعطلين باحلال المهاجرين الأوروبيين محل « الأجناس الدنيا » التى لن يقدر لها البقاء فى صراع التطور (٣) .

وقدم روزنبرج ، منظر النازية ، حجـة مماثلة للتدليل على براءته أو على انه انســـــان طبيعى على الاقل ، وذلك خلال محاكمته فى نورمبرج ، مؤكدا لقضاته العلاقة العضوية بين العنصرية والاستعمار . فأوضح أنه عثر على تعبيرى « الانسان الاسمى » و « الجنس الاسمى » فى كتاب عن ترجمة حياة اللورد كتشنر ، الرجل الذى « غزا العالم » . كما ادعى انه صادف هذه السـطور فى مؤلفات عالم الأجنـاس البشرية الأمريكى ، ماديسون جرانت ، وفى مؤلفات عالم الأجنـاس الفرنسى لابوج . وأكد ملاحظتـه بالاصرار على أن هذا النوع من علم الأجناس الغربى ليس الا « اكتشافا بيولوجيا نتيجة أبحاث أوروبية استمرت أربعمائة عام » (٤) .

ويبدو أن النظريات العنصرية اخذت تزداد عمقا وقوة مع تزايد الحاجة الى الاسواق والأراضى ومع ازدياد حدة الأزمات الاقتصادية والسكانية . ويوضح كاتب مادة « العـلاقات العنصرية » بالموسوعة الدوليـة للعلوم الاجتماعية انه يمكن القول بأن عهد العلاقات العنصرية بدأ مع توسع الدول الأوروبية الكبرى فيما وراء البحار من القرن التاسع عشر فصـاعدا (٥) . اذ تبـدأ الصهيونية غير اليهودية وآراء المصلحين المسيحيين فى الازدهار فى ذلك الوقت . وليس من المصـادفة أن تصبح حركات الماشيحانية الزائفـة الحديثة فى الديانة اليهودية مألوفة بصورة متزايدة منذ ذلك الحين . وكان اخطر ماشيح دجال ، شابتاى تسفى ، ينتمى الى عائلة من التجار وكان أبوه يعمل لحساب شركة بريطانية للتجارة فيما وراء البحار .

الا أن كل هذه الأســاطير والعقائد كانت مجرد رموز للامبرياليـــة والعنصرية العالميـــة اللتين اكتمل نموهما فى أواخر القرن التاسع عشر . اذ يجد مؤلف مادة « الأجناس » فى الموسوعة البريطانيـــة الجـديدة انه ليس من المصـادفة أن تزدهر العنصرية فى الموجه الكبرى الثانيـــة من التوســع الأوربى الاســتعمارى والتزاحم على افريقيـــا » . ويضيف أن ايديولوجية الاســتعمار وواجب الرجل الأبيض « غالبـــا ما كانت تتجلى بلغة عنصرية » (٦) .

وكانت الصهيونية هى الماشيح الدجال لعصر الامبريالية والتزاحم على افريقيا . فقد اعد منظروا الصهيونية مشروعهم واستكملوه فى اطار العلاقة بين الامبريالية والعنصرية التى سادت فى أواخر القرن التاسع عشر . فقد كان على المرء أن يكون رجلا أبيض لكى يجنى فائدة من الصيغة الاستعمارية ويشارك فى امتياز وحق تحمل مسئولية ذلك العبء البـــالغ المشقة الذى

يتمثل فى نشر الحضارة بين الأجناس غير البيضاء وفى المشاركة فى رسالة أوروبا الحضارية النبيلة . والواقع انه لم يكن هناك بديل أمام الصهيونيين وكان عليهم أن يفكروا فى هذه الحدود وحدها لأنهم ، رغم كل شىء ، نتائج ظروفهم التاريخية ولا ينتظر المرء منهم ان يكونوا ملائكة يترفعون عن النقائض التاريخية للبشر أو شياطين يخوضون فيها الى حد بعيد .

ويؤيد آرثر روبين فى كتابه « اليهود فى العصر الحاضر » فون لاسكو ، وهو أحد الباحثين الصهيونيين الكثيرين فى « الجنس اليهودى » ، فينسب اليه الفضل فى اكتشاف التشابه الطبيعى بين اليهود واجناس آسيا الصغرى ولا سيما الأرمن . ويفضل روبين أن يعتبر اليهود من أفراد « الجنس الأبيض » (٧) . ويمجد الجهود النظرية التى تبذل لتوجيه « ضربة الى نظرية السامية » . اذ يرى أن الاختلاف العنصرى بين اليهود والأوروبيين « ليس كبيرا الى حد يبرر أحد النذر غير المشجعة بالنسبة لنتائج الزواج المختلط » (٨) .

وهناك نزعة كاملة فى الفكر الصهيونى لقصر تعبير « اليهودى » على يهود أوروبا المعروفين بالاشكنازيين ، فيتحدث روبين عن أن « الحركة الصهيونية أثارت بالفعل الوعى اليهودى لدى كثير من يهود أوروبا » (٩) ، مغفلا اغفالا واضحا اليهود الشرقيين ، السفارديين ولذلك ، استهدفت جهود الاستيطان الصهيونى حتى عام ١٩٤٨ جمع يهود أوروبا وحدهم ونادرا ما كانت تحاول تجنيد اليهود الشرقيين رغم انه كان من الأيسر الى حد بعيد توطين الشرقيين (يهود اليمن والمغرب وحلب والقوقاز) فى المستعمرات الزراعية بل أن روبين كان يرى أنهم « يندفعون بالفعل الى فلسطين » ، ربما بدون جهود صهيونية واعية . الا أن اندفاع هؤلاء اليهود الشرقيين لم يكن يروق له لأن الحالة الروحية والفكرية لهؤلاء اليهود كانت سيئة الى حد أن هجرة جماعية كانت ستؤدى الى تدهور المستوى الثقافى العام لليهود (الاشكنازيين) فى فلسطين ، وسوف تكون لها مساوئها من وجهات نظر متعددة (١٠) وهى نفس الكلمات التى رددها أبا ايبان بعد ذلك بنصف قرن فى كتابه « صوت اسرائيل » .

الا أن الاعتبارات العملية وحدها تركت أثرا فى وجهة النظر الصهيونية التى تؤمن بتفوق البيض . فاليهود الشرقيين يمكن أن يكونوا ذا نفع تام بفضل معرفتهم بظروف الشرق وضآلة مطالبهم (١١) ، علاوة على قدرتهم على « التنافس فى الأجور مع عمال الزراعة العرب » ، بشرط أن يغدوا

بأعـداد صغيرة . وتتمثل مشـكلة يهودى شرق أوروبا (الأبيض) فى انه « لا يستطيع بأى حال العيش على مثل هـذه الأجور المنخفضـة » التى يتقاضاها العرب . وفضـلا عن ذلك ، ومع التسليم بأن اليهودى الأوروبى يعيش فى فلسطين بفضل عمله وحده الذى يخلق الطلب على تفكيره وامكانية الاعتماد عليه ، ويستخدم العرب فى العمل اليدوى البحت (١٢) . وربما كان هذا الترتيب مقبولا لو لم يكن من المحتم ، من وجهـة النظر الصهيونيـة ، عزل « النظام الاقتصادى اليهود ، لتحقيق تنمية منفصلة من خلال العمل العبرى البحت الذى يقوم به المستوطنون الصهيونيون » . فاسـتخدام شخص عربى من شأنه أن يشكل مخالفة للنظـام الصهيونى المغلق ومن ثم كان من الضرورى استخدام اليهودى الشرقى الذى يمكنه أن يؤدى العمل الشاق بنفس الأجر الذى يتقاضاه العربى (١٣) .

وبمعنى آخر ، أسطورة الحقوق الصـهيونية تنطبق فقط فى رأى روبين على اليهودى الاشكنازى . اما بالنسبة لليهود السفرديين فقد سمح لهم بدخول البلاد بسبب الضرورة الاقتصادية الملحة والاعتبارات العملية .

وربما بدا الأسـلوب الذى استخدمه روبين فى تحليـله أسـلوبا غير أخلاقى ، وعنصريا ، ونفعيا ، الى حد بعيـد ، لأنه يتحـدث عن اليهود الشرقيين باعتبارهم كائنات ذات نفع كبير واحتياجات ضئيلة ، الا أن هذا الاسلوب كان مألوفا فى أوروبا فى ذلك الوقت .

والواقع أنه ينبغى ، انصافا لروبين ، أن نشير الى انه قد اثبت أنه كان اكثر كرما ورقة وواقعية الى حد بعيد من نظرياته المجردة . فعندما رحل الى فلسطين للاشراف على الأنشطة الاستيطانية هناك ، أظهر ادراكا لدقة الوضع الأكثر تعقيدا ومأساوية ، الى حد بعيد ، من نظريته المشكوك فيها عن واجب اليهودى الأبيض .

وكان تيودور هرتزل ايضا متحيزا لتلك الثقافة الاستعمارية وكان يدرك تماما انه ينبغى تنسيق جهـوده الصهيونيـة مع مشروعات مماثلة حتى لا تتعارض حقوق « البيض » المختلفـة مع بعضها بعضـا . فقد دون فى يومياته قبل أن يعقد اجتماعه مع تشمبرلين ان عليـه أن يعرض على وزير المستعمرات « بقعة من الممتلكات الانجليزية حيث لا يوجد فيهـا حتى الآن اناس من البيض » قبل أن « يستطيعا التحدث عن ذلك المشروع الصهيونى للاسـتيطان » (١٤) .

ولقد كان من المسلم به طوال كافة المناقشات المتعلقة بالمقترحات الصهيونية لتغلغل البيض فى افريقيا وآسيا أن السكان البيض الغربيين يتمتعون بهذه الحقوق والامتيازات بفضل مستواهم الحضارى الرفيع . وكان هرتزل يتحدث بأسلوب المفكرين الاستعماريين فى القرن التاسع عشر عن الامبريالية باعتبارها عملا نبيلا يستهدف توصيل الحضارة الى افراد الأجناس الأخرى الغارقة فى الجهل (١٥) . فقد كتب فى عام ١٨٩٦ رسالة الى دوق بادن الأكبر يؤكد له فيها أنه عندما يعود اليهود الى « وطنهم التاريخى » سيعودون باعتبارهم « ممثلى الحضارة الغربية » الذين سينقلون النظافة والنظام وعادات الغرب المتأصلة الى هذه البقعة من الشرق (١٦) ، التى اجتاحتها الكوارث واستشرى فيها الفساد » . وأيد الصهيونيين ، باعتبارهم مدافعين مخلصين عن التقدم الأوروبى سيقومون « بمد طرق حديدية داخل آسيا ــ كطريق عام للشعوب المتحضرة » (١٧) . ويؤكد هرتزل ، مستغلا أسطورة اليهودى الأبيض ، أن القصد من اقامة الدولة اليهودية هو « انشاء جزء من حائط للدفاع عن أوروبا فى آسيا ، وقاعدة أمامية للحضارة ضد الهمجية » (١٨) .

ان الدفاع عن اليهود بوصفهم جنسا أبيض ينتمى الى الغرب ، يبدو امرا مثيرا للسخرية الى حد ما ، ولا سيما بعد الابادة الجماعية على ايدى النازيين ، الا أنه كان أمرا طبيعيا تماما بالنسبة للعصر ، كان أمرا شائعا تقريبا بين الصهيونيين . ويبدو جليا طابع العنصرية الاستعمارية لأوروبا فى أسلوب جابوتنسكى ــ الذى لم يكن ممن يعجبون كثيرا بثقافة الشرق ــ فى وصفه « لليهود بأنهم أوروبيون » لا تربطهم رابطة مشتركة بالشرق الذى زعم أن « كل شىء فيه محكوم عليه بالاخفاق » (١٩) .

ان فهم اليهود على أنهم كيان عنصرى مستقل فضلا عن انهم ينتمون الى الجنس الأبيض والحضارة الغربية هو أساس كثير من تصريحات الصهيونيين وفكرتهم عن أنفسهم .

ويستخلص بن جوريون فى كتابه « بعث أسرائيل ومصيرها » عددا من أوجه الشبه بين الصهيونيين والمستعمرين تكشف عن نزعته البيضاء القوية . وفى سنة ١٩١٧ كتب مقالة بعنوان « يهودا والجليل » اعتبر فيها أن المستوطنين الصهيونيين فى ارض اسرائيل ليسوا « مجرد عمال » فحسب ، بل ــ على العكس من ذلك ــ اعتبر أنهم « يفتحون أرضا ، كناسرية من الفاتحين » ومع أن التشابه مع أحد مشروعات الاستعمار

الاستيطانى يبدو واضحا ، يتقلص الفتح ، في هذه المقالة ، ليفتقـــد على الأرض وحدها دون الشعب (٢٠) .

وفى مقالة أخرى بعنوان « اكتساب وطن » ــ يوسع فيها مفهوم الفتح ليشمل الشعب ايضا ــ يشبه بن جوريون الاستيطان الصهيونى بالاستيطان الأمريكى فى العالم الجديد مستحضرا فى الذهن صورة « المعارك الوحشية » التى خاضها المستعمرون الأمريكيون ضد الطبيعة الضارية والهنود الحمر الأكثر ضراوة (٢١) . والمهم ، من وجهة نظر الجدل الراهن ، هو أن الزعيم الصهيونى يحـــدد هوية المواطنين الأمريكيين عن طريق اللون . الا أن الأهم من ذلك هو تقليله من شأن الهنود الحمر الى حد مساواتهم بالطبيعة بل انه وضعهم فى منزلة أدنى منها لأنهم « أكثر ضراوة » . وهـــذه العملية التى تنطوى على تجريد الانسان وتحويله الى مجرد عصور طبيعية ــ الأمر الذى يتفق مع أخلاقيات دارون ووجهة نظره ــ تجعل من الابادة عملا مستساغا وتحول أفراغ منطقة من سكانها الى عمل من أعمال البقاء . وقد اســتفاد النازيون فيما بعد استفادة كاملة من ذلك المنطق على نطـــاق أكثر اتساعا وتنظيما وبصورة علمية . فأعلنوا أن من واجبهم افراغ الســكان كجزء من رسالتهم التى تتمثل فى المحافظة على سكان المانيـــا ، « واذا كانت الطبيعة قاسية ، فينبغى علينا ايضا أن نكون كذلك » (٢٢) .

وعلى الرغم من أن وايزمـــان كان على خلاف دائم مع بن جوريون فى الأســـلوب ، فقد فضل فى كتبه « التجربة والخطـــأ » استخدام فكرة المستوطنين الفرنسيين فى تونس (٢٣) والمستوطنين البريطانيين فى كنـــدا واستراليا كأمثلة تحتذى ، مع اظهـــار تعاطفــه الملحوظ مع المستوطنين فى جنوب أفريقيا (٢٤) .

فنلاحظ فى مذكرة بعث بها الى الرئيس ترومان فى ٢٧ نوفمبر ١٩٤٧ الميل الاستعمارى الى وضع خط فاصل واضح بين جماعة أوروبية متقدمة تكنولوجيا ومواطنين أصليين متخلفـــين . فقـــد قال وايزمان ، فى وصفه للسكان الصهيونيين فى فلسطين ، انهم يتألفون أساسا من « فلاحين متعلمين وطبقــــة صناعية ماهرة ، ويعيشون فى مستويات مرتفعـــة » . وأوضح الاختلاف الصارخ بين هذه الصورة المشرقة والصورة الكئيبـــة « للجماعات الأمية والفقيرة التى لا تشبه السكان الصهيونيين » (٢٥) . ولم يكلف وايزمان نفسه بطبيعة الحال عنـــاء تفسير سبب هذا الوضع للرئيس الأمريكى ، والسبب فى أن فجر الحضـــارة لم يبزغ بعد خمسين عاما من الاســـتعمار البريطانى والصهيونى .

وفى ظل وجود أسطورة الحقوق الاستعمارية العنصرية البيضاء فان لم يتردد وعد بلفور فى الاشـارة الى عرب فلسطين من المسلمين والمسيحين ، الذين يشكلون أكثر من ٩٠٪ من السكان ، بأنهم « جماعات غير يهودية » . وبمعنى آخر ، كانت الأغلبيـة من سكان البلاد الأصليين تحول فعـلا وبلا هوادة الى مرتبة أقلية ، باسم الحقوق الممتازة التى يتمتع بهـا فائض أوروبا المقبل . ولقد كتب بلفور ذات مرة يقول : « اننا لا نقـدم مطلقا ، فى فلسطين . تجربة صيغة الرجوع الى رغبات سكان البلاد الحاليين، رغم ان لجنـة (كنج / كرين) الأمريكيـة جربت صيغة التصرف على رغبـات السكان » (٢٦) . أما بالنسبة لتلك التصريحات العـامة والنصوص الوفيرة عن الحماية ، فقد اغفلت فيما بعد : « فالدول الكبرى لم تصـدر بيانا عن السياسة التى لم تقـدم انتهاكا أبدا » (٢٧) . فكانت الدول الاسـتعمارية الكبرى تتخذ القرار وكان المستعمرون المستوطنون يجنون فائدة كاملة من نظام القوى الدولية .

« ويستطيع اليهود (ابتداء من تلك المرحلة فصاعدا) محاكاة رسالة نشر الحضارة التى ينعم بها غير اليهود » (٢٨) ، كما أشار أحد الكتاب الايهود أو بصراحة أكثر انه ينبغى أن ينال اليهود الحقوق والامتيازات التى يتمتع بها المستوطنون البيض الآخرون فى أفريقيا وآسيا .

وبعد انشـاء دولة اسرائيل استمر نفس الاتجاه الرجعى للدولة مع ما يصاحبه من توتر بين أسطورة الحقوق التى يثيرها اليهـود الاشكنازيون فى متطلبات هجرة اليهود متعددى الأجناس والجغرافيا السياسـية للشرق الأوسط . ويتجلى هذا التـوتر بوضوح فى دعوى بن جوريون بأن اسرائيل تقع من الناحية الجغرافية فى الشرق الأوسط ولكنها لا تنتمى اليه (٢٩) ، وفيما اعلنـه من انه يود ان يرى مزيدا من اليهـود الغربيين يستوطنون الدولة الصهيونية للحيلولة دون تحول اسرائيل الى دولة شرقية (٣٠) .

واختار موشى ديان جنوب افريقيا لاستكشـاف مخاوفه من اليهـود الشرقيين . ففى المؤتمر السنوى للاتحاد الصهيونى فى جنوب افريقيـا عام ١٩٧٤ ، وصف ديان « ازدياد عدد المهاجرين من اليهـود الشرقيين على المهاجرين من الدول الأوروبية بانه أكبر مشكلة لاسرائيل » . وناشد أعضاء المؤتمر أن يمدوا يد المساعدة لحل مشـكلة اسرائيل السـكانية بالهجرة الى اسرائيل (٣١) .

ويبدو التعبير الاسرائيلى التقليدى لهذه الأزمة فى كتاب أبا ايبان صوت اسرائيل » الذى حدد فيه ببلاغته المعهودة تصوره للعلاقة المثالية التى ينبغى أن تقوم بين اسرائيل وجيرانها . وتقوم الفكرة على اساس ان العلاقة ينبغى الا تكون علاقة تكامل ، بل عكس ذلك تماما ، فالتكامل امر ينبغى تجنبه » . ويعود ايبان ، وهو من يهود جنوب أفريقيا الاشكنازيين ، الى موضوع اليهود الشرقيين فيتحدث عن « المخاوف الشديدة التى تنتاب الاسرائيليين من ذوى الأصل الغربى ، الناجمة عن احساسهم بالخطر خوفا من أن يؤدى تزايد عدد المهاجرين من ذوى الأصل الشرقى الى ارغام اسرائيل على أن تسوى بين مستواها الثقافى ومستوى العالم المجاور لها » (٣٢) أى آسيا وافريقيا . ويستطرد بعدئذ الى القول بأنه « بعيدا عن اعتبار المهاجرين الينا من بلاد الشرق جسرا نحو تكاملنا مع العالم الناطق باللغة العربية ، ينبغى ان يكون هدفنا بث الروح الغربية فيهم بدلا من أن نسمح لهم باجتذابنا الى سمة شرقية غير طبيعية » (٣٣) .

واذا كان بن جوريون قد أثار صورة الفاتحين ، واثار وايزمان صورة المستعمرين الفرنسيين ، فان ايبان يثير صورة الأمريكى فى أمريكا اللاتينية ، فيقول انه ينبغى على اسرائيل أن تعمل على اقامة علاقة مماثلة لتلك العلاقة السائدة بين الولايات المتحدة وقارة أمريكا اللاتينية (٣٤) .

وقد اعتبر المستوطنون فى جنوب أفريقيا انفسهم أعضاء حضارة بيضاء متفوقة واختاروا القيام بنفس الدور التبشيرى الذى يقوم به رسل تلك الحضارة وحاولوا باسم ذلك التفوق الحضارى والعنصرى اخلاء أرضهم الموعودة من السكان الأصليين القدماء لاقامة ديمقراطية غربية اخرى وسط الأدغال . فمنطق سيادة البيض الذى استخدمه بعض المفكرين الصهيونيين يحتل منزلة رئيسية بالنسبة لدعاة التفرقة العنصرية لأن كلتا الايديولوجيتين ظهرت فى نفس البيئة الحضارية وتولدت من نفس المصادر والأساطير . وربما كان اجراء دراسة أولية تفصيلية لمبررات التفرقة العنصرية امرا غير ضرورى لأن معظم الناس على علم بمنطق دعاة التفرقة العنصرية فى جنوب افريقيا ، الذين لم يحاولوا ابدا ، على عكس الصهيونيين ، اخفاء منطقهم القائم على الغزو وما يستند اليه من وجهة نظر . والأمر الذى قد ينطوى على بعض الأهمية فى السياق الراهن هو حقيقة أن انصار التفرقة العنصرية فى جنوب افريقيا قد صنفوا اليهود على أنهم من الشعوب البيضاء . ففى ٣ نوفمبر ١٩١٩ تحدث سمطس فى حفل استقبال اقيم فى مدينة جوهانسبرج ، تحت رعاية الاتحاد الصهيونى لجنوب افريقيا وهيئة النواب

اليهود فى جنوب افريقيا ، عن اليهود «كشعب صغير له رسالة حضارية» فى العالم . ونوه بلغة العهد القديم باعتبارها أساسا « لثقافتنا البيضاء » و « ثقافتكم اليهودية » (٣٥) . وربما لقيت أوجه الشبه التى أوضحها سمطس استحسانا ، ولكنها قوبلت بتزايد عزلة الأقلية البيضاء فى جنوب افريقيا ، اذ أن الصهيونية رات أنه من الملائم التقليل من اهمية الأصول الثقافية والتاريخية المشتركة التى تشارك فيها التفرقة العنصرية . الا ان رئيس الوزراء فورستر لم يهتم بهذا الأمر وانتقد بعنف أولئك الصهيونيين المعتدين المعقدين الذين يرغبون فى التمييز بين « سياسة التنمية المستقلة » التى تمارسها اسرائيل على أساس الدين وسياسات جنوب افريقيا المماثلة التى تمارس على أساس عنصرى (٣٦) .

وتنجلى تماما هذه النظرة الى اليهودى باعتباره رجلا أبيض فى مختلف القرارات والقوانين التى أصدرتها حكومة جنوب افريقيا . فعندما اجرى امتحان فى معرفة القراءة والكتابة « بحروف احدى اللغات الأوربية » (بقصد استبعاد الحروف الآسيوية) اعترف باللغة اليديشيه التى تكتب بحروف عبرية (آسيوية) ــ اعترف بها ، مع ذلك ، رسميا ، كلغة مقبولة فى قانون الهجرة باقليم الكاب الصادر عام ١٩٠٦ كما اعترف بها قانون الهجرة الأساسى الصادر عام ١٩١٣ (٣٧) .

ان تصنيف اليهودى بأنه « أبيض » يفسر حقيقة ان يهود جنوب افريقيا يعتبرون انفسهم « جزءا لا يتجزأ من السكان البيض » ، وانهم يشعرون أن مصيرهم « مرتبط ببقية السكان البيض » (٣٨) ، وأنه « يعتمد اعتمادا شديدا ــ مثل بقية البيض ــ على الحكومة التى تستطيع توفير النظام والأمن وتقوم بتوفيرها فعلا » (٣٩) .

ان فكرة واجب الرجل الابيض ، سواء كان غير يهودى أم كان يهوديا ، هى فكرة أساسية تعتنقها معا كل من الصهيونية وفلسفة التفرقة العنصرية وطالما تنقسم الانسانية انقساما شديدا على أسس عنصرية ، فان التنمية الاقتصادية المنفصلة والكيانات السياسية المنعزلة تصبح منطقية فى نهاية الأمر بل مرغوبا فيها . وباسم هذا الانعزال والتفوق العنصرى تدفقت موجات من المهاجرين الأوروبيين ومن فائض سكان أوروبا الى جنوب افريقيا وفلسطين وجردت المواطنين الأصليين من أملاكهم ثم قامت بطردهم ، ونظرا لهذه الجذور الثقافية والتاريخية المشتركة كان من الطبيعى تماما أن توحد الدولتان صفوفهما وتدعما علاقاتهما ازاء الضغوط التاريخية المتزايدة .

(١) ريتشارد ستيفتر ، « الدول الاستيطانية ورد الغرب ، أسرائيل وجنوب افريقيا » عابدين جبارة وجانيس تيرى ، العالم العربى من القومية الى الثورة ، (ويلميت . الينوى: دار نشر جامعة مدينا ، ١٩٧١) صفحة ١٦٧ — ١٦٨ .

(٢) ريتشارد كروسمان ، بعث أمة ، اسرائيل وايزمان وبيفن وبن جوريون (لنـــدن ، هاميش هاميلتون ، ١٩٦٠) صفحة ٥٨ .

(٣) ويزمونت ستيوارت ، تيودور هرتزل (جاردن سيتى ، نيويورك : دوبلواى وشركاه ، ١٩٧٤) ص ١٩٢ .

(٤) محاكمة كبار مجرمى الحرب أمام المحكمة العسكرية الدولية : نورمبرج من ١٤ نوفمبر ١٩٤٥ — أول اكتوبر ١٩٤٦ (نورمبرج ، المانيا ، ١٩٤٧) المجلد الحادى عشر ، صفحة ٤٥٠ .

(٥) اعداد دافيد سيلز (نيويورك شركة ماكميلان ١٩٦٨) المجلد الثالث عشر .

(٦) الموسوعة البريطانية (شيكاغو ، ويليام بنتون ، ١٩٧٣) المجلد الخامس عشر .

(٧) روبين ، اليوم فى العصر الحاضر . ترجمة مارجرى بنتويتش (لنـــدن ، ج. بل واولاده ١٩١٣) صفحة ٢١٣ .

(٨) المرجع السابق صفحة ٢٢٧ .

(٩) المرجع السابق صفحة ٢٩٦ .

(١٠) المرجع السابق صفحة ٢٩٣ — ٢٩٤ .

(١١) المرجع السابق صفحة ٢٩٤ .

(١٢) المرجع الســـابق .

(١٣) المرجع الســـابق .

(١٤) اليوميات الكاملة لتيودور هرتزل ، اعداد رافائيل باتاى ، ترجمة هارى زوهن ، ٥ مجلدات (نيويورك — مطبعة هرتزل ، ١٨٦٠) المجلد الرابع صفحة ١٣٦١ .

(١٥) الاجناس ، الموسوعة البريطانية المجلد الثانى عشر .

(١٦) اليوميات المجلد الاول صفحة ٣٤٣ .

(١٧) اليوميات المجلد الاول صفحة ٣٣٨ .

(١٨) ارثر هرتز بيرج (اعداد) : الفكرة الصهيونية ، تحليل تاريخى ومختارات أدبيـــة (وستبورت كونكتيكت جرينوود ، ١٩٥٩) صفحة ٢٢٢ .

(١٩) جوزيف شختمان ، مقاتل وينى : قصة فلاديمير جابوتنسكى ، الســـنوات الاخيرة (نيويورك ، توماس يوسيلوف ، ١٩٦١) صفحة ٣٢٤ .

(٢٠) دافيد بن جوريون ، بعث اسرائيل ومصــــيرها (نيويورك ، المكتبة الفلســـفية ، ١٩٥٤) صفحة ٩ .

(٢١) المرجع السابق صفحة ٦ .

(٢٢) جاكوب برنارد اجوس ، معنى التاريخ اليهودى ، مجلدان (لندن ، ابيلارد سكومان ، ١٩٦٣) المجلد الثانى صفحة ٢٨٦ .

(٢٣) حاييم وايزمان ، التجربة والخطا (نيويورك : هاربروراو ، ١٩٤٩) صفحة ١٩١ .

(٢٤) المرجع السابق ٢٧٧ .

(٢٥) هارى .س. ترومان ، مذكرات (جاردن سيتى ، نيويورك : دوبلداى ، ١٩٥٥) المجلد الثانى ص ١٥٩ .

(٢٦) ليونارد شتاين ، تصريح بلفور (لندن ، فالينتين رتيشيل ١٩٦١) صفحة ٦٤٩ .

(٢٧) المرجع السابق .

(٢٨) ن.أ. روز ، الصهيونيون غير اليهود ، دراسة فى الدبلوماسية الانجليزية الصهيونية من ١٩٢٩ الى ١٩٣٩ (لندن ، فرانك كاس ، ١٩٧٣) صفحة ٧٥ .

(٢٩) بن جوريون ، بعث اسرائيل ومصيرها . صفحة ٤٨٩ .

(٣٠) فيليب سيجال ، تاملات فى القومية اليهودية ، خريف عام ١٩٦١ صفحة ٢١ .

(٣١) مجلة تقارير العالم الثالث المجلد الخامس العدد السابع سبتمبر ١٩٧٤ .

(٣٢) آبا ايبان ، صوت اسرائيل (نيويورك ، مطبعة هوريزون ١٩٥٧) صفحة ٧٦ .

(٣٣) المرجع السابق .

(٣٤) المرجع السابق .

(٣٥) « رؤية سمطس لصهيون ويهود العالم » مجلة الشئون اليهودية اغسطس ١٩٧٠ .

(٣٦) الروابط المعاصرة بين جنوب افريقيا واسرائيل (لجنة ماديسون الخاصة بافريقيا الجنوبية) وردت فى كتاب (١٢٧ سؤالا وجوابا حول النزاع العربى الاسرائيلى ..) صفحة ١٣٦ .

(٣٧) « جنوب افريقيا » الموسوعة اليهودية (القدس ، دار ماكميلان للنشر ، ١٩٧٢) المجلد الخامس عشر .

(٣٨) المرجع السابق .

(٣٩) نيفيل روبين ، « اثر الصهيونية واسرائيل فى الاتجاه السياسى ليهود جنوب افريقيا » من كتاب « النظم الاستيطانية فى افريقيا والعالم العربى » : وهم البقاء (ويلميت ، النيوى ، مطبعة جامعة مادينا ، ١٩٧٤) صفحة ١٧١ .

(٢) الاستعمار الاستيطاني وديمقراطية

السادة والشعب (+)

بقلم : سميح فارسون (×)

(النص التالي هو جزء مختصر من بحث بعنوان : « جنوب افريقيا واسرائيل ، علاقة خاصة » ، قدم الى مؤتمر الاتجاهات والسياسات الاجتماعية والاقتصادية في افريقيا الجنوبية الذي عقد بدار السلام خلال الفترة من ٢٩ نوفمبر الى ١٢ ديسمبر ١٩٧٥ تحت رعاية المعهد الافريقي للتنمية الاقتصادية والتخطيط بداكار ، التابع للأمم المتحدة . وقد كان من الضروري حذف بعض التفاصيل والصور التي تضمنها النص الأصلي) .

درست طبيعة الاستعمار الاستيطاني لجنوب افريقيا من الناحيتين التاريخية والمعاصرة دراسة مستفيضة من جوانب مختلفة ، ودرست طبيعة الاستعمار الاستيطاني في روديسيا بصورة أقل استفاضة . كما درست اسرائيل دراسة أقل استفاضة أيضا ، وربما كان مرجع ذلك تحيز الغرب التقليدي . الا انه منذ يونيو ١٩٦٧ ، وظهور « اليسار الجديد » على الساحة الدولية يجرى تحليل اسرائيل من هذه النواحي تحليلا مباشرا (١) .

وتتناقض مصالح سكان المستعمرة المستوطنين مع مصالح الوطنيين ابناء البلاد كما تتناقض مع مصالح أصحاب رؤوس الأموال في (الدولة الأم » . وعندما تبدأ في الظهور تسوية ما ، بين الدولة المستعمرة والسكان الوطنيين (مما يؤدي عادة الى حصول السكان الوطنيين على الاستقلال السياسي) تتعرض مصالح سكان المستعمرة من المستوطنين للخطر فيقاتلوا بعنف .

« ان هذا العامل الانتكاسي والرجعي الى حد بعيد خاص النضال من الناحية التاريخية على جبهتين النضال الصلب والصادق ضد الوطنيين

(+) من مجلة العالم الثالث (بون ، المانيا) عدد خاص عن « اسرائيل ـ جنوب افريقيا : تعاون القواعد الامامية الاستعمارية » ١٩٧٦ .

(×) سميح فارسون ، دكتوراه في الفلسفة وعضو هيئة التدريس بقسم الاجتماع بالجامعة الامريكية بواشنطون ، من مجلة العالم الثالث .

... وألنضال النسبى وعنـد الاقتضـاء ، ولكن بعنف بالغ فى كثير من الأحيان ، ضد عودة أصحاب رؤوس الأموال الكبار الى الوطن » (٢) .

استقلال المستعمرين :

يحاول المستعمرون الانفصال عن الدولة الام واقامة نظامهم الذى يقوم على سيادة البيض والذى يتسم أساسا بالقمع الشديد لأبناء البلاد الأصليين . واحدث مثال لهذه الظاهرة روديسيا . ومع أن الصراع العنيف بين المستوطنين فى جنوب افريقيا وبريطانيا كان صراعا اقتصاديا فى جوهره الا أنه كان متصلا أيضا بالسياسة البريطانية تجاه أبناء البلاد الأصليين . وعندما نال البيض الذين يستوطنون البلاد الاستقلال فى نهاية الأمر وسيطروا على البلاد فرضوا نظاما من أشد الأنظمة قمعا فى التاريخ ، الا وهو التفرقة العنصرية .

وبالنسبة لاسرائيل ، فاننا فى أغلب الأحوال ننسى تماما أنه اذا كانت هذه الدولة تمثل رأس حربة للامبريالية فى سباق العداء الدولى السائد حاليا بين الكتلتين الكبيرتين فان هذا الوضع هو نتيجة ظروف خاصة فحسب . فطبيعتها الحقيقية أن تكون كتلة من المستوطنين البيض الذين ينتشرون بصورة متزايدة ليستعمروا بلاد متخلفة الأمر الذى يجعل نزاعهم مع شعوب المنطقة قاسيا للغاية ،حتى مع الشعوب التى تعيش تحت حكم « أنظمة موالية للغرب ودائرة فى فلك الامبريالية . فبرغم تحالف اسرائيل مع الامبريالية الأمريكية فانها دولة استعمارية انفصالية ، وكان قيامها موضع صراع طويل دام مع انجلترا التى كانت تقوم بدور الدولة الاستعمارية الأصلية » (٣) .

وبانفصال مستوطنى المستعمرة أو استقلالهم ، تتمثل الصفة المميزة الحيوية للأنظمة الاستعمارية الاستيطانية فى علاقتهم بالسكان الوطنيين وعلاقتهم بالأرض . فمن الناحية السياسية يقيم المستعمرون الأوروبيون ما يطلق عليه فان دن برج اسم « ديمقراطية السادة والشعب » ، وهى أزدواج سياسى ينطوى على ديمقراطية برلمانية للمستعمرين المستوطنين وعلى نظام استعمارى بالنسبة للوطنيين من أبناء البلاد . وهذه الديمقراطية هى « نظام برلمانى تقصر فيه ممارسة السلطة وحق الاقتراع بحكم الأمر الواقع ، وبحكم القانون فى أحوال كثيرة ، على الجماعة المسيطرة » (٤) وقصارى القول ، أن المستعمرين يحكمون انفسهم حكما ديمقراطيا ويفرضون طغيانهم السياسى والاقتصادى والاجتماعى على الوطنيين .

حيـــازة الأرض :

ان استيطان مستعمرة ما ، يحتاج الى الأرض . وهكذا ينشب نزاع فورى مع السكان الوطنيين عنـدما يستولى المستعمرون (بالغزو أو حتى بالشراء) على الأرض . ولتأمين السيطرة على المستعمرة يتطلب الأمر مزيدا من المهاجرين مما يؤدى الىزيادة الضغط السكانى علىأبناء البلاد كما تزداد حاجتهم الى الأرض ، فتنشـأ نتيجة لذلك مقاومة الوطنيين . الا أن عمليـة فعالة تبدأ فى الانطلاق وتتمثل فى تضخم سـكان المستعمرة والهجرة وطرد السكان الأصليين واستعبادهم وعزلهم . وتتجلى هذه العملية فى سلسلة من المعارك والحروب التى تبلغ ذروتهـا بالسيطرة على الأرض وطرد الوطنيين واخضاعهم . وفى بعض الأحيان تتحول هذه المعارك الى ابادة جماعية . ففى امريكا الشمالية عرفت هذه الحروب باسم حروب الهنود وعرفت فى جنوب افريقيـا باسم حروب الكفير ، وفى الشرق الأوسط باسم النزاع العربى الاسرائيـلى (ليس معنى هـذا انكار أن عوامل أخـرى قد دخلت الى الصـورة هنـا) .

التوسع على حســاب الوطنيين :

تختلف دقائق هذه العملية باختلاف المواقف الاستعمارية الاستيطانية ، الا أن الجوهر واحد والنتيجة الأخيرة متماثلة . ففى جنوب افريقيـا كان تملك الأرض يتم بالقوة التى تساندهم (وأحيانا تتغاضى عنهـا) السلطة الاستبدادية . والواقع انه ابتـداء من القرن التاسع عشر أدى النزاع بين مصالح الامبراطورية البريطانية والمستوطنين من الأفريكان الى زيادة التوسع على نطاق واسع . ومن نافلة القول ان هـذا التوسع كان على حسـاب الوطنيين وأولهم البوشمان والهوتنتوت وآخرهم البانتو . اذ قام الأفريكان بدفع زنوج جنوب افريقيا الى بعض الأراضى التى « خصصت » لهم فقـد خصص قانون أراضى الوطنيين الصادر سنة ١٩١٣ للوطنيين الزنوج ٧٪ من الاراضى (وارتفعت النسبة بعد ذلك الى ١٣ ٪ فى عام ١٩٣٦) فى جنـوب افريقيا ، رغم أن عدد الافريقيين كان يبلغ أربعـة أمثـال عدد الافريكان البيض . وقد تكرر هذا النموذج فى روديسيا فيما عدا أنه فى فترة زمنية اقصر . بدأ من عام ١٨٩٠ وكانت نسـبة السـكان الافريقيين الى البيض اقرب الى ٢٠ : ١ .

تملك الأرض بالشراء :

اختلفت الوقائع فى العالم العربى اختلافا طفيفا . فعلى الرغم من تأييد

بريطانيا الاستعمارية . لم يتم استيطان الصهيونيين الأوائل فى فلسطين ، عن طريق الغزو ، لأنه كان سيشعل نار حرب مع امبراطورية وقوة اقليمية رسخت اقدامها منذ عهد بعيد هى الامبراطورية العثمانية . ولكن الصهيونيين تملكوا الأرض فى البداية عن طريق عمليات شراء كان يمولها الصهيونيون الأوروبيون ومؤيدوهم . ومع ذلك لم يكن كل هذا النشاط ، ذا قيمة تذكر ، قبل أن يفرض الانتداب البريطانى على فلسطين فى أعقاب الحرب العالمية الأولى .

وقد يسر الانتداب البريطانى — الذى كان يعمل بالتنسيق مع ما يهدف اليه تصريح بلفور من اقامة « وطن قومى » الصهيونيين — للمستوطنين أن يمتلكوا الأرض . وأدى هذا الى بدء أسلوب الهجرة الاستيطانية وطرد الفلاحين الفلسطينيين من أراضيهم . وشعر بهذا التهديد العرب سكان البلاد الأصليون الذين أخذوا فى المقاومة بمختلف السبل ، بما فى ذلك القيام بثورة شاملة ضد البريطانيين والصهيونيين خلال الفترة من سنة ١٩٣٦ حتى ١٩٣٩ . ورغم ذلك ، عندما أحال البريطانيون مسألة فلسطين الى الأمم المتحدة فى سنة ١٩٤٧ ، لم تكن الملكية الصهيونية واليهودية للأراضى فى فلسطين تتجاوز ٧٪ من أراضى البلاد (٥) . مع أن المستوطنين فى فلسطين كان عددهم قد وصل فى سنة ١٩٤٨ الى ما يقرب من سبعمائة الف نسمة ، أى ما يماثل تقريبا ثلث سكان البلاد . ولم يتم تملك الصهيونيين للأرض فى فلسطين بالجملة حتى ما بعد الحرب الفلسطينية فى ١٩٤٧ / ١٩٤٨ وفى هذه المرة أيضا تم تملك الأرض بالقوة . وينبغى الاشارة الى أن الأمم المتحدة ، التى كانت خاضعة لسيطرة الغرب فى ذلك الوقت ، قد وفر الأساس الرسمى لقيام الدولة الصهيونية الاستيطانية دون الرجوع الى رغبات الوطنيين أبناء البلاد ، وذلك بالقرار الذى اتخذته فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ بتقسيم فلسطين . وفيما عدا اتحاد جنوب افريقيا ، أيد مشروع التقسيم دولة افريقية واحدة ودولة أسيوية واحدة . وصدر القرار اعتمادا على أصوات الدول الأوربية ودول نصف الكرة الغربى .

التوسع العسكرى :

قامت دولة اسرائيل الاستيطانية الجديدة بتوسيع رقعة اراضيها فى فلسطين من المساحة المخصصة لها وفقا لقرار الأمم المتحدة والبالغ نسبتها ٥٦٪ حتى اصبحت مساحة أراضيها ٧٧٪ من اراضى فلسطين فى سنة ١٩٤٨ . وامتد التوسع الاسرائيلى ابعد من ذلك فى سنة ١٩٦٧ فى أعقاب

حرب يونيو ، فقد استولت اسرائيل على أراضي بقيـــة فلسطين وأراضي دولتين عربيتين مجاورتين . وضمت اسرائيل ، من جانبها وحدها ، القدس العربية والمنطقة المحيطة بها . واقام الاسرائيليون أكثر من عشرة مستعمرات جماعية وشبه عسكرية لا فى بقية اراضي فلسطين فحسب (الضفة الغربية) وانما فى الأراضي السورية والمصرية أيضا .

قوانين الدولة الاستيطانية :

ما أن تقوم دولة استيطانيـــة فوق أراضي وطنيـــة حتى يشجع تملك الأراضي عن طريق قوانين الدولة الاستيطانية ، وهى تشريعـــات تستهدف نقل ملكية أراضي الوطنيين أبناء البلاد وتنظيم تملك المستوطنين لهـــا . كما أنها تسبغ الطابع القـــانونى على هذا المخطط ويعتبر قانون املاك الغائبين الذى اصدرته اسرائيل فى عام ١٩٥٠ حالة وثيقـــة الصلة بهذا الموضوع . فهذا القانون وما يماثله من تشريعات أخرى مثل المـــادة ٢٥ من تنظيمات الطوارىء ، التى ترخص للحكم العسكرى بطرد القرويين وفرض الحصـــار على ديارهم ، قد اسهمت فى نقل ممتلـــكات العرب الى أيدى الاسرائيليين المستوطنين (٦) . وبعد حرب يونيو ١٩٦٧ قامت الحكومة الاسرائيلية بنزع ملكية منازل العرب داخل مدينة القدس القديمة فى ينـــاير أولا ثم فى ابريل ١٩٦٨ . ففقد ثلاثة آلاف فلسطينى ثم خمســـة آلاف فلسطينى أراضيهم ونقلوا بعد ذلك الى الضفة الشرقيـــة للأردن . ولم تكن هذه العمليـــات « القانونية » ــ تملك المستوطنين للأرض ــ تختلف فى جوهرها أو نتيجتها عن تشريعـــات أو قوانين أراضي الوطنيين التى تطبقهـــا جنوب افريقيا وروديســـيا .

الهجـــــرة :

بالاضافة الى تملك الأرض ، يهتم الاســـتعمار الاســـتيطانى بهجرة المستوطنين الجدد لكى يساعدوا على تأمين وتدعيم المجتمع الاســـتيطانى ، وهى حركة تنكر بصورة مباشرة السكان الوطنيين . وهكذا ، يصبح وجود الوطنيين بمثابة مشكلة . وكما يقول باتريك كيتلى عن مستوطنى روديسيا من البيض : « لا يسع المرء الا أن يشعر .. أن أهالى روديســـيا البيض يكنون فى اعماق قلوبهم رغبة صامتة فى زوال الافريقيين من الوجود » .

وتتخذ هذه « الرغبة الصامتة » فى جنوب افريقيا شكل عزل جغرافى واجتماعى مفروض بالقوة على السود . وبالمثل ، يبـــدى الصهيونيون ، ببلاغتهم وسياستهم ، هذه « الرغبة الصامتة » ذاتها . فقد صاغ اسرائيل

زانجويل ، احد فلاسفة الصهيونية الأول ، الشعار القائل بأن فلسطين أرض بلا شعب تمنح لشعب بلا أرض (أى يهود أوروبا) ومنذ عهد قريب سنة ١٩٦٩ أعلنت جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل فى ذلك الحين ، فى حديث صحفى نشر فى صحيفة الصنداى تايمز اللندنية فى ١٥ يونيو ١٩٦٩ أنه : « لم يكن الأمر وكأن هناك فلسطينيين فى فلسطين يعتبرون انفسهم شعبا فلسطينيا ، فأتينا نحن وطردناهم ثم اغتصبنا وطنهم منهم . انهم لم يكونوا موجودين » .

ان الاستعمار الاستيطانى الصهيونى المدعم بأيديولوجية دينية تاريخية، مقترنة بالرغبة فى اقامة أمة حديثة تضم اليهود من كافة الطبقات ، كان معنيا بصورة خاصة بالرغبة فى بلاد خالية من الوطنيين أى خالية من العرب . ولقد قام أرسكين تشسيلدرز بتحليل التاريخ والخطط والحرب (العسكرية والارهابية والنفسية) التى جعلت فلسطين ، طبقا لقول بن جوريون « خالية فعلا من أهلها السابقين » (٧) . لقد رفضت أسرائيل اعادة توطين مئات الألوف من اللاجئين الفلسطينين بعد الحرب ١٩٤٨ ثم رفضت مرة ثانية بعد حرب ١٩٦٧ . وبعد هذه الحرب الأخيرة سمحت لنسبة رمزية صغيرة من اللاجئين بالعودة الى ديارهم فى الضفة الغربية . وكان اللاجئين الذين لم يسمح لهم بالعودة الى ديارهم هم الذين صودرت ممتلكاتهم بمقتضى قانون ممتلكات الغائبين .

مبررات الكتاب المقدس :

تيسر الدول الاستيطانية هجرة مهاجرين تتوافر لديهم الأهلية اللازمة: فيهاجر البيض الى جنوب أفريقيا واليهود الى اسرائيل . ويمنح قانون العودة الاسرائيلى الحق لليهودى (الذى ينطبق عليه التعريف القانونى وفقا للتشريعات الدينية) فى أن يستوطن اسرائيل ويكتسب حق المواطنة فيها . أما بالنسبة لجنوب أفريقيا ، فان المهاجرين ينالون مساعدات اجتماعية واقتصادية ومساعدات فى مجال الاسكان . بينما تعامل قوانين المواطنة الوطنى الأصيل معاملة جائرة فى نفس الوقت . وقصارى القول ، ان حركات الاستعمار الاستيطانى تغتصب أرض الوطنيين الأصليين وتطردهم أو تفرض الرقابة عليهم وتشجع هجرة المستوطنين الأكفاء . وتبرر ذلك بلغة عقيدة تنطوى على أفكار عامة وغامضة أى بأنها تضطلع برسالة الحضارة بالنسبة للوطنى . ولكن مثل هذا التبرير كثيرا ما يستند الى الكتاب المقدس . وقد بلغت جنوب أفريقيا واسرائيل شأوا خاصا فى هذا المجال .

فالكنيسة الاصلاحية الهولندية ، التى يتبعها المستوطنون البيض تعتمد على بعض نصوص العهد القديم . فتؤمن بأن التفاوت بين الأجناس انما هو قضاء من الله . وأنه من القدر على السود ، الذين تعتبرهم الكنيسة من نسل حام ، أن يكونوا فى خدمة البيض من سام . وكان البوير يعتبرون الغاء الرق أمرا مخالفا لتعاليم الكتاب المقدس . وكان الأفريكان يعتبرون السود جنسا وضيعا منحطا غير متمدين ، وأن رسالة البيض نشر الحضارة بينهم .

ويعتمد الصهيونيون بدورهم على نصوص الكتاب المقدس لتبرير دعواهم واستعمارهم لفلسطين فبالاضافة الى اضطلاعهم بنقل الحضارة الى اقليم اسيوى متخلف (انظر : ن . هرتزل) ، يعتبر الصهيونيون فلسطين أرض الميعاد التى منحها الله لهم . فاستعمارهم للبلاد ليس سوى استرداد ما هو حق لهم بمقتضى نصوص الكتاب المقدس ، وتحقيق لنبوءة الكتاب المقدس . ولا تزال تصريحات الزعماء تتحدث عن « أرض اسرائيل » التى تشمل جانبا كبيرا من الأراضى الحالية لتى تحتلها اسرائيل منذ حرب ١٩٦٧ .

نظام استعمارى للوطنيين :

يقيم المستعمرون المستوطنون ، كما يوضح ڤان دن برج ، ديمقراطية السادة والشعب ، يفرضون فيها على الوطنيين ــ أولئك الذين بقوا تحت سيطرتهم ــ نظاما استعماريا يتسم بثلاث خصائص أساسية :

أ) الحرمان من الحقوق السياسية وفرض السيطرة السياسية .

(ب) العزل الاجتماعى .

(جـ) الاستغلال الاقتصادى .

وتستخدم وسائل مباشرة وغير مباشرة لتحقيق السيطرة السياسية على الوطنيين وحرمانهم من الحقوق السياسية . اذ تلجأ الانظمة الاستيطانية فى أغلب الأحوال ، بفضل دعوى الديمقراطية البرلمانية المتناقضة ، الى وسائل غير مباشرة تتميز بالدهاء لفرض الحظر على الحريات السياسية للوطنيين . ففى جنوب افريقيا وروديسيا ، حيث يشكل السكان الوطنيون السود أغلبية عددية يحرم الوطنيون كلية من حق الانتخاب . وفى اسرائيل ، بالمعنى الضيق للكلمة ، حيث يشكل الوطنيون الذين لا يزالون يعيشون فوق أراضيها أقلية عددية (حوالى ١٢٪) لم يحرم الوطنيون من حقوقهم السياسية رغم فرض قيود شديدة عليها.

فقد فرضت قيود شديدة على حرية التعبير والاجتماع بواسطة قانون المطبوعات والملاهى الصادر سنة ١٩٦٣ وقانون حظر الشيوعية الصادر سنة ١٩٥٠ فى جنوب أفريقيا . وتعرف الشيوعية بانها اية نظرية تهدف الى تحقيق اى تغيير سياسى أو صناعى أو اجتماعى أو اقتصادى داخل الاتحاد وذلك بتشجيع الشغب والاخلال بالأمن عن طريق القيام بأعمال محظورة أو بالاهمال أو بالتهديد بالقيام بتلك الأعمال أو بالاهمال (٩) . وكان القصد من هذا التعريف الواسع الذى تضمنه القانون هو قمع اى نشاط للوطنيين . ففى سنة ١٩٦٣ وحدها منع صدور ٧٥٠٠ مطبوع. أما التشريعات الاسرائيلية التى تحظر على الوطنيين حرية التعبير فانها اكثر حرصا الا انها تتميز بنفس الفاعلية . فالمطبوعات الخاصة بالفلسطينيين وحدهم فى اسرائيل لا يسمح لها بالصدور ، أو تفرض عليها القيود والضوابط (١٠) .

القمع السياسى :

يحظر المستعمرون أيضا حرية تكوين الجمعيات والتنظيمات السياسية بالنسبة للوطنيين . ففى جنوب أفريقيا لم يخول قانون التنظيم غير المشروع الصادر عام ١٩٦٠ (المماثل لقانون مشابه فى روديسيا) ومشروع قانون حظر التدخل غير السليم لسنة ١٩٦٦ ، السلطات اعلان عدم شرعية مؤتمر كل شعب أفريقيا والمؤتمر الوطنى الافريقى فحسب ، بل حظرا على الجماعات العنصرية المشاركة فى انشطة سياسية مشتركة . كما أن قانون المحافظة على القانون والنظام يفرض قيود على حرية الاجتماع، فلا يستطيع أفريقى أن يعقد اجتماعا أو يخطب فيه أو يرأسه الا بتصريح كتابى من مفوض المنطقة الأبيض . وبينما توجد هذه التشريعات المعلنة ، للسيطرة على الوطنيين فى جنوب افريقيا ، تستخدم اسرائيل اجراءات غير رسمية ، ولكن يمكن ادراكها ، لحظر النشاط المستقل للوطنيين الفلسطينيين ولقد منعت الحكومة الاسرائيلية كل المحاولات الرامية الى انشاء أحزاب عربية مستقلة (١١) . وتشمل الأساليب الاسرائيلية لمنع الانشطة الوطنية ، اعتقال الزعماء ، وايداعهم بالسجون واستخدام الوسائل القانونية وغيرها من الوسائل ، للتضييق على الوطنيين ، ومنع تسجيل الجمعيات الخ .

العزل الاجتماعى :

لعل انجح اساليب السيطرة الاقتصادية والاجتماعية على الوطنيين فى كافة دول الاستعمار الاستيطانى بما فى ذلك جنوب أفريقيا واسرائيل

هو تقييد وتنظيم حرية حركتهم . ويبرر هذا التقييد استنادا الى أسس متعددة ، من بينها الأمن . فالتفرقة العنصرية فى جنوب افريقيا تقيد الوطنيين بمناطق معينة مخصصة لهم ، عن طريق عدد من القوانين مثل قانون مناطق الجماعات والقانون الموحد لمناطق البانتو الحضرية وقانون سنة ١٩٦٤ المعدل لقانون البانتو . وينظم الخروج من مناطق العزل الافريقية والدخول اليها تنظيما محكما . ولا يتنقل الافريقيون فى مناطق البيض (التى تزيد عن ثلاثة أرباع البلاد) ولا يقيمون فيها الا اذا استطاعوا أن يثبتوا رسميا السبب الذى يدعوهم الى ذلك ، وينبغى أن يكون ذلك عن طريق وثائق رسمية يتيح لهم التنقل .

وفى اسرائيل ، تفرض قيود مماثلة على عرب فلسطين الوطنيين . فمنذ قيام دولة اسرائيل فى سنة ١٩٤٨ عاش ما يزيد على ٨٠٪ من عرب فلسطين فى ظل الحكم العسكرى مرة واحدة على الأقل . والقوانين التى تحكم هذه « المناطق العسكرية » هى قوانين حالة الطوارىء التى أصدرها الانتداب البريطانى فى فلسطين فى سنة ١٩٤٥ . وسنت اسرائيل تشريعات أخرى فى سنة ١٩٤٩ مثل قانون نظم مناطق الأمن . تخول مواد هذا القانون الحكام العسكريين حقوقا مطلقة تقريبا لا فى تقييد حرية الانتقال فحسب ، بل فى تقييد كافة الحريات المدنية أيضا . وليس أمام الوطنى من سبيل سوى سلطات الادارة العسكرية العليا وكانت هذه القوانين تطبق مع الحكم العسكرى فى المناطق التى يتركز فيها أكبر حشد سكانى من العرب الوطنيين فى الجليل والنقب و « منطقة المثلث » الواقعة فى المنطقة الوسطى من البلاد . واستمر هذا الحكم العسكرى منذ سنة ١٩٤٨ حتى سنة ١٩٦٦ ، عندما تحول الاشراف على هذه المناطق الى البوليس . وخلال حرب ١٩٦٧ ، ومنذ ذلك التاريخ أعيد فرض الحكم العسكرى فى هذه المناطق كما فرض فى منطقة الضفة الغربية . ولم تكن مناطق الأمن هذه قريبة من الحدود الاسرائيلية ، وانما كانت أيضا فى مناطق بعيدة عن الحدود . وكان الخروج من هذه « المناطق المغلقة » والدخول اليها يتم بتصاريح مرور عسكرية رسمية بالنسبة للوطنيين .

وفى سنة ١٩٤٨ ، ارغم العرب الذين ظلوا مقيمين فى المناطق الحضرية، على الانتقال بل ارغموا على التخلى عن ممتلكاتهم — الى مناطق محدودة خصصت لهم . وقد أدت هذه العزلة المفروضة بالقوة الى عزلة واقعية

للاقلية العربية الحديثة التكوين . وقد برزت هذه العملية ، بالاضافة الى نظام الحكم العسكرى ، كأساس للعزل الاجتماعى المفروض على الوطنيين العرب (١٢) .

الاستغلال الاقتصادى :

يوجد بطبيعة الحال ، كما هو الشأن فى جنوب أفريقيا ، عدد محدود من الوطنيين يعملون فى بعض الوظائف الرسمية وفى المؤسسات . ولكنهم وطنيون «مأمونو الجانب» « وولاؤهم » للدولة الاستيطانية مضمون . وهذا النمط من التشجيع والتدعيم الذى تلقاه القيادة الوطنية المحافظة والمتعاونة لا يختلف عن الأسلوب الذى تنتهجه جنوب أفريقيا فى تدعيم ومساندة زعماء القبائل الأفريقية من السود .

وأخيرا ، فان السيطرة السياسية والاقتصادية على الوطنيين ترتبط بالاستغلال الاقتصادى لهؤلاء الناس كما أنها ضرورية لهذا الاستغلال . ففى جنوب أفريقيا واسرائيل يتركز الوطنيون فى الطوائف الحرفية الدنيا : كالحرف اليدوية أو الحرف التى لا تتطلب مهارا أو تلك التى تتطلب مهارة متوسطة . وتكون هذه القيود أيضا عرفا ينص عليه القانون فى بعض الأحيان . والواقع أن الوطنيين فى اسرائيل يتقاضون نسبة ضئيلة فقط من الأجر الذى يتقاضاه المستوطنون عن نفس العمل (١٣) . ويطبق هنا أيضا الأسلوب المألوف الذى يتمثل فى ان العامل العربى هو آخر من يستخدم وأول من يفصل . والعمال الوطنيون محظور عليهم أن يقيموا تنظيمات خاصة بهم ، أو هم يخضعون لقيود صارمة فىممارسة هذا الحق . ففى جنوب أفريقيا يعرف قانون التوفيق الصناعى الصادر فى سنة ١٩٥٦ العمال الافريقيين تعريفا ينكر حقهم فى التنظيم النقابى .

وفى اسرائيل ، كان للتنظيم النقابى الاستيطانى القوى ، الهستدروت ، تاريخ حافل بالعداء للعمال العرب الوطنيين . ففى عهد الانتداب كان الشعار الذى رفعه الهستدروت هو أنه يؤيد العمل اليهودى وحده . وبعد قيام الدولة الاسرائيلية أصبح شعاره الجديد استخدام « عمال منظمين » . ولما لم يكن للعمال العرب نقابات ، كما لم يكن مسموحا لهم بالانضمام الى عضوية الهستدروت ، فقد كان معنى هذا الشعار الاخير رفض تشغيل العرب الوطنيين . وفى سنة ١٩٦٠ ، منح العمال العرب أخيرا حق الانضمام الى الهستدروت ومع ذلك فان اجورهم مازالتتشكل نسبة ضئيلة من أجور العمال الاسرائيليين المماثلين لهم .

ومعظم العمال العرب فى اسرائيل « متنقلون » يقطعون مسافات بعيدة فى بعض الأحيان الى عملهم ويعودون بصورة دورية فقط الى ديارهم . ومنذ سنة ١٩٦٧ يقطع ما يقرب من سبعين ألف عربى من الأراضى المحتلة أيضا مسافات طويلة يوميا للعمل داخل اسرائيل . ويتم استخدام هؤلاء العمال العرب كأيد عاملة رخيصة جدا فى اسرائيل (١٤) .

التمييز الثقافى :

يتجلى تمييز مماثل فى المجال التعليمى . ففى جنوب أفريقيا لا يجد ٦٠٪ من أطفال الوطنيين الذين بلغوا سن الالتحاق بالمدارس الابتدائية مكانا لهم فى المدارس رغم بعض التقدم الذى حققته هذه الدولة ، بينما يبلغ المعدل فى المعدل فى اسرائيل ٣٠٪ تقريبا . وتتميز معاهد ومرافق تعليم الوطنيين بانحطاط مستواها بصورة واضحة كما انها تعانى الحرمان من الثقافة الوطنية . ويؤكد جريس أن الطلبة الوطنيين الذين تلقوا تعليمهم فى المدارس الابتدائية نادرا ما يستطيعون القراءة والكتابة بلغتهم الأصلية ، وان التاريخ الوطنى يدرس بطريقة مشوهة بينما يمجد تاريخ المستوطنين (١٥) .

وأخيرا ، فان ديمقراطية السادة والشعب التى أقامها المستوطنون المستعمرون فى كل من جنوب أفريقيا واسرائيل معا متماثلة فى اتجاهاتها وفى ملامحها العامة تماما رغم عدم تماثلها فى التفاصيل . فالبنيات الاجتماعية المتماثلة والمعضلات المتماثلة فى التعامل مع الوطنيين وتبريرات توطنها وتاريخها اللاحق ، تميل الى خلق أيديولوجيات متماثلة وآراء عالية متماثلة وتعاطف مشترك (١٦) .

(١) افضل مثل على ذلك هو كتاب المؤرخ والعالم الاجتماعي الفرنسي رودنسون بعنوان « اسرائيل : هل هي دولة استيطانية ؟ » نيويورك ، ١٩٧٣ . انظر ايضا ، ا. القسدسي و ا. لويل : العالم العربي واسرائيل . نيويورك ١٩٧٠ .

(٢) مقال بقلم ا. ايمانويل بعنوان : « استعمار المستوطن الابيض واسطورة امبريالية الاستثمار » بمجلة العالم الجديد . العدد رقم ٧٣ مايو/يونيو ١٩٧٣ صفحة ٣٩ .

(٣) ا. ايمانويل ، المرجع السابق صفحة ٤٧ .

(٤) الجنس والعنصرية ، نيويورك ١٩٦٧صفحة ٢٩ ، انظر أيضا ل: فان دن برج : جنوب افريقيا ، دراسة فى الصراع . ميدلتاون ، كونكتيكت ، ١٩٦٥ .

(٥) انظر ج. ريودى . ديناميكيات تحويل ملكيــة الاراضى ، فى ا. ابولغد : تحــول فلسطين . ايفانستاون ١٩٧١ .

(٦) انظر وصف هذه العملية فى كتاب ص . جريس (أحد المحامين الوطنيين) : العرب فى اسرائيل بيروت ١٩٦٩ .

(٧) كتاب اسرائيل السنوى ١٩٥٢ ، صفحة ٣٨ .

(٨) انظر ج. جبور ــ استعمار الاســتيطانى فى افريقيا والشرق الاوسط . الخرطوم/ بيروت ١٩٧٠ صفحة ٥٨ .

(٩) راجع صفحة ٦٧ .

(١٠) افضل تصدير لهذا النموذج هو حالة مطبوعات الارض . انظر ج. لاندو : العرب فى اسرائيل لندن ١٩٦٨ صفحة ٩٦ . وص. جريس المرجع السابق .

(١١) انظر ج. لاندور المرجع السابق . صفحة ٥٤ والصفحات التالية .

(١٢) الادلة التى توضح هــذا جمعتها الرابطة الاسرائيلية لحقوق الانســان . انظر اسرائيل شاهاك (اعداد) : اللايهودى فى الدولة اليهودية ــ القدس ١٩٧٥ . وشاهاك هــو رئيس الرابطة .

(١٣) أورد ص . جريس هذه الحقائق من المناقشات البرلمانية ، انظر ايضا ى . بن بورات : العمال العرب فى اسرائيل ، القدس ١٩٦٦ ، ا. كوهن : اسرائيل والعالم العربى . باريس ١٩٦٤ .

(١٤) س. ريان (السياسة الاقتصادية الاسرائيلية فى المناطق المحتلة : اسس امبريالية جديدة) تقارير مريب . العدد ٢٤ واشنطون/بوسطون يناير ١٩٧٤ .

(١٥) انظر ج جبور المرجع السابق صفحة ٨٣ ، و ص. جريس صفحة ١٤٦ وما بعدها .

(١٦) ص . جريس من ص ١٤٦ الى ١٥٥ .

القسم الأول

جنوب افريقيا والصهيونية واسرائيل (*)

١ ـ سمطس ووايزمان

بقلم : ريتشارد ستيفنز

مقـــدمة :

لعل عددا قليلا من الصداقات الشخصية كان له من التأثير فى مجرى الأحداث السياسية خلال القرن العشرين مثلما كان للعلاقات التى قامت بين الجنرال جان كريستيان سمطس رئيس وزراء جنوب افريقيا الذائع الصيت وحاييم وايزمان الزعيم الصهيونى وأول رئيس للدولة فى اسرائيل. الا آن أهمية ومغزى هذه العلاقة التى لم يعلن عنها الا القليل تفوق كثيراً ما تنطوى عليه من عوامل شخصية أو ما أسهمت به فى نجاح الصهيونية . بل انها فى الواقع تساعد على تحديد الأبعاد الصحيحة لتناقضات الليبرالية الغربية والمناخ النفسى الذى برر الوضع المسيطر الذى تتمتع به أقلية بيضاء فى جنوب أفريقيا من ناحية ، واستيطانا أوروبيا جديداً فى فلسطين من ناحية أخرى .

لقد كان موقف كل من وايزمان وسمطس من انصاره متماثلا الى حد بعيد جدا وكان كلاهما يمثل فى « دائرته » العامل البالغ الضخامة فى ابعادها الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية . فلولا وايزمان لما صدر تصريح بلفور ولولا سمطس لانهار حقا الاتحاد الذى قام فى جنوب افريقيا سنة ١٩١٠ . أما على المستوى الشخصى فينبغى ملاحظة أنه خلال هذه العلاقة التى استمرت ثلاثة وثلاثين عاما كاملة ، والتى امتدت من سنة ١٩١٧ حتى وفاة سمطس سنة ١٩٥٠ ، كان كلا الرجلين يسلم جدلا بشرعية موقف الآخر من الناحية الأدبية وهكذا لا توجد كلمة واحدة فى مراسلات وايزمان أو كتاباته تنطوى على تشكك فى الأساس العنصرى لدولة جنوب أفريقيا التى كانت الصهيونية تعتمد عليها الى حد بعيد أو فى الدور الذى قام به سمطس لدعم نظامها العنصرى . وبالمثل ، كان

(*) مجلة دراسات فلسطينية المجلد الثالث . العدد الاول خريف عام ١٩٧٣ .

سمطس يسلم بلا جدال « بحق » المستوطنين اليهود فى احتلال فلسطين دون اهتمام بحقوق العرب الفلسطينيين سكان البلاد الأصليين . وفى كلتا الحالتين ، كان سمطس ووايزمان يبرزان على أعلى مستوى قدرة الحضارة الغربية على تبرير السيطرة والاستغلال والغزو والتحكم بأنها رسالة حضارية مسيحية أو أنها انجاز يهودى مسيحى يؤمن بأنه أسمى من سائر الأجناس الأخرى .

سمطس والصهيونية :

تم التعارف بين كل من سمطس ووايزمان لأول مرة بلندن فى يونيو ١٩١٧ (١) . وفى ذلك الوقت كان سمطس هو « المندوب الخاص من جنوب أفريقيا » لدى الحكومة البريطانية ووزارة الحرب والممثل الوحيد للممتلكات البريطانية الذى يلعب دورا كاملا فى السياسات التى تنتهجها بريطانيا العظمى وقت الحرب (٢) . أما وايزمان ، الذى كان قد نال تقدير مجلس الوزراء البريطانى لنجاحه فى انتاج الأسيتون لمساعدة المجهود الحربى البريطانى ، فكان رئيسا للاتحاد الصهيونى الانجليزى وكان يحاول جاهدا اقناع مجلس الوزراء البريطانى بسلامة البرنامج الصهيونى وفائدته لأهداف السياسة البريطانية . ويسجل وايزمان أن سمطس قد استقبله :

على نحو يتسم بأعظم مودة ، واستمع اليه بتعاطف بالغ وكان يشع منه نوع حماس الفهم وأكد لى باخلاص انه سيتم القيام بشىء ما فيما يتعلق بفلسطين والشعب اليهودى . ووجه الى كثيرا من الأسئلة الدقيقة ، وحاول اكتشاف مدى صدق ايمانى بالامكانيات الحالية . كان يعالج المشكلة باهتمام متحمس ، بل يمكن القول انه كان يعالجها بتأثير (٣) .

ثمة عدة عوامل فى شخصية وايزمان ومنهجه كان من الطبيعى أن تستأثر بمشاعر زعيم جنوب أفريقيا ، واستطاع سمطس أن يشارك هذا المغترب اليهودى الروسى الاحساس بأنهما ينتميان الى طبيعة واحدة وذلك استنادا الى ثلاثة أسباب رئيسية على الأقل ، لم يكن أقلها شأنا اعتراف وايزمان الصريح بأن الصهيونية ترتبط ارتباطا طبيعيا وعضويا بمصالح الامبراطورية البريطانية . وكان هذا الاعتراف اختبارا حاسما بالنسبة لسمطس الذى كان يعتبر الامبراطورية البريطانية دعامة النظام العالمى والتنمية المتحضرة . وكان سمطس ذاته مرتبطا ارتباطا وثيقا بفكرة

قيام اتحاد الانجليز والبوير داخل اطار الامبراطورية البريطانية وكان معنى مخططات وايزمان لاقامة كيان صهيوني داخل هذا الاطار انه ، مثل سمطس ، قد تجنب اية مشكلة لتناقض الولاء للوطن مع الولاء للامبراطورية . وقد أورد ليونارد شتاين ، مؤرخ تصريح بلفور ، التعليق التالي :

لقد اتضح له (وايزمان) منذ البداية أن الفوز برعاية بريطانيا للاماني الصهيونية أمر اكثر احتمالا ، فضلا عن أنه من المرغوب فيه الفوز برعاية بريطانيا أكثر من اية دولة أخرى . فالصهيونيون لن يكونوا عند عرض قضيتهم على البريطانيين مجرد متوسلين ، أو ملتمسين لشيء لا يتماش مع المصالح البريطانية بصورة جلية .

فقدكان وايزمان يرى ، كما كتب الى اسرائيل زانجويل فى ١٠ أكتوبر ١٩١٤ انه من البديهى ان انجلترا فى حاجة الى فلسطين لحماية الطرق المؤدية الى مصر ، وانه اذا ما فتحت أبواب فلسطين امام استيطان اليهود عندئذ « سوف يصبح لانجلترا حاجز فعال ، وسوف يصبح لنا وطن » وكانت تركيا فى ذلك الوقت مازالت تقف موقف الحياد . وبدخولها الحرب الى جانب دول الوسط أصبح مستقبل امبراطوريتها الآسيوية ، ومستقبل فلسطين باعتبارها جزءا من هذه الامبراطورية مطروحا للبحث . وكانت هذه دعوة ، انتهزها وايزمان تماما ، للاصرار على تطابق المصالح بين بريطانيا العظمى والصهيونيين ، فقد كانت المصلحة شيئا يؤمن به ايمانا صادقا . وكانت القضية الصهيونية فى رايه تأتى فى المقام الأول ، ولكنه عندما يبذل كل ما فى وسعه للدعاية لها لم يكن يتحدث من منطق المدافع فقط عندما يمعن النظر فيما يعود على بريطانيا العظمى من كسب بتأييدها للصهيونية . ويقول ويستر : « لم يكن الدكتور وايزمان ليستطيع بلوغ ما ناله من مكانة فى الدوائر الرسمية لو لم يكن كل من اجرى اتصالات بهم يؤمنون ايمانا مطلقا بأمانته واخلاصه ويعلمون أنهم معه باعتباره شريكا فى مشروع عظيم سيكون مقيدا لبريطانيا ولشعبه أيضا » (٥) .

وثمة سبب ثان لاعجاب سمطس بالصهيونية ويتمثل فى أن القضية الصهيونية ، فى رأى ويزمان ، كانت تبرر بنفس الأسلوب الذى بررت به الحضارة الاوروبية توسعها فى الأمريكتين وآسيا وافريقيا . اذ كانت ، حسب تفسير وايزمان ، « مجرد مسألة صحراء ضد مدينة » (٦) .

ولقد قدم وايزمان التفسير التالى ، متنصلا فيه من أى « غطرسة » ينطوى عليها التحليل :

« اننا ما زلنا نسمع حتى الآن اناسا يقولون : » حسنا ، ربما كان ما أنجزتموه عظيما تماما . ولكن العرب فى فلسطين قد القوا حياة الدعة

والسكينة . وكانوا يركبون الجمال . وكان منظرهم رائعا . وكانت صورتهم منسجمة مع منظر الطبيعة . فلماذا لا تظل هذه الصورة كما لو كانت متحفا أو صديقة عامة ؟ لقد وفدتم الى البلاد من الغرب حاملين معرفتكم واصراركم اليهودى . ولا تنسجم صورتكم مع مناظر الطبيعة . انكم تجففون المستنقعات . وتقضون على الملاريا بطريقة تؤدى الى انتقال البعوض الى القرى العربية . انكم مازلتم تتحدثون باللغة العبرية بلكنة سقيمة ولم تتعلموا حتى الآن كيف تستخدمون المحراث بطريقة سليمة . وتستخدمون بدلا من الجمل سيارة اذ هذا يذكر المرء بالصراع الأبدى بين الجمود والتقدم والكفاءة والصحة والتعليم . انها الصحراء ضد المدنية (٧) .

وفى الوقت نفسه ، كان وايزمان يؤمن ايمانا مطلقا بعدالة القضية الصهيونية ، وهو ايمان جوهرى بصورة بدت معه القضية بديهية مثل حق الأوربيين فى المطالبة بجنوب أفريقيا . ويقول وايزمان : « ان أساس وجودنا كله هو كفاح فى اقامة وطن قومى فوق أرض اسرائيل . وهو حق تملكه منذ آلاف السنين ، ومصدره وعد الرب لابراهيم ، وقد حملناه معنا فى أنحاء العالم كله طوال حياة حافلة بالتقلبات » (٨) .

وكان سمطس فى موقفه من اليهود ذاتهم فى جنوب أفريقيا قد أظهر بالفعل ميولا مشجعة . اذ كان يؤمن بأن الدفاع عن حضارة جنوب افريقيا التى كان يعتبرها فى منزلة مماثلة لحضارة البيض) يتطلب وحدة البيض. وما أن شرع سمطس ورفيقه الجنرال بوتا فى تكوين حزبهما المسمى بحزب Hetvalk بعد حرب البوير حتى أعلنا أنه « يسمح بالانضمام اليه لجميع البيض سواء كانوا من البوير أو اليهود أو البريطانيين (٩) . ونظرا لأن وحدة البيض كانت هى السبيل الوحيد لحماية « الحضارة » فقد رفضت نزعة العداء للسامية .

وثمة تلميح بأن الألفة بين سمطس واليهود كانت انعكاسا لاحساسه بتماثل الظروف بين اليهود والبوير ، اذ يقول هـ.س. ارمسترونج أن اليهود :

كانت ظروفهم تماثل ظروف شعبه (سمطس) : فالهولنديون ينتمون الى المروج واليهود ينتمون الى الصحراء . وكانت لهم نفس الصفات المميزة، فكلاهما شعب متعصب يتسم بالخشونة متزمت فى تدينه ، تقوم حياته على أساس دين تعلمه من كتاب واحد هو العهد القديم (١٠) .

الا أن الدفاع عن قضية الصهيونيــة ، التى تتمثل فى « رؤية اليهود يستعيدون مجدهم كان معناه بالضرورة الوقوف موقف المعارضة من النهضة العربية » . بصرف النظر عن العدالة ، لم يكن « سمطس » يشعر بتعاطف طبيعى نحو الفرنسيين أو العرب (١٢) . وقصارى القول ، كان موقف سمطس من العرب يتسم أساسا بالعنصرية . فعلى حين انه كان من الممكن أن يتسامح بعض الأوربيين فى موقف روما نتيكى من العربى ، فان سمطس، شأنه فى ذلك شأن معظم ابناء جنوب افريقيا ، لم يكن يبــدى مثل هــذه النزعة . وقد أورد مترجم سيرته الملاحظة التالية :

« بالنسبة للعرب ، من الطبيعى تماما انه لا يمكن أن يكون منظر العربى من البدو غريبا بالنسبة للمواطن من جنوب أفريقيا بالصورة الرومانتيكية التى يبدو بها فى نظر اوربى ، لأن المواطن الذى ينتمى الى جنوب أفريقيا يعرف الشعوب ذات البشرة السوداء معرفة قوية تماما ، فهى شــعوب تتشابه مع العرب فى واقع الأمر وبحكم العقل لأن الدم العربى يجرى فى عروقها . فالوطنى من ابناء جنوب افريقيا يحيط به طوال حياته ملايين من أبناء هذه الشعوب السوداء ، ممن يعيشون ، مثل البدو ، فى اكواخ أو يجوبون البلاد ، يتميزون بكياسة وشجاعة وشاعرية أكبر مما يسلم به ، وهم أيضا مثل البدو (ما لم تفرض عليهم الحضارة بالقوة) لا يفعلون ولا يصنعون ولا يزرعون ولا يريدون ولا يملكون شيئا .

ان سمطس يفكر بعقلية رجل أوربى أكثر مما يفكر بعقلية رجل من جنوب افريقيا ـ ومع ذلك فانالسود لا يمكن أن يبدوا أغرابا فى نظره (١٣)

ورغم أن نزعة سمطس الثقافية والعنصرية كانت بلا شك فى صالح اليهود ، ثمة حقيقة باقية تتمثل فى وجود أسباب داخلية عميقة أيضا لتأييده للصهيونية . فقد كان حزب بوتا وسمطس حزب جنوب أفريقيا الذى اتخذ فيما بعد اسم الحزب المتحد ـ هو الحزب الذى يمثل ملاك المناجم ورجال الصناعة وأصحاب البنوك (١٤) . وكان اليهود ممثلين تمثيلا واسعا فى فئتين على الأقل من هذه الفئات . ومع أن اليهود لم يكونوا القوة الاقتصادية المهيمنة فى جنوب أفريقيا ، الا انه من الواضح انهم كانوا يسيطرون على صناعة معينة مثل صناعة الملابس ثم سيطروا على صناعة السينما بعد ذلك ورغم اشتغال عدد قليل من اليهود بالزراعة فان أولئك الذين اتجهوا الى الزراعة قد استثمروا الميكنة على نطاق واسع ، فكان «ملك البطاطس» و « ملك الذرة » مناليهود (١٥) . وكانت الأغلبية الساحقة من الطائفة ، وتبلغ ٨٠٪ تقريبا ، يرجع أصلها الى ليتوانيا الأمر الذى يخلق قدرا غير عادى من التجانس (١٦) . ورغم فقرهم اصلا ، اكتشف المهاجرون اليهود ـ

شأنهم فى ذلك شأن جميع المهاجرين البيض الى جنوب أفريقيا ـ أن التفرقة العنصرية المطبقة فى البلاد تتيح للطائفة احتلال مكانة أسمى . ويرى كثير من المراقبين ان الطائفة اليهودية فى جنوب افريقيا قد اصبحت فى نهاية الحرب العالمية الأولى أكثر الطوائف اليهودية فى العالم ثراء على أساس فردى (١٧) . كما أن حجم الطائفة اليهودية لم يكن ، وفقا لما لاحظه الحاخام الدكتور اندريه اونجار يمثل انعكاسا حقيقيا لمكانة اليهود فى حياة جنوب افريقيا .

« ... سيكون من الخطأ الفادح التهوين من شأن الأقلية اليهودية . فحتى من الناحية العددية البحتة ، وبمقتضى قواعد الحساب العرفى المنافية للعقل والمطبقة فى جنوب افريقيا ، يشكل حجم السكان اليهودى عاملا من الضرورى الاعتداد به .. ففى مدينتى جوهانسبرج وكيب تاون الرئيسيتين يشكل اليهود عشر المواطنين « الذين يعتد بهم » ، وهم البيض (١٨) .

وكانت المؤسسات اليهودية تعكس الأولويات والمصالح الصهيونية للطائفة اليهودية . فقد كان ٩٩٪ من يهود جنوب أفريقيا على الأقل ينتمون الى الصهيونية (١٩) . وبوجود هذه الطائفة اليهودية الصغيرة التى تتمتع بنفوذ واسع فى جنوب أفريقيا والتى تلتزم بالفلسفة الصهيونية ، ادرك سمطس انه من الحكمة للسياسة ان يعتنق الرؤيا الصهيونية . وبما انه من الواضح ان الصهيونية سوف تتلاءم مع مشروعات الامبراطورية فقد كانت كل الأسباب تدعو للترحيب بها .

سمطس ووايزمان من الحرب العالمية الأولى الى الحرب العالمية الثانية، مظاهر العلاقة بينهما .

على حين ارتبطت اسماء لويد جورج ولورد بلفور ولورد ملنر زمناطويلا بتصريح بلفور ، فان الدور الذى قام به سمطس لم ينل نفس الاهتمام رغم انه لعب دورا بارزا فى ذلك القرار على حد قول الجنرال سمطس ذاته .

كان الدور الذى لعبه سمطس فى اصـــدار تصريح بلفور مثار اهتمام ليونارد شتاين مؤرخ تلك الوثيقة . وقد عقد أول اجتماع مع وايزمان ، كما أشرنا من قبل ، فى يونيو ١٩١٧ وهو الشهر الذى كان احد اصـدقاء وايزمان قد اشار عليه فيه بأنه « ينبغى علينا ان نحاول استمالة سمطس لتأييد قضيتنا (٢٠) ، نظرا لانه سيصبح عضوا فى وزارة الحرب مفضلا ذلك على قبول عرض بقيادة القوات البريطانية فى فلسطين » . ومع ان وايزمان قد وصف الاستقبال الودى الذى لقيه من سمطس فانه لم يذكر أية تفاصيل عما دار بينهما من حديث . وفى ٢٥ سبتمبر أعرب ساتشر الذى كان يتبادل

الرسائل مع وايزمان عن ارتياحه لأن وايزمان قد « وجد لدى سمطس مثل هذا القدر من التفهم (٢١) . ومع أن شتاين توصل الى انه من العسير تقويم الدور الذى قام به سمطس فعلا فى المساعدة على ضمان الموافقة على التصريح فقد اعترف بانه ينبغى اعتباره من بين مهندس التصريح » رغم ان مساعدته « لا تشبه المســـاعدات التى قدمها بلفور أو ملنر او لويد جورج » (٢٢) .

ان للقصة الكاملة لم تعلق حتى الآن كما يقول شتاين ، لأن سمطس كان « يمارس نفوذه بعيدا عن الأنظار » كما هى عادته (٢٣) وهذا « النفوذ البعيد عن الأنظار » الذى ظل يظهر بهذه الصورة الواسعة طوال الثلاثين عاما التالية هى الذى يعيننا ..

فقد استطاع سمطس ووايزمان طوال الثلاثين عاما التى اعقبت صدور تصريح بلفور ، الى حد كبير ، أن يسيطر ، أو يؤثرا فى سير الأحداث المؤثرة فى كل من جنوب افريقيا والحركة الصهيونية على التوالى . ولم يكف سمطس بتاتا عن مساندة القضية الصهيونية ، سواء كان فى الحكم أو بعيدا عن الحكم ولم يتوقف عن استخدام نفوذه الواسع فى لندن لصالحها . واستمر وايزمان الذى طرد من رئاسة المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية فى يوليو ١٩٣١ وظل بعيدا عن اى منصب رسمى حتى ١٩٣٥ ، يرعى صداقته للجنرال سمطس . وهكذا ، عندما أدركت بريطانيا أن من العسير بصورة متزايدة الوفاء بتصريح بلفور دون تعريض مصالح الامبراطورية الاخرى للخطر . بادر سمطس بالاستجابة الى طلبات المساعدة التى قدمها وايزمان. وارتفع صوت سمطس مدافعا عن القضية الصهيونية ومطالبا بالوفاء بوعد بلفور سواء كان ذلك عند صدور الكتاب الأبيض سنة ١٩٢٢ أو كتاب باسفيلد الأبيض سنة ١٩٣٠ أو تقرير اللجنة الملكية سنة ١٩٣٧ أو الكتاب الأبيض سنة ١٩٣٩ .

واثناء اشتراك سمطس فى المؤتمر الامبراطورى فى أواخر ١٩٢٣ ظل على اتصال وثيق بوايزمان وبالمكتب المركزى للمنظمة الصهيونية وكان يبلغ بآخر التطورات الخاصة بالمتاعب التى يواجهها الصهيونيون فى فلسطين (٢٥) .

وفى ٢١ أكتوبر ١٩٣٠ أصدرت حكومة ماكدونالد كتاب باسفيلد الأبيض (الذى سحب فيما بعد) ، وهو وثيقة أعلنت فيها ضرورة وقف الهجرة اليهودية وشراء اليهود للاراضى الزراعية نظرا للاضطرابات التى نشبت فى فلسطين . وهو الامر الذى اعتبر بمثابة تهديد بالتنصل من تصريح بلفور وادى الى حدوث هياج داخل المنظمة الصهيونية وبناء على طلب وايزمان

أبرق سمطس الى رئيس الوزراء « بوصفه أحد المسئولين عن تصريح بلفور » معترضا على ما اعتبره « نكوصا عن ذلك التصريح » .

« بوصفي أحد المسئولين عن تصريح بلفور ، أشعر بقلق بسبب الموقف السياسي الراهن في فلسطين الذي يعتبر نكوصا عن ذلك التصريح . لقد كان التصريح وعدا قاطعا للعالم اليهودي بأن سياسة اقامة وطن قومي سوف تنتهج على نحو فعال . وكان الغرض منه كسب نفوذ اليهود القوي لتأييد قضية الحلفاء في أحلك ساعات الحرب . كما وافقت عليه الولايات المتحدة والحلفاء الآخرون وأيده اليهود تأييدا مخلصا . فلا يمكن للبريطانيين تغييره من جانب واحد لأنه يمثل الآن تعهدا يجب الوفاء به . وكانت المراسم التي اقترنت بذلك التصريح من الذيوع والشهرة بحيث يمكن أن يكون هناك عدول عن تأييده . واود أن ألح باصرار على أن تصدر الحكومة تصريحا بأنها ستنفذ بالكامل نصوص تصريح بلفور على نحو يتسم بالاخلاص وأن سياسة الحكومة فيما يتعلق بفلسطين سوف تتغير تبعا لذلك (٢٦) .

وقد أدت البرقية المطولة التي رد بها ماكدونالد الى تسكين مخاوف سمطس الذي أعلن ردا على ذلك :

« انني أرحب ترحيبا خاصا بتأكيدك بأن البيان الأخير لا يبلور سياسة الحكومة فيما يتعلق بالوطن القومي ، وأنه فيما يتعلق بشراء الأراضي والهجرة لا ينكر بيان الحكومة واجب اقامة وطن قومي لليهود وفقا لما طالب به تصريح بلفور » (٢٧) .

ومهد سمطس أيضا الطريق لكي يجتمع وايزمان بلويد جورج في ٢٣ أكتوبر (٢٨) .

ورغم ما أدخلته بريطانية من تعديلات على الكتاب الأبيض الذي أصدرته ١٩٣٠ فان المؤتمر الصهيوني السابع عشر الذي عقد في سنة ١٩٣١ لم يغتفر لوايزمان موقفه المؤيد لبريطانيا العظمى . وبعد أن فشل في الحصول على تأييد الأغلبية انسحب من المؤتمر غاضبا وقضى السنوات الأربع التالية بعيدا عن المناصب الرسمية . وفي أواخر ١٩٣١ قرر أن يزور جنوب افريقيا للقيام بحملة لجمع التبرعات » (٢٩) . وكانت هذه الرحلة ، التي وصفها وايزمان في سيرته الذاتية « التجربة والخطأ » والتي وصفتها أيضا زوجته في مذكراتها التي صدرت بعنوان « المستحيل يستغرق وقتا أطول » ، ذات مغزى تمثل في أن وايزمان لم يصدر عنه أي تعليق ينتقد فيه مشكلة جنوب

افريقيا العنصرية ، رغم ما صادفه وايزمان وزوجته خلال جولتهما الواسعة التى شملت كافة انحاء الاتحاد ، من بؤس الافريقيين ، على حد قول زوجته:

« لقد روعتنا حالة السكان الأفريقيين . لقد كان القطار يتوقف عند كل محطة ، فيقبل علينا أطفال عراة دائما ، ذوو بطون منتفخة بسبب الجوع، وسيقان ملتوية لاصابتهم بشلل الأطفال ولم يكن الافريقيون يعرفون الطريق السليم لفلاحة أراضيهم ، فلم تكن مزارعهم تنمو بقدر ما كانت تنمو أسرهم. وكان جيل الشباب يضطر الى الرحيل الى المدن الكبرى سعيا وراء كسب عيشه . فأصبحت الهجرة الى المدن الكبرى مثل مدينة الكاب وديربان وجوها نسبرج احدى المشاكل ولم يكن مسموحا للافريقيين بارتياد الحوانيت الا من باب خلفى » (٢٠) .

وازاء هذا البؤس كانت مسز وايزمان تواسى نفسها بفكرة ان ثمة رابطة تعاطف بين الشعب اليهودى .. والسكان الآخرين الذين يسعون الى الظهور بوصفهم امة ، وأن عددا كبيرا من أفراد الطائفة اليهودية فى جنوب أفريقيا قد لعب دورا بارزا فى محاولة التخفيف عمن هم دونهم خطا من أبناء البلاد ، وفى تحسين ظروفهم (٢١) . ولم تذكر اية اشارة الى ان مشكلات استرقاق الافريقيين وسيطرة البيض التى يمارسها البوير واليهود البريطانيون تستحق مزيدا من التحليل ولم يذكر وايزمان فى مذكراته شيئا عن الافريقيين ابدا ، عدا واقعة تتمثل فى أنه فى الساعة الرابعة من صباح أحد الأيام أيقظهم « صبية من الكافير الذين اشتد بهم الانفعال » — وهو اصطلاح ينطوى على التحقير يستخدمه ابناء جنوب افريقيا من البيض فى الحديث عن الافريقيين — فى حديقة حيوانات كروجر قائلين ان الأسود فى المنطقة المجاورة . بل ان الأغرب من ذلك هو الملاحظة التى أوردها وايزمان عن جمال الحديقة وسحرها والحياة السعيدة التى تحياها الحيوانات .

« ها هى ذى فى مواطنها ، الذى تقل مساحته قليلا عن مساحة فلسطين، تنعم بالحرية ، وتقدم لها الطبيعة هباتها بسخاء . ولا تواجهها مشكلة العرب ... ولابد انه امر رائع أن يكون المرء حيوانا فى حديقة الحيوانات بجنوب افريقيا : فذلك افضل له كثيرا من ان يكون يهوديا فى وارسو أو حتى فى لندن (٢٢) » .

ولم يتساءل وايزمان عما سيكون عليه الحال لو أصبح المرء حيوانا فى جنوب أفريقيا ولعل احد مفاتيح ابتعاد وايزمان الواضح عن مسألة الظلم

العنصرى مع الحاحه على « العدالة للجنس اليهودى » ، هو ما يرويه ريتشارد كررسمان الذى كان أحد المعجبين الانجليز بوايزمان فى فترة سابقة :

« لقد قيل ان رفض وايزمان وضع نظريات أمر تعلمه من بريطانيا . وليس ثمة دليل يؤكد هذا الرأى ، مثلما لا يوجد دليل يؤكد هذا الرأى ، ملثما لا يوجد دليل » على أنه تعلم شيئا من الديمقراطية البريطانية ، فعندما كنت أطلع على سجلات راحابوت طلبت الاطلاع على أى مرجع عن محاضرات وايزمان سواء فى السياسة البريطانية أو فى الظروف الاجتماعية فى لانكشاير حيث عاش سنوات طويلة . وقد عثروا على رسالة واحدة فقط يصف فيها لزوجته نظرة البؤس الشديد التى تبدو فى عيون العمال وهم يدخلون المصنع ولا شىء غير ذلك . فلما علمت بذلك لم يسعنى سوى ان اقارن بين تركيز وايزمان على منحه شعبه اليهودى وموقف أجنبى آخر عاش سنوات طويلة فى مانشستر ، وهو فريدريك انجلز . وقد جاء انجلز الى مانشستر بوصفه صاحب مصنع للقطن . ولكنه فى تعاونه مع كارل ماركس شغل نفسه بصورة متحمسة بحالة العمال . وكما نعرف جميعا ، فان تحليل ماركس ــ انجلز للصراع الطبقى تم التوصل اليه بلغة لانكشاير بينما كان وايزمان يتمتع بذكاء حاد ، وعندما كان يتعامل مع شعبه كان يهتم بالظروف الاجتماعية والسياسات الاجتماعية وحدها .

ولكنه ، على عكس ماركس وانجلز ، لم يتأثر بحالة العمال اذ لم تكن المشكلة تعنيه . وكان ماركس وانجلز يؤمنان بوحدة الطبقة العاملة بسبب نزعتها الدولية . على حين كان وايزمان وطنيا يهوديا يؤمن بأن العامل اليهودى فى المنفى يعيش فى عزلة عمن حوله بحكم أصله اليهودى . وذلك هو السبب الذى جعل وايزمان يسلك طوال اقامته فى بريطانيا سلوك شخص غريب ويرفض على الدوام التدخل أو حتى الاهتمام بالسياسة الداخلية البريطانية الا بقدر ما كانت تؤثر فى المسألة الفلسطينية . فقد كان الالتزام الوحيد الذى يشعر به هو حث رجال السياسة البريطانية فى جميع الاحزاب على مناصرة وتأييد القضية اليهودية (٣٣) .

وبالمثل ، كان الالتزام الوحيد الذى يشعر به وايزمان ازاء جنوب افريقيا هو المحافظة على التأييد اليهودى للقضية الصهيونية وضمان تأييد رجل الدولة ذى الشهرة الواسعة ، الجنرال سمطس .

وتعكس مراسلات سمطس ـ وايزمان ، فيما بين ١٩٣٧ ، ١٩٣٩ الى حد بعيد علاقة وايزمان بمشروع التقسيم الذى قدمته لجنة بيل والجهود التى بذلها سمطس للحيلولة دون اقرار هذا المشروع .

فعندما اعد تقرير وود هيد الذى كان الغرض منه وضع خطط لتنفيذ مقترحات لجنة بيل صرح سمطس بأن لندن قد زودته بالفعل بنسخة من الوثيقة التى كانت ما تزال سرية (وهو أمر ينطوى على تقدير غير بسيط لنفوذه فى دوائر الحكومة البريطانية) ، وعلق بقوله :

« وهكذا تتبقى المسالة الاخطر ، وهى استيطان فلسطين . فلقد تلقيت منذ اكثر من أسبوع نسخة اصلية من تقرير وود هيد قمت بدراستها دراسة دقيقة تماما . وعندما تتسلم هذه الرسالة ستكون قد عرفت الحقائق كلها ، ومن ثم فاننى لا أذيع سرا بافضائى اليك فى الحال بانطباعى عن التقرير .

لقد كان من رأيى ان تقرير اللجنة الملكية (لجنة بيل) الاصلى لا يمكن قبوله لعدد من الأسباب . وأستطيع أن أدرك انه لم يكن فى مقدورك الا أن تفكر فى دراسته بدافع من ضغط الظروف القاسية . الا أن تقرير وودهيد يجعل قبول اليهود للتقسيم أمرا أكثر صعوبة أيضا . ومما لا شك فيه أنه يعد من وجهة النظر البريطانية المخضة تطويرا لتقرير اللجنة الملكية اذ انه يتيح لسلطات الانتداب مجالا أوسع للحركة لاعتبارات استراتيجية ويتحاشى بعض الاخطار الكامنة من وجهة نظر عسكرية وجدية تبينتها على الفور فى التقرير الاصلى . اما من وجهة النظر اليهودية ، فان المساحة المقترحة الآن للدولة اليهودية ضيقة وضئيلة جدا الى حد يجعل المرء يرتاب فى كونه يجدر به أن يقبل فأرا صغيرا تمخض عنه الجبل (٣٤) » .

ورغم ما كان ينطوى عليه التقرير من مغزى غير مقبول ، فقد بدا أن سمطس كان على ثقة من أن التقرير لن ينفذ :

« ان انطباعى عموما هو أن لجنة وودهيد تعارض التقسيم ولا تعتزم فعلا أن توصى بتنفيذه . وفى ظل هذه الظروف ، فاننى أترقب بشىء من الفضول البيان السياسى الذى ستعلنه الحكومة لأننى أشك الآن فيما اذا كانت ستمضى قدما فى مشروع التقسيم . ولكننى اقول هذا دون اى أساس استند اليه فيما عدا انطباعاتى الشخصية عن التقرير . ومن ثم

فان السؤال الذى يوجه الآن هو : ما هى السياسة المقبلة التى سيتم وضعها (٣٥) » .

وفى ختام رسالته اعرب سمطس عن اغتباطه بأن « اليهود الأمريكيين قد اتخذوا موقفا حازما بالنسبة للمسألة . فربما استطعت تحقيق النصر بتأييدهم القوى (٣٦) » . وربما كان ذلك ادراكا منه بأن مركز القوة الحقيقى وراء المشروع الصهيونى سوف ينتقل قريبا من لندن الى نيويورك .

وبدخول بريطانيا الحرب العالمية الثانية فى ٣ سبتمبر ١٩٣٩ اتخذ الموقف فيما يتعلق بفلسطين أبعادا جديدة . فبالرغم من أن وايزمان كان قد أبرق قبل ذلك الى سمطس معبرا عن قلقه من أن تتنكر بريطانيا لفكرة الوطن القومى اليهودى باتخاذ سياسة صارمة فيما يتعلق بالهجرة ، فانه أشار ايضا الى موضوع جديد وهو أن التفكر للتعهدات القانونية لليهود سوف يكون أخطر ضربة أدبية توجه الى هذه البلاد (أى بريطانيا) فى الولايات المتحدة (٣٧) .

وطوال بقية سنوات الحرب كانت قيود الهجرة التى فرضها الكتاب الابيض الصادر سنة ١٩٣٩ ومسألة انشاء جيش يهودى وتهريب اليهود للاسلحة والذخيرة واندلاع أعمال الارهاب اليهودى ضد الادارة والقوات المسلحة البريطانية فى فلسطين هى الموضوعات الرئيسية التى تناولتها المراسلات بين وايزمان وسمطس (٣٨) .

وانعكس التصميم الصهيونى على مقاومة التقسيم (٣٩) الذى اقترح بصورة رسمية على وايزمان فى ٤ نوفمبر ١٩٤٤ (٤٠) فى مراسلات وايزمان فترة طويلة من الزمن . ففى شهر سبتمبر أبرق وايزمان معبرا عن قلقه ازاء ما تردد من شائعات عن قرارات على وشك أن تصدر ومن المحتمل أن تؤثر فى الموقف ، وحث سمطس على ان يرد على مذكرته المؤرخة فى ١٤ يونيو والتى رفض فيها التقسيم (٤١) . وفى ١٤ نوفمبر ١٩٤٤ أبلغ رد سمطس على هذه البرقية وعلى مذكرة مؤرخة فى ٦ أكتوبر ١٩٤٤ . الا أن سمطس كان قد أخطر بلا ريب فى هذه الفترة باقتراح تشرشل الخاص بالتقسيم واعتبره أمرا محتوما :

« على الرغم من حجتك المفحمة المطالبة بفلسطين كلها بلا تقسيم ، فاننى أخشى من انه سيكون هناك تقسيم وانه لابد من وقوعه . لقد ضاعت فرص كثيرة جدا منذ سنة ١٩١٩ فى تنفيذ تصريح بلفور روحا ومعنى . وربما كان الفشل الاساسى راجعا الى تحديد الهجرة فى السنوات الاولى

فى الوقت الذى كان من الممكن فيه انتهاج سياسة قسوية فيما يتعلق بالهجرة . ولو كان السكان اليهود فى فلسطين يشكلون فى الوقت الراهن الأغلبية لكان من الممكن وضع حل بعيد الأثر . والآن ، فانه مع وجود اغلبية عربية ، وهياج العالم العربى وخوف السياسة البريطانية من اثارة عداء العرب والمسلمين فان أفضل ما يمكن ان يقبله المرء هو تقسيم سيحقق عدالة كبيرة لليهود ويقيم دولة يهودية قادرة على البقاء . فلقد ازدادت الظروف سوءا بسبب الاغتيال الجنونى الذى راح ضحيته موين المسكين ، ولحق بالقضية اليهودية ضرر بالغ بسبب كارثة مشئومة فى لحظة حرجة . وتلك احدى ضربات الحظ العاثر التى كان لا بد لك من أن تتحملها . اننى لست ملما تماما بالمقترحات البريطانية الراهنة دائما أتحدث فقط عما توفر لى من معرفة بالموقف وفقا لما كان سائدا منذ ستة شهور (٤٢) .

وفى أوائل سنة ١٩٤٥ تلقى سمطس مذكرة سرية من وايزمان عن زيارة قام بها الأخير لفلسطين فى شهر نوفمبر من العام السابق . وفى هذه الوثيقة الملفتة للنظر والتى كان عنوانها « تغيرات فى وجهة نظر يهود فلسطين منذ عام ١٩٣٩ وبواعثها » نقل وايزمان الى سمطس عددا من الافكار كان القصد منها بلا شك ان تبلغ أسماع البريطانيين والامريكيين . ففيما يتعلق باليشوف « سكان فلسطين من اليهود » أكد وايزمان انه خلال غيبته التى امتدت خمس سنوات ونصفا ، حدث تدهور فى العلاقات اليهودية البريطانية ، وقال وايزمان « ولكننى اكتشفت بسرعة ان هذا التدهور لم يصبح ، حتى الآن ، خطيرا على اى حال من جانب اليهود . ويرى اليشوف ان أؤيد الارتباط ببريطانيا ، ولم يسبق لى ان استقبلت مثل هذا الاستقبال ... » وبعد هذا التأكيد الجديد لزعامته وارتباطه ببريطانيا استطرد وايزمان منددا بما قدم من تنازلات أو وعود للعرب فى سوريا ولبنان وليبيا « دون أية شروط تتعلق بنا » وباختصار ، فان وجهة النظر الصهيونية هى انه ينبغى الا تقدم تنازلات للقومية العربية « المتطرفة » دون موافقة العرب على قيام دولة يهودية غير مقسمة فى فلسطين كلها . واعلن وايزمان انه « لو أن الامبراطورية البريطانية والولايات المتحدة رسمتا سياستهما فيما يتعلق بقيام دولة يهودية على أساس انه قرار لا يقبل المناقشة ، فاننى اعتقد ان ابن سعود والآخرين سوف يذعنون » .

وبالاضافة الى النصيحة التى قدمها فيما يتعلق بحمل العرب على الاذعان قسرا ، مضى وايزمان الى ابعد من ذلك ولمح الى عنصر آخر فى

المنهج الصهيوني لا يكاد يتفق مع السياق وهو أنه لا يمكن أبدا اندماج اليهود حتى فى دول الغرب الليبرالية . فهل كان هذا تحذيرا للغرب ام تنبؤا بكارثة تنزل بالقضية الصهيونية اذا ما حدث ذلك الاندماج ، ومهما كان الأمر فان وايزمان أوضح ان الهجرة اليهودية ضرورة . وبين انه اذا لم يسمح لهم بدخول فلسطين « فقد يضطرون الى اتخاذ اتجاه مختلف » . واكد وايزمان ، فضلا عن ذلك انه « ما لم تفتح أبواب فلسطين فان الضغط سوف يتجه الى الولايات المتحدة والامبراطورية البريطانية حيث لكل يهودى أوربى تقريبا اقارب أو اصدقاء واختتم وايزمان مذكرته بقوله :

« ان المشكلة اليهودية فى نهاية المطاف هى مشكلة لهاتين الدولتين العظميين اللتين ستضمنان الى حد بعيد ، بعد الحرب ، ما يزيد على نصف يهود العالم . فما لم تدخلا ، عن طريق اقامة دولة يهودية فى فلسطين ، عنصرا ظل غائبا طوال الفى عام فانهما ستتعرضان لخطر الدمار بفعل المسألة اليهودية كما تعرض غيرهما من قبل (٤٣) .

وفى هذا الصدد ، يزداد وضوح ما سبق أن أعرب عنه وايزمان من انه لا بد من القيام بأى شىء وكل شىء لانقاذ يهود أوروبا ، مهما كلف الأمر ، فيما عدا التضحية بالصهيونية ذاتها . فقد كان تصميم الصهيونية على عدم الالحاح على الهجرة بأعداد كبيرة الى الولايات المتحدة وبريطانيا هو ، على وجه التحديد ، الذى يمد وايزمان بمزيد من القدرة على المساومة مع « الديمقراطيات الغربية » . أما الآن فان وايزمان سيثير شبحا حقيقيا ، اذا لزم الأمر ، لكى يضمن طوفانا من اليهود يدق أبواب فلسطين .

بعد انتهاء الحرب عرضت مسألتا مصير اللاجئين اليهود ومستقبل فلسطين على بساط البحث مرة أخرى . وفى سنة ١٩٤٦ استجاب سمطس لطلب قدمه وايزمان فيما يتعلق بلجنة التحقيق الانجلو امريكية التى شكلت مؤخرا والتى كان وايزمان يتوقع أن تصدر توصية بالغاء الوكالة اليهودية وتأسيس حكومة فلسطينية (اى اغلبية عربية) تقوم بعدئذ بتنظيم الهجرة اليهودية . وفى هذه الظروف طلب وايزمان من سمطس أن يستخدم مرة أخرى « مساعدته القوية لمصلحة الصهيونية ، فلسطين (٤٤) » . فقد كانت مساعدة سمطس ضرورية ، بصفة خاصة ، للحصول فورا من الحكومة البريطانية على تراخيص لمائة الف مهاجر يهودى . وقال وايزمان انه اذا تم الحصول على هذه التراخيص .

« فان ذلك سوف يخفف الى حد ما من حدة وضع اليهود فى أوربا ، وسوف يكون من الممكن حينذاك بحث المسائل الأوسع نطاقا والمتعلقة

بالمشكلة الفلسطينية كلها والتى اعتقد أنهما ترتبط بمستقبل الشرق الاوسط ومركز بريطانيا ومصالحها فيه ، واعتقد انك قد شاركتنا دائما فى وجهة نظرنا التى تتمثل فى أن كون فلسطين يهودية أكثر ضمانا من جميع الحصون المتاحة للنفوذ البريطانى فى الشرق الاوسط (٤٥) .

واعلن وايزمان انه ما ان يتم استئناف الهجرة على نطاق واسع فانه من المتوقع عندئذ ان تتلاشى ظاهرة الارهاب وان يتوطد من جديد التعاون مع بريطانيا الذى كان دائما الأساس الراسخ لسياستنا (٤٦) . وفى ختام رسالته لجأ وايزمان الى مناشدة سمطس شعوره بالولاء للأفريكان وللمصالح اليهودية البريطانية المشتركة :

« اننى اناشدك بوصفك واحدا من أقدم اصدقائنا – واحدا من القلائل الذين بقوا لنا من مجموعة الساسة العظام الذين ندين لهم بسياسة الوطن القومى . انك تعلم ما الذى يتعرض للخطر فى الاسابيع الحرجة المقبلة . فهل لى أن اناشدك ان تقدم عونك القوى لشعب آخر فى حاجة ماسة لهذا العون – شعب صغير كشعبك وعريق وأبى مثل شعبك ؟ لقد حان الوقت الذى يستطيع فيه اصدقاؤنا أن يهبوا لنجدتنا اذا شاءوا . لقد بذلنا ما نستطيع ان نبذله ، ومصيرنا الآن فى يد انجلترا وامريكا (٤٧)

ورغم ان سمطس لم يرد على هذه الرسالة لعدة أسابيع الا أنه قدم على الفور بيانا مستفيضا الى لجنة التحقيق الانجلو الأمريكية « بوصفه العضو الوحيد الباقى على قيد الحياة من وزارة الحرب فى الحرب الماضية ، واحد الذين قاموا بدور فعال فى سنة ١٩١٧ فى تخطيط تصريح بلفور (٤٨) ». واثبت سمطس فى بيانه ان التصريح لم يقصد به أن يكون « مجرد وسيلة مؤقتة للتخلص من متاعب راهنة » وانما كان القصد منه أن يكون « اعلانا لسياسة طويلة المدى بالنسبة للمستقبل » . وهكذا قال سمطس :

« ان الكتاب الأبيض الصادر عام ١٩٣٩ الذى يفهم منه ظاهريا أنه يحدد سياسة الهجرة فى ظل الانتداب ، بأمد من السنين وبتحديد الاعداد ، كان مجرد عمل منفرد من جانب الحكومة البريطانية وحدها يتعارض – كما يبدو لى – مع الطابع الحقيقى للانتداب . ولا اظن انه يمكن استخدامه كحجة فى تفسير التصريح أو الانتداب . وكل ما أرغب فى تاكيده فى هذا البيان هو أن تصريح بلفور – الذى اصدرته الحكومة البريطانية

ووافقت عليه الحكومتان الامريكية والفرنسية ، وصـــدق عليه بعد ذلك بصورة تتوافر فيها الشروط القانونيـــة فى تفويض الانتداب الذى وافق عليه أعضاء عصبة الأمم ــ هو وثيقة تتوافر فيها كل الشروط القانونية كما أنها مقدســـة الى أبعد حد ، وتجسد سياسة طويلة الأمد للهجـــرة اليهودية الى فلســطين ، وانه ينبغى معاملتها باحترام فى حد ذاتها ، كما أن الحقوق الجوهرية التى كفلتها هذه الوثيقـــة للشعب اليهودى ينبغى عدم اختصارها أو العبث بها أكثر مما هو ضرورى تماما ، بموجب كافة ظروف القضية (٤٩) » .

واستطاع سمطس فى ٩ يونيو ان يرد شخصيا على رســالة وايزمان المؤرخة فى ١٤ أبريل . وكان تأخره فى الرد يرجع ببساطة الى انه « لم يحــدث شىء لم تعـــلم به » . وقال سمطس فى رده : « وحتى تفــرغ الحكومتان من المناقشات الدائرة الآن بينهما ، لا يوجــد فى الحقيقة شىء يمكن ابلاغه لك (٥٠) » . بيد أن سمطس كان مقتنعا بأن بريطانيا لن تقدم على اى امر بدون مساندة امريكا وان المســتقبل القريب سوف يظهــر « كون أمريكا على استعداد لتقديم مســـاندتها ، والى اى مدى ستساند بريطانيـــا » . وتنبأ على نحو دقيق بان « الدلائل الامريكية كانت مؤيدة بوجه عام « للقضية الصهيونية ووعد بأن يتصل بوايزمان عند عودته الى لندن (٥١) . وبعد أن غادر رئيس جنوب افريقيا لندن اعترف له وايزمان بقوله : « لا أكاد أستطيع أن أعبر لك عن مدى افتقارى لتوجيهك ونصحك فى هذه الاوقات العصيبة للغاية (٥٢) » .

قيام اسرائيل :

عقب قرار بريطانيـــا بعرض المسألة الفلسطينية على الأمم المتحدة ، لم تكن اللجنة الخاصة بفلسطين التابعة للامم المتحدة ، والتى اختيرت من أحــد عشرة دولة من الدول التى تعتبر « محايدة » بالنســـبة للمسالة الفلسطينية وهى : استراليا وكندا وتشيكوسلوفاكيا وجواتيمالا والهند وايران وهولندا وبيرو والسويد واورجواى ويوغوسلافيا ، الا عامل تشجيع للصهيونيين . فقد كان ضمن هؤلاء « المحايدين » أنصار أوفياء للصهيونية مثل جورج جارسيا جرانادوس ممثل جواتيمالا وانريك رودريجز فابريجات ممثل أورجـــواى وقد أدلى وايزمان بشهادته أمام هذه اللجنـــة بمدينة القدس خلال جلساتها التى امتدت من ١٦ يونيو الى ٢٤ يوليو . واستشهد خلال شهادته بجزء من احدى رسائل سمطس باعتبارها تعليقا على معاناة

اليهود بقلم « احد الباقين على قيد الحياة من الساسة الذين قاموا بصياغة تصريح بلفور (٥٣) » . وفى أول سبمبر اقترحت اللجنة الخاصة بفلسطين التابعة للأمم المتحدة على الجمعية العامة تقسيم فلسطين واوصت باقامة دولة يهودية .

وبعد وصول وايزمان الى نيويورك فى شهر أكتوبر أخطر سمطس بأن الموقف يبدو مواتيا :

« ان النقطة الأساسية هى الموقف الايجابى الذى تتخذه كل من أمريكا وروسيا على السواء . ومما يكاد يكون بمثابة معجزة أن تتفق هاتان الدولتان فى موقفهما من مشكلتنا . ويبدو ان تقرير أغلبية اللجنة الخاصة بفلسطين التابعة للأمم المتحدة يلقى قدرا كبيرا من التأييد . وربما اجريت بعض التعديلات الطفيفة هنا وهناك ، ولكنه يبدو ، بوجه عام ، اساسا ممتازا للمناقشة (٥٤) » .

وبعد ان اصبحت الأمم المتحدة بؤرة النشاط استطاع سمطس ان يقدم يد المساعدة لوايزمان بوسائل أخرى غير ظاهرة عن طريق وفد جنوب افريقيا فى الأمم المتحدة . واعرب وايزمان لسمطس عن عرفانه بالجميل لانه هيأ له الاتصال بوفدكم هنا الذى التقيت به مرتين والذى بحثنا معه كافة التفاصيل المختلفة . ان مستر لورانس وزملاءه رجال يتميزون بعمق التفكير والتعاطف وكانوا يصغون بانتباه شديد لكل ما كان على أن أذكره لهم (٥٥) » .

وقد اوضح سمطس لوايزمان انه قد ايد تقسيم فلسطين فى خطاب القاه امام برلمان جنوب افريقيا فى شهر مايو ، بل ان رئيس وزراء جنوب افريقيا تحدث قبل هذا البيان عن تأييد بلاده لعقد دورة خاصة للأمم المتحدة لبحث المسألة الفلسطينية . واعلن سمطس فى رده على سؤال وجه اليه فى منتصف شهر ابريل :

« لقد كنت شخصيا انظر بارتياب شديد الى ذلك الكتاب الابيض الصادر سنة ١٩٣٩ . واظن ان الحكومة البريطانية كانت ترتاب فيه . واعتقد فى الحقيقة انه قد سحب عمليا ، وانه معلق مؤقتا الى حد بعيد ... ان الشعب اليهودى قد دفع الى اليأس . واننى انظر الى المجرمين من بين صفوفه نظرتى الى أشخاص استبد بهم اليأس والتهور فعلا ، ودفعهم

الى الجنون ما عاناه جنسهم من عذاب وما تعرضوا من أحباط مستمر .
واننى لأرجو أن يتحقق للشعب اليهودى ذلك الحل بواسطة الامم المتحدة (٥٦) » .

وفى تلك الفترة ذاتها كشف سمطس كيف ان التأييد على المبدأ للصهيونية عن طريق انتهاج سياسات للهجرة تنطوى صراحة على التمييز العنصرى ، هو أمر فى غير مصلحة اليهود . اذ قال الجنرال ردا على طلب قدم فى المجلس التشريعى يقضى بضرورة السماح بهجرة المشردين من أوربا ، بما فيهم اليهود ، للحيلولة دون دخول المهاجرين القادمين من الهند والصين واليابان الى البلاد أنه :

« فيما يتصل بالاقتراح السابق الذى قدمه مستر كنتريدج فال مستر سمطس انه لن يكون حلا للمشكلة اليهودية . لأن تدفق اليهود بصورة لا تحتملها البلاد لن يؤدى الا الى خلق نزعة عداء للسامية . وكان دائما يؤمن بهذا الرأى . وسوف تسهم جنوب أفريقيا بدورها بالمساعدة على التوصل الى حل يتمثل فى رأيه فى تأسيس وطن قومى يهودى فى فلسطين (٥٧) » .

ولم يعترض النائب اليهودى ، الذى تحدث بعد الدكتور فريدمان عضو الحزب الذى يراسه سمطس ، على منطق رئيس الوزراء . واعرب بدلا من ذلك عن تقديره لما ذكره سمطس عن فلسطين . وقد لخصت المناقشة القصيرة بايجاز دقيق الحقيقة التى تتمثل فى ان الصهيونية ومعاداة السامية ، فى جنوب افريقيا كما فى بقية دول الغرب الليبرالية ، تعتمد كل منهما على الأخرى بصورة متبادلة وان جنوب افريقيا التى لا تفوقها اية دولة أخرى فى تأييدها للصهيونية من الناحية الفردية يمكنها مع ذلك أن تستوعب سياسات العداء للسامية فتصبح بذلك أكثر وضوحا . وهكذا ، على حين كان سمطس يعترض على انتهاج اية سياسة عامة للهجرة اليهودية كان يستطيع ايضا ان يهنىء المواطنين اليهود لقيامهم « بدور رئيسى ، منذ البداية ، فى اقامة أعظم مركز للسكان الأوربيين فى الاتحاد (٥٨) » .

ولقد كان للعلاقة المالية الوثيقة بين يهود جنوب افريقيا والمشروع الصهيونى فى فلسطين على مر السنين فائدتها فى ابراز الدور الخاص للغاية الذى لعبته رءوس الأموال المتدفقة من جنوب افريقيا فى مشروع

اشحاء المستعمرات اليهودية .. وقد استطاع سمطس عن طريق الاعتراف بهذه العلاقة وتشجيع استمرارها ان يربط مصيره السياسى بالطائفة اليهودية بطريقة تتفق تماما مع تأييده التقليدى لأقوى المصالح الراسمالية فى البلاد .

ولقد مولت الأموال اليهودية شركة جنوب أفريقيا للمشروعات الفلسطينية (بينيان) آلتى لم تكن مجرد وسيلة لتأييد جنوب افريقيا للجهود الصهيونية فحسب وانما كانت عملا تجاريا مضمونا أيضا (٥٩) . وعلى حد قول مستر برنارد آلكسندر ، أحد زعماء الصهيونيين فى جنوب افريقيا « لقد كانت الصهيونية فى نشاطها المعبر عنه بلغة المساعدة العملية هى أبرز خصائصها « يقصد الطائفة اليهودية فى جنوب افريقيا » رغم ان « الوضع المادى المزدهر ليهود جنوب افريقيا كان ييسر لهم اطلاق العنان لهذه النزعة (٦٠) » .

وقال الكسندر أن « النشاط العملى » لصهيونى جنوب افريقيا قد دخل مؤخرا مجالا جديدا ذا أهمية حيوية . وشرح ذلك بأنه فى خلال الخمسة عشر عاما أو العشرين عاما الماضية بدات شبه هجرة صهيونية من جنوب افريقيا . وعلى الرغم من أن عدد مواطنى جنوب افريقيا السابقين فى فلسطين كان ضئيلا فى سنة ١٩٤٧ الا أنه كان ملموسا كما كان آخذا فى الازدياد بصورة مطردة رغم كل العقبات التى كانوا يلاقونها فى دخول فلسطين . وكانت المستعمرات فى كافة انحاء فلسطين تضم روادا من جنوب افريقيا فكان يوجد جنود سابقون فى أقصى الشمال ، وشبان فى منظمة الحارس الفتى فى النقب وقادة شباب سابقون فى الحولة مستعمرة ايميك زيبولون وتلال الخليل وكان مهاجرو جنوب افريقيا منتشرين هنا وهنالك يديرون مزارع خاصة ، وفى المدن كان هناك عدد كبير من رجال الأعمال ومن المهنيين كما كانت هناك نساء يزاولن الاعمال التجارية والمهنية أيضا ، وكان الجميع يقومون بعمل رائد ويدعمون فى الوقت نفسه الرابطة بين جنوب افريقيا و « أرض اسرائيل » . وفى الوقت نفسه كانت شركات جنوب افريقيا العديدة والنشيطة تمارس « صهيونية عملية » حقيقية تماما وذلك باقامة وصيانة مشروعات انتاجية أعدت لدعم التنمية الاقتصادية فى فلسطين ولتوسيع مجال الاستيطان والاستيعاب ..

أما بالنسبة للافراد في جنوب افريقيا ممن كانوا يستثمرون أموالهم في فلسطين ، فقد كان عددهم كبيرا على حد قول الكسندر . وقد تجلى الدور الهام الذى لعبه الصهيونيون من ابناء جنوب أفريقيا ، بصورة فردية أو جماعية ، فى بناء فلسطين فى العدد الكبير من « المؤسسات » التى خلدت أسماء شخصيات من جنوب افريقيا أو التى عرف أنها تدين بوجودها ، كليا أو جزئيا ، لأعمال خيرية مصدرها جنوب أفريقيا . وقد كانت القائمة طويلة ومؤثرة . ومع ذلك ، فقد بقيت حقيقة تتمثل فى أن العمل الأساسى من اجل فلسطين بين طائفة تضم نيفا ومائة الف نسمة يعيشون على بعد آلاف الأميال من « أرض اسرائيل » سوف يستمر ليأخذ شكل مساعدات مالية لأعمال بناء الوطن القومى . والواقع أن نمو مزيد من الصلات الشخصية والمباشرة مع فلسطين قد صاحبه دعم متزايد على الدوام لمثل هذه المشروعات .

واكد الكسندر أن النتائج كانت مؤثرة للغاية خلال سنوات الحرب وما بعد الحرب بصفة خاصة من حيث حجمها ومن حيث مداها على السواء ، وانها لم تشمل مجالات الانشاءات اليهودية الأساسية فحسب وانما شملت موضوعات ثقافية وأعمال انقاذ وموضوعات خيرية ذات طبيعية متباينة . الا ان صهيونى جنوب افريقيا كانوا قد توصلوا فيما مضى الى نتيجة مؤداها أن الأساليب « العادية » غير كافية بصورة لا أمل فيها وأنه لكى ينجح الشعب اليهودى فى الفوز بالأرض ، وفى الوقت المناسب ينبغى أن تتوافر له موارد سائلة اضخم حجما . وان معنى هذا فيما يتعلق بيهود جنوب افريقيا القيام بحملات خاصة علاوة على الوسائل العادية لجمع الأموال . والواقع ان اخلاص يهود جنوب افريقيا للصهيونية ، الذى ظهر من خلال الارتباطات المالية المتزايدة على الدوام ، هو الذى اكد بصورة لا ريب فيها استمرار الصداقة بين سمطس ووايزمان ، كما أنه خدم الاثنين بصورة ملائمة تماما . وفى غضون ذلك ، كان القلق يستبد بوايزمان الذى كان يخشى أن ينقلب استياء بريطانيا بسبب التطورات الأخيرة فى فلسطين الى معارضة صريحة لقيام دولة يهودية . ورغم ادراك وايزمان أن بريطانيا لم تعد عاملا رئيسيا مؤثرا فى المسألة الفلسطينية فانه ، فى ١٥ نوفمبر ، ومع اقتراب تصويت الجمعية العامة على تقرير اللجنة الخاصة بفلسطين التابعة للامم المتحدة ، سأل الجنرال سمطس الذى كان فى لندن فى ذلك الوقت : « عما اذا كان فى استطاعتك ، بما لك من نفوذ عظيم ، أن تعمل فى آخر لحظة على تحقيق تغير فى موقف وزارة الخارجية البريطانية .. » (٦١) .

وبعد ذلك بأيام قليلة تلقى سمطس مرة أخرى نداء عاجلا آخر :

« ان موقف الوفد البريطانى هنا يثير القلق وقد يهدد نجاح كل جهودنا . فهل تستطيع استخدام نفوذك الكبير فى اقناعهم بأن تكون علاقتهم أكثر ودا فى اللحظة الأخيرة الحرجة ؟ شكرا جزيلا » (٦١) .

وفى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ ، أصبح تقسيم فلسطين الى دولة يهودية ودولة عربية سياسة معلنة للامم المتحدة بعد مفاوضات سرية لا مثيل لها وارهاب سياسى صريح (٦٢) . وفى اليوم السابق على تحقيق النصر الصهيونى أكد سمطس لاحد المسئولين بالوكالة اليهودية فى لندن :

« لقد أصدرت تعليمات الى وفدنا بالامم المتحدة بأن يعمل على تأييدكم وأن يظل على اتصال وثيق بالدكتور وايزمان . وقد ناقشت ايضا على أعلى مستوى المسائل التى اشرنا اليها منذ عدة أيام ، واننى مفعم بالأمل فى تحقيق نتائج طيبة (٦٤) » .

وبانتصار الصهيونية كان سمطس من أوائل الذين قدم اليهم وايزمان شكره بسبب تأييده الذى لم يفتر . وبعد عودة رئيس الوزراء الى بريتوريا بادر بكتابة رسالة شخصية يرد بها على وايزمان :

« عزيزى وايزمان

لقد تأثرت تأثرا عميقا ببرقيتك الرقيقة التى أرسلتها من نيويورك على اثر صدور قرار التقسيم . وقد تلقيت البرقية وانا فى روما فى طريق عودتى الى جنوب أفريقيا ، ولم تتح لى فرصة قبل الآن لكى أعرب لك عن شكرى على برقية أقدرها تقديرا عميقا . ولقد كانت خدماتى للقضية متواضعة ولكنها كانت صادقة دائما وفى كل الظروف ..

ولقد ناقشت مع كبار رجال الحكومة البريطانية الحاجة الى نهاية مناسبة لا تلقى بفلسطين فى أحضان الفوضى ولابد من أن تكون نهاية منظمة وسليمة لفصل عظيم من التاريخ . وأملى ان تلقى هذه المناشدة استجابة طيبة ، فلقد وقفت بريطانيا العظمى موقف الصديق رغم أنها كانت فى بعض الاحيان صديقا يصعب التعامل معه . ولابد لها من الاحتفاظ بصداقة اليهود فى الفصل الصعب المقبل . والامل معقود على الا يقع شىء من شأنه ان يعرض تلك الصداقة للخطر (٦٥) » .

ويتصاعد العنف فى فلسطين فى أعقاب صدور قرار التقسيم تراجعت الولايات المتحدة عن فرض التقسيم بالقوة . وبدلا من ذلك ، بدا أن

الولايات المتحدة ترى فى ٢٤ فبراير ١٩٤٨ أن مجلس الامن لا يمكنه فرض التقسيم بالقوة وحثت على اتخاذ ترتيبات لفرض وصاية على فلسطين ونظرا لان الصهيونيين تأثروا بما اعتبروه تهديدا للتقسيم فقد اتخذت كل وسيلة بما فى ذلك تنظيم « مؤتمر طارىء لانقاذ الامم المتحدة بتأييد قرار فلسطين (٦٦) » . واستدعى وايزمان لكى يعود من فلسطين الى نيويورك فى منتصف فبراير للمساعدة فى « الأزمة الآخذة فى التجمع (٦٧) » .

وفى ٢٤ مارس ارسل وايزمان برقية عاجلة الى سمطس :

« اننى اتوق الى لفت نظرك الى ان بيان ايفات فيما يتعلق بالتقسيم سوف يكون سائغا للغاية اذا استطعت تأييد التقسيم فى هذه اللحظة الحرجة ، بسبب تغير السياسة الامريكية (٦٨) .

بيد ان سمطس كان مقتنعا بأن الولايات المتحدة لا تعتزم اعتراض سبيل التقسيم وانما ترغب فقط فى منع قيام فراغ فى السلطة الحكومية بعد الانسحاب البريطانى الذى تقرر ان يتم فى ١٥ مايو ١٩٤٨ (٦٩) .

وفى ٢١ ابريل أبرق وايزمان الى سمطس يطلب منه المساعدة :

« لقد وصلنا الى نقطة حاسمة فى المداولات . ان موقف نيوزيلنده واستراليا يطالب باخلاص لقرار الجمعية العامة ، وادت مقاومة العدوان الى رفع معنويات وتقوية آمال جميع الموجودين هنا . وسوف يكون موقف جنوب أفريقيا المماثل والمتفق مع تقاليده الطويلة أعظم عون (٧٠) .

ورد سمطس على هذا الطلب ببرقية بعث بها عن طريق وفد جنوب أفريقيا فى الامم المتحدة .

« ان وفدنا لديه تعليمات بمواصلة تأييد التقسيم والالحاح على عقد هدنة خاصة فى القدس اذا لم يمكن عقد هدنة عامة (٧١) » .

وفى ١٥ مايو ١٩٤٨ انسحبت بريطانيا ، حسب وعدها من فلسطين واعلن رسميا قيام دولة اسرائيل . وتوالى الاعتراف بها من مختلف الدول الا ان بريطانيا العظمى لزمت الصمت . وساد اعتقاد بأن مستر بيفن كان يمارس ضغطا على المستعمرات البريطانية المستقلة (الدومنيون) وأوربا الغربية لمنعها من الاعتراف ، على حد قول وايزمان (٧٢) . ولذلك أرسل برقية الى الجنرال سمطس يحثه على الاعتراف الفورى :

« بعد ان تحقق تصريح بلفور بانشاء دولة اسرائيل ، انتهز الفرصة لكى اعرب لك ، باعتبارك احد مخططى التصريح واشد مؤيدى القضية اليهودية عزما ، عن اعمق تقديرى وعرفانى للافضال العديدة التى ابديتها نحو الحركة الصهيونية ونحوى شخصيا خلال السنوات التى تخللت صدور التصريح وانشاء الدولة . اننى أدرك ان الدولة الجديدة قد تقدمت اليك تطلب الاعتراف بها ، واننى اتجاسر بالاعراب عن املى فى أنه سيكون فى وسعك تكليل تشجيعك المستمر مدى الحياة لامانينا القومية بمنح اعتراف عاجل (٧٣) » .

وقد رد سمطس عن طريق مفوضية جنوب افريقيا فى واشنطون مرحبا برسالة وايزمان واعرب عن أمله فى نجاح اسرائيل . الا انه ذكر ان القرار الرسمى بالاعتراف « تعوقه اعتبارات تتعلق بموقف جديد ومشاورات ضرورية (٧٤) . وعاد وايزمان الى الالحاح على هذه المسألة بعد ذلك بأيام قليلة .. وتوضح برقيته التى ننقلها كاملة الأسباب المحددة للحاجة الملحة الى اعتراف جنوب افريقيا .

« شخصى وسرى »

« اننى اقدر تقديرا عميقا رسالتك المشجعة ، واعتبر ان الاعتراف الفورى لن يكلل تأييد بلادك وتأييدك الشخصى منذ زمن بعيد لبعث الوطن اليهودى فحسب ، وانما سيكون له تأثير هام على الموقف الراهن ، أولا ، بتشجيع المستعمرات البريطانية المستقلة الأخرى (الدومينيون) على القيام بخطوة مماثلة وثانيا بتدعيم الجهود المبذولة لحقن الدماء عن طريق مجلس الامن وثالثا بالمساعدة على تنشيط العلاقات مع بريطانيا . وبوصفى احد دعاة الصداقة البريطانية اليهودية طوال حياتى ، شعرت بأسى عميق للدور البريطانى الراهن الذى يسمح للفيلق العربى بالغزو بما فى ذلك الهجوم المدمر على القدس الذى قام به قادة بريطانيون واستخدمت فيه اسلحة واموال بريطانية . كذلك ، لاستمرار شحنات الاسلحة الى الجيوش العربية الاخرى التى تقاتل فى فلسطين ، وتزعم المعارضة فى مجلس الامن للمبادرة الامريكية بوقف اطلاق النار . ان استخدام نفوذك غير الرسمى فى التخفيف من السياسة البريطانية غير الودية وتشجيع قيام علاقات مرضية بين الدولة الجديدة والكومنولث البريطانى سيكون اسهاما بارزا ولك تمنياتى القلبية الطيبة على الدوام .

حاييم وايزمان

« يقترح الماجور كوماى ارسال هذه البرقية بالمبرقة الكاتبة الى مكتبنا فى واشنطون الذى سيقوم بتسليمها الى وزير جنوب افريقيا المفوض فى واشنطون طالبا منه باسم الدكتور وايزمان تبليغ الرسالة الى الجنرال سمطس (٧٥) » .

وفى ٢٤ مايو اعترفت حكومة الاتحاد بالدولة الجديدة ، على أساس الامر الواقع ، ببرقية ارسلت الى موسى شرتوك وزير خارجية اسرائيل (٧٦) . وبعد ذلك بيومين . وفى ٢٦ مايو سقطت حكومة سمطس. وعقب الانتصار الذى أحرزه الحزب الوطنى بشق النفس ، مباشرة ، اعترفت حكومة مالان باسرائيل اعترافا قانونيا . أما برقية الشكر التى ارسلها وايزمان فى ٢٦ مايو الى سمطس فقد وصلته فى اليوم الاخير له فى الحكم .

بينما كانت انتخابات سنة ١٩٤٨ العامة تقترب بدت دلائل متزايدة تشير الى تحول فى الفكر المعادى للسامية تجاه يهود جنوب افريقيا ، كان يعتنقه على نحو تقليدى الحزب الوطنى لجنوب افريقيا . فلم تكن صحف الافريكان تؤيد المعارضة الصهيونية للسياسات البريطانية فى فلسطين فحسب بل أنها أخذت تشبه تصميم الافريكان على قطع الروابط التى تربط الاتحاد ببريطانيا بالانحياز الصهيونى ، رغم انها قد رفضت منذ سنة ١٩٣٩ تأييد قيام دولة يهودية ضد رغبة الاغلبية العربية . وبدأ ساسة الحزب فى مختلف المواقع يسعون الى كسب تأييد اليهود ذوى النفوذ الواسع صراحة . وبدأ حوار فى مدينة الكاب بين عدد من اليهود البارزين وكبار رجال الحزب الوطنى . وعلى الرغم من أن مالان كان يردد فى أكتوبر ١٩٤٧ معارضة حزبه لهجرة يهودية اخرى فقد أوضح ان معارضته ليست راجعة الى مشاعر معادية لليهود وانما لاننا نريد منع هذه المشاعر (٧٧) الا أن قيام دولة اسرائيل فى ١٤ مايو ١٩٤٨ ، قبل أيام من انتخابات ٢٦ مايو هو الذى اثر بصورة خاصة على مواقف الحزب الوطنى . وعلى حد قوله الدكتور لسلى روبين وهو أحد المنفيين من جنوب أفريقيا واحد موسسى حزب الاحرار :

« ان خليطا غريبا من الدوافع يسر لمالان (وستريدوم الذى سار على نهجه باخلاص منذ ذلك الحين) ولرجال الحزب الوطنى ان يقدموا تأييدا متحمسا للدولة الجديدة . فقد كان ثمة احساس بالالفة مع الاسرائيليين لانهم تخلصوا من نير البريطانيين وربما كان عالم النفس

يسمى هذا الاحساس اعجابا ، لقيام الغير بتحقيق ما لا يزال يمثل رغبة مكبوتة لديهم (٧٨) » .

وفى ظل حكم الحزب الوطنى وصلت العلاقات مع اسرائيل الى غايتها المنطقية التى تمثلت فى التعاون بين الدولتين . وانضم عدد من يهود جنوب افريقيا ، من بينهم ابا ايبان ومستر ارثر لورى والماجور ميشيل كوماى وكثيرون الى طبقة الصفوة صانعة القرار فى اسرائيل .

سنوات النهاية :

فى أعقاب الهزيمة ، لم يكن من الممكن نسيان ما أسهم به سمطس فى انتصار الصهيونية وقد اعترفت بالدور الذى قام به طوال احدى وثلاثين سنة الصحف اليهودية فى جنوب افريقيا وهيئة النواب اليهود فى جنوب افريقيا والاتحاد الصهيونى (٧٩) . اما وايزمان ، الذى انتخب عقب ذلك مباشرة أول رئيس لاسرائيل ، فقد أرسل برقية ضمنها تمنياته الودية (٨٠) . وخلال آخر سنتين ونصف سنة ، فى حياته كان يحتفى بالصلات التى تربط بين سمطس ووايزمان وتصريح بلفور باعتبارها واحدا من أعظم الاسهامات فى نجاح الدولة اليهودية .

فقد احتفل بالذكرى السنوية الأولى لاعلان استقلال اسرائيل فى جنوب افريقيا بأن أقامت اللجنة التنفيذية للاتحاد الصهيونى بجنوب أفريقيا مادبة فى قاعة الاحتفالات الرسمية بمدينة جوهانسبرج كان ضيف الشرف فيها الجنرال سمطس . وقد استقبل سمطس ، الذى كان يلتف حوله كل الشخصيات البارزة فى الحركة الصهيونية ، بحماس بالغ وابديت له آيات التقدير والاجلال لما بذله من جهود مخلصة لخدمة القضية الصهيونية . وفى رده ، علق سمطس بقوله انه مما يثير الدهشة البالغة فى الواقع ان مولد اسرائيل قد تم فى عهدهم ، وقال ان جنوب افريقيا قامت بدور رائع فى هذه المأثرة العظيمة . ليس هناك بلد أدى للوطن القومى خدمات مادية اكثر مما ادت جنوب افريقيا وفقا لامكانياتها » . وقال انه يشعر بسرور خاص عندما يفكر فى أن آخر قرار اتخذه كرئيس للوزراء هو الاعتراف بدولة اسرائيل ، ذلك انه « فرض اسرائيل على الخريطة » ولكنه ايضا فرض جنوب افريقيا على الخريطة (٨١) »

وفى اغسطس ١٩٤٩ ارسل وايزمان الى سمطس يستطلع رأيه فى امكانية حضوره حفل عشاء كبير يقام فى لندن بقصد الاحتفال بعيد ميلاده

الخامس والسبعين . وقد طلب من سمطس ان يحضر الحفل وان يكون المتحدث الرئيسى فيه . وقد رد سمطس بسرعة بقوله انه على الرغم من « جدول سياسى حافل للغاية ، فاننى متلهف على المشاركة فى اية خطوة لتكريمك . كما ان زمالتنا الطويلة فى القضية الكبرى سبب اضافى بطبيعة الحال لقبولى الدعوة ، اذا وجهت الى (٨٢) » .

وكما وعد توجه سمطس الى لندن بطريق الجو للمشاركة فى تكريم وايزمان الذى قال فى حديثه عنه انه « صديق عظيم ، ورجل عظيم ، نلت امتياز صداقته فترة طويلة من العمر » . واعاد سمطس الى الأذهان بروز وايزمان من احد الجيتوات الروسية ودراساته العلمية ووصوله الى انجلترا وقال سمطس ان وايزمان كان اكثر من عالم ، فقد كان خياله وعاطفته يشتعلان بالرؤيا التى أثارها هرتزل « وظل على اخلاصه فى الوقت الذى بدأت تحوز فيه عزائم الكثيرين ، ومنهم هرتزل نفسه ، أمام الصعوبات البالغة » . وقال :

« ان القضية ذاتها واسلوب وايزمان فى عرضه لها ، بالاضافة الى مكانته الشخصية كعالم واسهامه فى المجهود الحربى حقق له الفوز مع بعض أعضاء وزارة الحرب فى ذلك الوقت . اذ اقتنع مستر بلفور واصبح احد المؤيدين المقتنعين . واقتنع بالمثل مستر لويد جورج الذى لم يتلق تعليما دينيا فحسب ، وانما كان يتأثر بصورة خاصة بالحجج التى يسوقها وايزمان لأنه كان ينتمى الى شعب صغير . لقد اقتنعنا جميعا . ولكن تذكروا أن وايزمان هو الذى اقنعنا . فلولا الدكتور وايزمان لما صدر تصريح بلفور (٨٣) » .

ورغم شعوره بالأسى لما ارتكبه اليهود من ارهاب فى فلسطين ، فان سمطس لم يحاول مع ذلك أن يضعه فى سياق تاريخى مقبول . وهو منهج ينطوى على تناقض ظاهرى اكثر الى حد ما اذا أخذنا فى الاعتبار ادانته بعد ذلك لما ثار من سخط من جانب الافريقيين فى بلاده والفلسطينيين المشردين :

كان ثمة سخط متزايد من جانب البقية اليهودية المعذبة التى لم يعد فى وسعها أن تتحمل أكثر من ذلك . فلا عجب أن يفلت زمام السيطرة على العناصر المتطرفة وأن تفقد الخطى بالقوة نحو حلول لم يكن من الممكن أن تتوصل الى مثلها لجنة او مناقشات طويلة لا نهاية لها . اننا جميعا نعرف تلك القصة المحزنة . ولا ينبغى للمرء أن يوافق على سياسات العنف التى

انتهجتها منظمة الارجون زفاى ليومى ولا أن يخفف من بغضه للحوادث الاجرامية التى ارتكبتها عصابتها عصابة شتيرن . الا أن التاريخ لا يسلك دائما سبيل القانون والنظام . فحيثما يخفق المنطق تضطلع القوة بالأمر وتعجل بالظروف التى أخفق المنطق فى تحقيقها ، اذ تؤدى الاحباطات المستمرة الى خلق حالة ذهنية شاذة ، ومن ثم ، فلا ينبغى أن يعتبر اليهود بوجه عام مسئولين عن مثل هذه الانحرافات (٨٤) » .

وبالنسبة لعلاقات اسرائيل مع جيرانها ، فان سمطس قد أعرب عن أمله فى تسوية الخلافات والتسليم بوجود اسرائيل . وقال سمطس بأسلوب الفذ انه مع ذلك من الممكن لمن يحملون رسالة الحضارة ان يرتقوا حتى بالنزاع والعنف الى مرتبة الرياضة :

« ان الحياة تصبح رتيبة للغاية وينقصها الكثير جدا من عناصر التشويق الفعالة للانسان . فاللعب واللهو وقدر معين من التوتر والاثارة بل من الجموح ، له وظيفته فى المجتمع الانسانى . ان الحياة عنصر تشويق ، وقد يتخذ هذا التشويق اشكالا كثيرة غريبة ، ومن ثم فان بعض المناوشة بين العناصر السامية فى فلسطين قد لا تكون شرا مطبقا (٨٥) » .

وقبل أن يختتم اشادته بوايزمان والدولة اليهودية . اظهر سمطس ولاءه للتقليد البريطانى . فأعلن أنه فى التحليل الأخير ، كان ارتباط الوطن القومى ببريطانيا هو الذى ادى الى النجاح .

« ولا ينبغى لنا أن ننسى الليلة الكومنولث العظيم الذى ساند الوطن القومى منذ تصريح بلفور حتى تحقيق السيادة الوطنية . وقد كان الطريق شاقا عرقلة فى بعض الأحيان سوء الفهم الناجم عن الواجبات المتضاربة الملقاة على عاتق بريطانيا بمقتضى الانتداب ، ولكن على اسرائيل الا تنسى ان بريطانيا هى التى ساندت وايزمان فى البداية وينبغى الا تتخلى عنها . ولكن عليكم أن تنسوا الخلافات الصغيرة التى ظهرت على الطريق . وينبغى أن نستمر الزمالة التاريخية دون انقطاع من اجل خدمة البشرية بصورة مثمرة (٨٦) » .

ولا تكاد السنتان الاخيرتان من حياة سمطس تضيف جديدا الى سجل خدمته للقضية الصهيونية . الا انه مع اقتراب نهاية حياته كلل سمطس ، بصورة واضحة ، ما أداه من خدمات طوال حياته بأن فى

٤ ديسمبر ١٩٤٩ تمثالا نصفيا له ، حفره المثال موشى كوتلر ، من يهود جنوب افريقيا ، الى الجامعة العبرية بالقدس . وأكد سمطس مرة أخرى، وهو يسلم التمثال النصفى الى القاضى ل . جرينبرج رئيس جمعية أصدقاء الجامعة العبرية ، ايمانه بالدور التاريخى للشعب اليهودى بقوله :

« لا اظن انه فى اية مرحلة اخرى من مراحل التاريخ وقع حادث له اهمية واسعة النطاق مثل عودة الشعب اليهودى الى وطنه القديم (٨٧)» .

ومضى الجنرال بعدئذ يناقش تأثير قيام اسرائيل على الشرق الاوسط . وكان يعتقد ان وجود الدولة اليهودية سوف يغير الموقف بأسره فى المنطقة .. « لقد ظل الشرق الاوسط مستغرقا فى النوم منذ قرون . واود ان ارى اسرائيل تبرز كقوة حيوية ، تقود الدول المجاورة لها فوق دروب التقدم . هذا هو ما أود ان اراه ، فلست اود رؤية نزاع او صراع . اننى ارغب فى أن اشاهد قريبا فجر عهد جديد فى الشرق الأوسط وان تمارس اسرائيل نفوذا كبيرا من أجل الخير » . وقال الجنرال سمطس أن الجامعة العبرية يمكنها أن تصبح القوة الرائدة لهذا التقدم الثقافى وان الأمل معقود على أنها سوف تحقق آمال وأمانى أصدقائها الكثيرين وتؤدى رسالتها النبيلة .

« اننى سعيد لوجودى هنا الليلة ولارتباطى بأمر واحد على الاقل فى حياتى كلل بالنجاح ، ويسرنى أن جنوب افريقيا قد لعبت دورا فى تحقيق عودة اليهود الى وطنهم . ولقد تحقق هذا الانجاز العظيم بفضل قرار يتسم بعدالة تاريخية ، وكان من المفيد ان ندرك أن هناك قوى تساند الخير ذات أثر فعال فى العالم (٨٨) » .

واعلن القاضى جرينبرج ، فى كلمة الشكر التى وجهها الى جنرال سمطس انه « التمثال » سوف يذكر الأجيال المقبلة من اليهود بهذا الرجل العظيم الذى شغلت أمانى الشعب اليهودى اهتمامه والذى بلغت عظمته حدا جعل اهتماماته تمتد من مسقط رأسه فى الاقليم الغربى الى الشرق الاوسط (٨٩) . والواقع ان الفضل فى مولد اسرائيل كان مرجعه الى حد ما الى تحويل سمطس من جندى بويرى من « الاقليم الغربى » فى جنوب افريقيا الى نصير رئيسى « لرسالة » الامبراطورية البريطانية ، وهى رسالة اعتنقت ، لحسن الحظ تماما ، القضية الصهيونية .

وفى ١١ سبتمبر ١٩٥٠ انتهت حياة سمطس بمزرعته فى ايرين . ولم يكن هناك من هو اكثر حماسا او اخلاصا فى تأبينه من جنوب افريقيا والزعماء الصهيونيين والاسرائيليين . واصبح من المألوف ان يؤبن سمطس فى المعابد اليهودية فى انحاء جنوب افريقيا بوصفه « صهيونيا طوال حياته » و « مبدع تصريح بلفور » و « مهندس اتحاد جنوب افريقيا كذلك » . أما بالنسبة لاسرائيل ذاتها فقد أعلن جوزيف سبرنزاك القائم بأعمال رئيس الوزراء حينذاك ان « أسم سمطس مدون على خريطة اسرائيل ومسجل فى أعماق أمتنا (٩٠) » . وبعد ذلك بعامين احتفلت اسرائيل فى ١٢ مارس ١٩٥٢ بتكريس تذكار حى للجنرال سمطس . فغرست فوق المنحدرات الجنوبية لتلال يهودا غابة سمطس التى تطل على غابة وايزمان . وبينما كان علم جنوب افريقيا يرفرف جنبا الى جنب مع راية اسرائيل ، وفى حضور ممثلى الحكومة الاسرائيلية والوكالة اليهودية والكيرن كايمت (الصندوق القومى اليهودى) والطائفة اليهودية فى جنوب أفريقيا ، تلقيت رسالة تأبين من ونستون تشرشل ، وهو الوحيد الباقى على قيد الحياة من ساسة الامبراطورية الذين تربطهم صلة بالبرنامج الصهيونى .

وبوفاة الجنرال سمطس ، اختتم فصل فى العلاقات بين جنوب افريقيا واسرائيل . الا أن الأسس كانت قد توطدت دعائمها على نحو مضمون ، ولان أهمية جنوب افريقيا كانت أمرا مؤكدا بالنسبة لاسرائيل فقد قامت علاقة جديدة اكثر اثارة للاهتمام .

---

(١) ليونارد شتاين ، تصريح بلفور (لندن ١٩٦١) صفحة ٤٨٠. يتناقض هذا التاريخ مع التاريخ الذى أورده وايزمان فى كتبه : التجربة والخطا ، صفحة ١٥٩ .

(٢) ا.ب. ثورنتون ، فكرة الامبراطورية وخصومها (نيويورك ١٩٦٨) صفحة ٢١٤ .

(٣) صمويل شيكور ، المجد الكاذب (نيويورك ١٩٦٠.) من صفحة ٢٣ الى صفحة ٢٦.

(٤) حاييم وايزمان ، التجربة والخطأ (نيويورك ١٩٦٦) صفحة ١٥٩ .

(٥) شتاين ، صفحة ١٤ ، ١٥ .

(٦) حاييم وايزمان ، مقال بعنوان ، « الوضع فى فلسطين » نشر بالعدد الثانى من « وثائق فلسطينية » (الوكالة اليهودية لفلسطين ، لندن ١٩٢٩ ــ ١٩٣٠) صفحة ٢٤ .

(٧) المرجع السابق صفحة ٢٤ ــ ٢٥ .

(٨) المرجع السابق صفحة ٢٤ .

(٩) ساره جرترود ميلين ، الجنرال سمطس ، المجلد الثانى (لندن ١٩٣٦) صفحة ١٠٩ .

(١٠) هـ.س.و. ارمسترونج ، السيف المتمرس : ج.س.و. سمطس ، دراسة فى الفطرسة (لندن ١٩٤٧) صفحة ٣٠٠ — ٣٠١ .

(١١) ميلين المرجع السابق صفحة ١١٠ .

(١٢) المرجع السابق صفحة ١١١ .

(١٣) المرجع السابق صفحة ١١٢ — ١١٣ .

(١٤) ج.س.هـ ، ر.ا. سيمونز ، الطبقة واللون فى جنوب افريقيا من ١٨٥٠ — ١٩٥٠ (بالتيمور ١٩٦٩) صفحة ٢٨٨ .

(١٥) برنادر ساكس ، « جنوب افريقيا : الحيـاة فوق بركان ، الطائفـة اليهودية فى مجتمع التفرقة » العدد التاسع من « كومنتارى » (يونيو ١٩٥٠) صفحة ٥٣٠

(١٦) دان جاكوبسون ، « يهود جنوب افريقيا : صورة لطائفة مزدهرة » العدد الثـالث والعشرين من « كومنتارى » يناير ١٩٥٧ صفحة ٣٩ .

(١٧) المرجع السـابق .

(١٨) اندريه أونجار ، « تنازل طائفة عن حقها » ، جنوب افريقيـا ، العدد الثـالث (يناير — مارس ١٩٥٩) صفحة ٢٩ — ٣٠ .

(١٩) سارة ج . ميلين ، شعب جنوب افريقيا (نيويورك ، ١٩٥٤) صفحة ٣٣٦ .

(٢٠) شتاين ، صفحة ٤٨٠ . كان سمطس قد وعد احد الصهاينة المحليين بمسـاعدة الصهيونية أثناء وجوده فى جنوب افريقيـا سنة ١٩١٦ ، طبقا لمـا ورد فى ساوث افريكان زايونست ريكورد فى ٢٢ سبتمبر ١٩٥٠ .

(٢١) المرجع السـابق .

(٢٢) المرجع السابق صفحة ٤٨٢ .

(٢٣) المرجع السـابق .

(٢٤) رسالة وايزمان الى سمطس بتاريخ ٦ نوفمبر ١٩٢٢ .

(٢٥) برقية مرسلة من جوهانسبرج من مؤتمر صهيونى جنوب افريقيا الى المكتب المركزى للمنظمة الصهيونية فى ٥ مارس ١٩٢٤ .

(٢٦) رسالة من وايزمان الى ماكدونالد فى ٢٢ أكتوبر ١٩٣٠ .

(٢٧) رسالة من وايزمان الى ماكدونالد فى ٢٤ أكتوبر ١٩٣٠ .

(٢٨) فيرا وايزمان (كتبه دافيد تيوتاف) ، المستحيل يستغرق وقتـا اطول (نيويورك ١٩٦٧) صفحة ١١٣ .

(٢٩) فيرا وايزمان صفحة ١٢٢ .

(٣٠) المرجع السابق صفحة ١٢٣ .

(٣١) المرجع السابق صفحة ١٢٤ .

(٣٢) وايزمان ، التجربة والخطأ ، صفحة ٢٤٧ .

(٣٣) ريتشارد كروسمان ، بعث امة (نيويورك ١٩٦٠) صفحة ٣٠ — ٣١ .

(٣٤) رسالة من سمطس الى وايزمان بتاريخ ٤ نوفمبر ١٩٣٨ .

(٣٥) المرجع الســـابق .

(٣٦) المرجع الســـابق .

(٣٧) رسالة من وايزمان الى سمطس بتاريخ ٨ مارس ١٩٣٩ .

(٣٨) انظر على سبيل المثال — رسائل وايزمان الى سمطس بتاريخ ١٧ فبراير ١٩٤٠ ، ١٥ اغسطس ١٩٤١ ، ١٠ نوفمبر ١٩٤٣ ، ٢٣ نوفمبر ١٩٤٣ ، ١٢ يونيو ١٩٤٤ .

(٣٩) كان وايزمان قد ذكر في ١٢ يونيو ١٩٤٤ ان فكرة التقسيم لا يمكن الاخذ بها الان مع انه كان راغبا في التوصل الى حل وسط وقبول اقتراح بتقسيم فلسطين في سنة ١٩٣٧ .

(٤٠) ماير وايسجل وجويل كارامايكل ، حاييم وايزمان (نيويورك ١٩٦٢) صفحة ٢٧٥.

(٤١) رسالة وايزمان الى سمطس بتاريخ ١٢ سبتمبر ١٩٤٤ .

(٤٢) رسالة سمطس الى وايزمان بتاريخ ١٤ نوفمبر ١٩٤٤ .

(٤٣) مذكرة عن الوضـــع داخل اليشوف الى الفيلد مارشال سمطس بتـــاريخ ٢٠ مارس ١٩٤٥ .

(٤٤) رسالة من وايزمان الى سمطس بتاريخ ١٤ ابريل ١٩٤٦ .

(٤٥) المرجع الســـابق .

(٤٦) المرجع الســـابق .

(٤٧) المرجع الســـابق .

(٤٨) صحيفة ساوث افريكان جويش كرونيكل العدد الصادر بتاريخ ١٩ ابريل ١٩٤٦ .

(٤٩) المرجع الســـابق .

(٥٠) رسالة من سمطس الى وايزمان بتاريخ ٩ يونيو ١٩٤٦ .

(٥١) المرجع الســـابق .

(٥٢) رسالة من وايزمان الى سمطس بتاريخ ١٢ يوليو ١٩٤٦ .

(٥٣) شيكور ، صفحة ٤٨ .

(٥٤) رسالة من وايزمان الى سمطس بتاريخ ٢٨ اكتوبر ١٩٤٧ .

(٥٥) المرجع الســـابق .

(٥٦) ساوث افريكان زايونست ريكورد في ١٨ ابريل ١٩٤٧ .

(٥٧) المرجع الســـابق .

(٥٨) صحيفة ساوث افريكان جويش كرونيكل العدد الصادر في ٤ يوليو ١٩٤٧ .

(٥٩) صحيفة ساوث افريكان جويش كرونيكل العدد الصادر فى ١٨ يوليو ١٩٤٧ .

(٦٠) المرجع الســـابق .

(٦١) رسالة من وايزمان الى سمطس بتاريخ ١٥ نوفمبر ١٩٤٧ .

(٦٢) رسالة من وايزمان الى سمطس بتاريخ ٢٢ نوفمبر ١٩٤٧ .

(٦٣) انظر ريتشارد ب. ستيفنس : الصهيونية الامريكية والسياسية الخارجية الامريكية من ١٩٤٢ الى ١٩٤٧ (نيويورك ١٩٦٢) من صفحة ١٧٥ الى ١٨٥ .

(٦٤) رسالة من سمطس الى لينتون بتاريخ ٢٨ نوفمبر ١٩٤٧ .

(٦٥) رسالة من سمطس الى وايزمان بتاريخ ٥ ديسمبر ١٩٤٧ .

(٦٦) ستيفنس ، من صفحة ١٨٦ الى صفحة ٢١٠ .

(٦٧) وايزمان والتجربة والخطأ صفحة ٤٧١ .

(٦٨) رسالة من وايزمان الى سمطس ٢٤ مارس ١٩٤٨ .

(٦٩) رسالة من سمطس الى وايزمان بتاريخ ٢٩ مارس ١٩٤٨ .

(٧٠) رسالة من وايزمان الى سمطس بتاريخ ٢١ ابريل ١٩٤٨ .

(٧١) من الوفد الدائم لاتحاد جنوب افريقيا الى وايزمان بتاريخ ٢٦ ابريل ١٩٤٨ .

(٧٢) وايزمان ، المرجع السابق صفحة ٤٧٩ .

(٧٣) رسالة من وايزمان الى سمطس بتاريخ ١٦ مايو ١٩٤٨ .

(٧٤) رسالة من مفوضية اتحاد جنوب افريقيا الى وايزمان بتاريخ ١٧ مايو ١٩٤٨ .

(٧٥) رسالة من وايزمان الى سمطس بتاريخ ٢١ مايو ١٩٤٨ .

(٧٦) صحيفة ساوث افريكان جريش كرونيكل بتاريخ ٢٨ مايو ١٩٤٨ .

(٧٧) مجلة الترنسفالى ٣٠ أكتوبر ١٩٤٧ ، طبقا لمـــا ورد مترجما فى كتـاب الكسندر رهبيل : فيردورد (بالتيمور ١٩٦٧) صفحة ٢٢٦ .

(٧٨) لسلى روبين ، « قومية الافريكان واليهود » مجلة جنوب افريقيا (ابريل ـ يونيو ١٩٥٧) صفحة ٢٩ .

(٧٩) انظر صحيفة ساوث افريكان جريش كرونيكل بتاريخ ١١ يونيو ١٩٤٨ لمعرفة المزيد من التفاصيل عن لورى وكوماى .

(٨٠) رسالة من وايزمان الى سمطس بتاريخ ١٣ يونيو ١٩٤٨ .

(٨١) صحيفة ساوث افريكان جويش كروتيكل فى ١٥ سبتمبر ١٩٥٠ .

(٨٢) رسالة من سمطس الى وايزمان بتاريخ أول سبتمبر ١٩٤٩ .

(٨٣) ساوث افريكان زايونست ريكورد فى ٢٥ نوفمبر ١٩٤٩ .

(٨٤) المرجع الســـابق .

(٨٥) المرجع الســـابق .

(٨٦) المرجع الســـابق .

(٨٧) صحيفة ساوث افريكان جويش كرونيكل فى ١٥ سبتمبر ١٩٥٠ .

(٨٨) المرجع الســـابق .

(٨٩) المرجع الســـابق .

(٩٠) صحيفة ساوث افريكان جويش كرونيكل فى ٢٢ سبتمبر ١٩٥٠ .

(٢) الصهيونية وجنوب افريقيا والتفرقة العنصرية
المثلث المتناقض ظاهريا
بقلم
ريتشارد ب . ستيفنز

الحزب الوطنى ومعاداة السامية ١٩٣٠ ــ ١٩٤٧

بدت نبوءة الأستاذ كيبل جونز بوقوع مذبحة جماعية بموافقة السلطات الرسمية فى سنة ١٩٥٦ (١) متسقة تماما مع سجل الحزب الوطنى فى جنوب افريقيا ، الحافل بالعداء للسامية فى السنوات السابقة على نجاحه فى انتخابات عام ١٩٤٨ . فالى عهد قريب جدا يرجع الى سنة ١٩٣٠ كان الدكتو دانييل ف . مالان هو الذى تقدم بمشروع قانون حصص الهجرة الذى يحد من الهجرة من شرق أوروبا . وقد تم اقرار هذا المشروع الذى تبناه الرجل الذى قاد الحزب الوطنى الى الفوز فى انتخابات ١٩٤٨ وصدر باسم قانون الحصص لسنة ١٩٣٠ ، وهو الذى أدى الى انخفاض هجرة اليهود من شرق أوروبا الى حالات فردية . وعندما أدت اعتداءات هتلر على يهود ألمانيا الى هجرة عدة آلاف من اليهود الالمان . نادت العناصر المتأثرة بالنازية داخل الحزب الوطنى صراحة بانتهاج أساليب مماثلة فى جنوب افريقيا . وقد استهل الدكتور هندريك ف . فيروورد ، صديق مالان الحميم وخليفته فى النهاية فى رئاسة الوزارة ، حياته السياسية ، بذلك ، فى نفس هذه الفترة التى اتسمت بتفشى نزعة العداء للسامية . وكان احد الأعمال السياسية الاولى التى قام بها الدكتور فيروورد أنه راس وفدا أجتمع برئيس الوزراء هرتزوج لمطالبته بأن يرفض قبول اللاجئين اليهود (٢) . وفى سنة ١٩٣٦ انشأ قانون الاجانب نظاما جديدا لضبط الهجرة كان الغرض منه فى الواقع الا يدخل البلاد أكثر من خمسين يهوديا فى العام حتى نهاية الحرب .

وقد استمر الحزب الوطنى فى انتهاج سياسة معادية للساميةبصورة صارخة حتى عام ١٩٤٥ . وفى خلال هذه الفترة كان بعض (الافريكان) (مواطنى جنوب افريقيا من البيض) ويؤيدون حرمان كافة الجماعات « التى لا تقبل الاندماج » والتى تشمل اليهود بصورة خاصة من حق الانتخاب .

ونادرا ما كان يسمح بانضمام شخص من اصل يهودى الى الحزب الوطنى . وكانت صحيفة الحزب ـ الترنسفالى « التى يرأس تحريرها الدكتور فيروورد تهاجم » أداة الحرب الامبريالية اليهودية « والهجرة اليهودية . كما أعلنت رسميا سياسة الحزب الوطنى المعادية لليهود فى البرنامج الانتخابى للحزب فى سنة ١٩٣٨ وتأكدت هذه السياسة من جديد بعد ذلك بثلاثة اعوام ، بل أن هزيمة المانيا النازية فى ابريل ١٩٤٥ لم تضع حدا سريعا لتأييد الحزب الوطنى للمبادىء النازية (٣) .

الطائفة اليهودية فى جنوب افريقيا والصهيونية :

كان عدد أفراد الطائفة اليهودية فى جنوب افريقيا يقدر فى سنة ١٩٤٥ بما يزيد قليلا على مائة وخمسة آلاف شخص وارتفع عددهم الى مائة وعشرين ألف يهودى بعد ذلك بخمسة اعوام (٤) . ومع ان اليهود لم يكونوا القوة الاقتصادية المهيمنة فى البلاد ، فقد كان من الواضح انهم يسيطرون على صناعات معينة مثل صناعة الملابس والسينما . ورغم ان عددا قليلا من اليهود كان يحترف الزراعة ، فان اولئك الذين اتجهوا الى الزراعة قد استخدموا الميكنة بصورة واسعة فكان كل من « ملك البطاطس » و « ملك الذرة » يهوديا (٥) . وكانت الاغلبية الكبرى من الطائفة ، وتقدر بحوالى ٨٠ ٪ ، ويرجع أصلها الى ليتوانيا الامر الذى كان يبدو معه وجود قدر غير عادى من التجانس فيما بينها (٦) . الا أنه بحلول عام ١٩٤٨ أصبح ٤٦ ٪ تقريبا من الطائفة اليهودية من مواليد جنوب افريقيا. ورغم فقرهم اصلا ، اكتشف المهاجرون اليهود ـ شأنهم فى ذلك شأن كل المهاجرين البيض الى جنوب افريقيا ، ـ اكتشفوا بسرعة ان الفوارق العنصرية فى البلاد تسمح بامكان تحرك الجماعات لاحتلال مكانة اسمى . وسرعان ما أصبح عنصر الطبقة العاملة أقلية صغيرة . ويرى كثير من المراقبين ان الطائفة اليهودية فى جنوب افريقيا قد اصبحت فى نهاية الحرب اكثر الطوائف اليهودية فى العالم ثراء من الناحية الفردية (٧) . كما أن حجم الطائفة اليهودية ، وفقا لملاحظة الحاخام الدكتور اندريه أونجار ، لا يعتبر انعكاسا حقيقيا المكانة التى يحتلها اليهود فى حياة جنوب افريقيا :

« سيكون من الخطأ الفادح التهوين من شأن الاقلية اليهودية . فحتى من الناحية العددية البحتة . وبمقتضى قواعد الحساب العرفى المنافية للعقل والمطبقة فى جنوب افريقيا ، يشكل حجم السكان اليهود عاملا لابد

من الاعتداد به ... فجنوب افريقيا هى بلا نزاع البلاد التى يمكن فيها ان يكون للأقليات رأى ـ بينما تحرم الأغلبية الواسعة من أن يكون لها رأى ـ دون اعتبار تماما لما تكفله فى النظام الديمقراطى ، أعداد هذه الاقليات . وفى مدينتى جوهانسبرج وكيب تاون يشكل اليهود عشر المواطنين الذين يعتد بهم : أى البيض » (٨) .

ورغم المكاسب الاقتصادية التى حققتها الطائفة اليهودية فانها لم تحقق ازدهارا ثقافيا أو مركز تطور فى جنوب افريقيا ، على نحو متميز ، يتعادل مع هذه المكاسب . ويرى برنارد ساكس الأديب والكاتب السياسى اليهودى المشهور فى جنوب افريقيا ، ان ضعف التطور الثقافى كان من نتيجته الطبيعية التعبير عن المصالح والأنشطة اليهودية تعبيرا يكاد يكون كاملا عن طريق الصهيونية والمؤسسات الخيرية (٩) . كما يرى الحاخام ان آثار عزلة اليهود عن الأفريكان والبريطانيين تتخذ شكل « فكرتين أساسيتين شبه دينيتين تشغلان البال تماما .. رهبة مقدسة تحيط بالنادى الرياضى المنفصل ، وتقديس الصهيونية بشكلها المغالى فى التعصب بما لا يتفق مع قواعد النقد أبعد حد » (١٠) . اذ أن يهود جنوب افريقيا ، شأنهم فى ذلك شأن الطوائف اليهودية الأخرى التى هاجرت من روسيا العنصرية عقب المذابح الجماعية التى حدثت فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، قد اجتذبتهم فكرة الصهيونية السياسية بما تنطوى عليه من وعد باقامة دولة يهودية . اذ بدت فكرة قيام الدولة بديلا منطقيا لحياة كان الاندماج فيها ممنوعا اما بقرار من الحكومة أو يعوزه ايمان قويم بالأمن الذى توفره عزلة الجيتو لليهود . فلم يجد اليهود ، وقد نبذهم على المستوى الاجتماعى المجتمعان الرئيسيان للبيض فى جنوب افريقيا ، حافزا يدفعهم الى ابداع ثقافة يهودية فى جنوب افريقيا .

وكان يمثل المؤسسات اليهودية التى تعكس على نحو متطابق الأولويات والمصالح الصهيونية للطائفة ، فى المقام الأول ، الاتحاد الصهيونى لجنوب افريقيا الذى تأسس فى سنة ١٨٩٥ وهيئة نواب جنوب افريقيا اليهود (١٩١٢) . ولم تكن هاتان المنظمتان قاصرتين على الصهيونيين فيما بينهما . الا ان الصهيونيين ، حتى قبل سنة ١٩٤٨ لم يكونوا يشكلون « اغلبية فى هيئة النواب فحسب ، بل كانوا يحتلون ايضا المراكز الرئيسية فى الطائفة اليهودية » (١١) . وفى سنة ١٩٤٨ كان ٩٩٪ على الأقل من يهود جنوب افريقيا قد انضموا الى الصهيونية (١٢) . وباختصار ، كانت الصهيونية بلا جدال هى وسيلة التعبير الثقافى الأساسية ومثار اهتمام يهود جنوب

افريقيا . ويقدر ساكس ان الشكل اليمينى أو التنقيحى من الصهيونية كان يشكل ١٥٪ فقط من قوة اليهود كلها بينما اجتذب الحزب الصهيونى الموحد غالبية الأعضاء اليهود . وفى سنة ١٩٤٤ كان عدد كبير من أعضاء كل الأحزاب يعربون عن أزدرائهم الشديد لمعارضة بريطانيا للمطالب الصهيونية المتطرفة فيما يتعلق بفلسطين (١٣) . وهكذا ، على حين كان اليهود يؤيدون بصورة تقليدية الروابط البريطانية باعتبارها درعا للديمقراطية ضد فلسفة الحزب الوطنى ، ادت المواجهة بين الجماعات الارهابيــة اليهودية والجنود البريطانيين فى فلسطين ـ أدت الى تدهور كبير فى اتجاه بريطــانيا ، فى نفس اللحظة التى كان الحزب الوطنى يعد فيها هجومه على استمرار ارتباط جنوب افريقيا بالتاج البريطانى .

الا انه مما يثير السخرية أن قلق يهود جنوب أفريقيا على فلسطين لم يكن نتيجة مصالح صهيونية عادية استمالت فى أعقاب الهتلرية يهود أمريكا وبريطانيا الى أهداف السياسة الصهيونية فحسب ، وانما كان يعكس أيضا قلق الطائفة اليهودية من ان تؤدى ازدياد قوة الحزب الوطنى بالضرورة الى خروج اليهود من جنوب افريقيا .

الحزب الوطنى يقر سياسة يهودية جديدة :

على الرغم من تراثه الذى ينطوى على عداء شديد للسامية ، قام الحزب الوطنى فى سنة ١٩٤٨ بتعديل موقفه من الطائفة اليهودية تعديلا دراميــا . ولم تكن المســألة هى ادارك الحاجــــة الى تضامن البيض من أجل ضرورة الحفاظ على نظام أقلية عنصرية فحسب ، وانما على العكس من ذلك كانت طبيعة الطائفة اليهودية ذاتها والاحداث المحيطــة ببريطانيا فى فلسطين هى التى جعلت اتخاذ سياسة جديدة أمرا مغريا ومناســبا معا . وفى رأى الدكتور ادوين س . مونجر ، وهو أحد المراقبين لمسرح جنوب افريقيــا لفترة طويلة ، ان التقارب بين اليهود والافريكان (مواطنى جنوب افريقيا من البيض) فيما بعد الحرب كان مرجعه أيضا الى الرأى الذى ساد بين الأفريكان من ذوى النفوذ الكبير بأن « طرد اليهود من جنوب افريقيا سوف يزلزل البلاد من أساسها » (١٤) نظرا لأن أى تنفيذ للتفرقة العنصرية سوف يؤدى الى قيام اليهود الأثرياء بسحب أموال تكفى للتعجيل بحدوث كساد اقتصــــادى .

فلما اقتربت الانتخابات العامة سنة ١٩٤٨ اخذت الدلائل تشــير الى تحـــول فى فكرة الحزب الوطنى . فلم تؤيد صحف الأفريكان المعارضــــة

اليهودية للسياسات البريطانيـة فى فلسطين ـ التى كانت قد تخلت منـذ سنة ١٩٣٩ عن اقرار اقامة دولة يهودية على غير رغبة الأغلبية العربيـة ، فحسب وانمـا شـبهت تصميم الأفريكان على فصم الروابط التى تربط الاتحاد ببريطانيا ، بالانجاز الصهيونى . وسعى ساسـة الحزب الوطنى صراحة فى مختلف المواقع الى كسب تأييد اليهـود من ذوى النفوذ وافتتح حوار فى كيب تاون بين عدد من اليهود البارزين وكبـار رجال الحزب الوطنى . ورغم ان الدكتور مالان أعاد من جديد تأكيد معارضـة حزبه لهجرة يهودية أخرى فى أكتوبر ١٩٤٧ دلل على ان هذه المعارضة ليست بسبب شعور بالعداء لليهود وانما « لاننا نريد ان نمنع هذه المشاعر » (١٥). الا أن قيام دولة اسرائيل فى ١٤ مايو ١٩٤٨ قبل انتخابات ٢٦ مايو بأيام قليلة هو الذى اثر تأثيرا قويا فى مواقف الحزب الوطنى . وعلى حد قول لسلى روبين ، أحد المنفيين من جنوب افريقيا واحـد مؤسسى حزب الأحرار (كما انه يهودى وعضو سـابق فى مجلس الشيوخ ممثل لغير البيض) .

« ان خليطا غريبا من الدوافع يسر لمالان (وستريدوم الذى سار على منواله باخلاص منذ ذلك الحين) ولرجال الحزب الوطنى أن يقدموا تأييدا متحمسا للدولة الجديدة فقد كان ثمة احساس بالالفة مع الاسرائيليين لأنهم تخلصوا من نير البريطانيين . وربما وصف عالم النفس هذا الاحساس بأنه اعجاب لقيام الغير بتحقيق مالا يزال بالنسبة لهم رغبة مكبوتة . فلقد رأى كثير من رجال الحزب الوطنى حينذاك ـ وهذا الرأى كشفه لى أحد مثقفى الأفريكان ـ أن نجاح اليهود ضد العرب هو انتصار للبيض على غير البيض ، ولقد اظهر مالان نفسه ، الذى كان يتقدم به العمر ، حماسا عاطفيا بالغا لعودة اليهود الى وطنهم القديم وفقا لنبوءة التوراة » (١٦) .

كما لاحظ ريتشارد وايسبورد انه « لم يكن من قبيل المصادفة أن تحول الحزب الوطنى عن العداء الصريح للسامية قد حدث فى نفس الوقت الذى تحقق فيه هدف الحركة الصهيونية السياسية لقيام دولة اسرائيل » (١٧)

وقد اثار اعلان استقلال اسرائيل مسـألة الاعتراف الدبلوماسى وأدى الى مضاعفات فورية على سياسة جنوب افريقيـا . فبالرغم من أن رئيس الوزراء سمطس كان طوال حياته مؤيدا للصهيونية وصديقا شخصيا حميما لحاييم وايزمان الزعيم الصهـيونى (١٨) ، فانه اعترف بالدولة الجـديدة على أساس الأمر الواقع فقط . ورغم أن تحفظه فى هذه المسـألة ربما كان راجعا الى مراعاته لحساسية بريطانيا فيما يتعلق بالعاطفة المشـتركة بين

انجلترا وجنوب افريقيا ، فانه خشى أن يستفيد الحزب الوطنى من اجراء يلقى ترحيبا واضحا للغاية لدى الطائفة اليهودية (١٩) . بيد أن الاجراء الذى اتخذه رئيس الوزراء لم تكن نتيجة نفور بعض الناخبين من الناطقين باللغة الانجليزية فحسب (ممن لم يكونوا يكنون لليهود اى نوع من الحب وكانوا يضمرون كراهية شديد للقتلة المحترفين فى فلسطين الذين كانوا يقتالون الجنود البريطانيين ..) (٢٠) ، وانما مكن الدكتور مالان من استغلال اجراء سمطس لكى يعلن ، عن طريق المقارنة ، « صداقته الحقيقية » للشعب اليهودى ، الذى سوف يمكنه وعيه العنصرى من ان « يفهم بسهولة الكثير ويحترم نفس الشعور فى حالة كل فئة اخرى من المجتمع » (٢١) . وعلى اثر الفوز الذى احرزه الحزب الوطنى بشق النفس فى انتخابات ٢٦ مايو اعترفت حكومة مالان باسرائيل اعترافا قانونيا .

وقد اعقب الاعتراف الدبلوماسى باسرائيل اجراءات اخرى قصد بها كسب تأييد اليهود . فبعد ستة أسابيع من تولى الدكتور مالان رئاسة الحكومة اعلن انه وحكومته يؤيدان سياسة عدم التفرقة ضد اى فئة من السكان البيض وانهما يتطلعان الى اليوم الذى لن يعود يجرى بعده اى حديث عن المسألة اليهودية فى البلاد (٢٢) . وتجاوز مالان موقف معظم الدول المؤيدة لاسرائيل فلم يسمح لضباط الاحتياط اليهود باداء الخدمة العسكرية فى اسرائيل فحسب – وهو اجراء مخالف للقانون رسميا – وانما كان أول رئيس وزراء فى الكومنولث البريطانى يقوم بزيارة مجاملة للدولة الجديدة (٢٣) . وعندما سمحت الحكومة – رغم المشكلات الاقتصادية الخطيرة – بتصدير سلع وعملات لازمة لاسرائيل اكتمل فى الواقع انتصار مالان مع الطائفة اليهودية . وبعد ذلك أخذت الطائفة اليهودية فى جنوب افريقيا ترسل الى اسرائيل من الأموال « أكثر مما ترسله اى جماعة يهودية فى العالم ، على أساس الفرد الواحد ، مما يفوق كثيرا ما يرسله الأمريكيون واخذت تهاجر الى اسرائيل من جنوب افريقيا نسبة من المستوطنين أعلى من أى نسبة من المهاجرين اليهود من بلاد أخرى يتمتع فيها اليهود برخاء نسبى » (٢٤) .

نتائج التقارب :

أدى تأييد الحزب الوطنى لاسرائيل وابطاله رسميا لنزعة العداء للسامية الى قبول سياسات الحزب الوطنى فى جميع مستويات وسائل التعبير الرسمى اليهودى . ففى سنة ١٩٥١ قدم رئيس هيئة النواب اليهود شكره الصادق للحكومة بسبب شعورها الموالى لاسرائيل وبسبب تقديرها

لمشاعر الطائفة اليهودية تجاه اسرائيل (٢٥) . بيد انه اعرب فى الوقت نفسه عن خيبة أمله لأن اليهـود مازالوا محرومين فى معظم الأقاليم من الانضمام الى الحزب الوطنى وفى خلال شهور قليلة رفع مؤتمر الحزب بالترنسـفال الحظر المفروض على عضوية اليهود للحزب وحذا حذوه مؤتمر الحزب فى أورانج الحرة ومؤتمر الحزب فى ناتال . وشهدت الانتخابات التـالية التى اجريت فى جنوب افريقيـا عـددا متزايدا من اليهـود يؤيدون الحزب الوطنى (٢٦) . وعندما اعتزل الدكتور مالان الحياة الرسمية فى سنة ١٩٥٤ وخلفه رئيس الوزراء ستريدوم قام يهود جنوب افريقيـا بتكريمه اعظم تكريم بتدوين اسمه فى كتابهم الذهبى اعترافا « باسهامه فى ايجـاد تفاهم عنصرى أفضل فى جنوب افريقيا .. » (٢٧) . وقد استمرت حكومة مستر ستريدوم فى ابراز موقف ودى تجـاه اسرائيل « وكاقرارا للتآلف بين العنصرين ، قام وزير العدل بتعيين مستر سيمون كوبر ، رئيس الاتحـاد الصهيونى فى جنوب افريقيا ، قاضيا بمحكمة الترنسفال » (٢٨) .

وعند انتخاب الدكتور فيروورد رئيسا للوزراء فى سنة ١٩٥٨ قام وفد من هيئة النواب اليهود بتقديم التهانى الرسمية . وقد قضى تعيين حكومته للدكتور بيرسى يوتار نائبا للمدعى العام بالترنسفال فى سنة ١٩٦٠ على أية شكوك باقية محتملة فيما يتعلق بقدرة اليهـود على الحصول على مناصب حكومية عليا . وقد اكتسب يوتار شهرة كمـدع عام فى محاكمة ريفونيـا الشائنة التى حوكم فيهـا زعيم المؤتمر الوطنى الافريقى ، نلسون مانديلا ورفاقه الذين كان بينهم عدد من اليهـود . وقد رقى يوتار فى سنة ١٩٦٨ الى منصب المدعى العام لدولة أورانج الحرة .

وقد سمحت سياسة فيروورد للصهيونيين فى جنوب افريقيا بالاستمرار فى ارسال ما يقرب من سبعمائة الف دولار سنويا الى اسرائيل (٢٩) . وقد أعرب الدكتور م. ناروك ــ وهو عضو فى البرلمان الاسرائيلى كان يقوم بزيارة جنوب افريقيا ــ عن عرفان اسرائيل بالجميل ، فى ابريل ١٩٥٩ بقوله :

انا نعرب عن بالغ شكرنا لحكومة جنوب افريقيـا بسبب الدور الذى قامت به فى مساعدة اسرائيل على بلوغ مكانتها الحاليـة . كما أن يهـود جنوب افريقيـا الذين اسـتوطنوا اسرائيل هم مواطنـون مخلصون للاتحـاد » (٣٠) .

وقبل مغادرته جنوب افريقيـا ، وجه الدكتور ناروك الدعوة لرئيس الوزراء لزيارة اسرائيل .

وقد أثارت هذه العلاقات الودية بين حكومة الحزب الوطنى والطائفة اليهودية جدلا مفترضا حول تواطؤ اليهود فى التفرقة العنصرية ، تواطؤا أبعد مما يمكن أن ينسب الى جماعات دينية أخرى فى جنوب افريقيا . وعلى حد اعتراف هنرى كانزو مساعد رئيس تحرير « زايونست ريكورد » التى تصدر فى جوهانسبرج . احتلت الطائفة اليهودية بعد ١٩٤٨ وضعا فريدا « كانت الحكومة متعاطفة فيه مع الطائفة اليهودية وتتخذ موقف التشدد والتحيز ضد العناصر الأخرى من السكان ، وهم فى هذه الحالة الافريقيون والملونون والهنود » (٣١) .

ولقد سجل التغير الذى طرأ على مواقف الحزب الوطنى وما صاحبه من استجابة من جانب التنظيمات اليهودية ، تسجيلا وافيا . ففى عهد حكومة سمطس كانت مجلة « الشئون اليهودية التى تصدرها شهريا هيئة النواب اليهود تعبر عن رأيها بحرية فى مسائل اللون والتفرقة العنصرية وكانت طبعاتها تبرز مقالات تذكر القراء بأن « الديانة اليهودية تفرض على كهنتها والمبشرين بها ان يطالبوا بلا خوف بالعدالة الاجتماعية » . وفى غشية انتخابات ١٩٤٨ علقت مجلة الشئون اليهودية فى مقالها الافتتاحى على التفرقة العنصرية بقولها :

« انها سياسة تجعل منها الحقائق الاجتماعية والصناعية لعصرنا تناقضا ميئوسا منه ... ومن المشكوك فيه أن تكون هناك وجهة نظر يهودية محدودة ، الا انه يمكن مع ذلك توقع شىء من اليهودى . ففى المسائل العنصرية عليه أن يتخذ رأيا متحررا بقدر الامكان . وعليه أن يكون ذا حساسية قوية ازاء الظلم الناجم عن التمييز القائم على الجنس أو الطوائف الاجتماعية . ويمكنه وينبغى عليه أن يكون تقدميا » (٣٣) .

وعلى اثر فوز الحزب الوطنى أوضح رئيس تحرير « الشئون اليهودية » مرة أخرى أن الضمان الوحيد للسلام يكمن فى معاملة عادلة وتشجيع متدرج لرعاية وتنمية هذه الجماعات المعدمة (٣٤) . الا انه على حد اعترف كاتزو : كانت هذه هى المرة الأخيرة التى تتحدث فيها « الشئون اليهودية بمثل هذا الأسلوب الحاسم » (٣٥) . فسرعان ما عكست أعمدة مجلة « الشئون اليهودية » تأثير الاجتماع الذى عقده الدكتور مالان فى يونيو ١٩٤٨ مع كبار اعضاء هيئة النواب اليهود . اذ أعربت افتتاحية العدد التالى من المجلة فقط عن أملها فى أن يكون قد انتهى فصل محزن فى موقف الحزب الوطنى من الطائفة اليهودية ، ولم ترد اية اشارة الى استمرار التفرقة العنصرية ضد الجماعات غير البيضاء . وهكذا ، فى غضون اسابيع قليلة تناست هيئة

النواب اليهود نظريتها التى أعلنت فيها ان أمن اليهود يكفله على افضل وجه تأييد كل القضايا التحررية ، وذلك لمصلحة النظرية القائلة بأن « هيئة النواب اليهود هى جهاز غير سياسى يمتنع عن اتخاذ اى موقف فى المسائل السياسية الحزبية ولا يعبر عن آراء فيما يتعلق بالسياسات العنصرية المختلفة التى تدافع عنها الأحزاب » (٣٦) .

لقد كان اليهود ، على حد قول كاتزو ، يستجيبون فقط باعتبارهم شعبا ، لا باعتبارهم نماذج مثالية . وهكذا « لم يتوقفوا عن تسوية تتيح لهم الخلاص ولا تتيحه للافريقيين والهنود والملونين » . واصبح اليهود الآن ، كما يقول كاتزو ، يرون الافريكانرز « شعبا شجاعا ولم يكن فى وسعنا الا أن نلاحظ فيهم نوعا من الاصرار ونطابق الغرض المماثل لما هو موجود لدينا . كما أننا قدرنا تقديرا عميقا موقفهم من اسرائيل » (٣٧) . وهكذا اصبحت هيئة النواب اليهود بملء رغبتها كارثة التفرقة العنصرية.

ولقد شمل الصمت الذى نزل على هيئة النواب اليهود ومجلة « الشئون اليهودية » بقية الصحف اليهودية ، كما لزمت المعابد الصمت فيما عدا الاعتراض فى بعض المناسبات على التفرقة العنصرية فى بعض الخطب التى كان يلقيها الحاخام الأكبر ل. ا. رابينوفيتش الذى سرعان ما وجد ما يدعوه الى الهجرة الى اسرائيل . وقد فسر ذلك بصراحة الحاخام الدكتور ج. سى. وايلر فى خطابه الذى ألقاه أمام المؤتمر الدولى الثامن للاتحاد العالمى لليهودية التقدمية بلندن فى يوليو ١٩٥٣ بقوله :

« ان اليهود كانوا قد قرروا كطائفة الا يتخذوا موقفا فى مسألة السكان الوطنيين لأنهم كانوا مشغولين بمشكلة مساعدة اليهود فى بلاد أخرى . فقد كان يهود جنوب افريقيا يبذلون اكثر مما تبذله اى طائفة أخرى فى مساعدة اسرائيل . ولم يكن فى وسع الطائفة اليهودية أن تطلب من الحكومة التصريح لها بتصدير أموال وسلع وتعترض فى الوقت نفسه على الحكومة » (٣٨) .

بل ان مذبحة شاربفيل التى وقعت فى مارس ١٩٦٠ وادت الى ادانة جنوب افريقيا من معظم الحكومات بما فى ذلك الولايات المتحدة وجميع الهيئات الدينية فى الواقع — لم تقطع الصمت الذى التزمته الصحف اليهودية فى جنوب افريقيا أو هيئة النواب اليهودية وأكد مستر تشارلز هوبنشتاين ، عضو هيئة النواب اليهود طوال ثلاثين عاما ، بعد تلك المذبحة بعدة شهور ، فى لندن : « ان غالبيتنا يؤيد سياسة حكومة الاتحاد فيما يتعلق بالتفرقة العنصرية » . وأعرب هوبنشتاين عن تقديره لحقيقة أن

جنوب افريقيا قد فتحت أبوابها لما يزيد على ألف وخمسمائة لاجئ يهودى من الكونغو (٣٩) .

ولقد نشرت أول دراسة تاريخية شاملة عن الطائفة اليهودية فى جنوب افريقيا ، من اعداد جوستاف ساورن ولويس هوتز وعنوانها « اليهود فى جنوب افريقيا » فى سنة ١٩٥٥ وقد وضعت هذه الدراسة لاظهار أن الطائفة اليهودية قد أسهمت اسهاما كبيرا فى تنمية جنوب افريقيا . ومع أن الدراسة اهتمت اهتماما كبيرا بالصهيونية فقد تجاهلت الديانة اليهودية أو أية تطورات دينية تجاهلا له مغزاه . وقد ذكر المؤلفان أن الحركة الصهيونية تلقت دعما ماليا من الطائفة اليهودية بجنوب افريقيا مما تلقته من أى طائفة أخرى فى العالم على أساس الفرد الواحد (٤١) . أما الفترة التى أرتبط فيها تاريخ الحزب الوطنى بالعداء للسامية فقد أوجزها المؤلفان فى صفحات قليلة ولقيت المسائل السياسية والاجتماعية العامة التجاهل الا عندما كانت « المسائل التى تؤثر تأثيرا مباشرا على اليهود باعتبارهم جماعة » (٤٢) تعرض فى جلبة السياسة .

وقد أدى ظهور مقال انتقادى عن « يهود جنوب افريقيا » بقلم دان جاكوبسون ، من الكتاب اليهود البارزين فى جنوب افريقيا ، فى عدد يناير ١٩٥٧ من مجلة « كومنتارى » الى اثارة جدل مثير مع رونالد م. سيجال ، وهو يهودى أيضا ويرأس تحرير مجلة « جنوب افريقيا » التى كانت تصدر فى كيب تاون ، الى أن نفى سيجال من البلاد . وقد كشف الجدل بين جاكوبسون وسيجال أوجه الخلاف بينهما .

ويرى جاكوبسون أنه « ما كان من الممكن أن تكون هناك حكومة أكثر دقة فى سلامة موقفها من حكومة الدكتور مالان تجاه الطائفة اليهودية ، وقد حافظت الحكومة التى خلفتها برئاسة ستريدوم على تقاليد الصداقة مع دولة اسرائيل التى بداها الجنرال سمطس » (٤٣) . وبرهن جاكوبسون على أن اليهود لم يكونوا أكثر حصانة بالنسبة للتحيز العنصرى عن الجماعات الأخرى وان من الخطأ اعتبار المتطرفين « اليهود متماثلين مع الطائفة كلها . وبالرغم من ان رعايا من غير جنوب افريقيا قد يشعرون أن من واجب اليهود أن يعارضوا التمييز العنصرى لأنهم يهود ، لم يكن هذا الرأى ينطبق على جنوب افريقيا حيث : التمييز العنصرى ... ليس حكومة ، ولا حركة ، ولا حزبا سياسيا ولكنه أساس المجتمع ذاته : فلم تكن جنوب افريقيا أبدا الا دولة عنصرية ، بل أنها حتى الآن بلد تمكن فيه اليهود من أن يصيبوا حدا من النجاح . ويرى يهود

جنوب افريقيا انه ليس من الضرورى أن يكون الشعور باللون فى جنوب افريقيا سببا لتولد نزعة عداء للسامية » (٤٤) .

واذا كان عدد قليل من الزعمــــاء ـ ممن تولد قلقهم على الظروف فى البلاد من تفسيرهم لأخلاقيات اليهود وتجربتهم ـ قد يجاهرون برأيهم من غير خوف ولا تردد ، فانهم لا يميلون « الى الحديث مع المواطنيين على نحو يتسم بالتهور والاندفاع . . » . ويؤكد جاكويسون فى النهاية ان الجماعة الوحيدة فى جنوب افريقيا التى تطالب اليهود باصرار بالارتبـــاط بالسود هم الشيوعيون (٤٥) .

وفى مجال الرد على تقويم جاكويسون لحقائق الحياة فى جنوب افريقيا ، اتهم سيجال يهود جنوب افريقيا بان قلقهم على « العدالة » كان قاصرا على مصالح يهودية ضيقة . وأعاد الى الأذهان :

« كم يهوديا فى جنوب افريقيا من ذوى المكانة فى الطائفـــة لم أسمعهم يتفاوضون عن ، بل يمتدحون فى بعض الأحيـــان ، أبشع أهوال التفـرقة العنصرية » ثم يناشدون العالم فى نفس اللحظة تقريبـــا أن لا يعترف فى النهاية بالأعمال الوحشية التى يرتكبها نظام عبد النــاصر ؟ لقد ثارت ثائرة الطائفة اليهودية فى جنوب افريقيـــا بسبب مصادرة الممتلـكات اليهودية واعتقال المدنيين اليهود فى مصر . فاحتجت احتجاجا علنيـــا صارخا على هذا الظلم . ومع ذلك فعندما طرد الافريقيون ، من سكان صوفيا تاون ، من ديارهم وحرموا من حقهم فى امتلاك الأرض والعقارات فى جوهانسبرج وطردوا من منازلهم فى الصباح الباكر بين صفوف من الشرطة المسلحة ، كم زعيما من منظمات الطائفة اليهودية قام بالاحتجاج ؟ لم يصدر تصريح على واحد . ولم يتحرك اى وفد الى الحكومة . فلا عجب اذن أن يكون الفيلد مارشـــال الراحل سمطس بطلا شعبيـــا للطـــائفة اليهودية فى جنوب افريقيـــا » (٤٦) .

ان الاعتذار بانه لم يكن فى وسع اليهود أن يعترضوا رسميا على تشريع بعينه لم يكن « مثيرا للسخرية » فحسب وانما كان فى سياق النمط العــام لسلوك الطائفة اليهودية « زائفا » لأنهم يتحررون باصرار من عبء الالتزام بآراء المجتمع فيما يتعلق بسير الأمور فى الشرق الأوســط ، وهو أمر اقل اهمية الى حد بعيد من قانون يدفع مختلف الأجناس فى جنوب افريقيـــا

الى الجيتو . وقال سيجال ان الامتناع عن المجاهرة بالرأى دون ما تردد فى هذه المسائل قد أثار عندئذ السؤال المحتوم :

« اذا لم يكن اليهود جنسا مثل الهنود ، ولا طائفة دينية مثل اتباع الكنيسة الانجليزية فماذا يكونون ، وفقا لتقديرهم ؟ واذا كانوا مواطنين لجنوب افريقيا فحسب ولا شىء عدا ذلك ، فانه ليس من حق هيئة النواب اليهود فى هذه الحالة أن تبقى ، وأن يعمل الاتحاد الصهيونى لصالح اسرائيل مستخدما ادعاءات زائفة تماما » (٤٧) .

واختتم جاكوبسون دفاعه عن الطائفة اليهودية بجنوب افريقيا بأنه « لن تضحى طائفة بنفسها من أجل طائفة أخرى » (٤٨) . وأن الديانات الأخرى تدين التفرقة العنصرية لأن سودا من اتباع الكنيسة الانجليكانية ، وثمة سودا من أتباع الكنيسة الميثودية ، كما أن هناك كاثوليك سودا ، ولكن لا يوجد يهود سود . فالطائفة اليهودية « ترفع عقيرتها بالصياح عندما تشعر أن مصالحها مهددة (سواء كان هذا التهديد بفعل السياسة السوفيتية المصرية فى الشرق الأوسط ، أو نتيجة قوانين الهجرة المحلية) اما فيما عدا ذلك فانها تلزم الصمت » (٤٩) .

انقلاب مؤقت : اسرائيل تدين التفرقة العنصرية سنة ١٩٦١ :

ظل المتحدثون باسم الحزب الوطنى ، والحكومة وصحف الافريكان يشيدون باسرائيل بصورة لا حدود لها منذ عام ١٩٤٨ حتى منتصف عام ١٩٦١ . الا أن هذا الجو الذى يتسم بالتآلف تبدد نتيجة قرار اتخذته اسرائيل بتوسيع نطاق هجومها الدبلوماسى الذى كان قد بدأ منذ ١٩٥٦ (٥٠) . فعندما قام رئيس جمهورية فولتا العليا بزيارة اسرائيل فى يوليو ١٩٦١ أصدرت الحكومة الاسرائيلية بيانا وصفت فيه التفرقة العنصرية بأنها « ضارة بمصالح الاغلبية غير البيضاء من أهالى البلاد » . وفى أكتوبر ١٩٦١ أيدت اسرائيل فى اللجنة السياسية للأمم المتحدة مشروع قرار ينتقد خطابا القاه مندوب جنوب افريقيا ووزير خارجيتها مستر اريك لاو . واخيرا ، أيدت اسرائيل قرارا اتخذته الجمعية العامة باستنكار سياسة التفرقة العنصرية التى تنتهجها جنوب افريقيا باعتبار انها « تستوجب اللوم وتتعارض مع كرامة الشعوب والأفراد وحقوقها » (٥١) .

وكان رد حكومة جنوب افريقيا وصحفها على التغير المفاجىء والكامل فى الموقف الاسرائيلى قاسيا بصورة يمكن التنبؤ بها . فقد تساءلت صحيفة « الترنسفالى » عما سيكون عليه رأى حكومة اسرائيل اذا ما شغلت نفسها ،

دون أن يدعوها أحد ، باللاجئين العرب الذين « يعيشون منذ ثلاثة عشر عاما على حدود اسرائيل فى ظروف رهيبة للغاية بسبب عدم السماح لهم بالعودة الى ديارهم الاصلية » . وتسألت الترنسفالى :

فهل هناك اية خلافات حقيقية بين الطريقة التى يحاول بها شعب اسرائيل البقاء وسط شعوب غير يهودية والطريقة التى يحاول بها الأفريكانى أن يظل على ما هو عليه ؟ ان شعب اسرائيل يستند الى « العهد القديم » فى تفسير عدم رغبته فى الاختلاط بالشعوب الاخرى : والمواطن الأبيض فى جنوب افريقيا يفعل هذا أيضا ... » (٥٢) .

وقد اتهم مستر لاو اسرائيل « بالحقد والعقوق » ... نظرا لان حكومة جنوب افريقيا وأعضاء بالذات فى الوزارة قد بذلوا فى الماضى جهدا خاصا لتعزيز العلاقات الطيبة مع اسرائيل » (٥٣) . وعلق الدكتور فيروورد بأن اليهود « اغتصبوا اسرائيل من العرب ، بعد أن عاش العرب فى البلاد الف عام . وانا اتفق معهم فى هذا ، فاسرائيل دولة تقوم على التفرقة العنصرية شأنها فى ذلك شأن جنوب افريقيا » (٥٤) . وقال الدكتور فيروورد فى رسالة خاصة « تسربت الى صحيفة الصنداى برس أن تصرفات اسرائيل تعتبر مأساة بالنسبة لليهود فى جنوب افريقيا ، ولكنه أشار الى ان رد فعل الصحف اليهودية المؤيد لجنوب افريقيا قد خفف الى حد ما من حدة الموقف ، واستطرد يقول :

« لقد بدأ الناس يتساءلون : اذا كانت اسرائيل وحاخاماتها مدفوعين الى مهاجمة سياسة التنمية المنفصلة هنا ، فلماذا لا تكون سياسة التنمية المنفصلة فى اسرائيل خطأ فى نظرهم أيضا ؟ ... قد يقال أنهم يريدون التفرقة فى حالات منفصلة بسبب الاختلافات الدينية لا العنصرية ، لأنه اذ كانت التفرقة خطأ بسبب من الأسباب فانها خطأ للسبب الآخر . ولقد كنا نؤمن بالوضع المنفصل لاسرائيل ، ولكننا بدأنا الآن نتساءل عما اذا كان ينبغى سحب هذا التأييد ، اذا كانت فكرة التنمية المنفصلة خطأ من اساسها بحسب معتقداتهم . لذلك ترون أن الاجراء الذى أقدمت عليه اسرائيل قد أطلق سلسلة جديدة من الاتجاهات » (٥٥) .

وقامت الحكومة بالغاء الامتيازات الخاصة فى تنظيمات النقد الأجنبى التى كانت تبيح للمنظمات اليهودية تحويل النقود والسلع الى اسرائيل ، ومنذ ذلك الحين اخذت طلبات تحويل الاعتمادات تبحث بحسب وقائعها الموضوعية .

ولقد روع يهود جنوب افريقيا أيضـــا بسبب مواقف اسرائيل ، كما خيبت آمالهم بصورة شديدة الملاحظات التى ابداها رئيس الوزراء ، فاعربت صحيفة « زايونيست ريكورد » الناطقة بلسان الاتحاد الصهيونى فى جنوب افريقيا عن أسفها لأن « وفد اسرائيل وجـــد انه من المناسب أن يؤيد ٦٧ دولة بدلا من أن يتخـــذ موقف مجموعة الدول الغربيـــة ويمتنع عن التصويت » (٥٦) .

واتخذت هيئة النواب اليهـــود قرارا ينص على انه « كان ينبغى على اسرائيل أن تنضم الى الدول الغربية الأخرى فى الامتناع عن التصويت ضد جنوب افريقيا » (٥٧) ، وطلبت الهيئة من مستر آرثر سوزمان ، وهو محام بارز ورئيس لجنة العلاقات العامة للهيئة ، أن يضطلع بشرح قرارها (٥٨) . ووصلت المسألة الى نهايتها عندما اعربت هيئة النواب اليهود عن اقتناعهـــا بالتفسير الذى قدمه فيروورد بأن انتقاده لاسرائيل لا شـــأن له بموقف الحكومة من المواطنين اليهود . وعقب اغتيـــال رئيس الوزراء فيرووورد فى سبتمبر ١٩٦٦ علقت صحيفة « ساوث أفريكان جويش تايمز » بقولها :

« لقد كانت احدى سمات براعة فيرووورد فى ادارة شـــئون الدولة انه كبح جماح اتجاهات أحداث الماضى التى كانت تشوه صورة الطائفة اليهودية فى بعض الأحيان ، وانه صمم على مقاومة أى شكل من أشـــكال التفـــرقة العنصرية ضد اليهود ونادى باستئصال نزعة العداء للسامية تماما من حياة جنوب افريقيا » (٥٩) .

وقال الحاخام الأكبر البروفيسور ابراهافر ، أثناء قداس تذكارى أقيم بمدينـــة كيب تاون أن الدكتور فيرووورد كان « رجلا يتميز بالاخـــلاص والاستقامة البالغة ... وكانت سياساته تستند الى أساس أخلاقى : لقد كان أول انسان يهىء للتفرقة العنصرية أساسا أخلاقيا » (٦٠) . وقال كبير حاخامات طائفة اليهود التقدميين ، الحاخام أرثر سوبر ، فى تابينه لفيرووورد انه : « واحد من أعظم رؤساء الوزارات الذين أنجبتهم جنوب افريقيا ، ان لم يكن أعظمهم على الاطلاق » .

لقد كان هنا رجل ، مثل موسى فى العصر المـــاضى ، قاد شعبه خلال الأرض الموعودة بعد ستين عاما من التيه . وكان يملك الشجاعة والقوة اللازمة لاقامة جمهورية جنوب افريقيا ، وبهذا يقضى بقرار واحـــد على التراث القديم من الكراهية والتعصب الطائفى والولاءات الغامضة والضغائن القديمة ومظالم الماضى التى كانت تمنع جنوب افريقيا من أن تصبح أمة واحـــدة (٦١) .

تسوية الخلاف : المنظمات اليهودية تدافع عن جنوب افريقيا فى الخارج :

أيا كانت المخاوف التى أثارتها ملاحظات الدكتور فيروورد ، فان الطائفة اليهودية لم تقطع العلاقات الودية مع الحكومة . بل على العكس من ذلك ، عملت هيئة النواب اليهود والمنظمات الصهيونية ، اما بدافع الخوف من احياء نزعة العداء للسامية او الايمان بنظام جنوب افريقيا أو التصميم على مواصلة مساعدة اسرائيل بلا عائق ، على الابتعاد عن نقد جنوب افريقيا فى الخارج بواسطة منظمات يهودية اخرى . وقررت هيئة النواب اليهود « ضرورة ان تتخذ الطائفة اليهودية خطوات لشرح موقف جنوب افريقيا لليهود فى الخارج والداخل » (٦٢) .

وكانت هيئة النواب اليهود بجنوب افريقيا ، حتى قبل موقف اسرائيل المناهض لجنوب افريقيا فى عام ١٩٦١ ، قد نصحت المنظمات اليهودية فى الخارج بالامتناع عن التعليق على مشكلات جنوب افريقيا . فامتنعت المنظمات التى تتمتع بوضع استشارى بالنسبة للأمم المتحدة عن مناقشة مسألة التفرقة العنصرية فى الأمم المتحدة ، ومن هذه المنظمات الاتحاد العالمى لليهودية التقدمية والمؤتمر اليهودى العالمى وهيئة تنسيق المنظمات اليهودية (وتشمل هيئة النواب اليهود البريطانية وهيئة النواب اليهود فى جنوب افريقيا ومنظمة بناى بريث) والمجلس الاستشارى للمنظمات اليهودية (اللجنة اليهودية الأمريكية ومنظمة التحالف الفرنسية والاتحاد الانجليزى اليهودى) .

ولقد كان هذا النوع من عدم التدخل موضع اهتمام مستر فريتزفلسك من مدينة ديترويت الأمريكية واحد الضحايا اليهود للنازية بمعسكر اعتقال داتشاو فيما بين عام ١٩٣٨ وعام ١٩٣٩ . ولم تسجل عمليات الاستقصاء التى قام بها ، والتى شملت أكثر من عشر سنوات من النشاط ، موقف الطائفة اليهودية فى جنوب أفريقيا فحسب ولكنها كشفت ايضا على حد قول الحاخام أونجار ، النمط العام للعذر الذى قدمته الزعامة اليهودية العالمية فى استجابتها لمبادرة جنوب أفريقيا (٦٣) . فعندما سأل فلسك المؤتمر اليهودى العالمى عن الامتناع عن التعليق على مسألة التفرقة العنصرية ، قال له الحاخام موريس برلزفايج :

« لقد امتنعت المنظمات اليهودية غير الحكومية عن التعليق على مشكلات جنوب افريقيا لأنها لا ترغب فى تفاقم الموقف الصعب بالفعل الذى تواجهه الطائفة اليهودية . وهذه المنظمات تعلم ان هذا التحفظ من جانبها ، مهما

كان من أمر الحجج التى تعارضه ، يعتبر في غاية الأهمية من وجهة نظر الطائفة اليهودية فى جنوب افريقيا .

وفضلا عن ذلك ، المؤتمر اليهودى العالمى ممنوع بحكم دستوره من الاضطلاع بأى نشاط فيما يتصل بأى بلد توجد به طائفة يهودية تستطيع أن تعبر عن آرائها بطريقتها الخاصة ، ما لم تطلب تلك الطائفة من المؤتمر ذلك أو تسمح به .

اننى أتجاوز حدود اللياقة بأن اشير بأنه قد يكون من المفيد أن توجه طاقاتك الموفورة الى مشكلات العنصرية فى الداخل ادركا بأن اى تحسن في هذا المجال سوف يكون اسهاما فعالا فى النضال فى اى مكان آخر (٦٤) .

ان الموقف فى جنوب أفريقيا لا يكاد يسمح بالخوف من تفاقم الموقف الصعب بالفعل « بل على النقيض من ذلك ، على حد قول مستر أهارون مندلو عضو اللجنة التنفيذية لهيئة النواب اليهود » : ان يهود جنوب أفريقيا قد شاركوا أبناء جنوب افريقيا الآخرين فى السراء والضراء ونحن فخورون بأننا كنا دائما بمثابة جزء لا يتجزأ من مجتمع جنوب أفريقيا (٦٥) أما مقاومة المجلس اليهودى العالمى لأى هجوم على موقف الطائفة اليهودية فى جنوب أفريقيا ، فانه أمر يمكن ادراكه بسهولة على ضوء بيان كان قد اعلنه الدكتور اسرائيل جولد ستاين رئيس اللجنة التنفيذية الأمريكية للمؤتمر اليهودى العالمى . فقد اعلن رسميا بعد زيارة قام بها الى جنوب افريقيا فى أواخر ١٩٥٩ أن الطائفة اليهودية هناك هى « أكثر الطوائف اليهودية حيوية خارج اسرائيل ... وهى جديرة بمكانتها .. اذا ماقيست بمقاييس الارتباط بالمعبد والتعليم اليهودى والاخلاص للصهيونية الذى لا يشمل استجابتها لطلبات جمع الأموال لاسرائيل فحسب ، وانما يشمل أيضا الهجرة الى اسرائيل واستثمار الأموال فيها » (٦٦) . وقد نقلت ملاحظات الدكتور جولد ستاين فى كافة المطبوعات الرسمية المختلفة التى أصدرتها وزارة الاعلام فى جنوب افريقيا .

وقد صادفت الجهود التى بذلت لاقناع المنظمات اليهودية الأمريكية بالعدول عن ادانة التفرقة العنصرية نجاحا محدودا . على سبيل المثال، أكد المجلس اليهودى الأمريكى فى مناسبات مختلفة معارضته للسياسات العنصرية التى تنتهجها جنوب افريقيا . كما ان بعض النماذج البارزة من الأمريكيين اليهود ـ مثل مستر بيتر فايس رئيس مجلس ادارة اللجنة الأمريكية الخاصة بافريقيا الذى كرس على امتداد سنوات جانبا كبيرا

من وقته وطاقته لمحاربة التفرقة العنصرية ــ تعارض جهود المنظمات اليهودية والصهيونية فى جنوب افريقيا .

ومن ناحية أخرى فان البعض ، مثل صمويل هـ . وانج ، يضع صالح الطائفة اليهودية فى جنوب افريقيا فى المقام الاول ويقدر تأييدها لاسرائيل اكثر مما يقلل من شأن التفرقة العنصرية فى جنوب افريقيا . ومستروانج رجل واسع الثراء ، ويرعى بانتظام حملات اعلانية فى صحيفة نيويورك تايمز يؤيد فيها اسرائيل ويهاجم « الهمجية العربية » . وقد هاجم وانج المجلس اليهودى الامريكى لموافقته على اعلان نشرته اللجنة الامريكية الخاصة بافريقيا وينطوى على احتجاج على منح شركة طيران جنوب افريقيا حقوق الهبوط (٦٧) . واتهم وانج المجلس بأنه ــ استنادا الى موقفه من التفرقة العنصرية « يتصرف على نحو يتعارض مع المصالح اليهودية » .

« ان جهودكم ضد شركة طيران جنوب افريقيا هو مثال يمت بصلة وثيقة للموضوع ويبرر هذا الاتهام .

ان حملتكم على جنوب افريقيا ، التى تتحدث باسم يهود امريكا ، تضع الطائفة اليهودية البارزة فى جنوب افريقيا فى مأزق خطير .

ولا ريب ان هذه الحملة سوف تثير شعور العداء اليهود بين اغلبية مواطنى جنوب افريقيا الذين يساندون حكومتهم ويؤيدونها . ولا ريب ان يهود جنوب افريقيا المعروفين باخلاصهم لقضية اليهود، والذين هم فى الطليعة بما أسهموا به من احتياجات العالم اليهودى ، يستحقون مزيدا من الاهتمام من المنظمات اليهودية المسئولة (٦٨) .

وكان خوف جنوب افريقيا من الشيوعية بمثابة تكملة مبكرة للجهود الصهيونية . اذ أن القلق من تغلغل محتمل للنفوذ السوفيتى داخل افريقيا والخوف من قيام الشيوعية بتدمير النظام السياسى والاجتماعى للبلاد قد أدى الى استجابة مشجعة لترتيبات الدفاع عن الشرق الاوسط التى اقترحتها الكتلة الغربية . وكانت جنوب افريقيا ، طبعا لما اعلنه الدكتور مالان امامالجمعية التشريعية فى ابريل ١٩٥٢ ــ على اهبة الاستعداد للتعاون مع حلف شمال الاطلنطى والكومنولث ، لانشاء قيادة للشرق الأوسط « لمنع العدو من التقدم عن طريق الشرق الأوسط ، ومن غزو افريقيا عن طريق مصر فى حالة الحرب ... فما يحدث فى أقصى شمال افريقيا لا بد أن يؤثر علينا بالضرورة (٦٩) . وتوافقا مع هذا الاهتمام

ان لم يكن انعكاسا له ، قام موسى شاريت وزير خارجية اسرائيل بزيارة جنوب افريقيا .

وقد ادت اطاحة العسكريين بالحكم الملكى فى مصر فى يوليو ومبادرات حكومة عبد الناصر بعد ذلك فى مجال الوحدة الافريقيــة الى زيادة رعب جنوب افريقيا ، وزيادة اهتمامها بشئون الشرق الاوسط وشمال افريقيا .. واثناء ازمة السويس عام ١٩٥٦ امتنــع الاتحـاد عـن ادانة الغــزو الانجليزى الفرنسى الاسرائيلى لمصر على نحـو ملفت للنظـر . وقـد علق جيتندرا موهان بقوله : « ان بعض اعضاء الحزب الوطنى من الافريكان وجد فى ازمة السويس فرصة لتجديد ايمانه بالسياسات العنصرية التى ينتهجها الاتحاد . وقد تم هذا فى سياق ما كانت تتمتع به مصر عبدالناصر من تأييد عام بين غير البيض من شعوب افريقيا باعتبارها حامـلة لواء تحررها من الاوربيين (٧٠) » . وظلت صحف جنوب افريقيا تتخذ طوال ازمة السويس موقفا مؤيدا لاسرائيل .

وعلى الرغم من الهجوم الدبلوماسى الذى قامت به اسرائيل فى افريقيا السوداء فى فترة ما بعد عام ١٩٦١ ، فان بعض الأرقام الاقتصادية تكشف ان علاقات اسرائيل مع جنوب افريقيا لم تكن سيئة بالقدر الذى كانت الاتهامات الدبلوماسية المتبادلة ستحمل المرء على تصديقه . ففى الفترة بين عام ١٩٦١ وعام ١٩٦٧ ازدادت الصادرات الاسرائيلية الى جنوب افريقيا من ٤ر١ مليون دولار الى ٤ملايين دولار بينما بلغت الواردات ٣ر٣ مليون دولار فى سنة ١٩٦٧ (٧١) . ورغم ان تجارة اسرائيل مع جنوب افريقيا كانت جزء ضيئلا فقط من تجارتها الاجمالية ، فان جنوب افريقيا قد اصبحت فى سنة ١٩٦١ الشريك الرئيسى لاسرائيل فى افريقيا .

ويبدو انه كانت هناك جهود اخرى لاسترضاء افريقيا . فعلى سبيل المثال ، نشر بول جينيفسكى ، الكاتب الصهيونى الفرنسى الشهير ، كتابا بعنوان « وجها التفرقة العنصرية » فى سنة ١٩٦٥ قدم فيه نظرية جديدة تؤيد التفرقة العنصرية . واثبت جينيفسكى ان التفرقة العنصرية بمفهومها البانتوستانى ليست الا « صهيونية البانتو » التى تستطيع وحدها المحافظة على مصالح الافريقيين . وبعد ان اورد امثلة عديدة مشابهة للجهود الصهيونية فى فلسطين ، اكد جينيفسكى انه « لابد أن يظهــر من بين صفوف شعب البانتو نفسه الحالمون الذين سيحلمون بوحدة البانتو فى المستقبل وسوف يقودون الشعب نحو دولة تبعث من جديد ، مثل احلام هرتزل باقامة دولة يهودية وتحقيقه لهذه الاحلام » (٧٢) .

ومهما كان ما قد بقى من استياء جنوب افريقيا من اسرائيل ـ على المستوى الرسمى ـ حتى عام ١٩٦٧ ، فان حرب يونيو قد خففت من حدته . ففى فورة عاطفة التأييد لاسرائيل لم تسمح حكومة الدكتور فورستر للمتطوعين من جنوب افريقيا بالعمل فى وظائف مدنية وشبه عسكرية داخل اسرائيل فحسب ، وانما أفرجت عن ٢٨ مليون دولار مرسلة من الجماعات الصهيونية الى اسرائيل (٧٣) . وبعد فترة قصيرة أعلن المفوض التجارى الجديد لاسرائيل لدى جنوب أفريقيا توسيع البرامج القائمة ، وتعهدت مؤسسة جنوب افريقيا ، وهى اقدر المؤسسات الدعائية فى البلاد بتقديم العون المالى لانشاء لجنة مشتركة من اسرائيل وجنوب افريقيا تدعو الى البلاد رئيس تحرير صحيفة واسعة النفوذ ، واتخذت توصيات بتدعيم أواصر الروابط السياسية والاقتصادية بين اسرائيل وجنوب أفريقيا (٧٥) . وبالاضافة الى ذلك ، قامت اسرائيل بتدعيم برامج التنمية التى تضطلع بها فى ليسوتو وبوتشوانا وسوازيلاند ومالاوى ، وهى دول كان نفوذ جنوب أفريقيا مهيمنا عليها تقريبا . وقد عقد الامل على أن تقوم هذه الدول بدور « ملطف » بين جنوب أفريقيا وجيرانها السود فى الشمال فضلا عن تأييد السياسات الاسرائيلية فى مناقشات الأمم المتحدة .

قصارى القول ، ان جنوب افريقيا وجدت ما يدعوها الى تجاهل سياسات اسرائيلية معينة كما وجدت اسرائيل ما يدعوها الى رعاية صداقة جنوب افريقيا بوسائل عملية وان لم تكن مثيرة .

خاتمة :

ناقش مختلف الكتاب معضلة الطائفة اليهودية فى جنوب أفريقيا باعتبارها صراعا بين الضمير والواقعية السياسية . ويرى البروفيسور ادوارد فايت أن من اليسير على الآخرين أن يطالبوا الطائفة اليهودية بالقيام بحركات بطولية ، وهى على بعد آلاف كثيرة من الأميال . ولكن هذه الطائفة هى التى قد تشعر بعداء الحكومة الصريح (٧٦) . وعلى الرغم من النواحى الأدبية ، يتبقى ان المرء لا يمكنه مناقشة المسألة وكانه ينبغى اقرار سياسة بديلة وانه لو حدث أن نشب صراع ذو مغزى بين بين الضمير والواقعية السياسية ، لكانت المقاومة قصيرة الأجل تماما . وعلى حد قول الحاخام ميللر ، وهو حاخام امريكى للطائفة اليهودية الاصلاحية خدم فى ديربان ستة عشر عام ، كان اى حاخام يؤيد أو يشارك فى نشاط صريح يتعلق بالحقوق المدنية يفقد وظيفته بين عشية وضحاها.

وقد قال الحاخام ميللر : « لقد ذهبت الى جنوب افريقيا لكى اخدم الطائفة اليهودية ، لا لكى استشهد . ان قوانين الولايات المتحدة وتفسيرات المحكمة العليا تؤيد الاندماج العنصرى على قدم المساواة ، ولذلك فانه لا يطيع المشتركون فى حركة الحقوق المدنية ضميرهم وتفسيرهم للديانة اليهودية فحسب ، وانما هم فى الوقت نفسه مواطنون صالحون وهذا الوضع غير موجود فى جنوب أفريقيا لأن قوانينها تؤيد التنمية المنفصلة». وعلق الدكتور ميللر أيضا بقوله انه يعتزم أن يعيش فى جنوب أفريقيا ثلاث سنوات أخرى ثم يرحل بعد ذلك الى اسرائيل (٧٧) » .

الا انه من المشكوك فيه بصورة كبيرة أن يكون من الممكن ، بحسب تفكير الأغلبية السوداء فى جنوب افريقيا ، أن تطغى المصلحة الشخصية لاية طائفة بيضاء ــ ولا سيما المصالح التى تدار من الخارج وتنتج من استغلال العمال السود فى البلاد ــ على القواعد الأدبية للحياة فى جنوب افريقيا . بل انه مما يبدو أقل قبولا أن يصرف اليهود فى جنوب افريقيا انظارهم عن الظلم العنصرى الصارخ فى البلاد وان عليهم بعد ذلك ــ اذا ما تطلبت الضرورة ــ أن يهاجروا الى اسرائيل . فالطائفة اليهودية فى جنوب أفريقيا ، فى نظر السود من ابناء جنوب أفريقيا ، تقاسم الجماعات المهيمنة فى البلاد نفس العبء وسوف تشاركها بالتالى مصيرها . ومع التسليم بالوضع الذى عبر عنه الحاخام ليفى ا. أولان ، رئيس المؤتمر المركزى للحاخامات الامريكيين ، من ان الكنائس المسيحية قد فشلت فى القيام بواجبها الأدبى « لتأييد اسرائيل فى صراعها من أجل البقاء (٧٨) . مع التسليم بذلك لن يكون من غير المعقول الاعتقاد بأن الافريقيين فى جنوب افريقيا سوف يرفضون اطارا أدبيا للطائفة اليهودية التى تعمل دون اشارة الى تصميمها على البقاء والمطالبة بما هو من حقها .

وبمعنى أوسع ، تطرح العلاقة المتبادلة بين الصهيونية والتفرقة العنصرية واسرائيل تطرح مشكلات الأخلاقيات الأساسية التى ستكون ذات اهمية أكبر بالنسبة للامريكيين السود ، لا عندما يفكرون مليا فى علاقاتهم بالنواحى الأدبية والسياسية للعلاقات بين الاسرائيليين وعرب فلسطين فحسب وانما عندما يؤكدون اهتمامهم بحرمان الأغلبية السوداء فى جنوب افريقيا من حقوقها الاساسية .

ملاحظات

(١) ا. كيبل جونز ، عندما يرحل سمطس (بيتر ماريتزبرج : شتروشوتر ، ١٩٥٠) صفحة ٣١ .

(٢) ليونارد م . طومسون ، السياسة فى جمهورية جنوب افريقيا (بوسطن وتورنتو : دار نشر ليتل وبراون وشركائهما ، ١٩٦٦) صفحة ١٥٧ .

(٣) د.ج. وايسبورد ، ((ازمة يهود جنوب افريقيا)) مجلة الدراسات العصرية ، المجلد الخامس (سبتمبر ١٩٥٧) صفحة ٢٣٤ — ٢٣٥ .

(٤) برنارد ساكس ، ((جنوب افريقيا ، الحياة فوق بركان ، الطائفة اليهودية فى مجتمع الطبقة المغلقة مجلة كومنتارى المجلد التاسع (يونيو ١٩٥٠) صفحة ٥٣٠ .

(٥) المرجع السابق ، صفحة ٥٣٢م .

(٦) دان خاكوبسون ((يهود جنوب افريقيا : صورة طائفة مزدهرة)) مجلة كومنتاري المجلد الثالث والعشرون (يناير ١٩٥٧) صفحة ٣٩ .

(٧) المرجع السابق .

(٨) اندريه أونجار ((تنازل طائفة)) ، افريقيا الجنوبية ، المجلد (يناير — مارس ١٩٥٩) صفحة ٢٩ — ٣٠ .

(٩) ساكس ، صفحة ٥٣٢ .

(١٠) أونجار ، صفحة ٣١ ، ٣٢ .

(١١) ساكس ، صفحة ٥٣٣ .

(١٢) ساره ج. ميلين ، شعب جنوب افريقيا (نيويورك : الفريد نويف ، ١٩٥٤) صفحة ٢٣٦ .

(١٣) رغم أن الحكومة البريطانية كانت قد وعدت بهجرة يهودية غير محدودة الى فلسطين فى تصريح بلفور الصادر سنة ١٩١٧ ، فانه فى أواخر الثلاثينات أدى تناقض هذا الوعد (أى ((وليكن مفهوما بجلاء أنه لن يتم شىء من شأنه الاخلال بالحقوق المدنية والدينية للجماعات غير اليهودية المقيمة فى فلسطين ...))) كما ادت متطلبات استراتيجية بريطانيا فى الشرق الاوسط الى انقلاب هذه السياسة . فوعد الكتاب الابيض الذى أصدرته حكومة ماكدونالد سنة ١٩٣٩ بهجرة يهودية محدودة مما يكفل اغلبية للعرب . قارن ريتشارد ب. ستيفنس ، الصهيونية الامريكية والسياسة الخارجية الامريكية من ١٩٤٢ — ١٩٤٧ (نيويورك : بيجابت برس ، ١٩٦٢) صفحة ٧٨ .

(١٤) ادوين س. مونجر ، ((اليهود والحزب الوطنى)) (نيويورك ، دار فيلد للنشر ١٩٥٦) صفحة ٧٨ .

(١٥) مجلة الترنسفالى ، عددها الصادر فى ٣٠ اكتوبر ١٩٤٧ ، ما ترجمه الكسندر هيبل ونقله فى كتابه : فيروورد (بالتيمور : دار بنجوين للنشر ١٩٦٧) صفحة ٢٢٦ .

(١٦) لسلى روبين ، « قومية الافريكان واليهود » مجلة افريقيا الجنوبية المجلد الاول ، العدد الثالث (ابريل . يونيو ١٩٧٢) صفحة ٢٩ .

(١٧) وايسبورد ، صفحة ٢٣٥ .

(١٨) كان الجنرال سمطس ، ممثل الاتحـــاد فى المجلس الامبراطورى للحرب ، من مؤيدى الصهيونية منذ سنة ١٩١٩ . وعلاقاته بوايزمان والصهيونية قد صورها جوستاف سارين ولويس هوتز فى كتابهما : اليهود فى جنوب افريقيا (كيب تاون ولندن ونيويورك : مؤسسة جامعة أوكسفورد للنشر ، ١٩٥٥) صفحة ٢٨١ وما بعدها . وقد هرع الى لندن عشية الانتخابات العامة ليحضر الاحتفال بعيد ميلاد صـــديقه القديم الدكتور وايزمان . فارن ووكر صفحة ٧٨٨ .

(١٩) روبين صفحة ٣١ .

(٢٠) الايك ا. ووكر ، تاريخ افريقيـــا الجنوبية (لنـــدن ، دار لونجمـــان وجرين وشركائهما ، ١٩٦٥) صفحة ٧٧٢ .

(٢١) وايسبورد صفحة ٢٣٦ .

(٢٢) هنرى كاتزو ، « اليهود فى بلاد التفرقة العنصرية » مجلة ميد ستريم ، المجلد الثامن (ديسمبر ١٩٦٢) صفحة ٦٨ .

(٢٣) ا. فايت « طائفة فى مازق : الطـــائفة اليهودية فى جنوب افريقيـــا والتفرقة العنصرية ، مجلة الجنس المجلد الثامن (ابريل ١٩٦٧) صفحة ٤٠٦ .

(٢٤) ادين مونجر « الافريكان والقومية الافريقية : التماثل والتغير فى جنوب افريقيا (لندن ، مؤسسة جامعة اوكسفورد للنشر ١٩٦٧) صفحة ٢٠ .

(٢٥) كيب تايمز ، العدد الصادر فى أول يونيو ١٩٥١ .

(٢٦) هيبل ، صفحة ٢٢٧ .

(٢٧) ووكر صفحة ٩٢٢ .

(٢٨) جوليوس ليوين « التهدئة فى جنوب افريقيـــا » مجلة الامة المجلد ١٨٢ (١٤ ابريل ١٩٥٦) صفحة ٢٩٤ .

(٢٩) هيبل ، صفحة ٢٢٧ .

(٣٠) ساوث افريكان سكوب « المجلد الثانى » ، العدد السادس (يونيو ١٩٥٩) .

(٣١) كاتزو صفحة ٦٨ .

(٣٢) المرجع السابق صفحة ٦٩ .

(٣٣) المرجع الســـابق .

(٣٤) المرجع السابق صفحة ٧٠ .

(٣٥) المرجع الســـابق .

(٣٦) المرجع السابق صفحة ٦٨ .

(٣٧) المرجع السابق صفحة ٧٢ .

(٣٨) الحاخام م.سي. وايلر . من خطاب امام المؤتمر الدولى الثامن للاتحاد العالمى لليهودية التقدمية ، لندن ، سنة ١٩٥٣ . أورده فلسك فى مجموعة وثائقه صفحة ١٨٠ .

(٣٩) جريس كرونيكل (لندن) ٢ سبتمبر ١٩٦٢ .

(٤٠) سارون وهرتز ، المرجع السابق .

(٤١) المرجع السابق ، صفحة ٢٨٣ وما بعدها .

(٤٢) المرجع السابق .

(٤٣) جاكسويسون ، صفحة ٤٣ .

(٤٤) المرجع السابق .

(٤٥) المرجع السابق صفحة ٤٥ .

(٤٦) دان جاكويسون ورونالد سيجال « التفرقة العنصرية ويهود جنوب افريقيا : » مناظرة ، مجلة كومنتارى المجلد ٢٤ (نوفمبر ١٩٥٧) صفحة ٤٢٥ .

(٤٧) المرجع السابق .

(٤٨) المرجع السابق صفحة ٤٣٠ .

(٤٩) المرجع السابق صفحة ٤٢٩ .

(٥٠) قارن : صمويل ديكالو ، « السياسة الخارجية الاسرائيلية والعالم الثالث » دورية أوربيس المجلد الحادى عشر (خريف ١٩٦٧) صفحة ٧٢٤ ـ ٧٤٥ .

(٥١) نقل هنرى كاتزو فى مقاله « جنوب افريقيا ، بلد بلا أصدقاء » المنشور فى مجلد ميدشريم (بالعدد الصادر فى ربيع ١٩٦٢) صفحة ٦٣ عن مستر هارولد سورف ، الذى اوفد الى مجلس الرابطة الانجليزية اليهودية فى نوفمبر ١٩٦٢ : « لقد كان من سوء الفهم تماما .. اعتبار الاجراء الاسرائيلى موقفا أدبيا . ذلك أن الدبلوماسيين الاسرائيليين كانوا قد زاروا الدول الافريقية الناشئة ، وكانوا يسعون الى الحصول على تأييد هذه الدول ضد العرب فى الامم المتحدة . وكان من حقهم تماما ان يفعلوا هذا ، ولكن النظر الى هذا العمل على اعتبار انه يستند الى اسس ادبية كان محاولة لتلطيف اثره السيء » . الجويش كرونيكل (لندن) ٣٠ نوفمبر ١٩٦٢ .

(٥٢) المنقول عن المرجع السابق لصفحة ٧٢ .

(٥٣) المنقول عن المرجع السابق صفحة ٧٤ .

(٥٤) صحيفة راند ديلى ميل ، ٢٣ نوفمبر ١٩٦١ .

(٥٥) كاتزو ، صفحة ٧٦ .

(٥٦) كاتزو ، صفحة ٧٤ .

(٥٧) المرجع السابق صفحة ٧٤ - ٧٥ .

(٥٨) المرجع السـابق .

(٥٩) ساوث افريكان جويش تايمز ، ٩ سبتمبر ١٩٦٦ .

(٦٠) صحيفة راند ديلى ميل ، ١٢ سبتمبر ١٩٦٦ .

(٦١) المرجع السـابق .

(٦٢) جويش كرونيكل (لندن) ديسمبر ١٩٦٢ .

(٦٣) اندريه اونجار « لمحة عن حياة رجل عنيـد » مخطوطة لم تنشر أوردها فلسك ضمن مجموعة وثائقه .

(٦٤) رسالة من موريس ل. برلزفايج الى فريتز فلسك فى ٥ ابريل ١٩٦٣ .

(٦٥) صحيفة راند ديلى ميل ٢ يوليو ١٩٦٤ .

(٦٦) ساوث افريكان سكوب المجلد الثانى ، العدد الثامن (سبتمبر ١٩٥٩) .

(٦٧) صحيفة نيويورك تايمز ٢٨ مايو ١٩٦٩ .

(٦٨) صحيفة نيويورك تايمز ٦ يونيو ١٩٦٩ .

(٦٩) المرجع السابق ، قارن جيتدرا موهان ، جنـوب أفريقيا وازمة السـويس انترناشيونال جورنال (خريف ١٩٦١) المجلد السادس عشر . صفحة ٣٣٢ .

(٧٠) موهان صفحة ٣٣٣ .

(٧١) اسرائيل ، المكتب المركزى للاحصاء ، فكرة احصائية عن اسرائيل ١٩٦٨ العـدد التاسع عشر صفحة ٢١٢ .

(٧٢) بول جينيفسكى ، وجهـا التفرقة العنصرية (شـيكاغو : دار هنـرى ريجبزى للنشر ، ١٩٦٥) صفحة ٣٤٩ .

(٧٣) ملخص تحقيق صحفى ، صحيفة جنوب افريقيا ، ١٥ اغسطس ١٩٦٨ الصفحة الثـالثة .

(٧٤) نيوزتشيك ، ٢٢ مارس ١٩٦٨ .

(٧٥) المرجع السـابق .

(٧٦) ا. فايت « طائفة فى مازق : الطـائفة اليهودية فى جنوب افريقيـا والتفرقة العنصرية » مجلة الجنس المجلد الثامن . العدد الرابع (ابريل ١٩٦٧) صفحة ٣٩٩ .

(٧٧) ناشيونال جويش فاكت اند اوبينيون ، ١٥ يوليو ١٩٦٦ .

(٧٨) نيويورك تايمز ١٧ يونيو ١٩٦٩ .

٣ ـ اسرائيل وجنوب افريقيا : نضج رابطة (*)
بقلم عبد الوهاب م . المسيرى

ان النظر الى اسرائيل فى سياق قاصر على العرب وحدهم هو اغفال لما خلفه قيام الدونة الصهيونية من أثر أوسع على المسرح الأفريقى الآسيوى . فلقد كان بن جوريون ، أحد كبار الصهاينة وأول رئيس وزراء لاسرائيل ، يؤمن ايمانا راسخا بأن ولاء اسرائيل ، من وجهة نظر بقائها وأمنها ، يتطلب منها ان تضع « صداقتها للدول الأوربية » فى مكانة أسمى كثيرا من « العواطف المجردة التى تسود بين الآسيويين » (١) .

هذا الاعتراف الواقعى بتطابق المصالح يشكل الأساس للبيان الذى لخص فيه أشربن حرارى ، عضو الكنيست وعضو وفد اسرائيل فى الجمعية العامة للامم المتحدة سنة ١٩٥٥ ، انجازات اسرائيل فى الأمم المتحدة ، حيث اكد أن : « التطور البالغ الأهمية الذى تم لمصلحة اسرائيل هو ما لحق بدول مؤتمر باندونج من هزيمة فى سنة ١٩٥٥ فى كل مسألة عرضت على الجمعية العامة » (٢) .

وانسجاما مع نظرتها الواقعية لولاءاتها الأساسية ازاء جيرانها الأفريقيين والآسيويين اتبعت اسرائيل ـ بنشاط ـ السياسات الاستعمارية التى وضعتها أصلا من أجلها .

ومع ذلك ، من الممكن تبين اهداف الاستعمار الاستيطانى الصهيونى واهتماماته الأساسية تماما من انعام النظر بدقة فى الروابط القوية التى تربطه بجنوب أفريقيا والتى يرجع عهدها الى بداية المشروعين الاستعماريين. فلقد كانت الشخصيات السياسية التى تبنت تصريح بلفور هى نفسها التى ساعدت على اصدار قانون اتحاد جنوب أفريقيا . ولم يفت مؤرخوالصهيونية وكتابها أن يلاحظوا الصلة بين المفهومين . فيلاحظ كاتب مادة « جنوب أفريقيا » فى الموسوعة اليهودية مثلا ، أن « فكرة الصهيونية قد نالت ، منذ بدء ظهورها ، رضا وتفهما من الطوائف غير اليهودية فى جنوب أفريقيا ، ولا سيما بعض السكان الناطقين باللغة الافريكانية » (٣) . وأن « جهوداليهود

(*) من كتاب يظهر قريبا للمؤلف بعنوان ، ارض الميعاد : نقد لفكرة الصهيونية .

للعودة الى أرض الميعـــاد » قد أثرت دائما فى نفوس الافريكان الذين يتميزون بشدة تدينهم . اذ يميل الافريكان ، على حد قول اسحق أونا سفير اسرائيل فى جنوب افريقيا بحكم اخلاصهم لمذهب كالفين وستغراقهم فى قراءة « العهد القديم » ، الى تشبيه تجربة هجرتهم وتوطينهم فوق الأرض الافريقية بخروج اليهود من مصر وتأسيسهم فى النهـاية لدولة صهيونية فى فلسطين (٤) .

ان مثل هذه النظرة اللاهوتية التاريخية ذات مفهومات سياسية ضمنية تتجلى فى حقيقة أن الأفريكان ، منـذ أيام الاستيطان الأولى حتى الوقت الحاضر ، يرون أن أهدافهم السياسية والثقافية مماثلة تماما « لنضال اليهود من أجل البقاء » (٥) . وقد أكد مؤخرا رئيس الوزراء فورستر هذه النقطة واضحة عنـدما أعلن أن على كل من جنوب أفريقيـا واسرائيل أن « تتعامل مع الارهابيين خارج الحدود » وأن « تقاتل أعداء مصممين على تدميرها » (٦) .

ويضرب المتحـــدثون الرسميون فى كلا البلدين على وتر واحد دائما ويتمثل فى موضوع « البقاء » ويؤكدون على ضرورة اتخـاذ اجراءات « دفاعية » ، بينما يتجاهلون فى الوقت نفسه الظروف التى كانت سببا فى النزاع الذى يعتبرونه تهـديدا لوجـودهم . وتؤمن كلتـا الدولتين الاستيطانيتين بأن بقاءهما مرهون بقدرتهما على تسديد ضربات انتقامية سريعة بحرا أو جوا أو برا على اتخاذ ما تعتبرانه ملائما من اجـراءات وقائية . فعندما هدد رئيس الوزراء فورستر بتوجيه ضربات «انتقامية» وقائية الى زامبيا وتنزانيا « نوه باسرائيل باعتبارها مثالا للتكتيكات التى قد تستخدمها جنوب افريقيا ضد جيرانها » (٧) .

ويرى الجنرال الاسرائيلى ماتياهوبيليد أن ادراك التشابه بين الدولتين يشغل فيما يبدو التفكير الاسرائيلى الى حد يميل معه كثير من الاسرائيليين الى المبالغة فيه . ومن المهم أن هذا التطابق فى الموقعين ، الذى يمكن المبالغة فيه أو التهوين من شأنه ، قد اعترف به اعترافا رسميا تقريبا أثناء زيارة مستر فورستر لاسرائيل . فقد اشار رئيس وزراء جنوب أفريقيا الى أن دولتى التفرقة العنصرية والصهيونية تتمتعان « بأوجه شبه فى أمثلة كثيرة تبدأ من الظروف المناخية فصاعدا » . وأكد رئيس الوزراء الصهيونى ذلك بأن « دعا الى الحاضرين الى شرب نخب مستر فورستر » ، كما أعرب عن تأييد اسرائيل « للجهود التى تبذلها جنوب أفريقيا لتحقيق الوفاق فى جنوب افريقيا بدون تدخل وتهديد من الخارج » (٨) . والأمر الذى لم يرغب رئيسا حكومتى البلدين فى أن يمعنا النظر فيه هو شبه التطابق الملحوظ فى مسائل

تتصل بوجهات نظرهم الدينية والعنصرية او بتحديد الهوية ، وطرد السكان الوطنيين واغتصاب الأرض ومختلف الأعمال الأخرى التى تعتبر من السمات المشتركة للدول الاستعمارية الاستيطانية المحاطة بانظمة وطنية .

ان هذا الاعتراف بتطابق منشأهما وظروفهما قد حفز اسرائيل وجنوب افريقيا الى تنمية مختلف وسائل التعاون بينهما على المستوى السياسى والاقتصادى والعسكرى . وربما كانت روابط التعاون فى المجال الأول هى اقدم الروابط الثلاث وان لم تكون بالضرورة اقواها .

ففى مقالة نشرت بمجلة الشئون اليهودية ينوه .ن . كيرشنر ، أحد الصهاينة البارزين فى جنوب افريقيا ، بأن أبطال جنوب افريقيا الوطنيين من امثال الجنرال لويس بوتا والجنرال سمطس وهرتزوج ، من المؤيدين المتحمسين للقضية الصهيونية والمدافعين الغيورين عليها . وتوضح أيضا مقالة بعنوان « الصهيونية واتحاد جنوب أفريقيا » ، أن تيلمان روس نائب هرتزوج قد بذل جهودا ناجحة من وراء الكواليس لتأييد « اعلان جنوب افريقيا الموالى للصهيونية » الذى صدر فى سنة ١٩٢٦ (٩) . ويقول كاتب المقال ان الجنرال جان كريستيان سمطس من أبرز الصهاينة غير اليهود وانه صديق العمر لوايزمان . ولقد ذكر وايزمان ، فيما بعد ، حماس سمطس للشروع الصهيونى والجهود التى بذلها لصالح الصهيونية ، وذلك خلال احدى اللحظات الحرجة فى تاريخ الصهيونية . ففى سنة ١٩٤٨ التمس الزعيم الصهيونى التأييد من سمطس . وكما هو متوقع ، اعترفت حكومة جنوب افريقيا بالدولة الصهيونية اعترافا على اساس الأمر الواقع (١٠) . وعلى الرغم من أن سمطس استقال وحل محل حزبه فى الحكم ، فى نهاية الأمر الحزب الوطنى المؤيد للنازية والذى كان احدى المراحل بمنع اليهود من الانضمام الى عضويته ، على الرغم من ذلك استمرت جنوب افريقيا فى تأييد اسرائيل (١١) . وفضلا عن ذلك ، منحت اسرائيل معاملة تفضيلية بمقتضى قواعد الرقابة على النقد الأجنبى المطبقة فى البلاد ، كما اعترفت جنوب أفريقيا باسرائيل اعترافا قانونيا (١٢) . وعندما تقدمت اسرائيل بطلب للانضمام الى الأمم المتحدة اقترعت جنوب افريقيا بالموافقة على هذا الطلب ، مؤيدة اسرائيل « فى عدد من المسائل اللاحقة المطروحة فى تلك الساحة » (١٣) .

وفى سنة ١٩٥٠ ، بعد مرور عامين على قيام الدولة الصهيونية ، قام موسى شاريت رئيس وزراء اسرائيل فى ذلك الوقت بزيارة جنوب أفريقيا .

وبعد مرور ثلاث سنوات على تلك الزيارة كان رئيس وزراء جنوب أفريقيا ، رانييل ف . ملان أول رئيس حكومة يقوم بزيارة اسرائيل وعاد الى بلاده حاملا معه رسالة بأنه من الممكن أن تكون اسرائيل مصدر الهام لدولة التفرقة العنصرية (١٤) .

وتوترت العلاقات نسبيا بين جنوب أفريقيا واسرائيل خلال فترة التودد بين هذه الأخيرة وعدد من الدول الافريقية . فأثناء تلك المرحلة اقترعت اسرائيل عدة مرات ضد جنوب افريقيا فى الأمم المتحدة . وقد انتهى هذا الجمود فى العلاقات بين الدولتين تحت ضغط الواقع ، وهكذا شهدت السنوات العشر الأخيرة تحسنا تدريجيا فى العلاقات بلغ ذروته برفع العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين الى مستوى سفارة (١٥) . فليس من المبالغة ان نؤكد أن الرابطة بين جنوب أفريقيا واسرائيل قد أصبحت عضوية تقريبا . اذ انشئت لجنة « وزارية تمثل كلتا الدولتين » ، وسوف تجتمع سنويا « لمناقشة الاستثمار وزيادة التجارة والتعاون العلمى والصناعى والمشروعات المشتركة لاستغلال الطاقة البشرية الاسرائيلية والمواد الخام فى جنوب افريقيا (١٦) » . وقد اشارت صحيفة الجيروزاليم بوست أن اسرائيل هى « أول دولة أقامت معها جنوب أفريقيا لجنة وزارية مشتركة لتنشيط التعاون الاقتصادى (١٧) » .

ولقد ترجم التعاون السياسى الى أشكال اقتصادية وعسكرية أكثر مباشرة . فقدمت الطائفة اليهودية الضخمة فى جنوب أفريقيا ـ التى وصفتها احدى الصحف الاسرائيلية بأنها « واحدة من اكثر الطوائف الميالة الى الصهيونية والمؤيدة لها نشاطا فى العالم (١٨) » . ـ مساعدات هامة للاستعمار الاستيطانى الصهيونى » ، وكانت مساعدتها المالية ذات قيمة كبرى لاسرائيل « فمنذ سنة ١٩٢٦ » احتلت جنوب افريقيا المكانة الثانية فى العالم (بعد الولايات المتحدة) فى جمع الأموال ... وكانت تبرعاتها المالية ، على المستوى الفردى .. هى الأضخم الى حد بعيد (١٩) » . ولقد شعر وايزمان ، خلال الزيارة التى قام بها فى الثلاثينات لجنوب أفريقيا ، بالارتياح البالغ للنتائج التى حققتها هذه الزيارة والتى كانت على حد قوله : « كبيرة تماما من الناحية المالية (٢٠) » .

وفى سنة ١٩٦٢ تراخى تدفق الأموال الصهيونية ، اذ اقدمت حكومة جنوب افريقيا ، انتقاما منها من تصويت اسرائيل فى الأمم المتحدة ضد التفرقة العنصرية ، على الغاء الامتيازات الخاصة التى كانت قد منحتها قبل ذلك لتيسير تدفق الأموال الى اسرائيل الا أن هذا الحظر رفع بعد سنة ١٩٦٧ ووضعت من جديد قواعد خاصة تسمح للاتحاد الصهيونى فى بريتوريا

بتحويل بعض الأموال التى يجمعها . ولا يزال هذا الاجراء نافذ المفعول ، ومن المعتقد انه قد حول الى اسرائيل خلال حرب ١٩٧٣ ما يقدر بثلاثين مليون دولار (٢١) . وقد أعلن السفير الاسرائيلى فى جنوب افريقيا فى هذا الخصوص أن يهود جنوب أفريقيا يتمتعون بذلك « بامتياز » خاص لأن القواعد المنظمة للعملة تمنع مثل هذه التحويلات المالية بهدف منع هروب راس المال (٢٢) .

وتؤثر أموال صهيونى جنوب أفريقيا فى كل مستويات المجتمع الاسرائيلى لأنها تصب فى أماكن غير متصلة وغير متوقعة مثل معمل الطفيليات بالجامعة العبرية و « أول مدينة سكنية للطالبات بها (٢٣) » .

ومع اهمية التبرعات المالية المباشرة ، لا تقارن — فى اهميتها — باستثمارات يهودجنوب أفريقيا فى اسرائيل . ففى سنة ١٩٢٢ أنشأ صهيونيو جنوب أفريقيا شركة بنيان للرهن العقارى عملت على تزويد المستوطنين الصهيونيين من جنوب افريقيا بالمساكن وساهمت فى تنمية حيفا بعد سنة ١٩٤٨ . وقد اندمجت الشركة بعد ذلك مع شركة مجدال للتأمين وتكونت منهما أكبر شركة للتأمين فى اسرائيل . وقد ساهمت أموال صهيونى جنوب أفريقيا أيضا فى تنمية ميناء عسقلان الذى تم تسليمه حينذاك الى الحكومة الاسرائيلية . وقد نشأت شركة للاثاث وشركة اسرائيلية للشحن البحرى ، وشركة العال الاسرائيلية عن مشروعات قامت بها جنوب أفريقيا أو قام بتمويلها الصهيونيون فى جنوب أفريقيا (٢٤) .

وبالاضافة الى المساعدة التى تقدمها الطائفة اليهودية الصهيونية فى جنوب افريقيا هناك علاقةاقتصادية مباشرة بين الصهيونية والتعرقةالعنصرية على المستوى الحكومى . فقد ادت الحاجة الى تقوية العلاقات بينهما الى انشاء « رابطة اسرائيل — جنوب أفريقيا للتجارة فى أبريل ١٩٦٨ لتنشيط التجارة بين البلدين » . وفى شهر يونيو من نفس السنة (٢٥) عين مفوض تجارى اسرائيلى فى جنوب افريقيا .

وبتدعيم الروابط التجارية ، بدأت صادرات اسرائيل الى جنوب أفريقيا فى التوسع فزادت جملتها عن ٢٨ر٧ مليون دولار فى سنة ١٩٧٤ . وخلال تلك السنة باعت جنوب افريقيا لاسرائيل سلعا بلغت قيمتها ٤٣ر١ مليون دولار (هى زيادة ضخمة بالنسبة لأرقام سنة ١٩٦٥ التى بلغت ٢ر٧ مليون دولار للصادرات ، ٤ر٣ مليون دولار للواردات) . وتستورد صناعة صقل الماس ، التى تمثل ٣٤٪ من جملة الصادرات الاسرائيلية ، المواد الخام التى تحتاج اليها من جنوب أفريقيا والتى تجعل دولة التفرقة العنصرية « شريكة

اسرائيل الأولى فى التجارة (٢٦) . » ولا تتضمن احصـائيات التجارة بين البلدين أرقام واردات وصادرات الماس لأن المبيعات تتم عن طريق احدى الوكالات التى تتخذ لندن مقرا لها .

وقد ازداد التعاون الاقتصادى بعد زيارة فورستر الاسرائيل ، شانه فى ذلك شأن كافة نواحي التعاون الأخرى بين البلدين . ومن المعتقد انالدولتين سوف تشتركان معا فى بناء « خط حديدى ومصـنع » لدلفنة « الصلب ومحطة لتوليد الكهرباء بالطاقة المائية تستخدم مياه البحر الأبيض المحولة الى البحر الميت (٢٧) » . كما تقدمت اسرائيل بدورها بطلب لشراء كميات ضخمة من الفحم من جنوب أفريقيا .

والمنتجات نصف المصنوعة التى تستوردها اسرائيل من جنوب أفريقيا ذات أهمية خاصة اذ يتم تجهيزها فى اسرائيل لكى يعاد تصديرها الى الدول الافريقية التى تفرض حظرا تجاريا على جنوب أفريقيا (٢٨) . وقد أشار بنيامين وبنستاين رئيس وفد جنوب أفريقيا فى مؤتمر أصحاب الملايين الى أن شركات جنوب أفريقيا تستخدم اسرائيل « كقاعدة مفيدة للغاية » لتفادى العقوبات التى تفرضها الدول الأفريقية . وبعد أن أفصح عن خطة لانشاء مصنع للنسيج فى اسرائيل اضاف قائلا أن المشروع المذكور آنفا « كان خطوة أولى فقط من ست أو سبع خطوات فى الطريق » . وربما كان لذلك السبب يتوقع ان يستثمر رجال الأعمال فى جنوب أفريقيا أموالهم فى اسرائيل « حتى أقصى حد تفرضه حكومتهم (٢٩) » . وتؤكد أيضا صحيفة راند ديلى ميل الصادرة بتاريخ ١٤ ابريل ١٩٧٦ القصة الخاصة باقامة صناعات لانتاج سلع كاملة الصنع ، تضيف بدورها انها ليست وسيلة لتفادى الحظر الذى تفرضه أفريقيا فحسب وانما هى أيضا وسيلة « للافادة من اتفاقيات حرية التجارة المعقودةبين اسرائيل وكلمن المجموعةالاقتصادية الأوروبيةوالولايات المتحدة (٣٠) » .

أما العلاقة العسكرية بين الدولتين ، وهى مجال آخر للتعاون ينمو نموا سريعا فيرجع تاريخها الى سنة ١٩٤٨ عندما قاتل المتطوعون الصهيونيونمن جنوب أفريقيا بجانب المستوطنين الصهيونيين فى فلسطين . ونقلا عن مصادر صهيونية واسرائيلية ، ساهمت الطائفة اليهودية الصغيرة فى جنوب أفريقيا، فى المجهود الحربى الاسرائيلى ، بلغة المتطوعين المهرة ، أكثر من اية دولة أخرى فى العالم (٣١) . ومن الجدير بالذكر فى هذا الصدد أن أول طيـار يسقط فى المعركة فى سلاح الطيران الاسرائيلى كان متطوعا من جنـوب

افريقيا (٣٢) . ويصدق نفس القول بالنسبة لحربى عام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧ ، اذ تطوع خلالهما عدد كبير من الصهيونيين من جنوب أفريقيا وقاتل عدد منهم بالفعل مع القوات الاسرائيلية .

وقد كتب سى.ل. سولزبيرجر فى صحيفة نيويورك تايمز بعددها الصادر بتاريخ ٢٨ أبريل ١٩٧١ يقول انه علم بصورة غير رسمية أن بعثة من جنوب افريقيا قد سافرت بطريق الجو الى اسرائيل أثناء حرب ١٩٦٧ « لدراسة التكتيكات واستخدام الأسلحة . « ونالت الحرب بعد ذلك اهتماما كبيرا فى الأدب العسكرى لجنوب أفريقيا . وقام كثير من القادة الاسرائيليين وكبار المسئولين فى وزارة الدفاع ، مثل الجنرال موردخاى هود قائد سلاح الطيران الاسرائيلى ووزير الدفاع شيمون بيرنز بزيارة بريتوريا . والقى هود خطابا أمام نخبة من الضباط بكلية الطيران ، واجتمع شيمون بيريز ـ وكان يشغل حينذاك منصب سكرتير حزب العمل الحاكم ، كما كان عضوا بلجنة الشئون الخارجية والدفاع ، لوزير دفاع جنوب افريقيا (٣٣) .

وشهدت حرب ١٩٧٣ تعاونا أوسع مدى أيضا ـ فقد اشترك ١٥٠٠ يهودى ممن ينتمون الى جنوب أفريقيا فى القتال الفعلى ، وكان هناك ٨٠٠ من هؤلاء اليهود ضمن الوحدات التى عبرت قناة السويس (٣٤) . وأسقطت طائرة مقاتلة واحدة ، على الأقل ، تابعة لجنوب أفريقيا فوق قناة السويس .

والتعاون فى مجال صناعة السلاح قوى تماما . ويبدو ان الدولتين اللتين تعتمدان اعتمادا كبيرا على المساعدات والتكنولوجيا الغربية ، تحاولان تنسيق جهودهما لتحقيق الاستقلال فى مجال انتاج المعدات العسكرية (٣٥) . فجنوب افريقيا ، على سبيل المثال ، تقوم « بصنع المدفع الرشاش من طراز عوزى ، من ابتكار اسرائيل ، بترخيص حصلت عليه عن طريق بلجيكا » . وتشير تقارير غير مؤكدة الى انه « بعد أن حصل الاسرائيليون على تصميمات محرك المقاتلة الفرنسية من طراز ميراج ، قدموا لجنوب افريقيا نسخا من التعديلات التى أدخلوها على هذه التصميمات (٣٦) » . وقد قام رجال أعمال وخبراء طيران اسرائيليون ، كانوا فى رحلة الى جنوب أفريقيا فى ديسمبر ١٩٦٧ ، بزيارة صناعات طائرات اطلس قرب جوهانسبرج واعربوا عن املهم فى أن يقدموا الى جنوب افريقيا طائرة من صنع اسرائيل ذات مدى قصير فى التحليق والهبوط لاجراء سلسلة من التجارب عليها » . وقرر المسئولون فى جنوب افريقيا بدورهم ، طبقا لما ذكرته نشرة وكالة البرقيات اليهودية فى

٢٦ ينـاير ١٩٧٠ « تنظيم تصـــدير الدبابات من طراز تشـيفتين الى اسرائيل (٣٧) » .

وقد ظل تبادل المعونة والخبرة والأسلحة العسكرية يحتفظ بطابع السرية الى حـد بعيد . فخلال زيارة رئيس الوزراء فورستر لاسرائيل فى ابريل ١٩٧٦ وصف اى حديث عن «قرب عقد صفقة اسلحة» بأنه «هراءمطبق»، وأوضح السفير الاسرائيلى فى بريتوريا بأن « احتياجات اسرائيل وجنوب أفريقيا الدفاعية مختلفة تمام الاختلاف » . الا انه مهما حاولت اسرائيل جاهدة أن تخفى هذه الرابطة ، فان الحقائق تتسرب بانتظام ، وفى النهاية تجد طريقها الى الصحف ، بل انه يعترف بها فى بعض الأحيان .

فعلى الرغم من انكار فورسترالقاطع ، لم يمضوقت طويل حتى أصبحت أنباء صفقة الأسلحة معروفة . وأذاع راديو اسرائيل ما يتعلق بها من تقارير . ففى أثناء زيارته لاسرائيل قام رئيس وزراء جنوب أفريقيا بمعاينة مصانع الطائرات الاسرائيلية والمرافق البحرية واحدى القواعد الجوية وهى جولة حاول السفير الاسرائيلى فى جنوب افريقيا ان يحول الأنظار عنها بوصفها بأنها مجرد ارتياد لمواطن تستحق المشاهدة . فقد رأى فورستر ، على حد قول الدبلوماسى الاسرائيلى ، أن جيش اسرائيل أو بحريتها أو سلاحها الجوى مفاتن سياحية تقريبا « مثل الحائط الغربى وجبل صهيون (٣٨) » .

الا ان راديو اسرائيل اذاع تقريرا تضمن مزيدا من التفصيلات عنالتعاون العسكرى بين اسرائيل وجنوب أفريقيا . فقد كشف راديو اسرائيل فى ٩ أغسطس ١٩٧٦ الستار عن أن اسرائيل تقوم ببناء زوارق مزودة بمدافع بعيدة المدى لحساب جنوب افريقيا . وسوف تسلح الزوارق بصواريخ بحرـ بحر (وتحدد بعض التقارير عددها بصاروخين بينما تحدد تقارير اخرى عددها بستة صواريخ) . وربما كان من المفيد أن تشير الى أن هذه الزوارق من نفس طراز الزوارق الاسرائيلية التى اشتركت فى عملية الشراع « التى تمت فى نيويورك فى ٤ يوليو . ويجرى الآن تدريب الأطقم التى ستقوم بالعمل على هذه الزوارق فى حيفا . وينتظر ان يكون اول زورق جاهزا للعمل فى يناير . وذكر راديو اسرائيل ايضا انه « سيتم بنـــاء زورق من تصميم أسرائيل لدوريات الشواطىء » فى جنوب افريقيا بمقتضى ترخيص (٣٩) ، وانه يبدو ان كل هذه البنود تشكل جزءا من « صفقة أسلحة » اضخم « تبلغ أربعا وعشرين طائرة نفـاثة من طراز كفير الاسرائيليـة الصنع » . وذكرت التقارير ان طلب جنوب افريقيا يشمل ايضا معدات الكترونيـة عسكرية متقدمة (٤٠) .

لقد قاتل متطوعو جنوب افريقيا ، كما اشرنا قبلا ، الى جانب الاسرائيليين فى حروب ، كثيرة . ونظرا لأن حركة التحرير الوطنية السوداء يشتد ساعدها فى افريقيا ، فقد ينشأ وضع تجد اسرائيل فيه انها مضطرة الى رد الجميل بارسال « متطوعين » اسرائيليين ليقاتلوا جنبا الى جنب مع قوات جنوب أفريقيا . وقد تجد نفسها أيضا ملزمة بوضع معرفتها وخبرتها تحت تصرف أصحاب الفضل عليها فى جنوب افريقيا .

وربما يكون التعاون وفقا لهذه الأسس قد بدأ بالفعل توقعا لازدياد القلاقل فى جنوب افريقيا . فثمة تقارير غير مؤكدة ، طبقا لما ذكرته صحيفة « وول ستريت » ، بأن اسرائيل تستعد لتدريب قوات من جنوب افريقيا على أساليب الأمن لاعدادهم للموقف المتفجر بصورة محتملة فى جنوب افريقيا . فقد بدت بوادر الاضطراب بالفعل بعد أسابيع قليلة من عودة فورستر من اسرائيل (٤١) . وعلى الرغم من أن المسألة لا تزال حساسة على نحو مفهوم بالنسبة لكلا الجانبين ، بدأ مزيد من المعلومات المتعلقة بالتعاون فى هذا المجال بين النظامين الاستيطانيين يظهر على السطح ومن السهل جمع بعض الحقائق من الملاحظات والتصريحات التى يدلى بها الاسرائيليون الذين يشغلون مراكز رفيعة . فقد أعلن الجنرال مائير اميت ، رئيس صناعات « كور » رئيس المخابرات الاسرائيلية السابق ، خلال زيارته لجنوب افريقيا فى شهر يوليو من العام الماضى أن الضباط الاسرائيليين « يقومون بانتظام بالقاء محاضرات على ضباط جنوب افريقيا عن الحرب الحديثة وتاكتيكات حرب العصابات » (٤٢) . وقد عزز هذا التقرير ما صرحت به مارشيا فريدمان ،عضو البرلمان الاسرائيلى ، من أن « مئات من الجنود الاسرائيليين قد الحقوا بوحدات جيش جنوب افريقيا كمدربين واشتركوا فى مناورات تدريبية » . وقد نفت وزارة الدفاع الاسرائيلية ، بشدة هذا التقرير مثلما نفت تقارير كثيرة أخرى .

وعلى الرغم من نفى اسرائيل ، ليس من المخاطرة أن نقرر أيضا أن التعاون بين الدولتين المنظمتين على أساس عسكرى ، يمتد الى أبعد من التعليم والتدريب . فقد نشرت الصحف البريطانية ، فى تغطيتها لأحداث ثورة انجولا ، تقريرا يوضح أن « الضباط الاسرائيليين قد اشتركوا الى حد بعيد فى تخطيط جيش جنوب افريقيا فى حملة انجولا » . وفى نفس التقرير الذى نشرته صحيفة التلغراف البريطانية فى ٣ ابريل ١٩٧٦ لمراسلها فى جوهانسبرج ذكر احد جنرالات جنوب افريقيا ان السبب فى قلة الخسائر التى منى بها جنوب افريقيا فى القتال فى انجولا يرجع الى أن « الاساليب

الاسرائيلية لاخلاء ومعالجة المصابين فى الخطوط الأمامية قد اتبعت بدقة » (٤٤) .

وبالاضافة الى ذلك ، تشير تقارير غير مؤكدة من افريقيا الى انه قد يكون ثمة ايضا تعاون مباشر بين اسرائيل وجنود جنوب افريقيا فى مواقف القتال الفعلى . فقد ذكر ممثلو منظمة شعب جنوب غربى افريقيا ، الذين كانوا فى مهمة فى انجولا ، ان الجنود الاسرائيليين يشاركون الآن مشاركة فعالة فى القتال ضد قواتهم . وقد ذكر احد التقارير الصحفية البريطانية ، نقلا عن المناضلين الانجولوليين ، ان « عددا من جرحى منظمة شعب جنوب غربى افريقيا ... قد اصيبوا فى اشباكات مع الاسرائيليين . ويقال أن هؤلاء الأخيرين يستخدمون جماعات من رجال الكوماندوز الذين تحملهم طائرات الهليكوبتر فى الانقضاض على مقاتلى منظمة شعب جنوب غربى افريقيا ، ولا سيما فى مناطق الحدود بين ناميبيا وانجولا . اذ يشتهر الاسرائيليون على وجه الخصوص بمهارتهم فى استخدام طائرات الهليكوبتر فى الهجمات الخاطفة .

وما يتردد من شائعات عن استعداد افريقيا « لتزويد اسرائيل بالأورانيوم ينذر بأخطار اكبر . ولو تأكدت هذه الشائعات فلا يمكن التنبؤ بالتهديد الناجم عن هذا التطور الخطير اذا ما وضعنا فى الاعتبار الموقف اليائس للدولتين ، ونظرا لأن أيا منهما لم توقع على معاهدة حظر انتشار الأسلحة الذرية . فربما بدا لهما ان الرادع النووى هو البديل الوحيد لاعتمادهما الكامل على الغرب ، وان فى استطاعتهما مع ضمان الاكتفاء الذاتى من الناحية العسكرية أن يستمرا فى سياساتهما دون أن يعوقها الرأى العام العالمى أو اية ضغوط من الدول الغربية المساندة لهما » .

هذا التعاون السرى ، والسافر فى بعض الأحيان ، متسق ومنطقى اذا ما نظرنا اليه فى سياق موقف اسرائيل واتجاهها . فبعد أن انهار المظهر الخادع الذى أعد بمهارة بالغة تلاشت الحاجة الى تقديم ذريعة ، واصبح من الممكن الآن أن يعبر صحفى اسرائيلى ، جوزيف لابيد ، عن رأيه بصراحة فى مقاله نشرتها صحيفة معاريف قبل حرب ١٩٧٣ . اذ يعترف الكاتب بأن كان ممنوعا فيما مضى من مصارحة قرائه الاسرائيليين برأيه فى اغلبية دول افريقيا السوداء . واستطرد يقول انه لم يعد فى حاجة الى الادعاء والتظاهر . ويصف الكاتب هذه الدول فى مقالته بانها « مشكلة تصيب المرء بالغثيان » . ويستخدم لابيد نفس اللغة التى يستخدمها الاستعمار الغربى

فيذكر أن « الزنجي الذي يتعرض لأشد الاضطهاد في جنوب افريقيا لديه من الغذاء أكثر مما لدى ملايين الافريقيين في الدول المتحررة » ، الأمر الذي يصدق أيضا على العرب في أسرائيل حيث يتوفر لهم أيضا الغذاء والملبس الجيد ولكنهم جاحدون ويميلون الى التنفيس عن غضبهم باثارة الشغب ، شأنهم في ذلك شأن معظم الشعوب الخاضعة للاستعمار ويكشف لابيد عن عقليته الصهيونية والاستعمارية فيؤكد انه بفضل الصداقة مع دولة بيضاء ومنظمة وناجحة وتضم طائفة يهودية مزدهرة على الصداقة مع افريقيا السوداء (٤٧) .

وربما كان اجراء واحد فقط هو الذي يساعد في النهاية ، اكثر من اى اجراء آخر ، على رفع القناع الذى حجب ، لفترة طويلة ، الطبيعة الحقيقية للتعاون بين اسرائيل وجنوب افريقيا . فخلال زيارة فورستر لاسرائيل ، قام فورستر — وهو جنرال سابق فى الحركة الوطنية الموالية للنازية فى جنوب افريقيا ، والتى كانت تقاوم المجهود الحربى للحلفاء فى محاربة المانيا النازية واعتقال لمدة عشرين شهرا بسبب مقاومته ، ولم ينكر موقفه الموالى للنازية (٤٨) — بوضع اكليل من الزهور على النصب التذكارى المقام فى القدس للضحايا اليهود الذين ابيدوا على أيدى النازيين . حتى لقد شعرت صحيفة الجيروزاليم بوست الموالية للحكومة بأنها مضطرة الى الاحتجاج ، ولو بصوت خافت ، بأنه ينبغى الا يرتبط اليهود بأحد المؤيدين السابقين النازية (٤٩) . ومن المثير للسخرية ان هذه المسألة البديهية كان لابد ان تتكرر الدولة اليهودية .

ملاحظات

(١) ج. ارتوسكى ، « مأساة المغالاة فى الوطنية الاسرائيلية » ، الصهيونية واسرائيل والعرب (بيركلى ، كاليفورنيا : دار نشر الكتب الاشتراكية ، ١٩٦٧) صفحة ١٩١ .

(٢) ابراهيم العابد ، ١٢٧ سؤالا وجوابا عن النزاع العربى الاسرائيلى (بيروت ، مركز الدراسات الفلسطينية ١٩٧٣) صفحة ١٣٠ .

(٣) « جنوب افريقيا » الموسوعة اليهودية ، اعداد سيسيل روث (القدس ، كيترهاوس ، ١٩٧٢) المجلد الخامس عشر .

(٤) جويش برس ١٨ يونيو ١٩٧٦ .

(٥) « جنوب افريقيا » الموسوعة اليهودية المجلد الخامس عشر .

(٦) صحيفة نيويورك تايمز ٣٠ ابريل ١٩٧١ .

(٧) اسرائيل وافريقيا الجنوبية : مقارنة دور جنوب افريقيا ودور اسرائيل فى العالم الثالث (لجنة منطقة ماديسون الخاصة بافريقيا الجنوبية) صفحة ١٢ .

(٨) صحيفة دول ستريت جورنال ٢٣ ابريل ١٩٧٦ .

(٩) ن. كيرشنر : « الصهيونية واتحاد جنوب افريقيا » مجلة الشئون اليهودية ، مايو ١٩٦٠ صفحة ٤٢ .

(١٠) حاييم وايزمان : التجربة والخطأ (نيويورك : هاربر وراو ، ١٩٤٩ صفحة ٤٧ .

(١١) جنوب افريقيا « الموسوعة اليهودية » المجلد الخامس عشر .

(١٢) المرجع السـابق .

(١٣) المرجع السـابق .

(١٤) كيرشنر « الصهيونية واتحاد جنوب افريقيا » صفحة ٤٢ .

(١٥) صحيفة واشنطون بوست ٨ ابريل ١٩٧٦ .

(١٦) صحيفة كريستيان ساينس مونيتور ١٤ ابريل ١٩٧٦ .

(١٧) صحيفة نيو تايمز ١٤ مايو ١٩٧٦ .

(١٨) صحيفة واشنطون بوست ٨ ابريل ١٩٧٦ .

(١٩) « الصهيونية » الموسوعة اليهودية المجلد السادس عشر .

(٢٠) وايزمان ، التجربة والخطأ صفحة ٣٤٧ .

(٢١) تقرير الامم المتحدة عن العلاقات بين اسرائيل وجنوب افريقيا صفحة ١٣ .

(٢٢) صحيفة جويش برس ١٨ يونيو ١٩٧٦ .

(٢٣) « جنوب افريقيا » الموسوعة اليهودية المجلد الخامس عشر .

(٢٤) «يهود جنوب افريقيا فى اسرائيل» موسوعة الصهيونيةواسرائيل ، المجلد الثانى.

(٢٥) تقرير الامم المتحدة عن العلاقات بين اسرائيل وجنوب افريقيا ، صفحة ١٨ .

(٢٦) اسرائيل وافريقيا الجنوبية ، صفحة ١٣ .

(٢٧) نيوزويك ٢٣ اغسطس ١٩٧٦ .

(٢٨) صحيفة دول ستريت جورنال ٢٣ ابريل ١٩٧٦ .

(٢٩) بيتر هلير « اسرائيل وجنوب افريقيا : تطور العلاقات ١٩٦٧ — ١٩٧٤ » . بحث مقدم فى اكتوبر ١٩٧٤ الى اللجنة الخاصة بالتفرقة العنصرية التابعة للامم المتحدة وادرج كوثيقة رسمية من وثائق الجمعية العامة للامم المتحدة سنة ١٩٧٤ . صفحة ٢٣ .

(٣٠) تقرير الامم المتحدة عن العلاقات بين اسرائيل وجنوب افريقيا صفحة ٢٠ .

(٣١) صحيفة زايونست ريكورد ٢٢ مايو ١٩٥٩ .

(٣٢) تقرير الامم المتحدة عن العلاقات بين اسرائيل وجنوب افريقيا صفحة ١٢ .

(٣٣) الروابط المعاصرة بين جنوب افريقيا واسرائيل (لجنة ماديسون الخاصـة بجنوب افريقيا ، اورد ذلك العابد فى كتابه ، ١٢٧ سؤالا ... صفحة ١٣٤ .

(٣٤) بيتر هاير ، اسرائيل وجنوب افريقيا صفحة ٢٦ .

(٣٥) الروابط المعاصرة ، التى اوردها كتاب ١٢٧ سؤالا ... صفحة ١٣٥ .

(٣٦) سولزبرجر ، صحيفة نيويورك تايمز ٣٠ ابريل ١٩٧١ .

(٣٧) الروابط المعاصرة .. ، كتاب ... ١٢٧ سؤالا صفحة ١٣٤ .

(٣٨) صحيفة جويش برس ، ١٨ يونيو ١٩٧٦ .

(٣٩) نشرة الانباء اليومية للوكالة اليهودية للبرقيات ١٠ اغسطس ١٩٧٦ .

(٤٠) صحيفة نيويورك تايمز ، ١٨ اغسطس ١٩٧٦ .

(٤١) ٢٣ ابريل ١٩٧٦ .

(٤٢) التعاون العسكرى ، والتعاون فى انتاج الدفاع (مجالة العالم الثالث ، بون) عدد خاص « اسرائيل ـ جنوب افريقيا : تعاون قواعد امامية استعمارية » ١٩٧٦ من صفحة ٦٤ الى صفحة ٦٦ .

(٤٣) تقرير الأمم المتحدة عن العلاقات بين اسرائيل وجنوب افريقيا . صفحة ١٥ .

(٤٤) المرجع الســابق .

(٤٥) صحيفة الجاردبان ، ٧ ابريل ١٩٧٦ .

(٤٦) صحيفة دول ستريت جورنال ، ٢٣ ابريل ١٩٧٦ .

(٤٧) دوفبلير ، جنوب افريقيا ، دولة بغيضة بين الامم (لندن ، يونيفرس تاندم ، ١٩٧٥) من صفحة ٢٨ الى ٣٩ .

(٤٨) فورسنر : رجل فى قافلة ، مجلة تايم ، ٢٨ يونيو ١٩٧٦ .

(٤٩) نيو تايمز ١٤ مايو ١٩٧٦ .

الجزء الثانى

قراءات ووثائق

القســـم الأول

قـــراءات

ان قوة الصهيونية فى جنوب افريقية ترتبط ، بشكل مبـــاشر ، بالقوة الاقتصادية للطائفـــة اليهودية . والقراءتان الأوليـــان (١ ، ٢) ترسمان مسار هذا التطور .

(١) اليهود فى ميدان التجارة والاقتصاد بجنوب افريقية (١)

اريك روزنيتال

منذ الأيام الأولى للاستعمار الأوروبى لجنوب افريقية واليهـود يبرزون فى المؤسسات التى تعتمد عليها كفاءة التجارة ، والمـال ، والصناعة اعتمادا كبيرا . ونجد اليهود ممثلين ، بدأ بشركة الهند الشرقية الهولاندية التى اتى جان فان ريبيك ، تحت رعايتها ، بحملته الشهيرة عام ١٩٥٢ ، لينشىء أول مركز تجارى على شطآن تيول باى ...

رواد تجاريون من اليهود :

وبالنسبة لجنوب افريقية نفسها لم يبدأ دور اليهود الا فى فترة لاحقة، ذلك أن المستوطنيين الأول كانوا قاصرين على اشخاص ينتمون الى العقيـدة المسيحية . والواقع ان اليهود لم يبدءوا فى الظهور فى الحياة التجارية للبلاد الا مع مطلع القرن التاسع عشر ...

ومن بين الـ ١٨٢٠ مستوطنا نجد خمس اسر يهـودية اسهمت كلهـــا تقريبا ــ آخر الأمر ــ فى تطور التجـارة والصناعة ، وان بدءوا كمزارعين ، شأنهم شأن معظم المستعمرين فى ظل تلك التجربة وهكذا نجـد ان موريس ســـلومان ــ الذى مر بكوارث بسبب اغارات الاكسوساس على الحـــدود ولقد قتلوا ولده الصغير مارك) ــ أصبح فى النهاية تاجرا فى مدينة الكيب وعضوا فى « التبـادل التجارى » كذلك انتهى الأمر ببنيامين نوردين الى أن يصبح تاجرا ناجحا فى مدينة الكيب . اما جون نورتون فاســتقر فى جراها مزتاون ومارس عملا مماثلا .

اما عائلة كيليان فكانوا مسئولين ، بدورهم،عن هجرة نفر ممن اصبحوا فيما بعد من أقطـــاب التجـارة ، بما فى ذلك ناتان بيركينروث ، وابراهام هورن ، واهم من هذا : جوزيف موزينتال ، وكانوا جميعـــا كتبة أساسا فى مكاتب المحاسبة . ولا يقل عن هذه الأحداث فى الاهمية قدوم ابن عم جبريل كيليان عام ١٨٣٤ ، واسم يوحنـــا بيرجتيل ، وهو احـــدى الشخصيات القيادية أبان فجر استعمار ناتال ، ومنشىء صناعة القطن فى البلاد .

بيت دى باس :

ومن أشهر البيوت فى التبادل التجارى بالكيب فى منتصف القرن الماضى بيت دى باس الذى أسهم فى أمور شتى من بينهـــا أن كان رائدا فى صناعة الفوانو الهـــامة . وفى عام ١٨٥٩ حصلوا على أول براءة اختراع فى جنوب افريقية لاصلاح السفن فى ســــايمونز تاون ، وكوفئوا على ذلك بأن صوتت اجنة التبادل على تهنئتهم وشكرهم ...

الغرفة التجـــارية :

واهم من هذا كله ما حدث عام ١٨٦٠ ، فقـــد تقرر تحويل « التبـــادل التجارى » الى « الغرفة التجـــارية لكيب تاون » ، أما الاجتماع التاريخى الذى نوقش فيه هذا الأمر فقد راسه يهودى ، وهو تشارلز مانويل ويجدر ان نسجل ايضا ان صول سليمان راس الاجتماع الأخير للتبـــادل التجارى القـــديم .

وفى أواخر القرن التاسع عشر لمع فى شئون الغرفة التجارية لكيب تاون شخصى اعتنق اليهودية ، وهو لودفيج فانيار الذى كان عضوا فى البرلمـــان ورئيسا لمؤسسة فان ديربيل وشركائه ، وكان آنذاك المتحدث ، المعتمـــد ، باسم عالم رجال الأعمال بجنوب افريقيـــة . مما يذكرنا بأن الدعوة وجهت اليه ـ بوصفه الممثل الرسمى للغرفة التجارية لكيب تاون ـ لحضور افتتاح خط السكك الحديدية الى بلوبيمفونتابن فى ١٧ يناير ١٨٩١ . كذلك كان فاينار مستشارا موثوقا به ـ للحكومة فى مسائل مثل أسعار السكك الحديدية وفى عام ١٨٩٢ أوفد الى شيكاغو بوصفه مندوب مستعمرة الكيب فى المعرض الدولى .

أما أول رئيس يهودى للغرفة التجارية بكيب تاون فكان ميبار كاسيل ، وكان ذلك عام ١٨٥٣ ..

وعندما ظهرت غرفة ناتال التجــارية الى حيز الوجود عام ١٨٥٦ كان بالبلاد عدد من التجار اليهود . كان هناك جوناس بيرجتايل وادولف كوكى ، والثانى يهودى بلجيكى ، وكان على صلة وثيقة بعائلة فورتريكار ، ولعبــوا دورا رئيســيا فى مشروعات مثل « مصرف ناتال » و « شركة تأمين ناتال » وكذلك « شركة سكة حديد ناتال » الأصلية ، التى أكملت ــ عام ١٨٦٠ ــ أول خط فى جنوب افريقية ، من ديربان الى بوينت ...

فى الرائـــد :

خلال الأيام الأولى ، ولفترة طويلة ، كان لجوهانسبرج غرفة تجــارية ورابطة تجارية . وفى عام ١٨٩٣ انفصل ديفيد هولت من الغرفة التجــارية واصبح نائبا لرئيس الثانية . وكان من بين أعضــــاء لجنة الرابطة التجارية ج.د. الياس ، ل. هارت ، ج. جاكوبسون ، ج.هـ. اسرائيـل ، ا.هـ. جيكوبز (الذى اشترى ، عام ١٨٩٦ ، أول سيارة تســتوردها جنــوب افريقيــة) .

وفى عام ١٨٩٦ كانت لجنــة الرابطة التجارية تضم مونس ديفــير ، ج. كوينجز بيرج ، أما السكرتير ــ ل. أيزينبرج ــ فكان يهوديا المانيا معروفا .

وبعد الحرب بين الانجليز والبوير تحولت الرابطة التجارية الى « غرفة جوهانسبرج التجارية » ، ودامت حتى عام ١٩١٠ ، وعنـدئذ بدا واضحــا الآن وجود جهـــازين منفصلين ليس من الحكمـــــة فى شىء مما أدى الى اندماجهما . وبحلول عام ١٩٠٢ كان بعض أعضاء الرابطة التجارية قد عادوا بما فيهم ج. جاكوبسون وديفيـد هولت . أما الفريد روجالى فكان عضوا قديما وشهيرا فى لجنة الغرفة التجارية ، وانتخب نائبا للرئيس عام ١٩١١ .

ولقد ظل الفريد روزينتال (لا يمت بصلة قرابة الى كاتب هذا المقال) لأعوام عديدة أحد الأعمدة الاساسية لغرفة جوهانسبرج ، وكان فى اللجنــة التنفيذية . أما ج. رافايلى ، ب. جوند يلفينجاز ، ج. هايلبرون ، س. م. اسمى ، كلوذ هـ. ليون ، فكانوا من الشخصيات المعروفة التى تنتمى الى الجهاز أيضا وفى عام ١٩٢٢ انتخب سيليبج هيلمان نائبا للرئيس .

ومنذ تأسيس رابطة الغرف التجارية لجنوب افريقية ظهر رؤساء يهود ، بدءا بلودفيج فاينــــار الذى شــغل ذلك المنصب منذ عام ١٨٩٤ حتى عام ١٨٩٩ . وفى عام ١٩٠٩ وعام ١٩١٠ شغله وولف اهرليخ ، فى بلويمفونتاين ، وشــغله عامى ١٩٢٨ و ١٩٢٩ كارل جــونديلفينجار ، من ديربان . فاذا انتقلنا الى تاريخ أكثر حداثة وجدنا هارى جولدبرج فى جوهانسبرج وشغل

المنصب خلال الفترة ١٩٥٣ ــ ١٩٥٤ ، وشغله فى الفترة ١٩٦٢ ــ ١٩٦٣ أ. ب. برادلو ، فى جوهانسبرج ايضا .

أما مساهمة اليهود فى صناعة التعدين فترجع الى عام ١٨٥٤ ، فقد حدث نتيجة لأول ازدهار هائل فى صناعة النحاس فى ناماكوالاند ، أن حدث فى الكيب أن طرحت سندات مالية فى السوق . وكان من بين مديرى شركة جنوب افريقية للتعدين صول سليمان ، بينما كان ارنست لاندزبرج من بين مديرى شركة تعدين راس الرجاء الصالح . أمام بريوس فكان رئيس شركة تعدين المقاطعة الغربية ، وكان آرون دى باس مدير شركة تعدين وولويش باى ، وكان هـ. سليمان مدير شركة تعدين الكيب الاستعمارية ، واشترك يوليوس موزينتال واج. لاندبيرج فى ادارة شركة تعدين سبيكتاكيل .

ولم تستدع الظروف شكلا معينا من اشكال التنظيم الا عند اكتشاف حقول الماس فى جريكوالاند الغربية فى البداية كانت هناك « لجان الحفارين » البدائية عند المقال ، وضمت أناسا مثل ت. ب. كيش ، ومنهما تطورت هيئة تعدين كيمبيرلى ، ومن اعضائهما ف. دى باس ، ر. هنريخ س ، وغيرهما من اليهود .

غرفة المناجم :

وعندما ظهرت « غرفة مناجم فيتفوترسراند » بعد اكتشاف الذهب مباشرة ، دل تقريرها السنوى الأول الصادر (عام ١٨٨٨) على وجود عدد كبير من الأعضاء اليهود . ولم تقتصر الأمر على وجود رجل الأعمال الكبير المهيب ، كارل هانو ، كنائب للرئيس ورئيس للمجلس ، وانما ضمت اللجنة أيضا ادوارد ليبرت ، ليونيل فيليبس . ومن بين الأعضاء كان هناك المثلون جوستاف ايمروث ، عن منجم ذهب فلورا ، سايمون ساك (عن جيلد بنهوى مين ريف) ، الفونس ليلينفيلد (عن لانجلاجتى بلوك ب) ، ريتشارد ليلينفيلد (عن مقاطعات لانجلاجتى) سيدنى موريس (عن لانجلاجتى ويستيرن) ، ل. لوفينتال (عن منجم الذهب القومى) ، جوستاف سون مؤسسة الترانسفال للفحم) ، وآخرون . وفى عام ١٨٩١ أصبح ليونيل السير ليونيل فيما بعد) فيليبس أول رئيس يهودى للغرفة ، وقد منح هذا الشرف مرات عديدة . وكان من بين الأعضاء الجدد فى الجهاز التنفيذى وولف جويل ، جورج (سير جورج فيما بعد) البو ، ادولف بارخان ، ج. ن. دى جونغ ، اودلف ايبلاز ، ك. س. جولدمان . ومن بين الرؤساء لويس ريبرزباك عام ١٩٠٧ وماكس ايلكان عام ١٩١٢ .

وقبل أن تعرف جنوب افريقية سوقا منظمة للأوراق المالية بوقت طويل (وكان ذلك فى خمسينات القرن التاسع عشر) ، مارس سماسرة يهود أفراد نشاطهم ، ومنهم م. ل. بنسوسان ، من كيب تاون لكن الازدهار الحقيقى ظهر فى أعقاب تأسيس كيمبرلى . ومن بين الشخصيات الأولى الشهيرة : ن. ابراهافر ــ هـ. ج. كوهين ــ جالويبسكى أندهارت ــ ب. هيرمان ــ هـ. ا. جيكوبز ــ برنارد كليسار ــ سيدنى مندلسون ــ ب. أوبنهايمر ــ فيليب آند ديتلباخ ــ ن. رافائيل ــ الفريد روجالى ــ رانخمان آند هارت ــ أ. سالفيلد ــ ب. سليمان ــ ا. سليمان ــ سوننج آند بولوك ــ س. سترانسكى ــ ج. سوابيى ــ تاليرمان آند انسيل ــ ج. واينبرج آند ا. يوكمونيتز . وانتقل كثيرون منهم الى باربيرتون ثم الى جوهانسبرج . وهناك نجد ، فى زمن مبكر جدا ، ا. بنيامين كوهين آند جراومان (صار سير هارى جراومان فيما بعد عمدة لجوهانسبرج) ــ أ. هـ. أ. كوهين ولويس آند ماركس .

سوق الأوراق المالية :

نستطيع أن نتعرف بعض الشىء عن بروز العنصر اليهودى فى سوق الأوراق المالية بجوهانسبرج فى فترة مبكرة مما يلى : فى عام ١٨٨٩ كانت هناك أكثر من ١٠٠ مؤسسة يهودية ، تمثل عددا من الأعضاء الأفراد يحتمل أن يبلغ ضعف هذا الرقم ! وكان من بين أعضاء اللجان الأولى جوستاف امروت ــ هـ. سليمان ــ ف. موزينتال ــ هارل هانو ــ ج. فريد لاتدار ــ هـ. و. ادلر . أما السكرتير فكان ر. موسى . وفيما بعد كان من أعضاء اللجنة : يوليوس فريد لاندر ــ س. ب. جويل . وفى عام ١٨٩٤ كان هارى سليمان أول رئيس يهودى لسوق الأوراق المالية ، وثمة اسم آخر مألوف كان عضوا فى اللجنة . وهو اوتوبيت (الذى أصبح سير اوتو فيما بعد) . واصبح سولى جويل رئيسا عام ١٨٩٦ ، وصار فريتس موزينتال نائبه . كذلك ضمت اللجنة جورج البو ــ ا . ا بيرالاندينا ــ ا. فريد لاندر ــ ل. جويل ــ برنارد أوبنهايمار . وفى العام التالى صار هارى سليمان رئيسا مرة أخرى ، وصار من بين أعضاء اللجنة : الفريد بنيامين ــ هيرتزبرج ــ الفونس سبرنتس . وربما لم يكن غريبا أن تغلق سوق الأوراق المالية أبوابها أيام العطلات اليهودية !

كذلك أسهم اليهود على نحو كبير ، فى الأجهزة التى تهيمن على الصناعة بجنوب افريقية بدءا برابطة صناع الكيب القديمة ، والتى كانت تشكل

ابـــداية لما يعرف اليوم بغرفة الصـــناعة . وهى ترجع الى أوائل القرن الحـــالى ، وكان من بين مؤسسيها م. روث كوجيـــل ، صانع الأثاث ، والسناتور فرانتس جينزبرج الذى من كنج وليامز تاون ، وموريس ايلينبرج الذى بدأ صناعة انتاج الملابس بجنوب افريقية بانتاج المعاطف (الووتربروف) فى كيب تاون . وكذلك سـايمون رويتويسكى (ورى) الذى أقام ، فى عام ١٩١٠ تقريبـــا ، أول مصنع حديث للملابس ، وهيرمان آند كانارد الذى انتج السجائر يدويا فى ثمانيات (القرن التاســع عشر ، ولويس ناثان رائد بروث اليزابيث فى حقل الســـجائر وكذلك ب . بارنيت وشركاه فى نفس المدينة ، الذين كانوا يعملون فى السراجة فى تسعينات القرن المـاضى . وكان لويس بولكانسكى ، فى كيب تاون ، يلف السجائر باليـــد قبل الحرب بين الانجليز والبوير . اما ديفيد ، ألبرت ، وهيليـــار هولت فقد فتحوا أول مصنع للسجائر فى الترانسفال عام ١٨٩٥ ، واليه ترجع نشـــأة يونياتيد توباكو كامبانى التى أصبح ديفيد أول رئيس لها عام ١٩٠٥ . وفى البـــلاد ازدهر هيلمان اخوان ــ اصحاب المخازن فى نورفال بونت خلال الحرب بين الانجليز والبوير ليسيطروا على ميدان الأخشاب ومصانع نشر الأخشاب . أما دكتور جاك شثيزنجر فكان نائبا لرئيس غرفة الصناعات بالترانسفال ، وكان ذلك عام ١٩١٠ .

بعض الشخصيات القيادية :

فاذا وصلنا الى العصر الحالى وجدنا أن الاسهام اليهودى قد تعاظم . فعندما ننظر فى أسوكوم (رابطة الغرف التجارية) سنجد أن رئيســـها هو ا.ب. برادلو ، من اكبر تجار الأثاث فى البلاد ، وثمة شخصية اخرى شهيرة جدا وهى س. ج. هورتيز التى برزت فى الادارة ، لكنهـا كانت الى جانب ذلك رئيسة لجنة الاسوكوم لشئون ائتمانات المستهلكين . وهنـاك ل. م. شير نائب الرئيس فى الترانســـفال ، أ. جولد سميث ، نائب الرئيس لولاية أورانج الحرة ، ك. كار ، رئيس لجنة الاتصال البرلمانية ، ج. هـ. ليفيين ، رئيس لجنة الضرائب ، س. ب. كابلان ، رئيس لجان مجلس التجـــارة ، والتصدير ، أ. بيرنيتز ، رئيس لجنة التحكيم فى الواردات . وســـنجد جولدمان رئيسا لغرفة ديربان ، ل. سالبار رئيسـا لغرفة كيب تاون ، ج. باريس رئيســـا لغرفة بورت اليزابيث وفى بيثال بالترانســـفال يشغل أ. فيلدمان هذا المنصب ، ويشغله ، رانفونتيين ج. شيت ، وفى فيرينيجنج ماكس شابيرو ، وفى مبســـيناج كلاف ، وفى ليختنبورج أ. ميلمـــان وفى سومرست ويست ا. فريدمان ، وفى كيمبرلى ج. ب. هيـــارفيلد ، وفى

كوينز تاون ب. ليفين ، وفى فريد ينبورج س. ج. ليفين ، وفى ليزلى ل. تيتز ، وفى راندبورج م. سكلار ، وفى رود يبورت أ. سايمون ، وفى ويندهويك بارنى جامسوا ، وفى بوكسبورج هـ. ريسنيك ، وفى بيلفيل س. ا. جافتس ، وفى جود وود و. فريدبرج . ان هذه القائمة مستقاة من نحو مئات من الغرف ، لكنها ليست شاملة بأية حال من الأحوال . وبالمثل نجد فى اتحاد الغرف الصناعية بجنوب افريقية أن الرؤساء السابقين يتضمنون موريس كرامار فى كنج وليامز تاون ، رائد صناعة الدباغة ، الذى شغل المنصب خلال الفترة ١٩٢٤ ـ ١٩٢٥ ، وخلال الفترة ١٩٢٩ ـ ١٩٣٠ مرة أخرى . أما شاغلوا المنصب الحاليون فيشملون س. جودمان ، رئيس غرفة الصناعات بالترانسفال ، س. ر. بالك ، رئيس غرفة الصناعات فى الكيب ، وهو منتج القمصان الشهير ، وكذلك ل. داب ، الشهير فى صناعة الأحذية ، أما فى اتحاد الملابس الوطنى فنجد هـ. أبراموفتيز . ويراس فيليب فريم ودكتور ج. هارت الرابطة الوطنية لصناع النسيج . ويتزعم ج. بلوم باوث أفريكان أويل (اكسبريس) لجنوب افريقية ، ورابطة صناع الصابون . هذا ويعمل ج. جرينشتاين مديرا لرابطة منتجى الملابس فى الترانسفال ، كما يعمل و. جولدبرج نائبا لرئيس غرفة الصناعة بالكيب .

والى جانب رئاسة ج. هـ. هيمان للجنة سوق الأوراق المالية بجوهانسبرج فى الفترة ١٩٦٣ ـ ١٩٦٤ نجد أن اللجنة ضمت أ. مينيل ، ر. لورى ، أ. هيلبرومر .

وقد لعبت كل هذه الشخصيات دورها للارتفاع بالتجارة المنظمة بجنوب افريقية الى المستويات التى وصلتها اليوم .

(٢) اسهامات يهودية فى التنمية الاقتصادية

بجنــوب افريقية (٣)

لويس هوتر

مضى على جنوب افريقيـــة قرن الا ست سنوات منـــذ ان قامت ب « الانطلاقة » الأولى الى الطبقات العليا للاقتصاد الصناعي الحديث ـ اذا استعرنا عبارة من عصر الفضاء ، ابتكرها الاقتصادى الأمريكى و. و. رستو لوصف ـ « فورة التصنيع المتركز فى قطاعات معدودة نسبيا » ان هذا يصف بدقة ما حدث لجنوب افريقية فى مطلع سبعينات القرن التاسع عشر ، فلقد كان هناك حقا تركيز هائل على قطاعات قليلة لها أهميتها الهـــائلة فى تلك المرحلة . وخلال السنوات التى اعقبت مرحلة « الانطلاق » تعرضت جنوب افريقيـــة لانتكاسات ووجوه فشل عديدة ، لكن كانت هنـاك سلسلة من عوامل الدفع » التى ساعدت البلاد على أن تدور بانتظام فى فلكك التنمية الاقتصادية لتبلغ مرتفعات لم يحلم بها أحد .

وخلال تلك الفترة ، وبفضل اكتشـافات المنـــاجم ـ الماس فى ١٨٧٠ ، الذهب بعد اكثر من عشر سنوات ـ تحولت جنوب افريقيـــة من مجتمع زراعى ورعوى ، فقدت سياســـيا ، الى دولة صناعية متقدمة وموحـــدة دستوريا . وعلى هذه الأسس نهضت جنوب افريقية المعاصرة بأكملهـــا ، مجتمعا قويا واثقا بنفسه .

صحيح ان عوامل جديدة ظهرت نتيجة لدينامية « الانطلاقة » الأولى ، ولقد أسهمت فى توسيع رقعة ، وتقوية ، البنـاء الفوقى . وخلال النصف الاول من القرن الذى تلا ذلك كانت اكتشـــافات المنـــاجم الأولى اى صناعة التعـــدين ـ ويعنى هذا أساســـا صناعة الذهب ـ أهم عامل من عوامل الاسهام فى اقتصاد جنوب افريقيـــــة المزدهر . وخلال النصف الثانى من القـــرن ـ وكانت الحرب العالميـــة الأولى الخط الفاصل ـ لم يعد الأمر كذلك تماما .

الذهب كعــامل رئيسى :

نما الاقتصـــاد القومى لجنوب افريقية الى ان اقترب اليوم من الرقم ٧٠٠٠ مليون روبيـــة . انه رقم هائل (أكثر من ضعف الرقم منـذ عشر

سنوات فقط) وقد أسهمت فيه منـــاجم الذهب بأكثر من العشر فى مقابل حوالى الخمس ابان الحرب العالمية الأولى هذا الاسهام أكبر من اى اسهام لأية صناعة اخرى على حدة ، لكنه الآن اقل بكثير من اســهام الصناعات الثانوية مجتمعة . ان هذا يعطينا مقياسا نقيس به الثورة الصناعية الكبرى الثانية فى جنوب افريقية ، التى تتعاظم مع كل سنة تمر . لكنا اذا نظرنا الى النمو الهائل لانتاج مصانعنا فسيلفت نظرنا دائما ان المنـاجم لا تزال العامل الرئيسى فى اقتصـــاد جنوب افريقية الحـديث ، وانها الدافـع وراء كل تطور لاحق .

ان المناجم مصدر مباشر للثروة المادية ، كما أنها تؤدى الى نمو العـديد من الصناعات الأخرى غير انها تقوم الى جانب ذلك بمهمة تاريخية أخرى . لقد قامت بدور المغمطيس الذى يجذب ، بطريقة مبـــاشرة وغير مباشرة ، اعدادا هائلة من القادمين الجدد الوافدين من مختلف بقـاع العالم ، والذين جلبوا معهم مهارات جديدة ، وطاقات جديدة ، وروح ارتيـــاد جـديدة ، واحتياجات جديدة وطرائق جديدة فى العيش .

وقد أصاب البروفيسير د. هو رت هوتون ، وهو يصف قيام صناعة التعدين ، حين قال « كثيرا ما تركز الاهتمام على قدرة الذهب على اجتذاب راس المال الأجنبى . لكن ثمة مظهر آخر لا يقل عن هذا اهمية . انها الطريقة التى جـذب لها التنقيب عن الذهب اناسا من الخارج يتمتعـون بالحماس والطاقة والرؤية وشجاعة التجربة . ولقد وجدوا فى فيتفوتر سراند مجـالا لمواهبهم . ربما كان البعض مجرد مغامرين ، لكن الآخرين لم يكونوا كذلك . ولقد جلبوا معهم ، فى مجموعهم ، حيوية جديدة ، وقدرة على الارتيـــاد ، وأفكارا تقدمية . ولقد انتقلت هذه الخصال الى الجيل الحديث فى القيادة الصناعية بجنوب افريقية . ونشك فى امكانية ظهور هذه الروح بدون ذلك الحقن من الخارج » .

باختصار ، أن هذا يلخص فضل جيل « أبناء جنوب افريقية الجـدد » على جنوب افريقيــــة ، لقد ظهروا على المسرح فى الجزء الأخير من القرن الماضى . وجنوب افريقية مدينــــة أيضـــا لمن انحدروا منهم وخلفوهم فى الجيل الحالى .

الدور اليهودى

وكان يهود جنوب افريقية من بين العناصر التى يعتد بها ، العناصر التى اسهمت فى اثراء الموارد البشرية بجنوب افريقية وتطوير رصيدها الطبيعى .

وبالنسبة للناحية العـددية فان الطائفـــة اليهودية لم تزد فى يوم من الأيام عن ٤٪ من اجمالى ســكاننا البيض ، غير أن اسهامها فى التقـــدم الاقتصادى والثقافى لجنوب افريقية فاق بكثير حجمها العددى وليس هناك من فاق مؤرخا غير يهودى ، وهو ليو ماركار ، فى تلخيص وبساطة سردة لما صنعه اليهود لجنوب افريقية . وجاء ذلك فى عبارات قليلة كتبها منذ اعوام .

قال مستر ماركار فى كتابه « جنوب افريقية شعوبهـا وسياســتها » The Peable and Policies of South African منذ ايام الاستيطان الأولى ـ حين كان البــاعة الجــائلون اليهــود يطـوفون بالبــلاد يحملون بضاعتهم على حصان او فى عربة يجرها حمار ـ تفوق التجـــار اليهود فى ميدان التجارة وعندما اكتشف الماس والذهب اسهم يهود افراد فى تطوير هذه الصناعات ، وشرعوا بعد ذلك فى اقامة صــناعات ثانوية ، وفى التوسع فى التجارة غير أن اسهام اليهود فى الحيـــاة بجنوب افريقية ليس قاصرا على الاقتصاد . لقد برز اليهود دائما فى ميــدان تشجيع الفنون ، والاسهام فى قيام الجامعات ، وفى نشر الاســـتنارة . واذا كانوا يتشبثون بدينهم وبذلك يعزلون أنفسهم عن باقى المجتمع ، فانهم ربطوا أنفسهم تماما بالحياة فى جنوب افريقية .

ثمة حقائق بارزة تظهر فى هذه الصورة القلمية لارتباط اليهود بالبنـاء القومى لجنوب افريقية . ان هذه الصورة تسترجع دور البــائع اليهــودى الجوال ـ والتــاجر اليهودى المتواضع ، الذى قيض له ـ بطريقته غير المقتحمة ـ ان يلعب دورا لا غنى عنه فى مجتمــع جنوب افريقية قبل قدوم وسائل النقل الحديث وصناعة عصر الآلة فى هذا البلد . وهى تسجل كيف ان جنوب افريقية مدينة لليهود الذين كانوا من بين من خططوا وبنوا آفاقها الاقتصادية المتسعة ابدا،وحققوا انتصاراتها . كما انها تعترف بدور اليهود فى صياغة شكل الصناعة التى أصبحت ترمز ـ اكثر من اى شىء آخر ـ الى جنوب افريقية فى اقتصاد العـالم .

ان الانتاج السنوى الحـالى من منــاجم الذهب لا يقل بكثير عن ٧٠٠ مليون روبية ، وهو يشــكل صناعة بالغة الكفاءة والتقدم وهو ثمرة ابداع جماعى اشتركت فيه عقول عديدة وأياد عديدة ، لكنه لا يزال بحاجــة الى الكثير ، والقمة تنتظر من يتمتع بخصال المبادرة الشخصية والقيادة . وعبر التاريخ المتنوع لهذه الصناعة ، وما حققته من انجازات هائلة ، نجد يهودا فى قائمة من أسهموا فى هذه الخصال كما نجد يهودا من بين العقول المنشقة والمنفـــذة .

رواد التعدين :

ولا نستطيع ان نخص بالذكر هنا الا قلة من قائمة طويلة من الشخصيات القديرة ، الخلابة فى كثير من الأحيان . واذا نظرنا عبر السنين فسنصادف فى الصف الأول اسماء تاريخية مثل ب. ج. « بارنى » بارناتو ، هيرمان ايكشتاين ، ألفريد وأوتوبيت ، ليونيل فيليبس ، اخوان جويل (وولف سولى ، جاك) ، جورج ألبو ، صموبل ماركس وش يكه أسحن لويس ، ارنست أوبنهايمر . كان معظم هؤلاء معاصرين وشركاء خلال الأيام الأولى لاكتشاف الماس والذهب فى جنوب افريقية .

والى اليوم فان مكان الصدارة من نصيب بارنى بارتو ، بتاريخه الذى يخطف الأبصار ، ذلك التاريخ المأسوى فى مراحله الأخيرة . ان لهذا التاريخ جانبه الانسانى ، مثلما ان له أثره فى تطور صناعة التعدين . كان بارنى بارناتو اريبا ولماحا ، نتاج رجل الشارع فى لندن ، قادرا على المضاربة الجريئة ، والمغامرة ، خلق بارناتو لمعسكرات المناجم الخشنة . ولم يمض وقت طويل حتى وصل الى القمة كأعتى منافس لذلك العملاق المارد الآخر فى كيمبرلى : سيسيل جون روديس . وانتهى الصراع من أجل المستقبل الاقتصادى لمناجم الماس بتضافر روديس وباتانو كى يضعا الأسس الراسخة لصناعة الماس وآثرها فى العالم كله ، على النحو الذى نعرفه اليوم .

وضع بارتى بارناتو ما صنعه روديس وآخرون من رواد كمبرلى ، فانتقل من الماس الى مناجم الذهب المكتشفة حديثا فى فيتتفوتر سراند . وهناك ايضا اتسعت مصالحه على نحو هائل ، وبفضل الخبرة التى اكتسبها ايام كيمبرلى ، أسهم فى تحقيق النظام فى صناعة قيض لها ان تجعل كيمبرلى فى الظل غير ان بارنى بارناتو مات غرقا وهو فى رحلة استشفاء الى انجلترا ، وكان ذلك حدثا ميلودراميا شأنه شأن باقى تاريخه الغريب . غير ان الطريقة التى رحل بها لا تغير من الحقيقة التالية شيئا : ان هذا الرجل ، رغم كل توهجه ومسرحيته ترك بصمة لا تمحى على مسرح جنوب افريقية .

غير ان الارتقاء بصناعة التعدين ــ سواء كانت الماس أو الذهب او الفحم والثروات المعدنية الاخرى فى سنوات لاحقة ــ لم يكن بالطبع من صنع رجال قلائل . وكان البعض ــ ممن سبق ذكر اسمائهم ــ على صلة وثيقة ببارناتو ، بينما اسهم آخرون على نحو مستقل . وبمرور الأيام قيض لرجل آخر ان يكرر القصة القديمة ، قصة الزعامة اليهودية فى هذا المجال . فى يوم من الأيام قدم الى جنوب افريقية شاب من اصل المانى

- يهودى ، فى وقت صـــارت فيه اعمال روديس وبارناتو اقـــرب الى الأسطورة . وقيض لهذا الشاب ان يقوم بدورهم ليصبح «بانىامبراطورية» فى ميدان التعدين خلال الجيل التالى .

شخصية بارزة :

وصل أرنست (ســير أرنست فيما بعد) اوبينهايمار الى كيمبرلى فى مطلع القرن الحالى ممثلا لمؤسسة لتجار الماس ، ليصـــبح العبقرية التى لا يختلف عليها أحد فى حقل صناعة الماس ، وليصبح ايضـــا ـ فى الوقت المناسب ـ القوة الدافعـــة وراء اهم انشـــطة البحث عن الذهب . والمعادن غير الكريمة ، والتطورات الصناعية فى جنوبى واواسط افريقية .

وعند وفاته عام ١٩٥٧ لم يحظ سوى قلة من ابناء جنوب افريقية بما حظى به من اعتراف عالمى . واحترام . بوصفه قائدا بعيد النظر فى حقـل الاقتصاد القومى . ولا نستطيع ان نغفل ، فى معرض انتصاراته الأخـيرة ، افتتاح مناجم الذهب الجديدة فى الدولة الحرة ، والتطورات البعيدة المدى والعميقة ، فى اقصى شرقى الترانسفال . كذلك سيذكر الناس سير ارنست بوصفه رائدا فى صناعة النحاس بشمالى ردويسيا (زامبيا الآن) ، وانشطة اخرى خارج جنوب افريقية ، وسيذكرونه ايضا باعتباره فى أقطابالصناعة المستفيدين الذين يخدمون مجتمعهم .

ولقد واصل ابنه ، مستر هارى اوبينهايمار ، عمله بمقدرة ملحـوظة . ووفقا لنفس التقاليد ، تقاليد النشاط الخلاق .

فاذا وصلنا الى فترة اكثر حداثة ، وجدنا اناسا ورثوا مباشرة الرجال الذين تركوا بصماتهم الأولى على صناعة التعدين وجعلوها صرحا من صروح النقدم فى جنوب افريقية . سنجد اناسا من معدن المرحـوم مستر ا.س. هيرسوف ، مستر س.ج.مينيل ، مستر سيدنى سبيرو ، مستر ب.ل. برنشتاين . هؤلاء جميعا يشغلون ، او شغلوا ، مناصب رئيسية فى مراتب الصناعة العليا . ولقـــد مات مستر هيرسوف قبل الأوان ، وكان موته خسارة كبيرة لجنوب افريقية ، وكان هو ومستر مينيل مسئولين عن تشكيل مجموعة الانجلورفال ، التي انتشر نشاطها التعدينى والصناعى .

هؤلاء الرجال ممن ينحدرون من اصل يهودى اثبتوا على نحو بارز أن جنوب افريقية لا تزال البلد الذى يتيح الفرص لمن اوتوا الرؤية الشجاعة والحماس . انهم ، واسلافهم ، يشكلون عنصرا هاما من بين الذين كفـلوا

ـ على حد تعبير البروفيسور هوتون ـ حيوية جديدة ساعدت على الاستغلال الفعال للموارد الطبيعية التى تزخر بها جنوب افريقية .

كانت صناعة التعدين ابرز تجسيد لرأس المال الضخم فى جنوب افريقية ، وكان هناك من ينتقصون من قدرها او ينتقدونها هى وزعماؤها ، يهودا كانوا او غير يهود . لكن ، لا مراء فى ان الذين سيروا مصائر الصناعة وسيطروا على « مركز توليد الطاقة فى مشروعات جنوب افريقية الحديثة » ـ اذا استخدمنا عبارة البروفيسير هيربرت فرانكل ـ تركوا بصماتهم على تطورنا القومى على نحو لم يحققه سوى القلة . وكان يهود جنوب افريقية من بين رواد هذه الصناعة وبناتها ، كما كانوا من واضعى سياستها وقادتها فيما بعد ، وكان هذا من أهم اسهامات الطائفة اليهودية فى تقدم جنوب افريقية ورخائها .

اما فى ميادين التجارة والصناعة الثانوية ، فان الدور الذى لعبه رجال الأعمال ومقاولوا المشروعات اليهود شمل ، بالطبع ، رقعة ارحب . لكنه اسهم ايضا ـ كما عرضنا بايجاز آنفا ـ فى تدعيم واستقرار البنيان الاقتصادى بجنوب افريقية .

رواد التجارة :

لعب اليهود دورهم فى ظهور وتطوير صناعة التعدين ، وعلى نفس النهج سار التجار ورجال الصناعة اليهود ، فنشاطهم يذوب فى التيار الرحب للنهضة القومية ، التى يساهم فيها رجال كثيرون ومصالح كثيرة . لكننا حين نقلب صفحات التاريخ الاقتصادى لجنوب افريقية ، وحين ندرس الصورة المعاصرة ، سنجد شواهد كثيرة تثبت كيف اسهم يهود افراد ـ بشكل كبير ـ فى الوصول الى ما وصل اليه النظام الصناعى والتجارى بجنوب افريقية .

ولقد حدث مؤخرا ما ذكرنا بهذه الحقيقة ، فقد تواترت انباء باندماج بيتين من اقدم واكبر بيوت البيع بالجملة فى جنوب افريقية . ولقد قام احدهما منذ اكثر من قرن مضى ، ويحمل اسما ظل لقرون متداولا فى حقل التجارة والصناعة بجنوب افريقية . انه اسم المؤسسة التجارية الضخمة موزينتال ، وكان مؤسساها ـ جوزيف وادولف ـ وسائر افراد الأسرة من بين المهاجرين اليهود الذين قدموا اساسا من اواسط اوروبا واستقروا فى الكيب فى النصف الأول من القرن التاسع عشر .

وبالنسبة لما قدمه اليهود لجنوب افريقية فان قصة موزينتال ثبرز كسجل هام لأسرة استمرت الى اليوم دون انقطاع ، أسرة تعددت خدماتها فى حقل التجارة ، والمصارف ، والصناعة ، والزراعة والحياة العامة . ولقد بلغ من تقدير الاسم أن المؤسسة اصدرت « بنكنوت » خاصا – قبل قدوم النظام المصرفى المعتاد – كان يلقى قبولا فى كافة انحاء مستعمرة الكيب وابعد من ذلك .

ان « موزينتال اخوان » ، وذوى القربى ممن انضموا اليهم ، سيرة لجيل من اليهود المحترمين الذين ضربوا بجذورهم فى غربى وشرقى الكيب ، ودولة اورانج الحرة واثرى كثيرون وازدهروا كأعضاء فى طبقة التجارة الراسخة فى كيب تاون ، بورت اليزابيث ، ايست لندن ، جراهامزتاون ، بلويمفونتاين . وغامر آخرون وتوغلوا فى الداخل حيث اصبحوا وجوها مألوفة تقابل بالترحيب فى القرى النائية والمزارع المتناثرة ولم يكن مرجع هذه السلع التى يحملونها فحسب ، او لأنهم وسيلة لحمل منتجات المزارعين الى الأسواق البعيدة . وانما يضاف الى هذا انهم كانوا يمثلون – لمناطق معزولة عديدة – بعض النعم الحضارية والاجتماعية للعالم الأكبر . كانوا يعيشون حياتهم ، ويكسبون قوت عيشهم ، لكن رسالتهم كانت رسالة تحضر ايضا ، بكل ما تحمله الكلمة من معنى .

وثمة عدد كبير منهم بدءوا حياتهم باعة جائلين ، ثم استقروا فى القرى البعيدة وفى المحطات التجارية التى اصبحت مراكز اقتصادية ومالية للمجتمعات المنتشرة التى يخدمونها . والأمثلة لا حصر لها ، وهى اكثر من ان تسمع بقائمة مختارة ، غير ان من صورها عائلات كعائلات فريد لاندر فى دى آر ، ايلينبرج وسونبرج فى فاماكوالاند ، بومان ايهرلينج فى الدولة الحرة . فاذا حللنا عينة من السكان اليهود فى الكيب منذ ستين عاما فسنجد انه بينما استقر الغالبية فى المقاطعة الغربية فان المئات انتشروا فى مجتمعات صغيرة او اسر وحيدة فى حوالى ٧٠ قرية ، وكذلك فى المزارع المنتشرة فى انحاء المستعمرة .

اسهام بارز :

مضى وقت طويل على عهد الباعة الجائلين والتاجر الصغير فى الأرياف ، وكذلك عهد جمنة من التجار فى المدن الأكبر ، اما اليوم فنحن فى عصر المجمعات التجارية الهائلة ، والمال التجارية الضخمة ، والتجارة الحديثة بايقاعها السريع . واليوم يحسب عائد تجارة الجملة والتجزئة فى جنوب

افريقية بآلاف الملايين ، كما ان اسهامها فى الاقتصاد القومى يبلغ حوالى ١٣٪ من الاجمالى .

وكما كان الحال فى الماضى سنجد اليوم ان رجال الاعمال اليهود على كافة المستويات ــ بدءا من رؤساء المشروعات التى تتكلف الملايين حتى ادنى مستوى ــ موجودون فى المقدمة فى حقل التجارة القومية . ومن ابرز اسهاماتهم انشاء المتاجر المتعدده الوظائف والفروع التى غيرت العادات الشرائية للكثرة الغالبة من السكان وادخلت بعدا جديدا الى تجارة التوزيع . فى البداية عرفت فى اوساط الجماهير باسم « البازار » ، وانتشرت فروعها فى كافة انحاء المدن وفى عديد من المدن الصغرى ، ولم تعد ــ منذ فترة طويلة ــ تمارس اساسا ذلك النوع من التجارة الذى توحى به كلمة « بازار » . لقد شكلت شبكة توزيع حديثة تخدم كل قطاع من قطاعات من المجتمع وتلبى كل ذوق . وظلت تحافظ على سمة رئيسية تتمثل فى انها تشترى بالجملة وتوفر الكثير من نفقات الوسطاء ، وهكذا لعبت دورا حيويا فى خفض الأسعار وتكاليف المعيشة ، وارتفعت بمستويات معيشة اصحاب الرواتب والطبقات الوسطى . وهكذا قدمت للبلاد ــ ولا تزال تقدم ــ خدمة اجتماعية جليلة .

هذه الثورة الحقيقية فى تجارة القطاعى بجنوب افريقية تعود الى اكثر من ٤٠ عاما مضت ، غير انها تعاظمت فى الآونة الأخيرة . وقد تثير مشاعر الحسد ان نحن انتقينا عددا من الأسماء ، فى وقت اسهم فيه الكثيرون بالكثير لكى يحققوا الصبغة العصرية ويتوسعوا فى هذا الجانب من جوانب العمل بجنوب افريقيا . لكن ، ليس من شك فى اننا يجب ان نخص بالذكر ــ فى هذه القصة المثيرة ــ طاقات خلاقة وبعد نظر لرجال من امثال سام كوهين ، مايكل ميلر ، هارى هيربر ، ماكس سوننبرج ، موريس مووار بيرجر ، جوستاف اكيرمان ، ليون سيجال . لقد اتى هؤلاء الرجال بمفاهيم جديدة لتجارة المحال فى جنوب افريقية ، ولابد ان ندخلهم فى عداد امراء التجارة اليوم ، وان نضعهم فى مصاف الرواد فى الحياة الاقتصادية للامة .

وثمة جانب آخر من القصة يتجلى فى اضطلاع كبار رجال الأعمال اليهود بمسئوليتهم كاملة فيما يمكن ان نسميه تسيير دفة التجارة المنظمة ، وعلى هذا العنصر يتوقف قدر كبير من كفاية التجارة وحسن سيرها . وخلال الـ ٧٠ سنة من عمر رابطة الغرف التجارية ــ وهى « برلمان » البلد فى حقل الاعمال ــ جاء عدد من الرؤساء المرموقين من صفوف رجال الأعمال اليهود . وفى عام ١٨٩٢ كان لودفيج فاينتار شخصية عامة بارزة فى كيب

تاون ، وانتخب رئيسا ، ومنذ ذلك الحين ضمت القائمة اسماء بارزة مثل وولف ايرلينج ، كارل جونديل فينجار ، ايفان هاربرجر ، هاري جولدبرج ، ايمانويل برادلو . والى جانب ذلك داب رجال الأعمال اليهود على المساهمة بنشاط فى الغرف التجارية المحليـة والاقليمية ، وفى عـدد لا يحصى من اللجان ــ وندر ان سلطت الأضواء على مثل هذه الأعمال ، لكنها كثـيرا ما أثبتت اهميتها بالنسبة لطائفة رجال الاعمال ولجمهرة الناس .

اقطـاب الصـناعة :

ونلتقى بأقرانهم بين زعماء الصناعة ، ذلك الجانب الذى تتزايد اهميته بالنسبة لاقتصاد جنوب افريقية ، وهو يحقق اجمالى انتاج سنوى يقـدر بـ ٣٠٠٠ مليون روبية .

وفى جنوب افريقية نجد ان الصناعة الثانوية المنظمة وقدت متأخـرة بعد التجارة ، والتعدين ، والزراعة . غير انها انجبت ، خلال الـ ٥٠ سـنة الماضية ، عددا من الشخصيات القديرة ذات النظرة البعيدة ، ممن حققـوا لها وضعا بارزا فى الحياة الاقتصادية للبلاد .

وثمة حقيقية يجدر ذكرها وهى ان المنظمة المركزية للصناعة بجنـوب افريقية ــ ألا وهى غرف الصناعة الاتحادية ــ كان يراسـها فى الفترات الحاسمة رجال صناعة يهود كان عليهم ، بحكم منصبهم ، ان يواجهـوا مواقف جديدة وعسيرة فى بعض الأحيان . كذلك كان الوضع ، على سـبيل المثـال ، عندما راس موريس كريمار غرف الصناعة الاتحادية عام ١٩٢٤ ، وراسها من جديد فى الفترة ١٩٢٩ ــ ١٩٣٠ . وعندما راس ج.ب. ببرلين الغرف فى الفترة ١٩٣٨ ــ ١٩٣٩ . وخلال السنوات القريبة برزت اسماء س.ر.باك ــ ل.داب ــ م. بيرنتز ــ س. جودمان ــ هـ.س. ابراموفتز ــ ب. فريم ــ ا. فيليبس ــ ج.بلوم ، بين صفوف اقطاب الصناعة بجنـوب افريقية على الصعيدين المحلى والاقليمى .

ولا نكاد نصادف فرعا من فروع الصناعة بجنوب افريقية الا ونجـد دورا لليهود من رجال الابتكار والمبادرة ، وليس من النادر أن نجـد منهم من يلعب دور الرائد والمجدد . وحتى قبل دخول جنوب افريقية عصـرها الصناعى الراهن بالمعنى الحديث ، شهدت الكيب بداية المصانع الصـغيرة التى تخدم الاسواق المحدودة التى لم تتطلع الى المنتجات « الإستعمارية » . وهكذا يضاف ان الاسم الشهير لـ د.هـ ــ اسحق بات مرتبطا بصـناعة الأثاث ، وأن رجل صناعة يدعى اسحق صن يجرب صناعة الدباغة ، وأن

هيرمان وكانارد ، م. بفسنار ول . روبين يسهمون فى ارساء اسس صناعة التبغ فى جنوب افريقية

ومن قبل صنعت عائلة دى باس التاريخ بمغامرات رائدة فى صناعة الأسماك فى الكيب ، وصناعة السكر فى ناتال . وفى ناتال ايضا فان جوناس بيرجتيل ، الرجل الذى لا يهدأ ولا يكف عن ابتكار الأفكار ، حلم اوشك ان يحقق بداية صناعة القطن بجنوب افريقيه ، وكان ذلك فى نيوجيرمانى،حيث بنى رجل صناعة يهودى معاصر — مستر فيليب فريم — صناعة نسج الصوف والقطن على نطاق كبير .

وفى جمهورية جنوب افريقية القديمة فان رجالا نشيطين من امثال « سامى » ماركس ، اسحق لويس ، وشركائهم ، وخاصة الويس نيلمابيوس أدركوا بسرعة الآفاق التى تفتحها مناجم الذهب امام التنمية الصناعية وبفضل معونات سخية من الدولة ، تستهدف تحقيق مزيد من الاكتفاء الذاتى للجمهورية ، شارك لويس وماركس فى البدء او التخطيط لعدد من الصناعات من اجل الترانسفال ، بدءا من صناعة الديناميت للمناجم الى تجهيز المواد الغذائية وتقطير المشروبات .

غير ان الحروب ، وغيرها من الملابسات ، وضعت نهاية لمعظم هذه المغامرات ، رغم أنه كتب لبعضها ان يبقى وان يتحول الى مكاسب دائمة لاقتصاد جنوب افريقيا . لكن ، كان هناك ما هو اكثر من ذلك ، لقد اثبت ماركس ورفاقه ان جنوب افريقية « قادرة » ، وهكذا مهدوا الطريق لما اعقب ذلك من تطورات فى ظروف مواتية على نحو اكبر . ان اهم اسهام قدمه سامى ماركس الى التقدم الصناعى بجنوب افريقيا — رغم انه لم يكن فى بريق عدد من مشروعاته التى حظيت بامتيازات — هو الدور الذى لعبه كى يثبت وجود موارد فحم بالبلاد ، وكذلك جهوده التجريبية الأولى لانشاء صناعة الحديد والصلب التى كانت ارهاقا لأسكور .

كساء امة :

- ان اصحاب المشروعات من اليهود قد تركوا ويتركون اليوم ابرز علامة على التنمية الاقتصادية بجنوب افريقيا فى صناعات مثل صناعة الملابس ، والمنسوجات ، وتجهيز المواد الغذائية ، وصناعة الاثاث ، وتركوا بصماتهم فى هذه الميادين اكثر مما تركوها فى الصناعات الثقيلة . ومن نواح يجب ان يكون مكان الصدارة فى الميدان لصناعة الثياب . كانت البداية ممثلة فى محال متواضعة لتفصيل الثياب يعمل بها رجل واحد ، محال قائمة خلف المباني ،

لكنها ازدهرت وتحولت الى صناعة تكفل اليوم عملا لحوالى ٥٠٫٠٠٠ رجل وامراة ويبلغ اجمالى انتاجها حوالى ١٣٠ مليون روبية . ونصادف اليوم مئات المصانع ، من مؤسسات ضخمة للانتاج الضخم الى مؤسسات صغيرة يقل عدد العاملين فيهـــا عن ٢٥ . وهى تلبى الآن من ٨٠٪ الى ٩٠٪ من احتياجات البلاد من الملابس . يضاف الى ذلك ــ والفضل يرجع الى حد كبير الى نشاط الصناع والمصممين اليهود ــ ان الصناعة بجنوب افريقيــة اوجدت تجارة تصدير ضخمة ، لمنتجات استحقت اكبر الثناء فى الأسواق العالمية المتنافسة .

ولقد اسهمت التعريفة الجمركية لحماية الانتاج المحلى ، اســهمت فى تطور صناعة الملبوسات ، كذلك فان ظروف الحرب خلال الخمســين عاما الماضية شجعت ايضا الانتاج المحلى . لكن هذا كله لم يكن ليجدى فتيــلا لو لم يتوافر جنوب افريقية اناس بهم من المبـــادرة والتصميم ما يجعلهم ينتهزون الفرص الى اقصى حد انه تاريخ صناعة الملبوسات ــ وتاريخ قائمة طويلة من الصناعات الأخرى بجنوب افريقية ــ هو تاريخ رجال من هــذا المعدن . وفى معظم الاحوال فان اصحاب الحرف او التجــار ممن يملكون قدرا من الدراية والقدرات الضرورية فى ميدان العمل ، قد استثمروا ذلك بأن انشأوا المصانع ، وبذلك اسهموا ــ على المدى الطويل ــ فى الثـــروة الانتاجية بالبلاد .

وفى الترانسفال كان هـ.ج. هينوخسبيرج من بين أول الرواد فى صناعة الملابس ، وكان قد قدم الى الرائد من ديربان بعد الحرب بين الانجليــز والبوير بفترة وجيزة ، وانشأ مصنعا صغيرة واعقبه ، خلال سنوات قلائل س.وونش وآخرون . ثمة علامات بارزة على طريق التقدم فى مختلف فروع هذه الصناعة ، وتتمثل فى اسماء : برود ــ بينا شوفتز ــ جاكبســون ــ كالميك ــ كريمار ــ سليفار روزين ــ ســفارتز ــ جاف ، وهم قليلون من كثيرين . ومع تطور الصناعة ارتقت بانتظام مستويات الصنعة بها ، وارتقت فى اسلوبها وكفايتها ، الى ان اصبحت تقارن بمثيلاتها من ارقى المصنوعات فى العـــالم .

وتكرر نفس النمط فى الكيب ، ديربان ، وغيرهما من المراكز الصــناعية الاخرى الهامة . وفى الكيب تاون نجد موريس ايلينبرج ــ الذى اشــتهر كتاجر ناجح فى ناماكولاند ــ قد فتح مصنعا للملابس الواقية من المطر قبل الحرب بين الانجليز والبوير وفتح الطريق امام ازدهار الصــناعة . اما صناعة الملابس بمعناها الأشمل فتمت على نطاق واسع فى الكيب عام ١٩٠٧،

عندما اقام سايمون روى اول مصنع . ومنذ ذلك الحين والصناعة تتقدم بسرعة فائقة .

ان الصناع اليهود ، من طراز سايمون روى بيرنارد شوب ـ ريبوبيني باك ـ موريس مووير برجر كان فى ركب كل حركة الى الأمام . وتم الوصول الى القمة عندما حصل مصنع انشاه بيرنارد شوب منذ ما يزيد عن ربع قرن بجائزة دولية لأحسن تصميم لملابس الرجال .

وفى ناتال كان هارى ليندار ، ا. فيليبس من بين رواد صناعة الملابس، وفى ناتال ايضا اسهم فيليب فريم فى اقامة صناعة نسيج هائلة . وهكذا اضاف اسمه الى سجل رجال الصناعة اليهود ، من امثال وولف هاريس ، د.ا. فارم ، اللذين تذكر اسماؤهما لاسهامها فى هذا القطاع الهام للتنمية الصناعية بجنوب افريقية .

صناعات اخرى :

اذا كانت المبادرات اليهودية بجنوب افريقية قد اقترنت بصناعتى المنسوجات والملابس ، فانه يبدو ايضا ان صناعة الأثاث ـ سواء فى مجال التوزيع او الانتاج ـ كانت تناسب المستثمرين اليهود . كانت صناعة الأثاث اساسا ، عملا يمارسه الحرفيون ، وكانت تتم بمنازل صغيرة ، واذا بها تتطور الى وحدة انتاج ضخم يكفل عملا لحوالى ٢٠٫٠٠٠ صانع ، ويحقق انتاجا تربو قيمته ، فى مجمله ، على ٥٠ مليون روبية فى السنة . ولقد سبق ان ذكرنا اسم د.هـ.اسحق ، فى الكيب ، كواحد من الرواد الأول بجنوب افريقية فى هذا المجال . فاذا وصلنا الى سنوات قريبة الفينا اسماء مألوفة مثل برادلو ، جولدبرج ، بلوخ ، ستيل ، لوبنر ـ ونعترف بأن القائمة تقصر كثيرا عن ذكر الكثيرين الذين يعزى اليهم الفضل حقا فى هذا الصدد .

كذلك لعب رجال الصناعة اليهود دورا كبيرا فى تطوير الصناعات الكيماوية (نذكر فى هذا الصدد سليزنجر ـ ديلمور ، فرتيز جينزبرج ، سيفيز ، كارنوفسكيز) ، وصناعة التبغ (آل هارتز خلال العصر الجمهورى القديم ، آل سوزمان ، آل بوليكانسكى ، آل بفزينار) ، وصناعة الجلود وكان موريس كريمار وفرتيز جينزبرج من بين روادها (زاول الاثنان نشاطهما فى معقل الصناعة التقليدى ، الاقليم الشرقى) .

اما بالنسبة للشبكة الهائلة لصناعات تجهيز المواد الغذائية فان الفضل الاكبر يرجع فيها الى النشاط اليهودى ، والى مهارتهم فى ميدان الأعمال ،

والى راس مالهم . ومن الشخصيات الرئيسية فى هذا المجال عائلات لويس وجافى ، وعائلة فرانكل ، هـ.بوجورلسكى ، ا.البو ابراهام شابيرو الذى اشتهر فى ميدان التعليب .

وطبيعى ان هناك رابطة مباشرة بين صناعات انتاج المواد الغـــذائية ونتج المواد الأولية . لذا قد يهم القارىء ان يعلم ان يهود جنوب افريقيـة رغم اشتغالهم اساسا بالتجارة والصناعات والمهن الثانوية ، قد لعبوا دورهم فى حقل الزراعة وما يصل به من مجالات .

اليهـود فى الزراعة :

خلال فترة مبكرة فى القرن المـاضى لعب آل موزينتال ــ الذين سلفت الاشارة اليهم ــ دورا فى تطور صناعات الصوف وصـوف الميرنبو . كذلك ارتبطت عائلة دى باس بباكورة زراعة قصب السكر فى ناتال . اما صمويل ماركس ، هيلمان اخوان ، وآل جيفيسر فأسهموا بالكثير ، وبطرق عدة ، لتشجيع زراعة الغابات .

كذلك يعد ماركس من بين رواد زراعة الفاكهة فى الترانسفال ، واعقبه فيما بعد ــ وفى نفس الميدان ــ جوزييف ساربمبوك ، من سـيريس ، فى الكيب ، الذى اصبح احد رواد زراعة الاشجار النفضية فى جنوب افريقية ممن طبقوا الوسائل العلمية الحديثة للانتاج على نطاق واسع . وفى شرق الترانســفال طورا اوسليزنجر زراعة الحمضـيات التى يعتقد انها اضخم زراعة فى نوعها فى عالم اليوم يقوم بها فرد واحد .

وجنوب افريقية مدينة بالكثير لمجموعة المزارعين اليهود فى مثلث زراعة فى الترانسفال الذين اسهموا الى حد كبير ، عاما اثر عام ، فى موارد الأمة الأساسية من الطعام ، كما اسهموا فى صادراتها . ومن ابرز الشخصـيات فى هذا الصدد المرحوم اسرائيل لازاروس ، الشهير على الصعيد القـومى بـ « ملك ميلى » . من اسباب ذلك انه كان من ابرز المنتجين ، ومن اسبابه ايضا انه ضرب المثل فى الزراعة العلمية ، الأمر الذى كان له اثر كبير فى انتاج جنوب افريقية من الذرة وللانجازات التى حققها نظير فى الدولة الحـرة ، ذلك ان « ملك البطاطس » ، المرحوم ج.ب.لورى ، اثبت ان اســاليب الزراعة المناسبة تستطيع ان تفعل الكثير .

ولايسيطر اليهود خلافا للاعتقاد السائد ــ على الأعمال المصرفية والمالية، رغم ان يهودا افرادا ادخلوا الى البلاد ــ فى حقل الشئون الاقتصـادية ــ دراية بالمشاكل الاقتصادية ، وشئون النفوذ وسوق راس المال .

ويبرز اسم ا.و. شليزنجر من بين الذين أسهموا على هـذا النحو فى اقتصاد جنوب افريقية ، ولقد سبق ان اشرنا اليه كـرائد فى صـناعة الحمضيات . ان عبقرية المرحوم مستر شليزنجر المالية ــ ولقد اعتبرها البعض سحرا ــ لم تتجل فقط فى ميدان انشاء الشركات ، والتأمين والاعمال المصرفية لقد كان رجلا لديه أفكار خلاقة ، يتمتع بطاقة لا تفتر ، ويعـزى اليه ايضا فضل انشاء سلسلة من المسارح ودور السينما ، وادخال الاذاعة المنظمة ، وصناعة السينما فى جنوب افريقية ، الى جانب التطـورات التى تحققت فى ميدان الفنادق والخدمات . وفى ظل ابنه ووريثه ، مستر جون شليزنجر ، ظلت « امبراطورية » قوة فى النظام الاقتصادى لجنوب افريقية.

سجل يدعو الى الفخر :

وليست هناك ، لسوء الحظ ، احصائيات حديثة تحدد لنا صـورة عامة للاسهام اليهودى فى اقتصاد جنوب افريقية . ومنذ سنوات عـديدة عام الكاتب بعملية استقصاء دلت على ان الجالية اليهودية تشكل ١/٧ سكان جنوب افريقية الذين يعملون بالتجارة ، وحوالى ٢٪ من المشـتغلين فى الصناعات الأولية والثانوية ، وحوالى نفس النسبة فى قطـاع المهنيـين والمشتغلين بالخدمات العامة . وليس من شك فى ان الصورة تغيرت كثـيرا منذ ذلك الحين مع تطور الصناعة . وفى المـاضى انتبهنا الى ان اليهـود لهم نصيب وافر فى النهضة الصناعية الجديدة بجنوب افريقية ، ولهـذا الاستنتاج ما يبرره اليوم ، وعلى نحو اكبر . وواضح مما اوردناه ان قسطا كبيرا من المبادرة والنشاط الصناعى مرجعه ، فى المـاضى والحـاضر ، الجالية اليهـودية .

ويرى يهود جنوب افريقية بثقلهم فى هذه المهمة الجسيمة ، مهمة بناء ورعاية امة جنوب افريقية فى شبه القارة الافريقية ، تلك الأمة المزدهرة التى يشهد اقتصادها تقدما مطردا .

ووسط الضغوط العالمية والاخطار المهددة ، تزاد الحاجة ــ اكثـر من اى وقت مضى ــ الى اقتصاد سليم و « دينامى » فى جنوب افريقية ، فهذا شرط اساسى لبقائها . ان ذلك واحد من أمضى اسلحتنا فى الصراع من اجل الحفاظ على القيم التى لا يود احد منا ان يراها تضيع . ويحق للجاليـة اليهودية ان تشعر بالفخر ازاء الدور الذى لعبته ، وستظل تلعبه ، كى تظل جنوب افريقية قوية وآمنة .

ان اعلان بلفور ، المذكور أدناه ، والذى لعب دورا حاسما فى تحقيـق النجاح للصهيونية يرجع الى حد كبير للجنرال سمتس والى عدد من كبار

الشخصيات في جنوب افريقية والبند المأخوذ من « السجل الصهيوني »(٣) يلقى بعض الضوء على هذه الفترة التاريخية . ومنذ ذلك الحين واعـلان بلفور يلقى تأييدا رسميا مستمرا في جنوب افريقية (٤) .

(٣)

اعلان بلفور

وزارة الخارجية البريطانية

الثاني من نوفمبر ١٩١٧

عزيزي لورد روتشيلد

يسعدني كثيرا ان انقل اليكم ، نيابة عن حكومة صاحب الجلالة ، اعلان التعاطف ، التالي ، مع الأماني الصهيونية اليهودية ، وهو الإعلان الذي رفع الى مجلس الوزراء ووافق عليه : « ان حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين الرضا الى قيام وطن قومي ، في فلسطين ، للشعب اليهودي وستبذل قصارى جهدها كي تيسر تحقيق هذا الهدف ، على ان يكون واضحا عدم الاقدام على ما من شأنه الاضرار بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية الموجودة في فلسطين ، او بالحقوق والوضع السياسي لليهود في اى بلد آخر » .

واكون ممتنا لو اطلعتم الاتحاد الصهيوني على هذا الاعلان .

المخلص

ج.ا.بلفور

* * *

(٤)

احدث بحث يسلط الضوء على دور الشخصيات من جنوب افريقية في اعلان بلفور (٣)

ان المقال الرئيسي في المجلد الأول لـ « كتاب هرتزل السنوى » (١) ، ويشغل مائة صفحة يستهدف اثبات ان الدكتور هرتزل هو الصانع الأول لوعد بلفور ، رغم انه مات قبل ظهور الاعلان بـ ١٣ عاما ، وفي وقت لم يكن يتسنى فيه ان تظهر ملامح الاعلان ، سواء في مضمونه او مجاله .

ومما يهم جنوب افريقية بصفة خاصة تلك الأهمية التي يعلقها كاتب المقال ، دكتور اوسكار ك.رابينوفيتش ، على دور لورد الفبريد ملنر في التوصل الى وعد بلفور .

ويرتبط بميلنر اسماء زعماء صهيونيين في جنــوب افريقيا جعلوا من ميلنر ــ في عصر هرتزل وبتعليمات منه ــ صهيونيا .

وكان لدى مارثا جيتلين الكثير الذي تقوله ــ في كتابها «الرؤية المذهلة» ــ عن الرباط الذي يربط بين صهيونيين من جنــوب افريقيــة (هاري سولومون ــ صمويل جولدريتش ــ ماكس لانجرمان) ولورد ميلنر عنـدما كان مندوبا ساميا في جنوب افريقية .

وهي تذكــر خطاب هرتزل الى جولدريتش عام ١٩٠٣ والذي جاء به « اذا استطعت ان تثير اهتمام ميلنر بقضيتنا فســتكون لهــذا فائدته الجمــة ... » .

وتصرف جولد ريتش وآخرون وفقا لتعليمات هرتزل . اوتي هرتزل فريزة الاتصالات العديدة ، وبوحي من هذه الفريزة ادرك الدور الذي قد يقتضي الأمر اضطلاع ميلنر من اجل تحقيق الاهــداف الصهيونية . ومن ناحية اخرى لمس الزعماء الصهيونيون في جنوب افريقيا الحاجة الى مصادقة ميلنر ، فكانوا على اتصال وثيق به .

مكتب قنصلي :

وخول ميلنر للاتحاد الصهيوني ان يمارس نشاط بدرجة « قنصــلية نيابة عن اللاجئين اليهود من الترانسفال » ، الذي طفقوا ــ بعد حــرب البوير ــ يعودون الى بيوتهم في فيتفاترسراند ، وكانوا يصطدمون بعقبــات تتصل بجوازات السفر .

وكان تعيين الاتحاد الصهيوني بجنوب افريقية كممثل رسمي لليهــود حدثا له اهميته المحلية البارزة .

ولقد وصفت مارثيا جتلين هذا الحدث في كتابها . غير ان دكتور اوسكار رابينو فيتش يذهب الى ابعد من هذا ليصور كيف ان هذا الاختيار احدث ضجة هائلة في الدوائر الصهيونية بالعالم واعتبر نصرا بارزا للقضــية .. وظهرت « دي فيلت » المتحدث الرسمي للمنظمة الصهيونية العالمية والانباء تحتل صفحاتها الأولى ، مضيفة السطور التالية :.

« أن الاعتراف بالمكتب الصهيونى الرئيسى فى كيب تاون كممثل لليهود لخدث له أهمية بعيدة المدى » .

درس جنوب افريقية :

ونشرت « دى فيلت » فى عددها الثانى مقالا رئيسيا بعنوان « ليمون من جنوب افريقية » .

وكتب رئيس التحرير يقول « ان اصدقاء الصهيونية يرون فى هـــذا الاجراء تقدما طبيعيا ، مفرجا فى تقويم المشـكلة اليهودية ... واليهودى الانجليزى لا يحتاج الآن الى تمثيل قنصلى فى جنوب افريقية ، فالبلد كله وطنه . واما فيما يتعلق بالبلدان الآخرى فان كل يهودى حر فى التقدم الى قنصل بلده الأم . لكنه ليس بحاجة الى ان يفعـــل ذلك الآن ، فلديه من يمثله الآن ... » .

« لم بعد اليهود فكرة ، ولقد بات الشـــعب الانجليـ زى ينظـــر اليهم باعتبارهم يتمتعون بشخصية دولية مستقلة ... » « لم يعد هناك اعتراف بالصهيونية لحزب ، وانما اوضحت انجلترا بأنه اذا كان اليهـــود تنظيمهم المناسب فان بأمكانهم ان يعيشوا كجماعة مستقلة لها كافة الحقـــوق . ان انجلترا الحرة قد كفلت لليهود ، فى كافة انحاء العالم ، درسا عظيما » .

وفيما بعد ، وخلال انعقاد المؤتمر الصهيونى السادس (وهذا ما سجله رابينوفتش) حكى اوسكار مارموريك قصة جنوب افريقيـــــة من فوق المنصـــة .

« كانت كل جملة يتفوه بها تقريبا تقاطع بتصفيق من الوفود ، وتحول التصفيق الى تهليل للورد ميلنر وسام جولدريتش عندما وردت اسماؤها.

وفى يناير ١٩٠٣ بعث سام جولدريتش بتقرير خاص الى هرتزل بشأن « لجنة التصريحات » . وعندما تبرع اللورد ميلنر ، عـــام ١٩٠٢ ، ب ٢٥ جنيها استرلينيا لصالح صندوق اغاثة اللاجئين الرومانيين نشرت « دى فيلت » صورة للشيك احتلت الصفحة الأولى بأكملها ، كما بعثت برســالة الى ميلنر . وفى مناسبة تالية ، عندما زار مستر تشمبرلين جنوب افريقية تناولت « دى فيلت » فى افتتاحها موقفه وموقف لورد ميلنر المشـــايع للصـــهيونية .

ســبل غامضــة :

وتشير مس جيتلين الى خطاب بعث به جولد ريخ الى دكتور وولفسون فى عام ١٩٠٥ ، وفيه اشار الى هذه الصداقة مع ميلنر وقال :

« ترى هل ستعود هذه الصداقة القائمة بيننا ، هل ستعود بالنفع على القضية الصهيونية ؟ ان العناية الالهية تعمل بسبل غامضة » .

والواقع ان العناية الالهية عملت بسبل غامضة ، ويمضى رابينوفتش الى فصول اخرى فى الرواية ليرينا كيف ان ميلنر ، وقد صار عضوا فى وزارة الحرب البريطانية خلال الحرب العالمية الأولى ، لعب دورا كبيرا فى التوصل الى اعلان بلفور . ووفقا لبعض المصادر المسئولة فان ميلنر هو الذى صاغ نص الاعلان .

غير أن رابينوفيتش يشكو من ان دور ميلنر لم يلق التقدير الكافى ممن جاءوا بعد ذلك من المؤرخين الصهيونيين ، بما فيهم دكتور وايزمان فى كتابه « المحاولة والخطأ » .

وهو يورد ما جاء على لسان لويد جورج الذى ذكر ان ميلنر كان « متعاطفا من كل قلبه مع مثل الصهيونية الأعلى » وانه ، وبلفور ، كانا المنافحين « اللذين حثا الوزارة على اصدار اعلان يخدم المطلب الصهيونى » .

زرع البذرة :

غير أن مقال دكتور رابينوفيتش الرائع قد صحح خطأ المؤرخين . واهم حقيقة نخرج بها من مقاله هى ان قبل عام ١٩١٧ بأكثر من عشر سنوات زرع الصهيونيون فى جنوب افريقية البذرة التى ساعدت على ظهور اعلان بلفور .

لذا فان دور جنوب افريقية فى وعد بلفور ليس وقفا على سمطس وميلنر .. فجولدريخ ، ولانجارمان الرجل الذى راس الاتحاد الصهيونى — فعلا الكثير لتحقيق الاعلان .

(٥)

قرار لوزارة اتحاد جنوب افريقية
فى اجتماعها ببريتوريا فى ٤ سبتمبر ١٩٢٦

« ان حكومة اتحاد جنوب افريقيا التى تابعت لسنوات عديدة ، وباهتمام وتعاطف ، جهود المنظمة الصهيونية لاقامة وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين ، اذ ترى فى هذا الهدف اسهاما هاما فى السلام والمدنية ترجو كل النجاح لهذه المهمة ، وهى على استعداد — من خلال ممثليها فى عصبة الأمم وغيرها — لأن تفعل كل ما فى مكنتها للمساعدة على اقامة مثل هذا الوطن القومى » .

وعندما تصور وايزمان مستقبل التعاون بين جنوب أفريقية واليهود(٦) اعترف بن جوريون فيما بعد بأهمية التأييد الصادر عن جنوب افريقية وذلك عام ١٩١٧ (٧) . ومما يؤكد هذا السند ايضا ذلك النداء الصادر عام ١٩٥٣ الى يهود جنوب افريقيا للمعاونة فى تدعيم قوة اسرائيل الجوية (٨) .

(٦)
مذكرة عن افريقية (٤)

(حاشية وايزمان : تستند قضية المذكرة التالية الى افتــــراض ان افريقيه قد تصبح عصب الامبراطورية الاستعمارية لبريطانيا بعد هـــذه الحرب . والمشروع المفصل ادناه ذو اهمية سياسية بالغة ولا نعتقـد ان هناك مشروعا آخر يجاريه فى الأهمية بالنسبة لمستقبل الامبراطورية) .

١ ـ ان تطور الصناعة ، وبخاصة الصناعات الكيماوية ، عقب هـــذه الحرب قد يتخذ شكلا مختلفا تماما عن شكل تطورها من قبل . ان موارد المعادن الثقيلة ، اللازمة فى الصناعات الكيماوية ، تستنفد على نحو متعاظم كذلك جعلت السرعة التى تستغل بها آبار البترول الحالية ، جعلت هـــذه السرعة الجيولوجيين ينظرون الى المستقبل بعين التشاؤم . ولقد وضعت الولايات المتحدة الامريكية خططا للمحافظة عـلى الزيوت المعدنية ، وان لم ينفذ هذا بطريقة متشددة بعد . ورغم هذا يسود الرأى بأن رصيد امريكا من البترول لن يعمر لأكثر من الخمسين سنة المقبلة . ايا كان الأمر فقـــد يحصل النقص قبل هذا الموعد . هناك ، بالطبع ، امداد من البترول من الشرق الأوسط ، ومن جزر الهند الشرقية الهولندية ، ومن جنوب افريقية لكن نظرا لأن استخدام البترول سيتزايد بانتظام لا كوقود فحسب بل كنقطة بدء أيضا فى عديد من الكيماويات التركيبية ، نظرا لذلك من المهم ان ندرك أننا باستخدامنا البترول لكل هذه الأغراض نستنفد من رصيد محـــدود ـ دون شك ـ من ناحية الكم .

٢ ـ والى جانب الاعتبارات العامة الواردة فى الفقرة السابقة ، تبـدو الملاحظات التالية حول وضع الصناعة البريطانية بعد هذه الحرب : تبدو ، لى وثيقة الصلة بالموضوع .

فخلال هذه الحرب ركزت الصناعة البريطانية اهتمامها فى انتاج عدد محدود من مواد الحرب الهامة على مستوى جد رفيع ، مثل الطائرات ، والمدافع ، والدبابات ، لكنها لن تصبح مطلوبة بعد الحرب بنفس الكميـات المطلوبة الآن . ولم تشجع الحكومة البريطانية مشروعات جـديدة حتى او

بدا انها قيمة من اجل تطوير الصناعة على نحو اكبر . بل على العكس دلت السياسة المعلنة على ترك الانتاج الكيماوى ، مثل وقود الطائرات ، والمطاط الصناعى ، والهيدروكربون العطرى ، والبلاستيك ، تاركة هذا الصناعة الأمريكية ، على اساس ان المادة الخام اللازمة بمثل هذا الانتاج ، وهى البترول ، متوافرة فى امريكا ، وان استيراد السلع الجاهزة سيكون ايسر من استيراد المواد الخام . وعلاوة على ذلك خلال الفترة الاولى من صفقات ليند ــ ليز ، دفعت الحكومة البريطانية ثمن الامدادات من ارصدة الرعايا البريطانيين فى المشروعات الامريكية . وهكذا اختفى اسهام الصناعة البريطانية تماما ، ذلك الاسهام الذى كان قائما فى عدد من القطاعات الهامة فى الصناعة الامريكية .

وبعد هذه الحرب ستواجه الصناعة البريطانية الموقف التالى : سيكون الأمريكيون قد ارسوا دعائم صناعة كيماوية وميكانيكية جد ضخمة ، وجد قوية ، وسيعجز البريطانيون عن منافسة هذا السلطان الصناعى المجهز تجهيزا جيدا . وليس من شك فى اننا سنفقد أسواق امريكا الجنوبية بعد هذه الحرب اذ ستقع تحت السيطرة الاقتصادية الامريكية .

بقى اعتبار هام : كان من اعظم ارصدة الامبراطورة ان كل المطاط الطبيعى تقريبا الذى يحتاج اليه العالم ينتج داخل الامبراطورية البربطانية . وليس من شك فى أن المطاط الطبيعى بعد هذه الحرب سيحل محله الى حد كبير انتاج مركب ، كذلك الاستثمار نفسه سيكون قد فقد الكثير من قيمته

٣ ــ ما هى اتجاهات التطور التى يمكن التكهن بها الآن بالنسبة لمستقبل الصناعة الكيماوية ؟ ان اهمية المنتجات المصنعة ستتزايد ، بل ستحل محل بعض المعادن ، وبالتدريج ، منتجات عضوية مصنعة مثل البلاستيك . لذا يتعين البحث عن مصدر لمادة عضوية يمكن ان تحل محل البترول . وليس من شك فى ان هذا المصدر يتمثل فى الكربوهيدرات ــ السكر ، النشا ، السليلوز . وهذا المصدر لا ينفذ بالفعل ، ذلك ان الكربوهيدرات تنتج من جديد فى عالم الخضروات مرة كل عام على الأقل .

ومن خلال التخمر ووسائل التحول الكيمائى البسيط نسبيا يمكن ان تتحول الكربوهيدرات الى المواد التى تحتاجها الصناعة . ولقد بات هذا معروفا منذ امد طويل فى حالة الكحول ، فلقد تم تحويله ــ على نطاق واسع ــ الى عدد من المنتجات الصناعية الهامة . لكن يبدو ان ثمة انماط اخرى من التخمر تكفل امكانيات اهم امام تركيب مواد صناعية مختلفة . وتتفوق بذلك على التخمر الكحولى المعتاد ، مثال تخمر الاسيتون ــ بوتيل

الكحولى . وقد استخدم هذا الاسلوب على نطاق واسع فى كثير من البلدان نظرا لاهمية الاسيتون وكحول البوتيل فى حد ذاتها لكن حدث خلال السنوات الاخيرة ان تم استنباط وسائل لتحويل هاتين المادتين الى مجموعة ضخمة من الكيماويات ، وليس من شك فى ان اجراء مزيد من الدراسات سيفتح المجال امام طرق جديدة .

٤ ــ وتعرض السطور التالية ، بايجاز ، للامكانيات التركيبية لكحول الاسيتون والبوتيل .

ان كون كحول البوتيل يتحول ــ بعملية جد بسيطة الى بوتيلين يوضح الامكانيات المتاحة لكحول البوتيل . والبوتيلين اساس لوقود يحتوى على درجة عالية من الاوكتين ، الى جانب امكانيات المطاط الصناعى ، نمط بونا . والى الآن والبوتيلين يتم انتاجه من الغازات التى تتألف من البترول عند درجة حرارة عالية ، وهو يتكون من هذه الغازات باعتباره مكونا ضئيلا ، وعزله عملية شاقة ومكلفة . اما كحول البوتيل فيعطينا ــ مباشرة ــ بوتيلين نقيا من الناحية الكيماوية ، وكافة العمليات التى كانت تعتمد على اشتقاق البوتيلين تتم ــ او تتم على نحو افضل ــ تخمر البوتيلين . ويصدق هذا ، بالذات ، على التحويل الى مطاط البوتادايين والمطاط الصناعى . لكن ، الى جانب وقود الطائرات ومطاط بونا وفى الامكان استنباط مواد هامة من كحول البوتيل . ويمكن تحويل البوتيلين ، بعمليات وسيطة ، الى هيدروكربون عطرى ، يسفر ــ بدوره ــ عن اصباغ ومنتجات دوائية .

ويستخدم الاسيتون ، بكميات ضخمة ، فى صناعة البارود الخالى من الدخان . لكن هناك استخدامات اخرى عديدة للاسيتون . فلقد ثبت ــ ونحن نتحدث هنا عن بعض الامكانيات فقط ــ ان بالامكان تحويل الاسيتون الى ايسوبرين ، وهو المادة الاساسية للمطاط الطبيعى ، وقد قدر لها ان تلعب دورا هاما فى استنباط مطاط صناعى يفوق المطاط الطبيعى . وبالامكان تحويل الاسيتون الى عدد من المواد مثل الكيتون التى تتميز بنسبة عالية من الاوكتين ، الى جانب تميزها بخصائص اخرى . لذا فقد يمثل الكيتون افضل حل لمشكلة التوصل الى وقود لاقوى طائرات المستقبل التى قد تحتاج الى وقود افضل من الوقود الحالى الذى يتألف من ١٠٠ اوكتين . وبالنسبة لكحول الاسيتون والبوتيل ــ وكذلك من منتجات التخمر التى تضاهيه فى قيمتها ــ يمكن استنباط عدد من مواد البلاستيك ، وليس من شك فى ان بالامكان استنباط انواع جديدة ايضا ، وبذلك يصبح بالامكان استنباط مواد مصنعة من منتجات التخمر ، تحتوى على الصفات الميكانيكية

المطلوبة ، على نحو كان قاصرا فى الماضى على المواد المعدنية . اما الاحماض الثقيلة مثل حمض الخل ، أو الحمض الزبدى ، والانهيدريت ، فبالامكان التوصل اليها بسهولة عن طريق الاسيتون .

٥ ــ والواقع اننا نستطيع ان نفترض ان الكربوهيدرات ستحل ، فى المستقبل القريب ، محل البترول (والفحم) كمواد افتتاحية لأهم متطلبات حضارتنا .

فاذا اهتمت الامبراطورة البريطانية بالتطورات الممكنة ، كما عرضنا لخطوطها العامة فى الفقرات السابقة ، استطاعت ان تؤهل لنفسها وضعا يمكن الامبراطورية من منافسة الصناعة الامريكية . ان الاساس المادى لمثل هذه الخطة متوافر داخل حدود الامبراطورية البريطانية ، حيث يجد المرء الكربوهيدرات بوفرة . ان فائض انتاج القمح فى كندا واستراليا ، وفائض الحبوب فى جنوب افريقية ، وقصب السكر فى الهند وجزر الهند الغربية ظل لسنوات عديدة مضت يمثل مشكلة اقتصادية جادة بالنسبة لهذه الدول . وستختفى هذه المشكلة فورا اذا لم ننظر الى هذه المواد كمواد غذائية وحسب ، بل نعتبرها ايضا مواد خام لصناعة ضخمة . والواقع ان المجال امام التطورات التى ذكرناها آنفا هائل جدا لدرجة انه يمكن استغلال كميات هائلة من الكربوهيدرات التى تنتجها القارة الافريقية دون جهد بشرى بالمرة ، وهى كميات تضيع سدى اليوم ، ومن شأنها ان تحقق تطورا منتظما فى ميدان الزراعة بالقاهرة الافريقية .

٦ ــ ان الشطر الاكبر من المشروع المقترح هنا يستند الى عمل تم القيام به فى مختلف المعامل فى فلسطين وفى الولايات المتحدة الامريكية وفى اجزاء اخرى من العالم ، وثمة احتمال قوى بأن امكانية مثل هذا المشروع ــ فنيا واقتصاديا ــ ستكون موضع اختبار فى فلسطين اولا ، حيث الظروف مواتية لتحقيق مثل هذا المشروع الضخم الذى ــ يجمع بين الزراعة والصناعة وهكذا يمكن ان تصبح فلسطين المعمل او المصنع الرائد قبل المصنع الضخم الذى سيتمثل فى القارة الافريقية فى النهاية بمقتضى هذا المشروع . وليس من شك فى أن مثل هذا المشروع سيتيح لفلسطين امكانية استيطان عدد كبير من المهاجرين بشكل منتج ، وفى نفس الوقت فان الرابطة التى قد تقوم بين افريقية وفلسطين قد تقوى من وضع فلسطين وسط الجيران العرب ، او قد يمكن فلسطين فى النهاية من الانتماء ــ اقتصاديا وسياسيا ــ الى كتلة افريقية ، بدلا من الدخول فى اطار اتحاد عربى .

(٧) حقائق مثيرة يكشف عنها بن جوريون : التاريخ الرسمى لحرب الاستقلال (٥)

القدس : ثمة اعترافات وكشف مثير على لسان رئيس وزراء اسرائيل ووزير داخليتها ديفيد بن جوريون وذلك فى مقدمته الشخصية والفصل الافتتاحى لكتاب الجيش الاسرائيلى « التاريخ الرسمى لحرب الاستقلال
"official History of the vor of tndependence"
التى نشرها قسم النشر (ماراهوت) التابع للقيادة العامة الاسرائيلية عشية احتفال اسرائيل بعيد استقلالها الحادى عشر .

ورغم أن حرب الاستقلال انتهت فى ربيع عام ١٩٤٩ بتوقيع اتفاقيات الهدنة بين اسرائيل والاقطار العربية المجاورة (باستثناء العراق الذى رفض التوقيع على اتفاقية الهدنة) ، تأجل نشر كتاب الجيش الاسرائيلى التاريخ الرسمى لحرب الاستقلال) لعشرة أعوام .

واليوم فقط يعطى وزير الدفاع والقيادة العامة الضوء الأخضر ، لأماطة اللثام عن اسرار النضال الملحمى للشعب اليهودى من اجل استقلاله القومى .

وفيما يلى بعض الوقائع التى اماط مستر بن جوريون اللثام عنها :
ــ عندما بدأت الحرب لم يكن لدى اسرائيل سوى ١٠٠٠٠ بندقية ، ولم تكن لديها أية أسلحة ثقيلة .

ــ رغم ضآلة الجالية اليهودية فى جنوب افريقية فانها أسهمت فى المجهود الحربى بعدد من المتطوعين المهرة يفوق أى عدد فى سائر بلدان العالم الأخرى .

ــ تم تدريب فرق اسرائيلية كاملة من المتطوعين فى المانيا ، والنمسا ، وفرنسا ، وتشيكوسلوفاكيا ، وذلك فى عام ١٩٤٨ ...

ــ لولا المتطوعون الأجانب لما أمكن أن تقوم قوة جوية ، ولا قوات بحرية ومدرعة ، ولما امكن تطوير الأسلحة وتطوير الصناعة العسكرية . ونظرا لأنه بدون هذه القوات ما كان بمقدور اسرائيل الانتصار فى الحرب ــ وفقا للتاريخ الرسمى ــ من المسلم به أن حرب الاستقلال انتصرت بفضل المتطوعين الأجانب الذين شكلوا خمس اجمالى القوة المسلحة لاسرائيل .

(٨) نداء الى يهود جنوب افريقية (٦)

منذ خمسة أعوام قضى قيام اسرائيل على عديد من الأفكار الخاطئة والنظريات المسلم بها . حاربت اسرائيل وظهرها الى الحائط ، يحيط بها من كل جانب أعداء اشرار . ولولا الشريان الذى ظل يغذى قلب الشعب اليهودى فى اسرائيل ، ونقصد الاتصال الجوى ، لضعنا . ولولا الامدادات المحدودة التى جلبتها الى جبهة القتال ، وبشجاعة ، طائرات متنوعة ، لكانت القصة مختلفة . ان الجو هو الذى حرر اسرائيل ، ومن خلال الجو سيكتب لنا البقاء فى حالة وقوع مزيد من الأحداث .

وادراكا لأهمية طيران مدنى قوى ومدرب بالنسبة لاسرائيل ، حمل مستر مايكل كوى ، نائب مدير الخارجية الاسرائيلية ، ومستر ل. أ. بينكوس ، مدير الخطوط الجوية الاسرائيلية (العال) ، رسالة الى جنوب افريقية من مستر ديفيد بن جوريون ، رئيس وزراء اسرائيل . أما فحوى رسالته فهو أن عالم اليوم فى ازمة مستمرة ، أزمة لا يستطيع امرؤ ان يتكهن بنتيجتها . والوقت قصير ، وكلما سارعنا الى تدريب طيارين مدنيين لصيانة جهاز الطيران المدنى فى اسرائيل وتحقيق استمراره ، كان ذلك افضل لاسرائيل خلال الأزمات التى قد تحل بها . من أجل هذا فانهم يلتمسون انشاء فرع للرابطة الجوية الاسرائيلية خاص بجنوب افريقية وذلك لتوفير الوعى الجوى لدى اليهود ، واتاحة الفرصة لهم كى يساهموا فى تدريب العاملين فى حقل الطيران المدنى ، الى جانب اتاحة الفرصة لهم كى يسهموا فى تحمل النفقات الهائلة التى يتطلبها مشروع كهذا .

وفى ظل العلاقات الدولية الراهنة ، التى يسودها عدم الاستقرار ، لا تستطيع اسرائيل ان تستمر فى الاعتماد على عاملين غير اسرائيليين ، كما كان الحال حتى الآن ، عاملين يسيرون اتصالاتها الجوية المدنية ، عصب البلاد ، ذلك أنهم قد يستدعون الى بلادهم الأصلية بسرعة .

والصفات الواجب توافرها فى طيار مدنى قادر على نقل المسافرين على الخطوط الدولية اضخم واعقد من الصفات اللازمة للقوات الجوية . وقد يقتضى الأمر احيانا عامين لتحويل طيار فى القوات الجوية الى قائد لطائرة من أربعة محركات مثل الكونستيليشن . ومع توافر افضل الخامات البشرية فان اسرائيل تحتاج الى عامين على الأقل لاستكمال نصيبها من الطيارين المدنيين . وبسبب الظروف المناخية لا تصلح جنوب افريقية واسرائيل لتدريب الطيارين . ذلك أن الطقس فى هذين البلدين صاف دائما وساطع

دائما لذا فان الظروف جد مواتيــة ومن ثم لا يتم التدريب على الوجــه الأكمل . لذا يجب ان يتم التدريب فى بلاد مثل انجلترا واجزاء اخرى من أوروبا حيث يتوافر الضباب ، الثلج ، والمطر المصحوب بثلج ، وبذلك يألف الطيار كافة الظروف المناخية . وتمرين كهذا مكلف وباهظ النفقات . وسيكون الواجب الأول الذى يقع على عاتق اعضــاء الرابطة أن يسهموا فى البرنامج الضخم نيابة عن الطيران المدنى فى اسرائيل .

اننا نناشدكم الانضمام الى عضوية هذه الرابطة ، وسيكون الاشتراك جنيهين استرلينيين فى العام . وسـيكون من حق اعضــاء الرابطــة تلقى مطبوعات الطيران المدنى فى اسرائيل . وستوجه لهم الدعوة الى المناسبات والحفلات الشهرية فى البلد ، وسيتلقون رسائل الطيران الاسرائيلى بصفة خاصـــة والطيران عموما بصفة عامة . كذلك سيكون من حق الأعضـــاء الاشتراك فى الجائزة السنوية وهى تذكرة مجانيــــة للسفر الى اسرائيل والعودة منها ، وسيتم السحب على هذه الجـــائزة مرة كل عام فى حفل كبير . بجوهانسبرج أما اللجنة التى تشكلت لادارة شئون هذه الرابطــة نيابة عن اسرائيل فتتألف من شخصيات بارزة ومعروفة جــدا فى انحـــاء افريقية واسرائيل . ومن اعضــاء اللجنة شخصيات جوية مثل ليفتنانت كولونيل س. س. مارجو D.S.D.,D.F.G. ، وهو رجل اثبتت وجــوده وتفوق فى القوات الجوية لجنوب افريقية ، ومستر ت. سوسمان D.F.C. بالقوات الجوية بجنوب افريقيـــة ، ومستر جواده ، الذى كان رئيســـا للعمليات فى القوات الجوية الاسرائيلية .

غير ان الرابطة لن تستطيع الاضطلاع بواجبها الملح الا اذا استندت الى قاعدة عريضة من التأييد من جانب الجالية اليهودية بجنوب افريقيـــة ، ونحن نناشدكم ، وكلنا ثقة ، أن تنضموا الى عضوية هذا النشاط الجديد الهام ، وذلك لضمان مستقبل اسرائيل .

الحاخام الأكبر ، البروفيسير ل. أ. رابينوفتش

المدير العام

وليام أرونشون

الرئيس

يائير مارشاك

سكرتير شرف

(عندما كفت القيادة الرسمية للجالية اليهودية وكف الحاخامات فى جنوب افريقية ـ بعد عام ٤٧ ـ عن التنديد بسياسة العزل العنصرى التى تتبعها الحكومة ، ارتفعت اصوات مشيرة الى التناقض الأخلاقى المماثل فى هذا الموقف . وكان من اشد النقــاد مستر فريتز فليخ ، وهو أمريكى يهودى ، وكان سجينا فى داشو فى يوم من الأيام . وقد استمر يتهم الجالية اليهودية فى جنوب افريقية بأنها رضخت لأسلوب العزل العنصرى لحكومــة جنوب افريقية) .

(٩) وثيقة فريتز فليخ

(أ) من جافتز الى فليخ ، فى ٤ فبراير ١٩٥٨ .

مجلس الشيوخ الأمريكى

لجنة اللوائح والادارة

٤ فبراير ١٩٥٨

مستر فرتيز فليخ

٨٠٩٤ هوبتكوم

٢٨ ديترويت ، ميتشيجان

عزيزى مستر فليخ

شكرا على استفسارك الأخير . ولقد أتيحت لى فرصــــة تدبر الأمر الذى استسفرت عنه فوجدت أنه نظرا لأن اللجنة اليهودية داخل اتحــاد جنوب افريقية نفســه تعترض ، على نحو فعــال ، على ســياسة العزل العنصرى ، رؤى أن الامر لن يؤدى الى تسوية مرضية اذا ما اســـهمت المنظمات اليهودية خارج جنوب افريقية فى مداولات الامم المتحــدة التى اشرت اليها .

كم كان جميلا منك أن تتكرم بارسال هذه المواد ، وانا على يقين من انها ستكون خير عون فى عملى هنا .

المخلص

جيكوب ك . جافتز

مجلس الشيوخ الأمريكى

(ب) جهل مزعوم بشئون جنوب افريقية (٧)

سيدى ،

بوصفى زائراً لهـذا البلد يدهشنى جهل الناس الذين التقيت بهم . لقد ظللت مواطنا لجنوب افريقية لأكثر من خمسين عاما وتهمنى الى حـد كبير الحياة الاجتماعية لبلدى ، وبخاصة ما يمس الشئون اليهودية .

ولقد ظللت نائبا فىهيئة النواب اليهود بجنوب افريقية لأكثر من ثلاثين عاما ، وعضوا فى اللجـان فى جوهانسبرج ومختلف المؤسسات اليهودية ، ونشطت فى حملة التبرعات الصهيونية . ولدينـا حكومة جد صـديقة لاخواننا فى الدين . ولقد قام المرحوم الدكتور مالان ، وكان رئيسا لوزراء الاتحاد ، بزيارة لاسرائيل ، كذلك قام عديد من رجال الكنيسة وغيرهم من الشخصيات البارزة بزيارة اسرائيل وادهشتهم الانجازات الهائلة للشعب اليهودى خلال الـ ١٢ سنة الماضية .

ويتمتع يهود جنوب افريقية بتنظيم جيد ، أما هيئـة النواب — وهى لسان يهود اتحاد جنوب افريقية الوحيد — فليست سياسية .

والكثرة الغالبة منا تساند سياسة حكومة الاتحاد بالنسبة لأسـلوب العزل العنصرى . ولدينا حوالى ١٣ مليونا من غير البيض ، أما عدد البيض فلا يعدو أن يكون ثلاثة ملايين ، و ٧٠٪ من بين غير البيض أميون ، وتحاول الحكومة قصارى جهـدها كى تجبرهم على الحاق ابنـائهم بالمدارس ، والتعليم بها بالمجان . ويبلغ عدد اليهود فى جنوب افريقية حوالى ١٢٠ر٠٠٠ ولدينا عدد من القضاة والقضاة الجزئيين ، وعدد كبير من اليهود فى سلك الوظائف المدنية . وفى الآونة الأخيرة فقد سمحت حكومة الاتحـاد لكافة اللاجئين البيض القادمين من الكونغو بدخول الاتحـاد ، وكان من بينهم ١٥٠٠ يهودى .

الرئيس هوبينشتاين

ج) ردود فرتيز فليخ :

انهم ليسوا يهودا « على الهامش » ، وانما هم اكبر ممثلين لليهودية فى جنوب افريقية . انهم يقومون بالدور الذى قام به « المسيحيون الألمان » فى ظل عصر هتلر ، لكنهم لم يلقوا معارضة فى صحافة العالم اليهودية لقد حظوا بالتأييد بسبب امتناع كل المنظمات اليهودية لدى الأمم المتحـدة .

وبالنسبة لهذا الطراز من اليهود هناك عضو مجلس الشيوخ عن نيويورك ، جافتز ، ومجلس الجالية اليهودية بديترويت ، والحاخامات دكتور أيزيندرات ، جولد شتاين ، بيرلزفاريج .. الخ ... (١٩٦٣) الحقيقة غير ماثلة فى خطاب العضو جافتز ... وانما فىخطاب هوبينشتاين ... وليس هناك زعيم للكاثوليكيين فى جنوب افريقية ، والمنهجيين ، والانجيليين ... الخ عبر عن آراء كتلك التى عبر عنها هوبينشتاين . ورغم آل هوبينشتاين ، الذين يهيمنون على مجلس النواب اليهود . بجنوب افريقية وجد العضو جافتز أن من المناسب ارسال هذا « الرد » . لصالح من ؟

عندما حققت الأمم المتحدة فى السياسة العنصرية لحكومة جنوب افريقية امتنعت كل المنظمات اليهودية فىالأمم المتحدة (بما فيها مجلس النواب اليهود لجنوب افريقية) عن التعاون مع الأمم المتحدة ... لصالح من ؟ ولم تذكر المنظمات اليهودية بالولايات المتحدة الأمريكية لماذا حدث هذا الامتناع . لصالح من ؟ ١٩٦٤

) د (من موريس ل. بيرلز فاريج الى مستر فرتيز فليخ :

المؤتمر اليهودى العالمى .

_ 15 East 84th street

_ New York 28, N Y

٥ ابريل ١٩٦٣

مستر فرتيز فليخ

_ 8094 whitcomb offjireman

_ De troit 28

عزيزى مستر فليخ :

ان الاجابة على سؤالك عن جنوب افريقية ، الوارد فى الخطاب الذى تسلمته اثر عودتى مؤخرا الى نيويورك ، بسيطة جدا ، ولقد ظننت ان هذه الاجابة واضحة .

ان المنظمات اليهودية غير الحكومية قد امتنعت عن التعليق على مشاكل جنوب افريقية لأنها لا تريد أن يتفاقم الوضع الصعب الذى تجد فيه الجالية اليهودية نفسها فيه الآن . وهم يعلمون أن هذا التحفظ . رغم الاعتراضات المثارة ضده ــ أمر هام بالنسبة للجالية .

وبعبارة أخرى نحن لا نعجب بالبطولة بالتوكيل .

ان الجالية اليهودية فى جنوب افريقية قد تكون على صواب أو خطأ فى موقفها ، لكن من حقها أن تصوغ موقفها مثلما أن من حقك ان تنتقد هذا الموقف .

وعلاوة على ذلك فان المؤتمر اليهودى العالمى ممنوع ، بحكم دستوره ، من ممارسة اى نشاط يتعلق بأى بلد به جالية يهودية تستطيع ان تتحدث عن نفسها ، اللهم الا اذا طلبت الجالية ذلك او سمحت به . وقد لا تروق لك هذه الاعتبارات ، غير أن الحقوق الديمقراطية للجاليات اليهودية سليمة سواء راقت لك ولى النتائج أو لم ترق . وأجد لزاما على أن أقول ، انه قد احزنتنى اللهجة التى تشيع فى كثير مما كتبته . ليست هناك ادنى بادرة تعاطف مع يهود جنوب افريقية الذين تعذبهم المصاعب التى وجدوا فيها انفسهم ، ولا يبدو انك تقدر ليهود افراد ، وحاخامات سواء من الارثوذكس أو الاصلاحيين ، الدور الجرىء الذى لعبوه — وهو دور أضخم من عددهم — فى نضالهم ضد سياسة العزل العنصرى ...

لقد اقتصروا على الخروج بالجالية من حلبة الصراع ، وهم قد فعلوا ذلك لأن المسألة صارت ، فى جنوب افريقية ، موضع جدل سياسى حزبى وذلك الحق كل الحق فى ان تعتبر هذا الموقف خاطئا ، اذا كان هذا رأيك ، لكنى لا أرى اى مبرر للتنديد الشامل للمجتمع اليهودى بأسره — وهو ما فعلته — خاصة انك فعلت هذا من مكانك الآمن فى ديترويت .

واخيرا ، لست على يقين من كون هذه التنديدات تتم بدافع من نوايا حسنة من اى بلد ، خاصة الولايات المتحدة ، التى لا تزال العنصرية تمارس فيه نفوذا قويا تشهد عليه الحوادث اليومية . ان الواجب الأول على أى مواطن أن يعالج الشر الماثل عند عتبة بيته قبل أن يصدر حكما على جاره . وسيحكى لك اى مندوب امريكى فى الأمم المتحدة عن عظم العبء الذى يتعين عليه أن يحتمله وهو يواجه تهكم البلدان المعادية التى يكفيها أن تقرأ ما ترويه الصحف والكتب الأمريكية وانى لأسمح لنفسى بأن اقترح عليك أن توجه طاقاتك العظمى الى مشاكل العنصرية فى الوطن ، ذلك أن أى تحسن فى هذا الميدان سيخدم المعركة فى الخارج واختم رسالتك مذكرا اياك بنصيحة الحاخام هيليل . « لا تحكم على جارك الا بعد أن تضع نفسك فى موضعه » .

المخلص

موريس ل. بيرزفايج

وحتى عام ١٩٦٠ - كما يذكر ن. كيرشنار - نعمت الصهيونية بخمسين عاما من الصداقة والتفاهم (١٠) .

ولم تتأثر هذه الصداقة بالوضع الجمهورى (١١) ، رغم ان تصويت اسرائيل فى الأمم المتحدة عام ١٩٦١ كانت له اصداء غير مستحبة (١٢) .

(١٠) الصهيونية واتحاد جنوب افريقية

خمسون عاما من الصداقة والتفاهم (*) (٨)

ن. كيرشنار

(تقديم المؤلف : دعت مجلة « جويش أفيرز » المستر ن. كيرشنار - الزعيم الصهيونى المحتل بجنوب افريقية والرئيس الأسبق للاتحاد الصهيونى بجنوب افريقية - الى دراسة ازدهار الصهيونية فى جنوب افريقية منذ قيام الاتحاد . ولقد ركز على موضوع هام : التشابه بين تطور جنوب افريقية والنهضة القومية اليهودية) .

خلال الخمسين عاما الماضية سارت قصة الحركة الصهيونية بجنوب افريقية فى خطوط متوازية مع تطور اتحاد جنوب افريقية كدولة ، وتطور شعبه كأمة . وبعد حرب الانجلو - بوير لجأت بريطانيا الى الصداقة تداوى بها جراح الحرب . وهكذا شرعت فى اتخاذ تلك الخطوات التى أدت الى اعادة جنوب افريقية الى أهل البلاد ، وذلك من خلال قيام الاتحاد عام ١٩١٠ . واذا كان الافريكانيون قد خسروا جمهورياتهم من خلال حرب الانجلو - بوير ، الا أن قطاعى الشعب توصلا من خلال الاتحاد - الى الوحدة التى تجمع صفوفهم اليوم فى شكل امة .

وبفضل هذه التجربة التاريخية استطاع أهل جنوب افريقية أن يقدروا أهداف ومقاصد الحركة الصهيونية . ومنذ بداية الاتحاد أبدى زعماء أمة جنوب افريقية الجديدة تفهما عميقا للمغامرة الهائلة التى خاضها الشعب اليهودى كى يبنى أرضه . كان هناك بوتا ، أول رئيس وزراء فى اتحاد جنوب افريقية ، والذين عاصروا منا السنوات الأولى للاتحاد عرفوا كيف انه خلال لحظة خطيرة من لحظات الحرب العالمية الأولى ، عبر عن مساندته لتحرر الشعب اليهودى . وكان هناك سمطس ، الذى لعب دورا فى التوصل الى اعلان بلفور ، والذى صار اسمه محفورا فى التاريخ الصهيونى بفضل كل ما قدمه من مساعدات للشعب اليهودى . وكان ضابطه ، تيلمان

روس ، الذى كان المهندس الرئيسى للاعلان الموالى للصهيونيـــة ، وهو الاعلان الذى أصدرته حــكومة الجنرال هرتزوج عام ١٩٢٦ هــذا الى جانب مالان ، أول رئيس وزراء فى الكومنولث يزور دولة اسرائيل الجديدة والذى عاد وهو يحمل رسالة مؤداها أن اسرائيل تستطيع أن تكون مصدر الهام لجنوب افريقية .

هؤلاء الرجال قد أرسوا دعائم التقليد القائل بأن ثمة رباطا وثيقا بين أمانى اليهود وأمانى شعب جنوب افريقية . ان مسار التاريخ فى جنـوب افريقية قد منحهم الشعور بالمشاركة فى نضال شعب آخر من أجل تحقيق قومية . وبفضل هذا التقليد ارتبطت كل حكومات اتحاد جنوب افريقيـة بما حققته الصهيونية ـ وذلك خلال سنى النضال الأول ، وفى النتائج التى تحققت اليوم ، اذ تقف اسرائيل ، فى أمان ، وسط أمم العالم .

يجب ألا تفهم من هذا انه منذ البداية والصهيونية فى جنوب افريقيـة زهرة ترويها ـ متضافرة الجالية اليهودية الموجودة بالاتحاد كلهـا . كانت الحقيقة أبعد من هذا ، كان النضال شاقا يستهدف تنوير الجالية اليهودية بجنوب افريقية بالأهمية الحيوية للحركة الصهيونية . لقد شب أعضـــاء الجالية اليهودية وسط النعمـة ، وكان لابد من اعلامهم بأن هنــاك من لا ينعمون بهذا ، ومن يستحقون العون والتأييد فى الكفاح من أجل اعـادة بنـــاء الأرض اليهودية . والذين لم يريدوا أن يعكر أحد صفو حيـــاتهم اليومية ـ وفرص التقدم والثروة والراحة ـ كان لا بد ان يتعلموا الدرس الأساسى ، وهو ان من حق الشعب اليهودى ان تكون له ارضه الخاصة به . غير ان يهود جنوب افريقية لم يكونوا شواذا فى هذا الصدد ـ ففى كل بلد دارت نفس المعركة فى صفوف الجالية اليهودية .

كان عدد المؤمنين قليلا فى البداية . كان الذين يتذكرون القدس دائمـا معدودين ـ مجموعات صغيرة لم تكف قلوبها عن الحنين الى صــهيون ، مجموعات تفكر دائما فى الشعب اليهودى . كان هناك من يؤمنوا بأن بقـاء اليهود عبر ٢٠٠٠ سنة يعطيهم الحق ويلزمهم بأن يعملوا من أجل أعــادة ارض اسرائيل الى شعب اسرائيل ، وانه لا يمكن لشعوب أخرى ان تجنى من ارض اسرائيل الصلبة ما ورد فى الانجيل عن جمالها ، ومجدها وتراثها .

وكان ثمة قطاع قوى فى كيب تاون . كان هناك جيكوب جيتلين الذى وقف صامدا فى وجه رياح تهب . ان اسمه يبرز بصفة خاصة فى الحـركة الصهيونية بجنوب افريقية ، يراوده حلم ليل نهار كان على اســتعداد

للاسهام في كل شيء من شأنه أن يحمل الى يهود جنوب افريقية رسالة الصهيونية .

وكان هناك لينوكس لويوى في جوهانسبرج ، وهايمان موريس ، وصمويل جولد ريخ . وكان هناك ليوبولد كيسلر الذى استقر فيما بعد فى لندن واصبح صديقا لهيرتزل وقاد الحملة التى بعثت بها المنظمة الصهيونية العالمية لدراسة امكانية استقرار اليهود فى العريش . وكانوا هم وغيرهم نشطين خلال السنوات السابقة على قدومى الى جنوب افريقية ، ووضعوا اسس الصهيونية فى الرائد . وكان هناك المبجل . ا . كوهين من بولاوايو ، الذى غرس راية صهيون ، بثبات ، فى نفوس روديسيا وكان هناك رجال شرفنى ان اعمل معهم فى الحركة . وهنا يبرز فورا اسما برودو ، جانوار — ولكن يجب الا اعد قائمة هنا ، فلا شك أن القائمة ستغفل اناسا لا يقلون استحقاقا عن اناس وعتهم ذاكرتى اخذنا نعمل كى نقضى على اللامبالاة فى صفوف الجالية اليهودية ، وننشر الوعى بمشكلة الشعب اليهودى وحاجته الى أرض خاصة به . وكنا نعمل وسط الصعاب ، ونكافح من أجل تحقيق التقدم .

كان هذا هو الوضع عندما نشبت الحرب العالمية الاولى . وفى عام ١٩١٧ رحل جنرال سمطس الى انجلترا لينضم الى وزارة الحرب فى الامبراطورية البريطانية . وعقد اليهود اجتماعا فى جوهانسبرج اصدروا فيه قرارات تسال جنرال سمطس بأن يساعدهم فى خدمة قضية صهيون . كان المناخ مواتيا ، وسواء ادركنا ذلك او لم ندرك فلقد كان توقيت طلبنا فى محله . ثم اقبل اليوم العظيم يوم ان اعترف الحلفاء بما قدمه لهم ويزمان خلال الحرب ، وتم اعلان بلفور . وفى المدينة التى تطل على ضفاف التيمز اجاب التاريخ على الاغانى التى غناها اليهود على ضفاف انهار بابل .

وليست مهمتى كتابة التاريخ ، وما انا بقادر على ذلك . يكفى إن اقول ان وعد بلفور احيا الأمل فى قلب الشعب اليهودى الذى لم يجرؤ — منذ ايام سيروس — على ان يرفع قامته كاملة . وكان على يهود العالم ان يواجهوا التحدى — وكان على يهود جنوب افريقية ان يشاركوا الباقين فى ذلك . كانت نقطة تحول للحركة الصهيونية . وهنا ، فى جنوب افريقية ، لا يسعنا الا ان نعترف بالجميل للجنرال سمطس للدور الذى لعبه . وبفضل افعاله سجل اسمه فى تاريخ اصغر الشعوب ، كما حفر اسمه فى قلوب كافة اجيال اليهود التى اتت بعد ذلك . كذلك حمل شعبه معه فيما حققه من اجل الشعب اليهودى . وايا كانت رياح التغير التى هبت على هذه الارض —

ولقد كانت هناك رياح تغير اكسبت بعض القمصان اللون الرمادى واكسبت اخرى اللون الاسود ظل شعب جنوب افريقية صديقا مخلصا وصادقا .

وفى مطلع الحرب العالمية الاولى تم الاكتتاب فى جنوب افريقية لصالح ضحايا الحرب اليهود . وكان بيرنارد الكسندر رئيس الصندوق . وكانت اول مسئولية كبرى يضطلع بها يهود جنوب افريقية تجاه اخوتنا فى بلاد فقدوا فيها كل شىء بسبب الحرب ، بلاد لم يعودوا مطلوبين فيها . وتعهد يهود جنوب افريقية برعاية بعض اليتامى فى بلاد حل بها الدمار ، وكان هؤلاء اليتامى قد قدموا الى فلسطين (اسمها آنذاك) . اما اسحق اوحنبرج من الكيب تاون ، فقد جلب بعض اليتامى الى جنوب افريقية بدافع من انسانيته الدافئة . وتم ايواء بعضهم فى ملجأ يهودى للايتام فى كيت تاون ، بينما تم ايواء البعض الآخر فى جوهانسبرج ، حيث أسهم صندوق الاغاثة فى شراء دار سير ليونيل فيليب « اركاديا » ، وهناك اقمنا دارا للاطفال الذين فقدوا كل شىء وافتتح جنرال سمطس تلك الدار ، واذ افتتحها تفوه بهذه الكلمات « من الصائب ان يدخل الاطفال الى حيث عاش الاقوياء يوما ما » .

وازداد نشاط يهود جنوب افريقية داخل الحركة الصهيونية ، ورغم صغر عددهم اضطلعوا بمسئوليات لم تقتصر نتائجها على الحركة هنا وحسب وانما اثرت فى الشعب اليهودى بأسره ، ايا كان المكان الذى يعيش فيه هذا الشعب . وكان الاتحاد الصهيونى قد تألف آنذاك ، واخذ ينظم التأييد اليهودى بجنوب افريقية على نطاق واسع .

ولم يكن الأمر سهلا امام الذين اضطلعوا بالمسئولية غير عابئين بالمصاعب . والذين تزعموا الحركة الصهيونية رفضوا ان يتركوا المتاعب تصرفهم عن هدفهم . فالمتاعب تقتضى التغلب عليها . ولقد تعثرنا ، ولقد دميت اصابع اقدامنا وهى ترتطم بحجارة الطريق ، لكن ذلك لم يثننا عن عزمنا . وحملنا باعتزاز ، الخرقة التى تحولت فى أيدينا الى علم ، ذلك اننا كنا نؤمن ، فى اعماق قلوبنا ، بأن الشعب اليهودى لا يمكن ان يحرم من حقه التاريخى .

وقدم متحمسون كثيرون يد المساعدة . ان ذلك اليهودى العظيم العلامة ، دكتور لاندو ، الذى تحول فى اواخر اعوامه الى قديس ليهود جنوب افريقية ، قد لعب دورا هاما . كذلك فان موريس الكسندر ، ثم موريس كينتريدج ، اللذين تلمع اسماؤهما وسط نواب جنوب افريقية ، اسهما بثقلهما فى مساعدة الصهيونية فى رسالتها . ووقف القاضى جرينبرج بجانبنا فى ثبات . ومنذ

اليوم الذى قال فيه « ان هذه الرسالة مهمتى ايضا » ظل فى قلب الحركة ، يقدم النصح ، ويرشد ، ويتقبل فى سرور ذلك العبء الذى يوائم مركزه المرموق .

ومضت السنون سراعا ، الى ان وقفنا امام الأمم المتحدة . باسم من وقف زعماؤنا امام منصة الأمم المتحدة ؟ ــ باسم شعب مكسور ، شعب طحن حتى صار ترابا ، شعب تم تدمير الملايين منه فلم تبق سوى حفنة انتابتها الأحداث . غير ان زعماءنا طالبوا بحقوق لهذه الحفنة . وهم قد حركوا ضمائر من جلسوا حول مائدة الأمم المتحدة . وحانت «لحظة السبت» فاليهود هم أهل السبت عند سائر امم العالم ، وعندما اجتمعت هذه الأمم وكشفت عن صدورها ، استجابت لمطلبنا ، اعترفت بحق شعبنا ــ الذى كاد يلحق به التدمير الكامل ــ فى أن يبنى أسرائيل من جديد .

واعلن قيام دولة اسرائيل فى ١٤ مايو من عام ١٩٤٨ . وكانت امريكا اول من اعترف بهذه الدولة . وقد فهمت أن الرئيس ترومان استيقظ فى منتصف الليل كى يذيع اعتراف الولايات المتحدة باسرائيل . وتبعته روسيا فورا ... وكان هناك اعتراف آخر جاء فى اعقاب هذين الاعترافين : لقد بعثت مصر بطائرة لضرب تل أبيب بالقنابل . وبعدئذ ، وبينما الجيوش العربية تنقض على اسرائيل ، شرعت امم اخرى ، من بينها جنوب افريقية ، تعلن اعترافها بالدولة اليهودية .

وعندما اعلنت اسرائيل عن حرب التحرير لم يتقاعس الشباب اليهودى فى جنوب افريقية وابدى ادراكا واستعدادا للخدمة . وذهبوا ، سعداء ، يشاركون فى القتال داخل اسرائيل ومن اجل اسرائيل . وهنا ، مرة اخرى ، نجد ان الجو الذى تربوا فيه بجنوب افريقية جعلهم يدركون الحاجة اليهم . ان اسم جنوب افريقية يحتل مكانة سابقة فى تاريخ الصهيونية ، لا بفضل ما حققه اليهود وحسب ، وانما لأن الذين كانوا يرأسون حكومة جنوب افريقية اتاحوا كل الفرص لليهود كى يقدموا كل ما فى وسعهم من اجل النضال الصعب لتحرير اسرائيل .

وكانت زيارات زعماء الصهيونية القادمين الينا من الخارج خير سند لنا . رحب بهم شعب جنوب افريقية ، ورحبت بهم الطائفة اليهودية ، خير ترحيب . زارنا فيلسوف اليهودية العظيم ، ناحوم سوكولوف . وزارنا حاييم وايزمان وكان من عادة سمطس ان يتحدث عن « وايزمان وموسى » ــ وكان يضع وايزمان قبل موسى . وعندما تسلم وايزمان درجة فخرية من جامعة فيتفاترسراند ، كانت الجامعة العبرية بالقدس قد خطت خطوات

صغيرة منذ ان وضع هو ولورد بلفور لم يكن يحمل معه غير خطط البناء الذى سينهض فى القدس ، ومع ذلك وجه الدعوة الى جامعة فيتفاتر سراند لكى تكون ضيفا على بيت العلم الذى لم ينهض بناؤه بعد فى اسرائيل ... ومنذ ذلك اليوم الذى لا ينسى على عدد كبير من علماء جنوب افريقية ضيوفا على الجامعة العبرية فى القدس ، ورأوا بعيونهم حلما للشعب اليهودى يتحول الى حقيقة واقعة ...

وقبل قدوم سوكولوف ووايزمان قدم شماريا ليفين ، ذلك الرجل الذى تشبع بالحياة والثقافة اليهودية . ليست هناك قرية فى جنوب افريقية لا تتذكره . ذلك ان شماريا ليفين ، بقصصه التى تتحدث عن الحياة اليهودية ، ترك فى كل بيت يهودى ذكريات لا تمحى ابدا .

جاء الينا العون من جهات عدة . كانت هناك شخصيات مسيحية مرموقة ايدت الصهيونية ، الى جانب الأسماء التى ذكرتها ــ اناس مثل ادجار بروكس ، البروفيسور دينجمانز ، كولين شتاين . واذكر جيدا خدمة قدمها كولين . كل ذلك خلال الحرب العالمية الثانية . تلقينا برقية من كوبى ، فى اليابان ، مؤداها ان حوالى ٨٠ لاجئا من اوروبا لديهم تأشيرات دخول فلسطينيين ، لكن عليهم ان يسافروا عن طريق جنوب افريقية ، وليست معهم تأشيرات مرور بالاتحاد . فى تلك الأيام الخطرة كان الحصول على تأشيرة مرور امرا صعبا للغاية . وذهبنا الى كولين شتاين ، وحصل لنا على تأشيرات مرور لهؤلاء الثمانين كى يصلوا الى فلسطين خلال الحرب. هكذا كان كولين شتاين ، بوركت ذكراه ...

ونذكر ايضا جان هوفمير طيلة حياته العامة وهو يقدم لنا الخدمات ، ويشجعنا ، ويبدى تفاهما . كان يتحدث منافحا عن اليهود ، وكان يلجأ الى صورة الشجيرة التى احترقت لكنها لم تختف من الوجود ، وكان يقول أن النار المقدسة هى الروح التى حركت اليهود عبر العصور ، ورفعت الروح المعنوية لدى الجالية اليهودية فى جنوب أفريقية ، فى وقت بدا فيه أن الظلام يغلف كل شىء .

ثمة صفحة مشرفة فى تاريخ جنوب أفريقية ، صفحة تسجل أن الذين قدموا لجنوب أفريقية أجل الخدمات حملوا فى قلوبهم تعاطفا وتفهما لشعب صغير يحتاج الى سند .

ونحن الآن فى عام ١٩٦٠ ، نصف قرن على قيام الاتحاد فى جنوب افريقية ، ١٢ عاما فى حياة دولة اسرائيل .

ويقع العيدان في نفس الشهر ، ويشهدان أيضا مضى ٥٠ عاما على جهود اليهود بجنوب أفريقية من اجل القضية الصهيونية . واليوم فان الطريق الذى يتعين على جنوب أفريقية واسرائيل أن تسيرا فيه محفوف بالمشاكل الجسام لكن ثمة نجم يستطيع شعبا البلدين ان يستهديا بنوره . انه يتألق فى وضوح من خلال كلمات النبى الذى أهاب بنا أن نكون عادلين فى أفعالنا، وان نحب الرحمة وان نسير مع الرب فى تواضع . فلينر هذا النداء طريقنا لأجيال مقبلة .

(١١)

جمهورية جنوب افريقيا (٩)

سيطرأ التغير التاريخى على طبيعة دولة جنـوب افريقية فى ٣١ مايو فالبلد الذى عاش للحادى والخمسين سنة الماضية فى شكل اتحاد جنوب أفريقية سيصبح : جمهورية أفريقية ، ويوم أن يصبح جمهورية سيكف عن عضوية لكومنولث الأمم .

لم تكن جنوب أفريقية راغبة فى الخروج من الكومنولث . وعندما ذهب رئيس الوزراء الى مؤتمر الكومنولث فى مارس ،ذهب يحمل تفويضا بالسعى للحصول على موافقة الدول الاخرى الاعضاء كى تصـبح جنوب افريقيـة جمهورية داخل الكومنولث لم يكن هناك اعتراض على أن تتحمل جنوب أفريقية الى الحكم الجمهورى : فلقد كان هذا شأن الهند ، وغانا ، والملايو قبل أن يقرر الاتحاد أن يحدث تغييرا مماثلا . لكن ، كان ثمة اعتراض فى أن تستمر جمهورية جنوب أفريقية فى انتهاج سياسة الفصل العنصرى التى ظلت حتى ذلك الحين البنيان الأساسى لدولة جنوب أفريقية وعندما بات واضحا أن الانضمام لن يلقى موافقة دون تصويت ، وعندما بدا أن التصويت سيحدث انقساما ، سحب دكتور فيرفورد طلب جنوب افريقية، اما روابط الصداقة بين جنوب افريقية وبريطانيا والدول القديمة الاعضاء فى الكومنولث فباقية ، لكنه يتعين الآن ان تستمر هذه العلاقات على اساس من اتفاقيات ثنائية ، وهى اتفاقيات يحتاج معظمها الى تجهيز . ولقـــد صدقت بريطانيا على مشروع « تجميد » ، مشروع يجمد العلاقات القائمــة بينها وبين جنوب افريقية ، وبذلك تسمح بصياغة هذه الاتفاقيات خــلال عام .

وستصبح جنـوب افريقية جمهورية فى وقت تتعـاظم فيه الاختلافات بين ناخبيها ازاء السياسات القومية ، وهذه الاختلافات تنعكس على العلاقات بين الاحزاب ، بل تنعكس داخل الأحزاب نفسها . فهناك أفراد يشعرون

ان الوقت قد حان كى تكف جنوب افريقيــة عن مقــاومة تطبيق مزايا الديمقراطية بالنسبة لكل أجناسها ، هذا التطبيق الذى يشكل تحديا . بينما يشعر آخرون بوجوب حماية وضع الأوربيين ، على ان يتم التوســع ــ فى نفس الوقت ــ فى حقوق غير الأوربيين داخل مجتمع مشترك ويشــعر فريق آخر أن الحل لا يتمثل فى مجتمع مشـــترك ، وانما فى توفير مناطق منفصلة يحصل فيها غير الأوربيين على حق التصويت والادارة الذاتية ، على اساس يفضى الى اتحاد فدرالى بين الاقاليم الاوروبية والاقاليم غير الأوروبية ، على أن يتمتع كل اقليم بالحكم الذاتى اللهم الا فى المسائل التى يقتضى فيهــا الصالح العام مظلة الحكومة المركزية .

تلكم هى السياسات التى يحق للاحزاب والأفراد أن تختلف حولها داخل الجمهورية مثلما كان من حقها أن تختلف حولها داخل الاتحاد ، على ان يؤخذ فى الاعتبار عامل هام جدا : ان الاجراءات التى يعبرون بهــا عن خلافاتهم يجب الا تعرض امن الدولة للخطر . غير ان قضــيه ما من شــأنه تعريض او عدم تعريض امن الدولة للخطر هى جزء من النقاش السياسى ، وذلك امر حتمى فى ظل ظروف جنوب افريقية . وفى داخل الحزب الحاكم ، وكذلك داخل المعارضة ، سيكون من واجب السياسة المحكنة أن تضمن الوقار وقلة الانفعال فى التعبير عن الاختلافات ، وهو ما يقتضــيه وضــع جنوب أفريقية الصعب .

وما ينبطق على المواطنين ينطبق على الطائفة اليهودية . ان الـ ١٠٠ر٠٠٠ يهودى فى جنوب أفريقية جزء مستقر ودائم بين السكان الاوروبيين ، وهم يتمتعون بنفس الحقوق ويضطلعون بنفس الواجبات شأنهم شأن غيرهم من المواطنين ، وهم سيظهرون للجمهورية نفس الولاء الذى اظهروه للاتحاد . والتاريخ يقدم لنا امثلة عديدة على هــذا الولاء الذى عبر عن نفسه فى كل ميدان من ميادين الحياة بجنوب أفريقية : ولقد تتبعنا الجوانب البارزة فى هذا السجل على هذه الصفحات منذ عام مضى ، عندما احتفلنا باليوبيل الذهبى للاتحاد . وفى المهن والفنون ، فى التجارة والصناعة فى التعليم فى العلوم والخدمات الاجتماعية ، اسهم اليهود ــ على نحو هائل ــ فى رفاهية جنوب افريقية وتقدمها . ان اليهود يمارسون حقهم كمواطنين يعتنقــون معتقداتهم السياسية الشخصية ، دون ما توجيه او تدخل من المنظمــات الطائفية اليهودية (التى لا تشترك فى النقاش السياسى اللهم الا المسائل التى تهم الطائفة اليهودية مباشرة ، وهكذا نجد ان اليهود من بين اعضــاء ومؤيدى كافة الأحزاب السياسية فى البلاد ، بل وداخل مجالسـها الحاكمة فى بعض الأحيان) .

وسيستمر هذا الوضع فى ظل الجمهورية ، واننا لعلى يقين من أن اليهود سيسهمون فى تقدمها مثلما أسهموا فى تقدم الاتحاد . ان الولاء للدولة ، بالنسبة لليهودى ، مفهوم تطالبه به اليهودية ، فالتلمود يذكر أن « قانون البلاد هو القانون » ، وكل يهودى مطالب بأن يصلى من اجل رفاهية الدولة، تأكيدا لهذا المعنى . وكل يوم سبت وفى كل معهد يهودى ، تقام الصلوات كى ـ يحمى الرب ، ويرشد ، الاتحاد وحكامه . ولقد اجرى حاخاماتنا التعديلات الضرورية كى تنطبق هذه الصلوات على الجمهورية . كذلك ستقام فى المعابد اليهودية صلوات خاصة ، احتفالا بمقدم الجمهورية ، مع الأمل المخلص فى أن يقود الرب جنوب افريقية الى بر الأمان وسط أية عواصف قد تتهددها ، وأية متاعب قد تنتظرها . فليرفع الرب شأن جمهورية جنوب أفريقية ، وليقدها الى انجازات جديدة على الصعيد القومى ، مما يفتح مسالك أمام التعاون الذى يمكن كل الأجناس ، والألوان، والعقائد ، من أن تعيش معا جنبا الى جنب ، فى ظل من الاحترام والثقة المتبادلين يساعد الواحد الآخر من اجل تقدم البلد الذى يعتبر اما لنا جميعا .

(١٢)

تصويت اسرائيل فى منظمة الامم المتحدة

أصدقاؤه فى جنوب افريقية (١٠)

ادجارير نشتاين

صدم مواطنو الجمهورية للنقاش الذى دار حول جنوب أفريقية بالأمم المتحدة هذا العام . ولم يكن مبعث الصدمة ما قاله منتقدو جنوب أفريقية وحسب ، وانما كان مبعثه ايضا مسلك الدول التى شاركت فى الانتقاد .

وتضمنت القائمة بلادا كانت تمتنع عن النقد فى الماضى او كانت معتدلة او متحفظة فى بياناتها الخاصة بسياستنا . وكان من بين هذه البلاد اصدقاء قدامى لجنوب أفريقية مثل بريطانيا ، الولايات المتحدة الأمريكية ، هولندة، بلجيكا ، اسرائيل .

وربما كان اكثر ما اقلق جنوب افريقية قرار اللوم الذى اقترحته دول افريقية وآسيا ضد وزير خارجية افريقية ، مستراريك لو ، بسبب الخطاب الذى القاه امام الجمعية العامة ودافع فيه عن سياسة جنوب افريقية

الخاصة بـ « التنمية المنفصلة » . ووقف وراء القرار ٦٧ صوتا فى مقابل صوت جنوب أفريقية الوحيد المعارض وامتنعت بريطانيا ، والولايات المتحدة الأمريكية ، والدومينيون ، ودول أوروبا الغربية (باستثناء هولندة) . وأيد قرار اللوم الدول الافريقية ـ الآسيوية ، الكتلة السوفيتية الأرجنتين، بوليفيا ، البرازيل ، شيلى ، أكوادور ، هايتى ، هندراوس ، اسرائيل ، المكسيك ، هولندا ، بناما ، بيرو ، أوروجواى ، فنزويلا .

اما تأييد هولندة لقرار اللوم فأثار جنوب افريقية ، ذلك ان العلاقات التاريخية والثقافية مع شعب هولندة ولغته كانت ضخمة وعميقة . وظهرت تعليقات مرة على موقف هولندة ، وذلك على لسان رئيس الوزراء ، دكتور فير فورد ، ووزير الخارجية ، مستر لو ، والصحافة الافريكانية .

كذلك كان هناك انتقاد لموقف اسرائيل التى أيدت قرار الادانة وفى نفس الخطاب الذى ندد فيه رئيس الوزراء موقف هولندة ، أشار الى موقف اسرائيل اشارة موجزة لكنها مشحونة ، اذ قال « امتنعت دول اخرى فى اوروبا عن التصويت ، اما ممثل حكومة هولندة فآثر ان يصوت . اما الحليف الوحيد لحكومة هولندة فى هذا الموقف فكان حكومة اسرائيل » .

واذاع وزير الخارجية حديثا موجها الى جنوب أفريقيا من نيويورك ، حيث كان يرأس وفد جنوب افريقية فى دورة الأمم المتحدة ، وافاض فى الاشارة الى موقف جنوب افريقية ، بعد أن انتقد بشدة السياسة التى انتهجتها هولندة . قال انه لم يكن يتوقع أن تساند اسرائيل جنوب افريقية ، وانما توقع أن تمتنع عن التصويت مراعاة للصداقة والعون الذى قدمته حكومة جنوب افريقية ، ووزراء فى الوزارة ، لاسرائيل ، مما فى ذلك التسهيلات الخاصة لتحويل كميات ضخمة من المال الى اسرائيل عن طريق يهود جنوب افريقية . وعبر عن ايمانه « اهالى جنوب افريقية الذين تربطهم باسرائيل روابط عنصرية ودينية ، جنبا الى جنب مع اهل هولندة ، ان يوافقوا على التصرف العادى الجاحد الذى أقدم عليه الوفد الاسرائيلى فى الأمم المتحدة » .

اما المهاجرون الهولانديون الى جنوب افريقية فقد عبروا عن انتقادهم واحتجاجهم العنيف على تصويت وطنهم السابق ، وفكروا فى ارسال التماس الى حكومة هولندة .

وكان لتأييد اسرائيل لقرار اللوم ردود فعل مختلفة داخل الطائفة اليهودية . واستاء معظم اليهود اذ وجدوا اسرائيل من بين الدول التى صوتت ضد جنوب أفريقية وسعى البعض الى تفسير أو تبرير موقف اسرائيل ، وانتقد آخرون تصويتها بصراحة .

أما « زايونيست ريكورد » لسان حال الاتحاد الصهيونى بجنوب أفريقية، فانتقدت موقف اسرائيل ، وذكرت أن من المؤسف له أن تصوت اسرائيل الى جانب الدول المؤيدة لقرار اللوم ، بدلا من أن تمتنع مع المجموعة الغربية « وفى وقت حرمت فيه جنوب أفريقية من حقها فى أن تعرض وجهة نظرها امام الجمعية العامة الأمم المتحدة » . واضافت المجلة تقول انه سواء اعجبت الوفود أو لم تعجب بتعليقات ستر لو « فان ثمة خيانة كاملة لكافة المثل العليا التى يمكن ان تحقق مقاصد الأمم المتحدة وتتمثل هذه الخيانة فى محاولة منعه من ممارسة حرية التعبير ، وذلك باستخدام التصويت كسلاح للسلطة الغاشمة » .

أما « جويش هيرالد » ، لسان حال المعدلين الصهيونيين ، فكانت أكثر صراحة ، اذ انتقدت موقف اسرائيل التى صوتت « ضد واحدة من أول واخلص أصدقاء اسرائيل » ووصف هذا الموقف بأنه « غريب ، لا مبرر له، يفتقر الى الواقعية السياسية » . وشعرت الصحيفة أن هناك تركيزا ، اكثر من اللازم ، على الصداقة التى يقل أن عددا من دول أفريقية وآسيا يبديها لاسرائيل ، وفى مقابل هذا تجيز اسرائيل على التصويت مع هذه الدول . فاذا سلمنا بأن اسرائيل تواجه مصاعب فى وضع حساس كهذا ، فاننا لا نقلل من شأن هذه المتاعب ونؤمن بأنه لم يكن هناك من الاسباب الوجيهة ما يمنعها من الامتناع عن التصويت « ان حق الامتناع عن التصويت توافر من أجل مواجهة مثل هذه المواقف الصعبة بالفعل » .

أما « ساوث أفريكا جويش تايمز » فاتخذت اتجاها مغايرا ، فقالت ان اسرائيل كانت تجاهد كى تعزل الدول الافريقية الجديدة عن مجال نفوذ ناصر ، وانه على ضوء هذا الجهاد صوتت اسرائيل — على كره منها — ضد جنوب افريقية ، وقالت الصحيفة أن هذا — رغم انه ضد جنوب افريقية — سيفيد فى النهاية جنوب أفريقية واسرائيل ، اذا ما نجحت محاولة الحيلولة دون سياسة ناصر فى التغلغل .

وشعرت صحيفة « أفريكانار بيديشى » زيتيونج أن التصويت يعكس صراعا بين حقين ، بين سياسة جنوب أفريقية ومبادىء اسرائيل ، وانه ازاء موقف كهذا لم يسع اسرائيل الا أن تنتهج السبيل الذى انتهجته .

وأبدت الصحافة العامة ضبطا ـ محمودا ـ للنفس ازاء هذه القضية الشائكة ، وتجنبت التسرع فى التعليق ، سواء بمهاجمة اسرائيل أو التماس العذر لها . غير أن الصحف افاضت فى نشر انباء القضية ، واتصلت بهيئة النواب ، باعتبارها المنظمة التى تمثل يهود جنوب أفريقية ، طالبة منهـا التعليق . واستجابة لهذه الطلبات ذكر متحدث باسم الهيئة أن كثيرين من يهود جنوب أفريقية انتقدوا بشدة تصويت اسرائيل لصالح قرار اللوم.

وقال المتحدث باسم الهيئة « من المسلم به ان اسرائيل ، فى رسمها لسياستها الخارجية ، يجب أن تأخذ فى اعتبارها عوامل حساسة ومعقدة هى وحدها القادرة على الحكم عليها . ومع ذلك كان ثمة احساس باننا هنا أمام قضية بسيطة : حرية التعبير امام محفل دولى . وفى ظل هذه الظروف كان حريا باسرائيل ان تنضم الى الأمم المتحدة الغربية الاخـــرى وتمتنع عن التصويت فى قرار اللوم الافريقى الآسيوى » .

ومضى البيان يقول « ان المواطنين اليهود فى جنوب أفريقية يقدرون بعمق مظاهر حسن النوايا العديدة ، التى أبدتها جنوب أفريقية تجـاه اسرائيل ، ويأملون ـ مخلصين ـ أن تستمر العـلاقات بين البلدين فى المستقبل على نفس الاساس الودى » .

وبينما رحبت جنوب أفريقية بتعليق « زايونيست ريكورد » وبيان هيئة النواب انتقدتهما اسرائيل بشدة ، وفى اسرائيل رات كبريات الصحف انه ليس من اللائق أن يحاول يهود جنوب أفريقية أو طائفة يهودية أخرى خارج اسرائيل ، التأثير على سياسة الحكومة الاسرائيلية . وقالت الصحف ان هــذه السياسة لا بد ان تقوم على مبدا عدم التمييز ، حتى لو كان ذلك غير مستساغ لطائفة يهودية كطائفة جنوب افريقية . غير أن بعض الصحف شعرت انه كان يتعين على اسرائيل ان تراعى ، على نحو أكبر ، وضع جنوب افريقية ووضع طائفتها اليهودية ، بعد سجل الصداقة الطويل بين البلدين. وكانت أكبر صحيفة معارضة « حيروت » هى التى عبرت عن هذا الراى بقوة . وردت عليها صحف موالية للحكومة قائلة ان تصويت اسرائيل ضد التفرقة العنصرية فى جنوب أفريقية لم يكن تصويتا ضد جنوب أفريقية ، التى تعتز اسرائيل بصداقتها ، فاسرائيل تسعى الى مصادقة كل البلاد ، لكنها فى سعيها الى هــذه المصـادقة ـ لا تستطيع ان تضحى بالمبادىء الأساســية .

واعقب ذلك ان بدات ، فى أوساط الطائفة اليهودية بجنوب أفريقية، مناقشة للقضية العريضة التى تقتصر على التصويت لصالح قرار اللوم ،

وانما تعدتها الى موقف اسرائيل العام تجاه جنوب افريقية فى الأمم المتحدة، وما اذا كان من حق يهود جنوب أفريقية أن يعبروا عن آرائهم بالنسبة لموقف اسرائيل . ولا يزال هــذا الجدل دائرا ، وهو يعكس وجهات نظر متباينة . فبعض اليهود يندون باسرائيل تنديدا تاما بسبب موقفها ، ولقد بعثوا برسائل الى مستر لو يؤيدون موقفه . وآخرون يؤسفهم أن اضطرت اسرائيل الى التصويت ضــــد جنوب افريقيا ، لكنهم يشعرون انها اضطرت الى ذلك بسبب نضال الحياة والموت الذى تخوضه فى الشرق الأوسط ، وحاجته الملحة الى كسب اصدقاء من بين الدول الأفريقية كى تبعدهم عن ناصر ، غير ان نفرا يؤمن بأن من واجب اسرائيل أن تتصرف بوحى من المبادىء ، حتى لو ضايق هذا يهود جنوب أفريقية . انعكست كل هذه الآراء فى رســائل الى المحرر ، وفى الاجتماعات التى انعقدت للمناقشة . وهدد قلة من اليهود بوقف مساندتهم المالية اصناديق الاكتتاب الصهيونية اذا ما استمرت اسرائيل فى التصويت ضد جنوب افريقية ونادى آخرون بعدم وجوب الزج بقضية التبرعات الصهيونية فى هذا الجدل .

ونستطيع أن نتفهم بسهولة البواعث وراء الذين انتقدوا مسلك اسرائيل فى تصويتها ضد جنوب افريقيا ، ايا كانت تحفظاتها ازاء سياسات جنــوب افريقية وايا كانت مشاعرهم الصهيونية الا انهم كانوا يعبــرون عن المهم ــ باعتبارهم من جنوب افريقية ــ اذ يرون اسرائيل تضم صوتها الى الأصوات المناهضة لجنوب أفريقية بعد كل هذه الصداقة الحميمة بين اسرائيل وجنوب افريقية . واعتبر هذا رد فعل حى وســليم من مواطنى جنوب افريقية تجاه موقف من هذا النوع . ولقد عبرت « دى بيرجر » عن تقديرها لهذا فى افتتاحية رحبت فيها بالموقف ، كما رحبت برد فعل المهاجرين الهولنديين ، واضافت فى صدق « لاتظنوا أن اتخاذ موقف كهذا اسـهل على من اتخذوه . ان حب الوطن يولد مع كل انســان . ان الهولنــديين واليهود الذين احتجوا على موقف هولندا واسرائيل ــ بدافع من حبهم لوطنهم الجديد ــ سيهبون غدا ويحتجون ضد أية دولة عظمى اذا تلطخت سمعة هولندا او اسرائيل بنفس الطريقة الماكرة التى لا تليق . ولا يستطيع امرؤ ان يأخذ عليهم ذلك » .

بيد ان الأمر يقتضى ، فى نفس الوقت ، توضيح كثير من الحظ . أن وضع يهود جنوب افريقية ليس مماثلا لوضع المهاجرين الهولنديين الذين يستطيعون ــ بشكل مباشر أو غير مباشر ــ ان يمارسوا حقهم فى الاحتجاج

على حركة هولندا . أما يهود جنوب افريقية فليسوا مواطنين لاسرائيل ولم يكونوا فى الماضى ، وعلاقتهم باسرائيل لا تشبه عـلاقة المهاجرين الهولنديين بهولندة ، لذا فليس من حقهم ، قانونا ، أن يتخذوا اجراء مشابها . أما حقهم فهو حق اى مواطن من جنوب افريقية فى انتقاد اسرائيل أو اى بلد آخر ، وليس لهم أكثر من هذا الحق .

ولقد سألنى بعض الأصدقاء من غير اليهود : « لماذا صوت اليهود ضدنا فى الأمم المتحدة ؟ » وكنت حريصا على أن ابرز انه « ليس اليهود هم الذين صوتوا على القضية ، وانما حكومة اسرائيل ، وهى دولة ذات سيادة مسئولة أمام مواطنيها ، مواطنيها فقط » .

أما يهود جنوب افريقية فليسوا مواطنيين لاسرائيل وليس لهم دور فى صياغة سياستها . ويهود جنوب افريقية مواطنون لجنوب افريقية ، وولاؤهم هو ولاء لجنوب افريقية وحدها . وروابطهم باسرائيل دينية وثقافية ، وهم يقدمون العون لمساعدة الوكالة اليهودية على توطين اليهود فى اسرائيل ، وهم يساندون المؤسسات الدينية والثقافية والانسانية فى اسرائيل ، لكنهم لا يقدمون مساهمات مالية لحكومة اسرائيل ، كما انه ليس لهم دخل فى اى شىء تفعله حكومة اسرائيل . وينطبق هذا على اليهود فى كافة انحاء العالم . ولقد حدد رئيس الوزراء ، مستر بن جوريون ، حدد هذا الوضع بوضوح عندما رد ـ منذ سنوات ـ على أسئلة عن وضع اليهود الأمريكيين تجاه اسرائيل . فقد قال ان اليهود الأمريكيين مواطنون للولايات المتحدة الأمريكية لا لاسرائيل ، وان ولاءهم كمواطنين هو الولايات المتحـدة تماما ، وولاءهم ليس الاسرائيل .

وتنطبق هذه الاعتبارات أيضا على قضية تأييد اسرائيل لمشروع قرار العقوبات ضد جنوب افريقية فى اللجنة السياسية الخاصة بالأمم المتحدة (والقرار نظر الآن ـ وانا اكتب هذه السطور ـ فى الجمعية العامة) . ومهما بلغ شعور مواطنى جنوب افريقية بالألم (وفى رأى انهم محقون فى هذا الشعور) اذ يرون اسرائيل تساند قرار العقوبات (وان كان لها تحفظات ، فقد عارضت الفقرة الخاصة بالطرد وامتنعت عن التصويت بالنسبة لفقرة البترول وفقرة السلاح) ، فانه يجب ان يكون واضحا ان موقف اسرائيـل فى الأمم المتحدة تقرره الحكومة الاسرائيلية ، التى لم تطلب ـ ولا تفكر فى أن تطلب التوجيه من يهود جنوب افريقية . وبالمثل فان يهود جنوب افريقية يصوغون مطالبهم وسياستهم دون املاء من اسرائيل ، التى تحترم تماما وضعهم ككيـان مستـقل ، يدينون بولائهم ـ كمواطنين ـ لجنوب

أفريقية أيا كان التزاوج فى الأفكار ، والدين ، والثقافة ، بين يهود جنوب أفريقية واسرائيل .

كان اغتيال الدكتور فيرفورد عام ١٩٦٦ مناسبة لهيئة النواب اليهودية كى تعلن عن تقديرها لموقفه الايجابى من التفرقة العنصرية (١٣) . وفى العام التالى ، ورغم استمرار قدر من الخلاف الرسمى ، أبدت جنوب أفريقية تعاطفها مع اسرائيل فى حرب يونية ١٩٦٧ (١٤-١٥-١٦) .

(١٣)

هندريك فرينش فيرفوورد (١١)

واجهت جمهورية جنوب افريقيه تجارب الاسابيع القليلة الماضية بقدر كبير من الهدوء الظاهرى ، والفضل فى ذلك يرجع الى استقرارها الأساسى والى التعقل وحسن النوايا التى تتسم بها كافة قطاعات السكان . انالمأساة التى حلت بالبلاد ، والتى تمثلت فى الاغتيال الوحشى لرئيس الوزراء الدكتور فيرفورد فى قلب البرلمان ، جعلت الحزن يشمل كافة المواطنين ، على اختلاف اتجاهاتهم السياسية او العرقية كما أن الحادث كشف عن وحدة روحية هائلة وتسلم رئيس الوزراء الجديد ، مستر ب.ج. فورستر ، مهام منصبه فى هذه الظروف غير المتوقعة ، وقوبل فى كل مكان بالمشاعر الطيبة، مما يبشر بمستقبل مشرق .

ان الحزن الفياض على وفاة دكتور فيرفوورد المأساوية ، وحرارة تأبينه، كل هذا كشف عن مدى تغيير صورته من سياسى حزبى الى زعيم وطنى محنك . ان ابتعاده عن قيادة السفين كان مأساة قومية كبرى . لقد قاد سفينة الدولة ـ خلال سنوات حرجة ـ بيد ثابتة ورؤية واضحة ، وبث الثقة من خلال تكامل شخصه ، وصدقه ، واخلاصه الكامل لمنصبه الكبير. واحس كثيرون انه كان بسبيل فتح فصل جديد فى تطور جنوبى افريقية ، واعدا بعلاقات افضل مع الدول الافريقية المجاورة ، مع التوسع فى حريات الشعوب غير البيضاء بالجمهورية .

فترة مثار جدل :

ومما يدل على سمو منزلة دكتور فيرفوورد فى نظر الطائفة اليهودية ان المتحدثين والصحفيين ، حين اثنوا عليه ، لم يغفلوا انه كان مثار جدل بين

اليهود فى مطلع حياته العملية . فاذا نظرنا الى الوراء الآن وجدنا انه كان يعكس ــ فى تلك الفترة ــ المواقف السائدة لحزبه ، ذلك الحزب الذى كان يمر بأزمة ايدلوجية كبرى وعندما طهر الحزب نفسه فى النهاية من المؤثرات الأجنبية وعاد الى طريق جنوب افريقية التقليـدى ، طريق التسـامح الدينى ، احترم دكتور فيرفوورد تعهد الحزب بأن يحرر الحياة العامة من السياسة المناهضة لليهود .

صحيح انه منذ سنوات قليلة ، عنـدما وقفت اسرائيل بجـانب الأمم الافريقيـة الآسيوية منددة بسياسة جنوب افريقية العنصرية ومحبـذة عقوبات من شتى الأنواع ، لم يخف دكتور فيرفوورد احساسه بخيبة الآمل والحنق . ولكنه أوضح الطريق لبلده فى الوقت المناسب ، اذا أصر على ان سياسة اسرائيل يجب الا تكون سببا فى اثارة مشـاعر العداء ضد الطائفة اليهودية فى هذا البلد . وقال « ان اليهود مواطنون فى جنوب افريقية ولقد عبروا ، بطرق شتى ، عن وطنيتهم تجاه جنوب افريقية . ويجب الا نسمح باثارة مشاعر ضد اليهود فى جنوب افريقية .. ومما لا شك فيه ان الحكومة لن تنتهج مثل هذا الموقف تجاه السكان فى جنوب افريقية .

رؤية متحدية :

لعب دكتور فيرفوورد دورا كبيرا فى اعطاء مفهوم الفصـل العنصرى (الذى اكتسب ــ بحق او عن غير وجه حق ــ معـانى من التمييز غير العادل) تفسيرا جديدا ، متحديا ، ايجابيـا . وأعلن عن رؤيـته بصوت مجلجل فى آخر خطاب كبير له عند الاحتفال بالعيد الخامس للجمهورية هذا العام فقد قال :ــ

« لسنا غير عابئين بمطامح على العكس ، فقد كان علينا كأمة أن نناضل من اجل ما نملك ، ولقد حققنا هذه الحرية ، ولذا نفهم كيف تشتعل هذه المطامح فى صدور الآخرين . والذين يؤمنون بأمتهم وبوجودها المسـتقل أقدر الناس على تفهم رغبات الآخرين فى تحقيق نفس المصير .

نحن نقدر قومية كل دولة منفصلة فى دول افريقية ونقـدر المطـامح المماثلة لمختلف الأمم والمجموعات القومية القائمة حاليا داخل حـدودنا . ومن واقع تجربتنا لا نقدر مطامحهم وحسب بل نود أيضـا أن نسـهم فى الآخذ بيدهم من اجل تحقيق مطلبهم بطريقة سليمة . ان الحـرية يجب الا تتحقق للقلة المختارة وحسب ، لدكتاتور او اثنين ، وانما للجماهير ، من أجل تقدمهم وسعادتهم » .

كانت هذه رؤية دكتور فيرفوورد . وحالت يد قاتل دون اثبات ما اذا كان قادرا على وضع الرؤية موضع التنفيذ .

فرصة مستر فورستر :

وفاز مستر فورستر برئاسة الوزارة باجماع مؤتمر حزبه ، كما حظى بأطيب تمنيات الجمهورية ككل ولقد اعلن عن عزمه على الالتزام بسياسات سلفه كل الالتزام . وان مهمته لثقيلة ، فهى تجىء فى وقت تتعرض فيه الجمهورية للهجوم من جهات عديدة . ودوره الجديد يتطلب ما هو أكثر من الالتزام التام بالمبادىء التى أعلن عنها الحزب الوطنى . وهو مطالب لا بضمان امن الجمهورية واستقرارها الداخلى وحسب ، وانما هو مطالب بأن يثبت للعالم أن هجماته على السياسات العنصرية للجمهورية لا مبرر لها .

والتحدى الذى يواجه هذا البلد هو أن تقنع العالم ان التنمية المنفصلة سياسة عادلة تعد بفرص أعظم وحريات أوسع لكل من يقطنون هذه الأرض. وليكن من نصيب مستر فورستر وحظه السعيد ان يسهم فى تحقيق ذلك .

(١٤)
الهام للرجال فى كل مكان
ردود فعل صحافة جنوب افريقية
« مراقب » (١٢)

ثمة سمة تلفت النظر فى الطريقة التى عالجت بها صحافة جنوب افريقية ازمة الشرق الاوسط ، لقد بدأ الاهتمام الشديد بالأزمة من قبل الصحف الانجليزية والصحف الافريكانية (وكانت اكثر عاطفية) .

وانعكست الأحداث فى عناوين الصحف ، واتخذ ذلك طابع المأساة الحتمية ، أو الكابوس السريع . وكان واضحا ان التوتر آخذ فى الازدياد يوما بعد يوم ، وذاب الأمل واضمحل فى الصفحة الأولى ، فقد تعدت الامور نقطة الكارثة ، فقوات الأمم المتحدة انسحبت ، وخليج العقبة قد أغلق ، وناصر يتحدى وجود اسرائيل نفسه .

وطبيعى أن الشاغل الاكبر لصحافة جنوب افريقية هو ان التصاعد قد يوقع العالم كله فى الحرب وتجلى هذا لا فى التعبير عن القلق مباشرةوحسب، وانما فى تقدير كل قوة فى مقابل القوى الأخرى ، وكون امريكا وروسيا مستعدين — الى اى مدى — لتطويق الصراع ، والى اى مدى يود ناصر ان يذهب ، والى اى مدى تسمح اسرائيل بذلك .

واصبحت الأمم المتحدة هدفا لصحف كثيرة وقابلوا بين انسحابها فى وجه العدوان بالشرق الأوسط واستعدادها للتدخل فى جنوب غربى أفريقية

المسالة وفى اسلوب لاذع قالت صحيفة « ذافولكسبلاد » ان أوثانتاستجاب لطلب ناصر كى يتخلص دون شك من عبء اقرار السلام فى الشرق الأدنى بينما تتشاور الجمعية العامة عن كيفية تعكير صفو السلام فى جنوب غربى أفريقية » . وليس معنى هذا أن الأمم المتحدة كانت محرومة من مدافعين. فقد أشارت « ذاستار » الى أن السكرتير العا مكان امام احترام الميثاق او خرقه . ولاحظت « دى بيرجر » ان المنظمة لاتزال قادرة على ان تحفظ للمنازعين مركزهم . لكن ، ما أن وصلت الأزمة الى ذروتها حتى ظهر الانتقاد المستمر لدور المنظمة العالمية ، وبخاصة فى الصحف التى تساند الحكومة .

تعاطف مع اسرائيل :

واتسمت التطورات بظهور تيار قوى من التعاطف مع اسرائيل التى تعاظمت قوتها مع تحرك الأزمة نحو الحرب ، رغم ان الخوف من انتشار الاشتباكات كان قائما منذ زمن . وعندما أصبحت الأزمة على شفا الحرب لم تكن كل الصحف واثقة بمصير اسرائيل ، وبدا واضحا أنها تعتقد أن أمام اسرائيل مهمة صعبة . وثمة بند يصور هذا ، قوامه تقرير من لندن برز فى معظم الصحف وظهر التقرير فى « بريثو ربانيوز » تحت عناوين لها مغزى « تغيرات عديدة منذ ١٩٥٦ — الطريق الى النصر ليس مباشرا وسهلا امام اسرائيل هذه المرة » . اما « راند ديلى ميل » فكانت اكثر تشاؤما : « اذا اخذت اسرائيل زمام المبادرة وقامت بالهجوم فان هذه الانقسامات (بين الدول العربية) ستزول مؤقتا ، وستجد اسرائيل نفسها تحارب فى كافة الجهات ضد أعداد يفوقونها عددا وان قلوا عنها فى الكفاءة العسكرية وستكون حربا يصعب على اسرائيل ان تأمل فى حلها » . وكانت « دى اوسترليج » اكثر تشاؤما ، وكانت شديدة التعاطف مع اسرائيل منذ البداية حتى النهاية ، اذ قالت « مهما بلغ حظ اسرائيل من الاستعداد والشجاعة الا اننا لا نستطيع ان نتوقع من اسرائيل الصغيرة ان نصر امام مثل هذا الهجوم الضخم ، المتعصب دينيا » .

وباندلاع الحرب اصبحت الصفحات الأولى وقفا على انباء القتال ، وامتلأت الصحف بصور المبادىء ومقالات عن مختلف جوانب الصراع ، ونبذ عن الزعماء . ولا جدال فى ان الجنرال ديان كان محط الاهتمام ، ونشرت الصحف عديدا من المقالات والخطابات عن حياته العامة .

وبالنسبةلقضية تحديد المعتدىلم تخف صحافة جنوب أفريقياتعاطفها. كان ثمة ميل الى القول بأن اسرائيل كانت المعتدى من الناحية الفنية ،

أما المعتدى الحقيقى فكان الرئيس ناصر الذى سلك سلوكا استفزازيا . وكان واضحا أن ثمة شعورا بأن اسرائيل محقة اذ شنت الهجمات الأولى . وأعلنت (ستار) « باتت حاجة اسرائيل الى التصرف من أجل خلاصها حقيقية وملحة واذ أغلق ناصر خليج العقبة وسد الطريق أمام ايلات ، ارتكب عملا عدوانيا يستحيل على اسرائيل أن تتجاهله » وساد الشعور بالحاجة الى حصر الصراع فى نطاق محلى على أن تمارس الدول الكبرى نفوذها كى تضع خاتمة سريعة للقتال . وأكدت « كيب أرجوس » : « ليس هناك ، بالمرة ما هو أهم من حصر الحرب فى نطاق محلى » ، وقالت « ناتال وتينس »: أن المهمة العاجلة هى أن تثوب مصر واسرائيل الى رشدها وأن يوقف اطلاق النار » .

واذ بات واضحا ان اسرائيل فى طريقها الى النصر السريع ، بدأ الاهتمام يتركز – على نحو اكبر – على اعقاب الحرب . وكتبت (راند ديلى ميل) تقول « بالنسبة للغرب فانه سيتنفس الصعداء بانتصار اسرائيل السريع ، وسيبدو ان الأحداث بررت حيادهم المحير » . وبدأت دروس الأزمة والحرب تظهر ، كما ظهرت نقاط تشابه ، عديدة بين وضع اسرائيل ووضع جنوب افريقية .

الجمهورية تساند اسرائيل :

لم يكن وجود طائفة يهودية محلية مهتمة هو السبب الوحيد وراء اهتمام صحافة جنوب افريقية بالحرب ، وانما السبب أيضا شعور بأن اسرائيل تحارب بلادا من بين البلاد الرئيسية التى هاجمت الجمهورية . كان رد فعل يهود جنوب افريقية اول نقطة اتصال ، وسرعان ما بات واضحا ان غير اليهود يشاركون اليهود رد الفعل هذا على نحو لم يسبق له مثيل. وقالت « ايفيننج بوست » ثمة روابط جد قوية بين يهود جنوب افريقية واسرائيل ، وهو البلد الذى اغدقوا عليه ، بسخاء ، بالمال والرجال والنساء، واذا تفجر الموقف واندلعت الحرب فسيحارب جنود كثيرون ولدوا فى جنوب افريقية وعندما تفجر الموقف بالفعل ونشبت الحرب اشارت الصحيفة الى رد فعل اليهود المحليين واضافت ان كثيرين من غير اليهود سيرغبون فى ان تتاح لهم فرصة الاسهام ايضا » .

واسهمت الصحف ، بالكلمات والصور ، فى عرض نشاط اليهود فى ارجاء البلاد ، من جمع للتبرعات والتبرع بالدم ، وارسال متطوعين الى اسرائيل . وكانت هناك ايضا انباء بمواطنيين من غير اليهود تقدموا عن

طواعية وفدسوا العون لاسرائيل فى كافة اشكاله وفى (بيلد) كتبت ريكى فان رينين - فى عمودها » اوب دى رنداكار « بدفء وود وهى تصف الطريقة التى التفت بها يهوديات جوهانسبرج لمساعدة اسرائيل كتبت تقول « دع النمل جانبا ، ايها الملك سليمان ، هنا حقا الموعظة الحديثة لنشاط انعدم له نظير . انا ، الافريكانية ، اخذت ارقب ذلك باعجاب واضح . وهمست فيما بينى وبين نفسى : آه لو توافرت قضية ضخمة وواضحة تقضى ، مرة واحدة ، على كل الخلافات الشخصية ، والشحناء ، والاطماع ، وسوء الفهم ، والاختلافات فى الراى : اعلم انها مهمة خطرة ان يفتش المرء دائما عن نظائر فى التاريخ . لكن من الصعب ان نتجاهل تشابها بين حماس وقلق يهوديات جنوب افريقية من اجل اسرائيل ونشاط الافريكانيات (والمتحدثات بالانجليزيات من المواليات للبوير) فى الكيب عندما نشبت حرب البوير فى الجمهورية ، نفس ، نفس الارتباط بمن تربطهم بك علاقة دم ، نفس القتال الدموى من اجل الحق فى البقاء ودعونا لا ننسى من كان اكثر حماسا من تلك المراة اليهودية اوليف شرانيار ، التى تحدثت باسم هذه الحرية » .

العـــون المـــالى :

ومع ذلك كانت هناك فترة عابرة صارت فيها قضية معاونة اسرائيل محل تكهن . بدأ ، بصفة عامة ، ان السماح بهذا العون امر مفروغ منه . غير أن عددا من الصحف اوحى بأن الحكومة ستفرض قيودا على المبالغ التى ستسمح بتقديمها . من هذا ان ديلى نيوز نشرت ان ملايين الراندات تنجمع فى كافة انحاء البلاد بيد ان لم يتضح بعد ما اذا كانت الحكومة ستسمح بتحويلها الى اسرائيل .

وأومأت « ترانسفالير » الى ان المبالغ الضخمة بشكل غير عادى لن يسمح لها بالخروج من البلاد واعادت الصحيفة الذكرى الى المعاملة التفصيلية التى حظيت بها الاكتتابات لصالح اسرائيل فى الماضى وسحب هذا الامتياز بعد ان صوتت اسرائيل ضد الجمهورية فى الأمم المتحدة ... وقالت الصحيفة انه ليس للجمهورية مصالح فى المنطقة مضيفة ان طرفى النزاع تنافسا فى اتخاذ موقف غير ودى تجاه الجمهورية ، كانت جنوب افريقية تتوقع من كافة المواطنين ان « تعلو » مصالح الجمهورية على اية مصالح اخرى .

لكن ، سرعان ما اعقب ذلك اعلان رسمى مؤداه ان الحكومة ستسمح بتحويل الاعتمادات لأغراض انسانية محضة « داخل حدود » ، فالاكتتابات

تستغل « عن طريق منظمات خيرية غير حكومية فى أسرائيل لأغراض انسانية .. اما المبالغ التى سيسمح بخروجها من حين لآخر « فستتحدد على ضوء الوضع الاقتصادى لجنوب افريقية ، ومصالحها » .

والواقع ان « ترانسفالير » وقفت وحدها ، من بين الحكومات المساندة للحكومة، فى انتهاج هذا الموقف الانتقادى (رغم أن تناولها العام للوضع فى الشرق الأوسط شاعت فيه نغمة اكثر تعاطفا) . ورات « فاديرلاند » فى قرار الحكومة دليلا على موقفها الذى لا يستطيع احد ان يلومها عليه . وقالت « استنادا الى هذا الاساس القائم على المبادىء اتيح لنا ، نحن المتحدثين بالافريكانية ، ان نبدى تعاطفنا مع روديسيا فى قتالها . ونحن نرحب بالقرار . وهكذا نجد الحكومة الوطنية ـ التى توحد بين المبدا والانسانية ـ تحقق التوازن الوطنى فى بلادنا ، كما تحقق هذا التوازن فى علاقاتها مع العالم الخارجى » .

وكتبت « دى بيلد » تقول : « ان ردود الفعل المتمثلة فى التعاطف الجياش مع اسرائيل ـ والذى وضح فى جنوب افريقية خلال الاسبوع الماضى ـ شيء طيب ، سليم ، انسانى . لكن ، ألم يكن هذا التعاطف ليقوى لو لم تقف اسرائيل ـ الى حد كبير ـ مع اعداء جنوب افريقية ؟ » .

صور من التعاطف مع اسرائيل :

ورغم أن » دى فاديرلاند « محايدة ، الا انها خففت من هذا الموقف بأن اعترفت بأنها متعاطفة مع اسرائيل وفى هذا الصدد قالت : « ان المبدأ الأساسى للسياسة الخارجية لجنوب افريقية جد معروف بحيث لا يحتاج الى مزيد من التكرار ـ اذ يتمثل فى احترام ، وعدم المساس بشخصية وسيادة الأمم الحرة » . ومضت الصحيفة تعبر عن لومها لاسرائيل بسبب موقفها الأخير من الجمهورية ـ ولقد كانت هذه هى النغمة السائدة فى الصحف المساندة للحكومة ، رغم انها لم تظهر بشكل صارخ ، « ظلت جنوب افريقية لسنوات تعترض على الخطر الذى يتهدد السيادة الاقليمية لاسرائيل ، ولم نحصل من اسرائيل على الكثير فى مقابل هذا . غير ان هذا لا يغير بحال موقفنا من حيث المبدأ . وليس من الضرورى أن نسأل مع من تتعاطف ، بيد ان هناك فى بلدنا طوائف تنتمى الى أمم اخرى ، مثل مسلمى الكيب » ...

وعلى نقيض من الموقف المتحفظ نسبيا لهذه الصحف ، نلمس تعاطفا وديا وصريحا من قبل إجهزة مجموعة ناسيونال بيرس . وقالت (بيرجر) :

« ان الأبيض فى جنوب افريقية المعاصرة يلمس وجوه شبه مذهلة بين بلده والوطن اليهودى المستعاد » . بل لقد ابدت جنوب افريقية تفهما لمشاركة اسرائيل فى المواقف المناهضة لجنوب افريقية بالأمم المتحدة بدافع من مصالح اسرائيل فى افريقية السوداء « ولا يقلل هذا من القلق الذى نتابع به ، فى بلدنا ، الأزمة الراهنة . ان اسرائيل ، شأنها شأن جنوب افريقية ، ومعقل ونقطة سند للغرب ، سواء راق ذلك للغرب ام لم يرق » .

تصويت اسرائيل فى الأمم المتحدة :

كان واضحا ان التحفظ فى التعاطف لا يرجع الى سياسة الحياد الرسمية وحسب ، وانما يرجع ايضا الى سلوك اسرائيل تجاه جنوب أفريقية فى الأمم المتحدة . ورات الصحف المساندة للحكومة عبث خطب ود الأمم الافريقية ـ الآسيوية ، وكان على اسرائيل ـ شأنها شأن باقى دول الغرب ـ ان تتعلم درسا . وكتبت (فاديرلاند) تقول « رغم ان اسرائيل تعرضت لخطر خارجى يتهدد سيادتها القومية من الدول المجاورة المعادية ، خطر يماثل او يفوق الخطر الذى تعرضت له الجمهورية ، الا انها عزلت نفسها لأعوام عن جنوب افريقيا لأنها كانت حريصة وتواقة الى خطب ود الدول الافريقية المستقلة كى يقفوا معها فى مواجهة الضغط العربى » . والآن ، وفى ساعة الأزمة ، وقفت الدول الافريقية الأعضاء فى مجلس الامن ضد الغرب » . ومن حقنا ان نسأل اسرائيل ـ اذا نجحت فى نضالها من اجل الخروج من المتاعب الحالية ـ هل ستعيد النظر فى موقفها السابق ».

واثنت (داجبريك) على رفض اسرائيل وساطة الأمم المتحدة واصرارها على مفاوضات صلح مباشرة مع العرب ، وقالت : « ان هذا مطابق لموقفنا بالنسبة لجنوب غربى افريقية . واننا على يقين من ان الحكومة الاسرائيلية ستكون اكثر واقعية فى نظرتها الى الشئون العالمية . ومن قبل وقفت موقفا عنيفا من جنوب افريقية فى الأمم المتحدة ، كى تخفف من عداء العرب . ومن واجب القيادة اليهودية المحلية ان تذكر حكومة اشكول بما ابدته اسرائيل فى الماضى من عدم صداقة » .

مزايا للجمهورية :

وفى نفس الوقت بدا واضحا ان موقف اسرائيل فى الشرق الاوسط حقق فوائد عديدة للجمهورية . واوضحها ، بالطبع ، انها ابرزت اهمية الطريق البحرى حول راس الرجاء . واعلنت (كيب ارجوس) : « ان الرياح الخبيثة فى الشرق الاوسط جعلت نسائم طيبة تهب على جنوب

افريقية ، مبددة الضباب المعتم وموضحة ضآلة شأن (هكذا) جنوب غربى افريقية ، واهمية الطريق البحرى . حول راس الرجاء الصالح . وكانت صحف مثل (ترانسفالير) اكثر حدة فى صراحتها « ان امام الجمهورية عملا هاما بعد ان فقدت قناة السويس اهميتها . ويهم الدول الكبرى ان تتوافر عند الطرف الجنوبى لافريقية دولة توفر موانيها لمراكب الدول الكبرى ، دولة تحمى امن الطريق البحرى حول راس الرجاء اذا ما اندلعت الحرب. ومن المفارقات ان بعض الدول الكبرى التى يهمها هذا الطريق البحرى لن تزود الجمهورية بالاسلحة » .

لكن ، كانت هناك مزايا اخرى . فحتى قبل نشوب المعارك تساءل داوى فى عموده بصحيفة (بيرجر) : « الى اى حد جنت جنوب افريقية من حدة الصراع بين اليهود والعرب منذ ١٩٤٨ ؟ من الصعب تقدير هذا ، لكن مع الواضح ان وجود اسرائيل كمشكلة تواجه ناصر قد اوقف اتجاهه الى الشر فى الجنوب . لقد تزعم الفتنة ضد الرجل الابيض فى افريقية . غير أن الأخطار القريبة من وطنه حالت دو نان يلعب الدور الذى كان يرغب دون شك فى ان يلعبه . ان مصر تلى جنوب افريقية والجزائر كأعتى قوة عسكرية فى افريقية . وتملك اسرائيل الوسائل ـ دعائية ، اقتصادية وعسكرية ـ التى تساعد على الاطاحة بأشياء كانت ستستغل فى حملة دعاة الوحدة الافريقية ضد جنوب افريقية » .

واذ اصبح الانتصار قاب قوسين ، ازداد الاحساس بالانتماء ، وسادت روح العرفان . واعلنت (فولكسبلاد) « ان الانتصار الاسرائيلى الكبير يستطيع ان يجعل السياسة الدولية والعلاقات الدولية اكثر مواتاة لجنوب افريقية من عدة نواح ولا بد الآن من تأجيل غزو جنوب افريقية الى اجل غير مسمى . ان اقوى حليف للسود ـ وهو مصر ـ يرقد الآن جريحا » . وتلت ذلك افتتاحية تحذر الذين ارادوا القضاء على البيض فى افريقية الجنوبية » أن يفكروا مليا فيما حدث للعرب الذين ارادوا تدمير اسرائيل ... ونحن ، شأن اسرائيل ، على استعداد للذود عن اراضينا ـ ويشمل هذا جنوب غربى افريقيا ـ بنفس التصميم » .

وتجلى هذا الاحساس بالتشابه بطريقة بليغة ، واكثر دراميه ، فى عناوين صحيفة (ناتال ميركورى) وهى تعلن النصر « لقد ضربوا الضربة القاضية » .

ومقالة اخرى لها دلالتها ظهرت فى (بيلد) تحت عنوان « اليهود علمونا درسا » . وجاء فيها ان اعضاء البرلمان الوطنيين اخذوا يرددون « اننا

نحن البوير مدينون الآن ، بالكثير ، لليهود ، وان انتصار اسرائيل الساحق يتيح للجمهورية خمس سنوات اخرى تدعم فيها نفسها وتثبت حسن نوايا سياستها » .

وعبر كبار رجال الحكومة عن تقديرهم لعدد من « المزايا الجديدة » التى عادت على جنوب افريقية وذلك فى مقال ب (ستار) . من هذه المزايا صرف انظار العالم عن جنوب غربى افريقية ، ومنها ايضا اثبات قيمة طريق رأس الرجاء الصالح ، وعدم فعالية جهاز الأمم المتحدة لحفظ السلام . اما دوائر الدفاع فعبرت عن اغتباطها للطريقة التى صمد بها العتاد الفرنسى لاسرائيل فى البر والجو .

وظهر دراسة سياسية فى (كيب تايمز) وصحف اخرى تصف كيف استحوذت ازمة الشرق الاوسط على اهتمام اعضاء البرلمان والشيوخ الذين تعاطفوا « كل التعاطف مع اسرائيل المجهزة للحرب » .

اعجــــاب :

ان رد الفعل العام لنجاح اسرائيل تمثل فى الاعجاب ، والذهول احيانا، للسرعة التى تحققت بها الانتصارات ، واكتمال هذه الانتصارات . ذهل العالم للحرب الخاطفة التى قضت على اسطورة القوة العربية وبددت الأوهام الشيوعية فى ايام قلائل . لاحظت هذا صحيفة (فاديرلاند) . اما (فولكسيار) فعادت بالذاكرة الى نضال البوير « الذين حققوا مجد لاينمحى بفضل بسالتهم ، وشجاعتهم ، واصرارهم » . وحثت الصحيفة اهل جنوب افريقية على ان يستعدوا « مثلما استعد يهود اسرائيل الذين استحوذوا على خيال العالم بنجاحهم فى الاسبوع الماضى » . وقالت (اوسترليج) ان اسرائيل اذهلت العالم بانتصاراتها ، وابرزت ذلك برسم صورة مقابلة : « حدث هذا فى وقت اغمض فيه الملايين عيونهم واغلقوا اذانهم كيلا يروا بلدا صغيرا يباد وشعبا يهوديا بأكمله يمحى » .

اما باب « فان آل كانتى » فى (بيرجر) فحمل العناوين التالية « الروح المناضلة لليهود تذهل العالم » . وكتب المحرر فيه يقول أن الناس لم يكونوا يرون اليهود على هذا النحو « ففى عصر الانجيل كان الآخرون يزيحونه بالقوة . واذا ظهرت دولة اسرائيل ، دولته ، شرع اليهودى الحديث يقاوم مهاجميه مقاومة فعالة . فحتى قبل ١٩٥٦ ، وفى خلال الاشتباكات الدموية (١٩٤٧ ــ ١٩٤٨) السابقة على قيام الدولة ، اذهل اليهود العالم ، فجاة بدوا جد مختلفين عن الكتلة المجهولة التى اسلمت نفسها بلا ارادة ، وبلا رد

فعل ظاهر ، لمجازر الحرب العالمية الثانية » . وعلى ضـــوء ادائهم الاخير يكاد المرء يؤمن بأن هذه الروح النضالية صارت سمة قومية دائمة .

وفى (راند ديلى ميل) عبر لورانس جاردنر عما يجيش فى صـــدور الكثيرين حين كتب ان بالامكان أن نقول ان اسرائيل « بعملها الذى قامت به وحدها ، قد انقذت الغرب من هزيمة دبلوماسية ضخمة على يد روسـيا ومن تحميهم من العرب » . وختم مقاله بقوله « ان اسراع اسرائيـــل الى الذود عن حقوقها وانتقامها من الذين سعوا الى محاربتها ، كان الهـــاما للرجال فى كل مكان . وبدا جميلا ان يعيش الانسان فى مثل هـــذا الزمان المثير حين انتصر الحق هذا الانتصار الحاسم على القوة الظاهرية » .

***

(١٥)

المؤتمر الوطنى الخامس والعشرون

٢٣ – ٢٦ نوفمبر ١٩٦٧

دور الهيئة اليوم (١٣)

موريس بورتر

تقـــــديم :

عنوان هذا الحديث « دور الهيئة اليوم » يذكر المرء فورا بأن لهيئـــة النواب اليهودية ، بجنوب افريقية ، تاريخا طويلا – فلقد قامت فى الترانسفال منذ أكثر من ٦٤ عاما ، واتخذت شكل المجلس القومى لأكثر من ٥٥ عاما . كذلك نتذكر انه اذا كانت وظائف واغراض الهيئة قد ظلت كما هى اساسا عبر هذه السنين ، فان المشاكل التى شغلتها اختلفت من حين لحين » ...

العلاقات بين اسرائيل وجنوب افريقية :

فاذا انتقلنا الى مجال آخر وجدنا ان العوامل الدوليـــة كان لها اثرها المباشر جدا ، والمستمر على علاقات اليهود ، العامة ، بالجمهورية . انمـا اشير هنا الى دولة اسرائيل – الى وجودها نفسه ، تأثيرها ، سياستها . ان موضوع العلاقات بين اسرائيل وجنوب افريقية من الضخامة بحيث لا تتسع له دقائق قليلة . بيد انه ينبغى التأكيد على عدد من النقـــاط الهامة ، ولو بايجـــاز .

١ ــ بجنوب افريقية تاريخ طويل مشرف من التعاطف والتأييد للامانى القومية اليهودية فى الأرض المقدسة . واتجهت نفس النوايا الطيبة الى دولة اسرائيل فى اشكال عدة ، وحظيت بتقدير كبير .

٢ ــ فعلت دولة اسرائيل الكثير كى ترفع من شأن اليهود فى انحاء العالم وترسم صورة مستحبة للشعب اليهودى .

٣ ــ ان الطائفة اليهودية فى هذا البلد قد تفهمت وقدرت صداقة جنوب افريقية نحو اسرائيل وانها حريصة جدا على استمرار هذه الصداقة .

٤ ــ ان الروابط الدينية والتاريخية والثقافية التى تربطنا باسرائيل يجب الا تؤثر على ، او تضعف ولاءنا لجمهورية جنوب افريقية . ويؤسفنى حقا ان ارى شبح « الولاء المزدوج » يحيا من جديد على يد بعض الناس من جديد .

هذه الروابط مع اسرائيل لا تتأثر بأية طائفة او حزب يحكم اسرائيل فى زمن معين . وايا كان الأمر فان حكومة وشعب اسرائيل وحدهما هما اللذان يقرران سياسة بلدهما ، وليس ليهود الشتات اى سلطان على هذه السياسة .

٥ ــ علينا جميعا ــ يهودا وغير يهود ــ الا نسعى الى تهويل حجم الخلافات الاخيرة بين اسرائيل وجنوب افريقية ، وهى خلافات منشؤها اختلاف الزاوية التى ينظر منها كل طرف الى مشاكله واوضاعه . وانما يتعين علينا ان نقلل من هذه الاختلافات ، بأن نضع فى اعتبارنا دائما النقاط العديدة التى يشترك فيها البلدان ، نقاط المصالح المشتركة والتفاهم المشترك .

تعاطف اسرائيل فى الداخل :

فاذا كان ثمة حاجة الى التعرف على ضخامة رصيد النوايا الطيبة التى يحملها هذا البلد تجاه الأمانى القومية للشعب اليهودى فقد برزت بصفة خاصة فى شهرى مايو ويونية عندما تعرض وجود دولة اسرائيل نفسه للخطر . وما اكثر ما اهتز يهود جنوب افريقية لصور التعاطف والتأييد ، العديدة ، التى عبرت عنها قطاعات الشعب ، واهتزوا بصفة خاصة للبادرة الودية لحكومة جنوب افريقية التى نحت الخلافات القديمة جانبا ولم تفرض اية شروط وسمحت بتحويل مبالغ ضخمة اسهمت بها الطائفة اليهودية بجنوب افريقية (وشاركها فى ذلك ايضا كثيرون من غير اليهود) .

وليس من شك فى أن اسرائيل قدرت هـذا التعبير عن حسن التمنيات الطيبة والصداقة . غير أن النظرة والواقعية تقتضى أن تتبع كل من اسرائيل وجنوب افريقية سياستها الخاصة بها ـ فى عالم اليوم المعقد على ضــوء مواقفها المتشابكة .

العلاقات داخل الطائفة :

وتسير حياة اليهود بجنوب افريقية سيرها المعتاد ، فالطائفة اليهودية جد مترابطة ، والمواطن اليهودى يتمتع بفرص كاملة ، فى كافة المجالات .

وبوصفنا جزء لا يتجزأ من اهالى جنوب افريقية نواجه نفس الأزمات والمشاكل التى تواجه كل من يعيشون فى هذا البلد . اننا نشارك فى الحياة السياسة للجمهورية لا كطائفة وانما كأفراد ، ويجب الحــكم على دورنا كأفراد ، ويسعدنى ان ادراك هذه النقطة آخذ فى التزايد .

اليهود والسياسات العنصرية :

ومع ذلك لا نزال نجد ، من حين لآخر ، اصواتا ترتفع من بعض الجهات تطالب الطائفة اليهودية كمجموعة ، بأن تعلن عن موقفها ، وبخاصة ما يتعلق بالسياسة العنصرية للجمهورية . هذا الطلب يميط اللثام عن ســوء فهم اساسى يتعلق بطريقة اليهود فى التفكير والتصرف السياسى . كما انه يعكس الصورة النمطية التقليدية للطائفة اليهودية ككيان منغلق على نفسه ، وهذه الصورة النمطية لا تزول بسرعة .

وكل من يعرف طبيعة الموقف فى جنوب افريقية ـ او فى اى بلد آخر ـ يجب ان يدرك ان اليهود لا يتفقون حــول وجهة نظر ســياسة موحــدة ، وان فى صفوفهم مؤيدين لكافة الأحزاب السياسية . وينتج عن هذا انه ليس هناك ، ولا يمكن ان يكون ، موقف يهودى موحد او جماعى تجاه قضــايا سياسية كبرى مثل مبدأ التنمية المنفصلة ، او تطبيقها . واعتقد ان الآراء بالنسبة لهذه الامور تتباين فى اوساط الطائفة اليهودية تباينها فى اوســاط سكان جنوب افريقية ككل .

(١٦)

العلاقات بين جنوب افريقية واسرائيل (١٤)

لويس هوتز

قام عضوان فى برلمان جنوب افريقية ـ والاثنان ينتميان الى الحزب الوطنى ـ بزيارة اسرائيل مؤخرا ، وقد عرضا لانطباعاتهما فى صحف جنوب افريقية ، ولقد وجد الاثنان الكثير مما يستحق الثناء على البلد وعلى الشعب وبخاصة روح الاخلاص ، والارادة الرائعة ، ارادة العمل والابداع وليس معنى هذا انهما لم ينتقدا شيئا غير ان نقدهما اضاف الى قيمة مدحهما .

واكد الاثنان ـ مستر م.ج. فاندنبرج ودكتور جاك لوك ـ نقطتين . وهى نقطة سيوافقهما عليها ، وبشدة ، كثيرون من جنوب افريقية . لقد استنكر عضوا البرلمان عدم وجود تمثيل رسمى ـ على مستوى الحكومة ـ فى اسرائيل . ولقد اشار الى ان هذا تسبب فى عدم وجود من يستطيع ان يتحدث من واقع المسئولية ـ باسم جنوب افريقية ، او يطلع الراى العام المسئول فى جنوب افريقية على الظروف فى اسرائيل ، وكذلك ـ وهذا هو الأهم ـ المزاج السيكلوجى والمناخ السائدان فى اسرائيل .

ليس هناك من يدافع عن جنوب افريقية من وجهة نظر القوى التى تمسك بأعنة الأمور فى جنوب افريقية وليس هناك من يصحح الهواجس التى لا مفر من وجودها فى بلاد متباعدة وتعيش فى ظل ظروف متباينة لكنها تواجه مشاكل مشتركة ، ان الامر يقتضى اطلاع الناس الذين يعيشون فى المنطقتين .

ويعتقد مستر فاندنبرج ودكتور لوك ان بعض المتاعب التى نشأت بين جنوب افريقية واسرائيل فى السنوات الاخيرة كان بالامكان تجنبها ، مع اتصالات اوثق وارتفاع صوت جنوب افريقية فى اسرائيل . وطبيعى انه طريق من اتجاهين ، ذلك ان وجود مراقب رسمى فى اسرائيل ، مطلع باستمرار وبطريقة مباشرة على ما يقول الناس وما يفكرون فيه هناك ، يمكنه تنوير جنوب افريقية . ومن شأن هذا ان يسهم فى تبديد وجوه سوء الفهم التى عكرت صفو العلاقات بين البلدين .

واكد مستر فاندنبرج ، بصفة خاصة ، على هذا الراى ، وان بدا انه تكونت لديه فكرة مبالغ فيها عن مدى جهل اسرائيل وسوء فهمها للمشاكل الانسانية الخطيرة التى تواجه جنوب افريقية ذلك ان هناك العديد من

المتحدثين غير الرسميين ، والعديد من « سفراء » جنوب افريقية فى اسرائيل . ومعظمهم لديه المام كبير بالموقف هنا ، ويستطيع ان ينقل الصورة الى الدوائر التى يتحرك فيها .. غير ان مستر فاندنبرج كان مصيبا تماما فى التركيز على الحاجة الى تمثيل دبلوماسي او قنصلى لجنوب افريقية فى اسرائيل اكثر من اى مكان آخر ، فى الشرق الاوسط بالذات .

الحاجة الى تمثيل دبلوماسى فى اسرائيل :

لم يخف مواطنو جنوب افريقية ، على اختلاف اتجاهاتهم، انهم يعتبرون اسرائيل عنصرا حيويا بالنسبة لمقتضيات الأمن الدولى لجنوب افريقية . وقد وضح هذا ، بشكل كبير ، فى ردود الفعل العامة بجنوب افريقية ازاء الصراع فى الشرق الاوسط وما اعقبه من توتر مستمر . ومما اكد هذه النقطة احتمال تغير الموقف الاستراتيجى بعد انسحاب بريطانيا من شرقى السويس . فمن شأن هذا ان يعزز من اهمية اسرائيل بالنسبة لافريقية كلها والبلدان المطلة على المحيط الهندى .

ولقد رد مستر فاندنبرج بشدة على انتقادات ، مجهولة ، لما اعلنه من ضرورة توفير « وجود » رسمى لجنوب افريقية فى اسرائيل ، فعبر عن اسفه لعدم وجود « ادنى شكل » من التمثيل الرسمى لجنوب افريقية فى الارض المقدسة . بيد انه يجدر بنا ان نسجل انه كان لجنوب افريقية منذ سنوات عديدة ، نوع من التمثيل الرسمى فى اسرائيل (او فلسطين كما كانت تعرف آنذاك) وتمثل ذلك فى تواجد مستر م. هاسكل كمبعوث تجارى وقنصل فخرى لجنوب افريقية وليس من شك فى ان تلك الخطوة ساعدت ، الى حد ما ، على تشجيع التجارة وغيرها من اشكال العلاقات بين البلدين . غير ان الاساليب تتغير بتغير الأزمنة ...

وربما كانت هناك اسباب وراء عدم وجود علاقات دبلوماسية منتظمة ــ حتى فى ايام الصفاء بين جنوب افريقية ودولة اسرائيل الجديدة على اساس مبدأ المعاملة بالمثل ، وعلى اساس ان التمثيل ظل اجراء من طرف واحد . وفى مرحلة من المراحل وجه سؤال بالبرلمان فى هذا الصدد الى وزير خارجية جنوب افريقية ان الظروف ــ حجم التجارة وغير ذلك ــ لم تبرر تواجد ممثل لجنوب افريقية فى اسرائيل ، رغم تواجد مثل ذلك التمثيل ، آنذاك ، فى القاهرة . لكن ايا كان الوضع فى بريتوريا آنذاك فان الظروف تغيرت تغيرا ملموسا بمرور السنين . فعدد الافريقيين الجنوبيين (ولايقتصر هذا على الطائفة اليهودية) الذين يزورون اسرائيل يتزايد ، كذلك تزايد حجم التجارة وتنمو الروابط المالية .

موجز القول انه رغم التطورات الاخيرة ـ وربما بسببها ـ توجد حاجة ملحة الى تمثيل رسمى لجنوب افريقية فى اسرائيل ، حتى لو كان ذلك على مستوى قنصلية كما طالب مستر فاندنبرج ودكتور لوك واذا اخذنا فى اعتبارنا تمثيلا قنصليا حديثا لجنوب افريقية فى الشرق الأوسط ، فقد يكون من حقنا أن نسأل : لماذا بيروت وليس القدس ؟...

* * *

فى أواخر الستينات لوحظ ان السياسة الافريقية (المفتوحة) للدكتور فورستر واكبت اهتمام اسرائيل بالقارة (١٧) . وصاحب هذا التلاقى ازدهار تجارة الماس ، وهى تجارة لا تتضمنها الاحصائيات الرسمية عادة (١٨) .

* * *

(١٧)

جنوب افريقية واسرائيل تلتقيان فى افريقية (١٥)

لويس هولتز

حاول رجال الدعاية العرب ان يكسبوا تأييدا لقضيتهم فى الأمم المتحدة فحاولوا استغلال الشعور المعادى لجنوب افريقية فى بعض الدول الافريقية بأن قالوا ان اسرائيل وجنوب افريقية مرتبطتان فى « حلف غير مقدس » لخدمة الامبرايالية الغربية . وهم يقولون أن البلدين يتبادلان العون المادى والأدبى وان قضيتهما مشتركة بالنسبة للصراع من اجل السيطرة فى افريقية . ان النوايا الكامنة وراء هذه الادعاءات واضحة ، الا وهى استعداء حكومات افريقية السوداء على اسرائيل من اجل الحصول على مزيد من التأييد فى أروقة الأمم المتحدة ، رغم تعدد الأسباب الكفيلة بجعل كثير من هذه الحكومات صديقة للدولة اليهودية .

الى اى حد ستنجح محاولتهم هذه ؟ انه امر مشكوك فيه ، ومما يضاعف من هذا الشك ان هناك من الدلائل الواضحة ، فى الأسابيع الماضية ، ما يثبت ان الراى العام المسئول فى افريقية بدأ يبدى المزيد من النوايا الطيبة تجاه جنوب افريقية . والدعاية العربية تحرف الجدل كى تخدم اغراضها ، غير أن هذا الجدل الذى يشير الى اهتمام جنوب افريقيا واسرائيل المشترك بالشرق الاوسط واقصى الجنوب ، ينطوى على حقيقة.

ليس فى الامر ما هو سر او ما هو بشع . ان الروابط القـــوية بين البلدين . والتى تزداد قوة منذ حرب ١٩٦٧ ـ جزء لا يتجزأ من وضعهما الجغرافى والاستراتيجى ، ونظرتهما المعادية للشـــيوعية ، وكل وقائع وجودهما القومى . وبالنسبة لجنوب افريقية فان الشرق الاوسط ـ الذى تقف اسرائيل فيه كحارس صغير ، لكن لا يعوض ، للعالم الحـر ـ يقف فى الخط الأول من خطوط امنها او النقل ، بعبارة اخرى ، ان اسرائيل تصون الممر الذى يجب الذود عنه لاطول فترة ممكنة حتى لا يصبح طريقا لعدوان محتمل يشنه عدو مشترك ان مستقبل الممر بين البحر الابيض المتـــوسط والمحيط الهندى ، وهو حيوى لاسرائيل ، لا يقل حيوية لجنوب افريقيـــة عن حماية طريق راس الرجاء الصالح فاذا ما وقع فى ايدى اعداء ، اعـداء لاسرائيل وجنوب افريقية ، فان طريق راس الرجاء البحرى سيصـــبح محاصرا من الجانبين بالفعل وتزداد مشاكل امن جنوب افريقية .

وبالنسبة لاسرائيل ثمة رصيد استراتيجى قوى عنـــد بابها الخلفى ، ويتمثل فى وجود دولة صديقة ، كافحت وجنت ونعمت باقتصـــاد قوى ، دولة تربض عند الطرف الجنوبى لافريقية بينما تمسك اسرائيل نفســـها بمفتاح الطرف الشمالى .

موجز القول ان مصائر البلدين ـ اللذين يختلفان كثيرا فى نقاط عـدة لكنهما يتشابهان فى الظروف الجوهرية لوجودهما ـ متشابكة بشـكل مفيد لا تتصوره اية دعاية ، او لا تود ان تراه . غير أن القصة لا تنتهى هنا . ان المصالح الاسرائيلية ومصالح جنوب افريقية لا تتلاقى عند الحافة الشرقية للقارة الافريقية وحسب وانما تتلاقى ـ وبشكل اكثر ايجـابية ـ فى قلب القارة نفســها .

فالاثنان يتشاركان فى الاهتمام بالتطور المـادى والاجتمـــاعى للذين يريدون من بين الـ ٢٠٠ مليون افريقى ـ طلب العون والتعاون منهما . ولدى البلدين ، وبطرق مختلفة ، ما يقدمان لافريقية المتخلفة ـ فى تقدمها تجاه القرن العشرين . وفى بعض البلدان المستقلة حديثا ، وبخاصة فى غـــربى آسيا واجزاء من شرقى واواسط افريقية ، وكذلك فى المستعمرات البريطانية سابقا ، نجد ان اسرائيل قد اسهمت ، بالفعل ، بالكثير . ولم يكن هـذا فى شكل استثمارات براس المـال ـ وهو ما لا تستطيعه اسرائيل هذه الايام ـ وانما فى شكل تقديم الخبرة ، وتوفير التدريب ، وتقديم ثمار تجـــربتها الفريدة فى مجال الاستخدام الأمثل للموارد الطبيعية المحدودة .

اما علاقات جنوب افريقية بزميلاتها من الدول الافريقية فقد سارت على نفس الخطوط تقريبا وان كانت جنوب افريقية قد واجهت مشـــاكل عملية ينبغي حلها ، مشاكل لم تعترض اسرائيل واذا كان العون الاستراتيجى قد صادف ، على العموم ، ترحيبا كبيرا ، فان جنوب افريقية اصـطدمت ـ لسنوات عديدة ـ بموانع ايديولوجية وسياسية واقتصادية بدات تزول الآن هناك بالتدريج . هذه عقبات فعلية غير ان النقطة الرئيســـية هى ان الطريق الى افريقيه يشكل جزءا هاما من مصيرها ، اكثر مما يشكل بالنسبة لاسرائيـــل .

ادوار متـكاملة :

رغم ان القضايا الحيوية تتباين فى الحالتين الا انه من المؤكد ان الارض الافريقية هى التى ستشهد تلاقى اسرائيل وجنوب افريقية فى السبعينات، وفى المستقبل البعيد بدرجة كبيرة . ولم تكن المسألة ، فى اى يوم من الايام، مسألة تنافس وانما كل طرف يكمل الآخر عندما يتلاقيان . وفى اجـزاء من القارة لا تصطدم فيها جنوب افريقية بعداوات قديمة ، ستستطيع بلا شك ان تلعب دورا اكبر من الدور الذى تستطيع اسرائيل ان تلعبه . انها اقرب الى مسرح العمليات ، واهتمامها اكبر ، ومواردها المـادية ستتيح لها مركزا لا تأمل اسرائيل فى الوصول اليه ومع ذلك فستتاح لاسرائيل الفرصة وهى فرصة انتهزتها الى حد ما ـ كى تقتطع لنفسها مكانا واضحا تحت الشمس الافريقيـــة .

وسنجد ، آخر الأمر ، ان الاسهام الذى تستطيع اسرائيل وجنـوب افريقية القيام به فى افريقية سيتوقف على حل مشاكلها الخاصة ؛ مشاكل التعايش فى المجموعة الدولية . لابد لاسرائيل من السلام والأمن ، ومـع الســلام والأمن تزول العقبات الســياسية والمـادية التى احاطت بها من البداية . واذا لم تكن افريقية مخرجها الطبيعى الوحيد فانها احد المخارج الهامة بكل تأكيد . ان آمال اسرائيل فى نفوذ دائم متطور ، واواصر صداقة فى افريقية لن يتحقق الا عندما ينتهى صراعها الحالى (ذلك الصراع الطويل المبدد للقوى) من أجل البقاء واعتراف جاراتها العربيات بها . ويمكن ان تتدفق المعارف الاسرائيلية والريادة الفنية ـ على نحو معتاد ومتزايد ـ الى مناطق كثيرة بافريقية جنوبى الصحراء اذا لم يخنقها ـ عنـد المنبع ـ ذلك التبديد الدائم للموارد الثمينة لمواجهة مقتضيات الأمن . ان العـداء العربى يسد الطريق سواء بطريق مباشر او غير مباشر .

وجنوب افريقية ، التى تسعى ـ دون هوادة ـ وراء الاتصال والتعاون المثمر مع باقى افريقية واجهت مشاكل مماثلة داخل اطار مختلف. هنا أيضا نجد صورة للعداء النشط ، أو الرفض السلبى صورة لمحاولات مزمنة لفرض العزلة ، تفسر بأنها تعبر عن روح العزلة الذاتية ، أنها عقلية « المعسكر المعزول » التقليدية المتوارثة من عصر آخر . ولكن ، ايا كان الوضع فى الماضى ، هناك من الدلائل ما يشير الى ان جنوب افريقية تحاول ان تجد طريقها الى افريقية الجديدة ، لا بالاكراه وانما استنادا الى الحق .

العودة الى جنوب افريقية عودة الى الوطن :

قد يحسن بنا أن نذكر انفسنا انها ـ تاريخيا ـ اقرب الى العودة الى الوطن منها الى قدوم غريب فى ارض غريبة . فلقد كانت جنوب افريقية موجودة ، موجودة جدا ، فى حربين عالميتين ، فى رحلات المبشرين والمستكشفين ، وفى المكانة التى حظيت بها جنوب افريقية فى ايام الاستعمار وشبه الاستعمار على يد ساسة مثل الجنرال سمطس الذى يعتبر اليوم رائدا لسياستنا المنفتحة على العالم لكن ، تلكم كانت افريقية القديمة ، التى كانت ملحقا لأوروبا قبل ان تكون اى شىء آخر . وفى النصف الثانى من هذا القرن تغيرت افريقية تغيرا تاما ، واصبح من الضرورى ان تتجدد جنوب افريقية حتى تجد لنفسها مكانا هناك .

ان هذا التأقلم ـ وان كان اكثر سلما وان لم يكن اقل صعوبة ـ لايختلف كثيرا عن تجربة اسرائيل فى ظل ظروفها الخاصة بها . ومما له دلالته ان هدوء الحرب فى المنطقة التى يلتقى فيها الشرق الاوسط بشمالى افريقية واكب بوادر تحول ايجابى عن الحرب الباردة التى شنتها افريقية السوداء على جنوب افريقية التى يهيمن عليها البيض .

وقد يكون الامر محض مصادفة ، غير ان ثمة قوى تاريخية وانسانية عميقة تعمل عملها عند طرفى القارة ، مما قد يشكل حركة ستؤثر على هاتين الأمتين ـ المشكلة ـ فى تلك الرقعة الشاسعة ان الاتحاد العربى الافريقى الجديد الذى يضم مصر وليبيا والسودان ، والذى قام لمواجهة اسرائيل ، يؤكد على الحقيقة التالية : أن مصالح اسرائيل وجنوب افريقية تتلاقى فوق أرض مشتركة هى افريقية . وهناك نجد المواجهة بين الدول السوداء وجنوب افريقية ، من خلال منظمة الوحدة الافريقية ، حقيقة من حقائق الحياة منذ زمن طويل .

(١٨)

المـــــاس

(١) اسرائيل تسعى الى الزيادة فى تجارة الماس (١٦)

تسعى اسرائيل كى تصبح البلد رقم واحد فى صادرات الماس المصقول، ويتوقع مدير صناعة الماس بالبلاد ان يتحقق ذلك عام ١٩٧٥ .

وقد تنبأ بهذا موشى شنيتزر ، وهو فى نفس الوقت رئيس الرابطةالدولية لبورصة المـــاس .

وفى مقابلة مع شنيتزر صرح بأن مبيعات اسرائيل فى اربعة اعوام تصـــل على الأقل الى ٢٥٠ مليون دولاراً سنويا ، مما يساعد اسرائيل على ان تسبق بلجيكا التى كانت البلد رقم واحد .

وقال مستر شنيتزر ان الهدف سيتحقق باجتذاب مزيد من المستثمرين اليهود فى حقل المــاس ، والتوسع فى اختيار المجهودات الاسرائيلية،وادخال تكنولوجيا جديدة فى الصناعة ، وفتح أسواق جديدة .

والماس هو اكبر مصدر للنقد الأجنبى لاسرائيل .

وقد كان عام ١٩٧٠ عاما سيئا بالنسبة للصناعة وذلك بسبب الكساد الذى اصاب السوق الأمريكية الضخمة . غير ان الانخفاض الذى عانت منه اسرائيل (٤ر٦٪ انخفاض فى المبيعات فى مقابل كسر الرقم الــدولى عـــام ١٩٦٩) كان اخف من الانتكاسة التى عانت منها الأمم الأخـــرى المصـــدرة للمـــاس .

وكان العائد لاسرائيل خلال العام المــاضى ٢٠٢ مليون دولار فى مقـــابل ٢١٥ مليون دولار عام ١٩٦٩ . وكان الانخفاض العام ــ على الصـــعيدـــ الدولى ــ حوالى ٢٧٪ .

وقال مستر شنيتزر « اذا اخذنا فى اعتبارنا ما حـــدث فى الولايات المتحدة وما عاناه المنتجون الآخرون فسنجد ان عام ١٩٧٠ كان عام نجـــاح كبـــير لنا » .

ويبدو ان خلاص اسرائيل مرجعه تخصصها فى الأحجار متوسطة الحجم فقد كانت المبيعات على ما يرام بالنسبة لهذا الحجم المطلوب ، اما منتجـــو الأحجار الضخمة فتعرضوا لصدمة كبيرة بسبب الضعف الذى طرأ عـــلى سوق الأوراق المـــالية وسوء الأحوال المـــالية بالنسبة للاقتصاد الامريكى

الذى اخـــذ يعانى من الكساد . ووفقا لمستر شنيتزر تنتج اسرائيـــل ٨٥٪ من ماس العالم المصقول ذى الحجم المتوسط ــ وهى احجار تتراوح بين ٢٠/١ الى ٢/١ قيراط .

* * *

(ب) الشارع السابع والاربعون : حيث الماس (١٧)

بناء كئيب فى منتصف مانهاتان ، يميزه اساسا جمهور يتطلع بنهم على معروضات مبتذلة فى واجهات المحال المتربة ، وهمسات اناس متـــوترين يساومون بلا انقطاع على الطوار . ويتدافع شبان مصقواون يرتدون حللا فاقعة الألوان ويضعون فى اصابعهم خواتم من الصفير النجمى القرنفلى اللون مارين على رجال تقدموا فى السن ، ملامحهم جدية ، معظمهم يرتدى معاطف سوداء متهدلة ويضعون على رؤوسهم قبعات يهودية . والضجة والحـــركة تشيع فى كل مكان . ويشق خدم من الصبية طريقهم خلال حلقات من الرجال الذين يلوحون بأيديهم ويحركون قسمات وجوههم بحدة ، يمارســـون تلك الطقوس العريقة ، طقوس المساومة على السعر . ويتحرك الزبائن من واجهة متجر الى واجهة اخرى لينظروا اكثر مما يشترون ذلك ان الجزء من الشارع السابع والأربعين الغربى بين الشـــارع الخامس والشارع الســـادس هو شارع الأحلام الغالية .

وهذا البناء بنيويورك مخصص للماس ، وهــو يتعـــامل مــع ٨٠٪ من الماس الذى تتداوله الولايات المتحدة ، ويشكل ذلك ما يزيد على ٦٠٪ من اجمالى السوق العالمية . وهنا ، وبأساليب فى العمل توارثها الزمن والتقاليد يتعامل ٨٠٠ تاجر واكثر من ١٥٠٠ من قاطعى المـــاس ، ومصــــــقفيه ، ومتخصصين فى المجوهرات ، ومثمنين ، ومحامين فى شئون الماس ، ورجال تأمين ، يخدمون حوالى ٢٣٠٠٠ متجر امريكى لتجارة القطاعى ويبيع ما قيمته اكثر من ٧٠٠ مليون دولار من الماس .

النازى : وبخلاف مراكز الماس الاخرى ، مثل انتويرب او بومباى ، لم تتوافر لنيويورك خدمات حقيقية لمعالجة المـــاس قبل الحرب العـــالمية الثانية . ويسترجع احد كبار تلك الأيام قائلا : « فى تلك الايام كان هـــذا المكان يغشاه الباعة الجوالون » . وما ان اجتاحت القوات النـــازية اوروبا حتى اختطف تجار الماس ــ وجلهم تقريبا من اليهود ــ بضاعتهم وهـــربوا

بها . والواقع ان الشارع السابع والأربعين يردد حكاية من قديم مؤداها ان بعض تجار اليوم قد استطاعوا الهرب من معسكرات الاعتقال ببيع ماسات استطاعوا اخفاءها فى اجسادهم) .

والنتيجة مفارقة من اكبر مفارقات التجارة الامريكية ، طائفة جد مترابطة تشربت التقاليد ، تشيع فيها السخرية من النفس وذلك المزاج اليهودى المشهور بعبثية . والشارع السابع والاربعون ، شأنه شأن موروثات اخرى - عديدة يتغير ببطء لتحل محل متاجرة تجارة الاسواق الضخمة والاقتصاديات الهائلة . وبما ذلك - وفقا لما لاحظته جين فريدمان، من النيوزويك ، خلال جولة للمبانى استغرقت اسبوعا - يعيش مجتمع الماس ويصمد ، معتمدا اساسا على الثقة المطلقة .

ويقول الين جيننبرج ، رئيس القسم الدولى للماس بمؤسسة زيل « لم نكن بمستطيعين ان نمارس عملنا . من الاهمية بمكان ان يثق كل منا بالآخر » . ثمة تاجر قد يبعث بما قيمته آلاف الدولارات من الأحجار للفحص ، مرفقا بها مجرد ورقة من زبون . وعند عودة الماس الزبون سيفترض ان الورقة قد تم الغاؤها ، هذا هو مبلغ ثقته بالتاجر .

ويسير النظام بنجاح ، وينطبق هذا ايضا على طريقة عقد صفقات الماس يجلس البائع عادة فى مواجهة المشترى ، فى غرفة اختيرت بسبب الضوء الذى ينبعث من الشمال . ويفتح المشترى لفافة من الورقة نضم ماسا مصقولا ، ويلتقط الحجر بعد الحجر بملقاط صغير ويتمخض بدقة من كافة الزوايا مستعينا بمنظار الجواهرجى حتى يستطيع رؤية ادق التفاصيل . ويظل المشترى ينتقد الأحجار ، ويصر البائع على انها جميلة وانها تستحق هذا السعر . واخيرا قد يعترف المشترى بأنها وان لم تكن افضل احجار فى العالم . الا انها اذا بيعت بثمن ... فانه قد يفكر فى الامر ويتنهد البائع تنهيدة عميقة ويهز كتفيه فى استسلام ويوافق على البيع . ويتم هذا كله بشتى اللغات ويقول البرت ج. لوبين ، السكرتير التنفيذى لنادى تجار الماس « قد تستطيع ان تبدأ كلامك باللغة البيدية ، ثم تتحول الى الفرنسية البولندية ، الروسية ، الفلمية ... وقد تنتهى اخيرا بالبيدية مرة اخرى »

وعند اتمام اية صفقة فان اللغة البيدية هى اللغة التى تبرم هذه الصفقة وتربط بين الطرفين ولتوثيق الصفقة لابد وان يعطى البائع المشترى مايسمى بالحظ السعيد والتبريك . يقول البرت لوبين « لقد جرى العرف بذلك ، واصبح قانونا . وهى تنهى الصفقة ولا يمكن لأى طرف ان يتراجع » .

افريقية : وفى معظم الحالات تبدأ ماسات الشارع السابع والاربعين رحلتها من المناجم الافريقية فى دى بيرز ، وهى المجمع البالغ الثراء ، القوى جدا ، الذى يسيطر على ٩٠٪ من موارد العالم من الماس غير المصقول تملك دى بيرز الاحتكار الفعلى ، ومن خلال هذا الاحتكار يستطيع ان تنفى الغلاء من خلال منظمة البيع المركزى التى تقول « ان تكون زبونا لمنظمةالبيعالمركزى ميزة فى حقل هذه التجارة العالمية » . وكل خمسة اسابيع يطير عشرات من أرستقراطى الشارع ٤٧ الى لندن ليحضروا « مشاهد » او مبيعات منظمة البيع المركزى . وينضم التجار الامريكيون الى حوالى ٢٠٠ تاجرا آخر من انحاء العالم ، ويشاهدون الأحجار فى مكتب منظمة البيع المركزى ويشترون اذا احبوا ـ « صناديق » الماس التى تحوى احجارا تزن ١٢٠٠ قيراط ثمنها على الاقل ٢٥٠٫٠٠٠ دولارا » .

واذ يعود ارستقراطيو الماس الى نيويورك يبادر معظمهم الى ارسال مشترياتهم الى متعاقدين لقطعها وصقلها . وماكس رويزين من هؤلاء المتعاقدين ، وقد هرب من بلجيكا عام ١٩٤٠ وبدا حياته العملية كقاطع احجار . ويقوم رويزين بعملياته فى حجرة صغيرة معتمة ، يتراكم عليها السخام واللون الرمادى بفعل السنين ، وملأتها أصوات المثاقب وهى تعمل وثمة عامل من بويرتو ريكو ، وعدد من بلجيكا ، وهولندا ، والمانيا . لكن معظمهم يبدون متماثلين ، بلحاهم وغطاء رأسهم الصغير .

* * *

(ب) التحالف الغربى يزدهر على غنائم الماس (١٨)

تعتبر جنوب افريقية اضخم منتج فى العالم للماس اما اسرائيل فأكبر مركز فى العالم لصقل الماس . وتعتبر الولايات المتحدة الامريكية اضخم سوق فى العالم للماس .

وتسيطر مؤسسة دى بيرز ، ل أ. ف. اوبنهايمر ، على صناعة الماس فى جنوب افريقية ، ولقد انتجت ما يزيد على ١٤٠ مليون دولارا من الصادرات عام ١٩٦٩ . وفى ذلك العام صادرات اسرائيل من الماس المصقول تعدت ٢٠٠ مليون دولار ، فالماس اكبر مصدر للنقد الاجنبى للدولةاليهودية وتعتبر صناعة الماس ثانى صناعة فى اسرائيل من حيث الضخامة ، اذ يعمل فيها اكثر من ١٥٠٠٠ من اليهود الاوروبيين المهرة .

وتستهلك الولايات المتحدة اكثر من ٢٣٠٠٠ متجر لبيع الماس بالقطاعى، وهم يبيعون من المجوهرات الماسية ما تزيد قيمته على ٧٠٠ مليون دولار فى العام . لكن المبيعات اخذت فى الانخفاض لأن الشباب الامريكى ، وبخاصة السلالة الجديدة من النساء المحررات ، ضاقوا بالطابع التجارى التقليدى الذى ساد عادات الزواج ، التى تقتضى شراء الماس بصفة خاصة .

وتحتكر مؤسسة دى بيرز انتاج وبيع الماس على نطاق عالمى ، وذلك من خلال منظمة البيع المركزية فى لندن . وتهيمن المنظمة على بنيان السعر الهش فى ميدان الماس ، وذلك بقبضتها الحديدية على مبيعات الماس فى جنوب افريقية ، ناميبيا (جنوب غربى افريقية) انجولا . ويخشى الصهيونيون اماطة اللثام عن التواطؤ الاسرائيلى مع جنوب افريقية فى سياسة الفصل العنصرى .

وكثير من كبار المساهمين فى صندوق الاكتتاب اليهودى والمشترين للسندات الاسرائيلية من كبار تجار الماس والممولين الذين استثمروا الكثير فىاقتصاديات اسرائيل وجنوب افريقية .

وفى المؤتمر الوطنى الاسود الذى انعقد مؤخرا فى جارى ، انديانا ، تم اتخاذ قرار يطالب بحل دولة اسرائيل الصهيونية ومساندة حركات التحرر الافريقية والفلسطينية . وفيما بعد عمد المتعاطفون مع اسرائيل الى اجبار بعض اعضاء هيئة الترشيح للكونجرس المؤلفة فى السوء كى يخففوا من نص القرار .

ان « عدم التحالف » الغريب الذى لاحظه س.ل. سلزبرجر عام١٩٧١ (١٩) ازدهر بشكل بارز خلال حرب اكتوبر ١٩٧٣ وفى اعقابها (٢٠) .

* * *

(١٩)

لا تحالف غريب (١٩)

س.ل. سلزبرجر

جوهانسبرج : جنوب افريقية . ثمة رباط وثيق جدا ــ وان لم يكن معروفا على نطاق واسع بين ــ اسرائيل وجنوب افريقية . وهذه العلاقة ، بين الأمة التى تتحكم فى الطرف الجنوبى لافريقية والأمة التى لا تزال تمسك البداية المفضية الى الطرف الشمالى لافريقية ، تؤثر علىالشئونالسياسية، والاقتصادية والعسكرية .

ولهذا اهميته النفسية ، من وجهة النظر اليمنية فى البلاد . ومن بين المنتقدين الأجانب لسياسة جنوب أفريقية نجد كثيرا من الاصوات اليهودية وبخاصة فى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا لذا تشعر جنوب افريقية انه اذا ما تعاطفت اسرائيل فان هذا سيخدم مركزها الدولى .

وعلاوة على ذلك فان اغلاق اسرائيل لقناة السويس يكفل لهذا البلد مزايا عارضة . وخلال العام الماضى مرت براس الرجاء حوالى ٢٠ الف سفينة ، فى مقابل ثمانية آلاف سفينة سنويا قبل اغلاق القناة . واخيرا فان اغلاق القناة يخدم الوضع الاستراتيجى لجنوب افريقية اذ يركز الانظار على محورها وقاعدتها الجنوبية لنصف القارة .

لقد ظهرت جنوب افريقية الافريكانية واسرائيل اليهودية عام ١٩٤٨ ، عندما سيطر الحزب الوطنى على البلد ، وقسمت فلسطين . وكانت جنوب افريقية من اولى الدول التى اعترفت باسرائيل وكان ورئيس الوزراء د. ف. مالان اول رئيس دولة اجنبى يزور اسرائيل .

ويرى الافريكانى اسرائيل امة صغيرة اخرى يحيط بها الاعداء ، امة يلعب فيها الانجيل واللغة التى بعثت من جديد ــ دورا كبيرا . وكما كتبت جانى كروجر رئيس تحرير (دى ترانسفالير) سابقا « ان الافريكانيين ... فى الدرجة الأولى ، اهل الكتاب » فالبوير ، من اتباع مذهب عصمة الكتاب المقدس ، ساروا شمالا يحملون البندقية بيد والانجيل بيد اخرى .

وتشعر جنوب افريقيا واسرائيل بأنهما معزولتان فى الأمم المتحدة ، لكنهما لا تريان فى ذلك حكما نهائيا للتاريخ . وتشعر جنوب افريقية ان اسرائيل ــ مثلها ــ فخر امامى للغرب . وعلاوة على ذلك فانها ترى اسرائيل تواجه اليوم ضغطا سوفيتيا فى حوض البحر الابيض المتوسط ومنطقة البحر الاحمر قد تواجهه جنوب افريقية غدا بعد ان تدعم روسيا وضعها فى المحيط الهندى وتعتقد جنوب افريقية ان اسرائيل تؤجل الضغط السوفيتى جنوبا .

وتشعر جنوب افريقية ، شأنها شأن اسرائيل ، بدور اللغة والدين واهميتها بالنسبة لبقاء الأمة . بل ان رئيس الوزراء فورستر يذهب الى حد القول بأن اسرائيل . تواجه الآن مشكلة فصل عنصرى : كيف تتعامل مع سكانها العرب . ولا تريد اى من الدولتين ان تضع مستقبلها تماما فى يد الغالبية التى تحيط بها ، وتفضل ان تقاتل .

ويمكن القول بأن افريقية واسرائيل بلدان تم اقحامها . فقد بناهما رواد جاءوا من الخارج واستقلوا فى مناطق جزء منها مسكون . وعندما قدم

الهولنديون لم يكن هناك غير البوشمن والهوتينتون ، وكان بالامكان تواجد الزولو فى جوهانسبرج لولا اتجاه البوير شمالا .

ويقول فورستر « اننا ننظر الى وضع اسرائيل ومشاكلها بتفهم وتعاطف وهم ــ مثلنا ــ مضطرون الى مواجهة تسلل ارهابى عبر الحدود ، كما انهم ــ مثلنا ــ يواجهون اعداء يودون تدميرهم » .

ولا يعد اى طرف من الطرفين ــ لأسباب دبلوماسية ــ الى الافراط فى تأكيد الرباط الذى يربط بينهما . كذلك فان الرباط الاقتصادى ليس جوهريا رغم ان اسرائيل تتاجر مع جنوب افريقية وتتلقى اسهامات ضخمة من الطائفة اليهودية هنا .

لكن هناك ، فوق هذا كله ، تفاهم عسكرى كبير . فالحملتان الوحيدتان اللتان تحظيان بالاهتمام فى مدارس المناورات بالبلاد هما : طبرق ، حيث انهزمت احدى وحدات جنوب افريقية خلال الحرب العالمية الثانية ، وحرب الستة ايام لاسرائيل ، عام ١٩٦٧ .

وتنتج جنوب افريقية المدفع الرشاش اوزى بالاتفاق ، والاوزى اختراع اسرائيل ، ولقد تم الترخيص بالانتاج عن طريق بلجيكا ، ولقد قيل لى بصفة غير رسمية ــ ولم استطع ان اتأكد من ذلك رسميا ــ ان بعثة من جنوب افريقية طارت الى اسرائيل خلال حرب الستة الايام لتدرس التكنيك واستخدام الاسلحة .

كذلك تتردد شائعات ، لم نتأكد تماما ، تفيد بأن الاسرائيليين حصلوا على نماذج محرك الميراج ، المقاتلة الفرنسية ، عن طريق عملائهم فى سويسرا ، وانهم ادخلوا عليه تحسينات ووضعوا تصميمات له هنا . غير أن كافة هذه التقارير غير مؤكدة ، ولا تذاع لدواعى الأمن .

وتبقى الحقيقة الاساسية ، ان هذا البلد له قلة من الاصدقاء فى الخارج ، وهو يعتبر اسرائيل واحدا من هؤلاء القلة . ولقد ضاقت جنوب افريقية ، لفترة ، من سياسة اسرائيل الرامية الى كسب اصدقاء من بين امم افريقية السوداء . لكن جنوب افريقية نسيت هذا الآن ايمانا منها بأن وقوف اسرائيل فى وجه روسيا ووكلاء روسيا عند اقصى الطرف الشمالى للقارة يساعد على الاستعداد لموقف مماثل ــ اذا اقتضت الظروف ــ عندما يحين وقت هذا فى اقصى الجنوب .

(٢٠)

حرب اكتوبر ١٩٧٣

(ا) تاييد ادبى لاسرائيل (٢٠)

صرح مستر ب.و. بوتا وزير الدفاع ، صرح فى جورج ، باقليم الكيب، بأن جنوب افريقية ستقدم لاسرائيل السند الادبى فى حرب الشرق الاوسط وانه لا يشك فى انه سيتم التوصل الى الطرق والوسائل الكفيلة بابداءتعاطف الجمهورية بطريقة عملية – عدا الدخول فى حرب . جاءت هذه التصريحات نقلا عن ساوث افريكان برس اسوسييشان .

وكان ثمة شعور عميق بالتعاطف من جانب جنوب افريقية تجاهاسرائيل فى نضالها ضد القوى التى تساندها « العسكرية الشيوعية » . جاء ذلك على لسان مستر بوتا .

ومضى الوزير يقول « ورغم اننا نرجو الا تشعل هذه الحرب النار فى العالم ، لا اشك فى اننا سنجد الوسائل والطرق لابداء نوايانا الطيبة تجاه اسرائيل » .

وقال مستر بوتا ان اسرائيل تخوض الآن معركة حياة وموت ، وتحمى قناة السويس . اما جنوب افريقية فتحمى حرية مرور العالم الغربى – حول راس الرجاء الصالح .

وتحدث رئيس الوزراء ، مستر ب.ج. فورستر ، فى كيتمان نشوب ، فقال ان الحرب فى الشرق الأوسط ، والتى تستهدف اسرائيل ، لا تشنها سورية ومصر وانما روسيا ، واذا ما اطلق العنان للروس فستكون لهذا اثاره الكبيرة على جنوب افريقية .

وأعلن رئيس الوزراء « ان النشاط الارهابى لا يستهدف اساسا روديسيا او الاقاليم البرتغالية وانما يستهدف انهاك جنوب افريقية حتى يستطيعوا (الشيوعيون) السيطرة على طريق راس الرجاء . ولقد ظل ذلك هدفهم واستراجيتهم الرئيسية » .

(ب) نفاثة من جنوب افريقية تسقط فى مصر (٢١)

ذكرت الصحيفة البريطانية المحافظة ذا ديلى تلجراف : « ان القوات المصرية اسقطت نفاثة من جنوب افريقية فوق قناة السويس . ويشير ريتشارد كركس . المراسل العسكرى للتلجراف ، الى ما وصفه « تقارير موثوق بها » مؤداها أن المصريين اسقطوا نفاثة ميراج مجهوله (مير ــ ازه) فى اواخر اكتوبر ، وانها احدى الطائرات التى بعثت بها قوات جنوب افريقية الجوية الى اسرائيل . وجدير بالذكر أن طائرات الميراج،الأمريكية ف ــ ١٠٥ والميج السوفيتية .

وتقول التلجراف ان وجود طائرة من جنوب افريقية فى سماء مصر قد حير المراقبين ، ذلك ان اسرائيل ، خلال قتال السويس ، اعتمدت على طائراتها الحديثة الفانتوم والاسكاى هوك المصنوعة فى امريكا . اما نفاثات الميراج ٣٥ فى السلاح الجوى الاسرائيلى فمن بين اقدم الطائرات التى تملكها اسرائيل .

اما جنوب افريقية فتملك اكثر من ٤٠ نفاثة ميراج ، بعضها انتاج اكثر حداثه مما يملكه الاسرائيليون ، وهذه النفاثات عصب سلاحها الجوى . ولقد باعت فرنسا هذه النفاثات الى جنوب افريقية رغم الحظر الذى فرضته الامم المتحدة على ارسال اسلحة الى الحكومة البيضاء بالبلاد .

وتتكهن (ديلى تلجراف) بأن جنوب افريقية بعثت بعدد من الطيارين المتطوعين ، والطائرات ، الى اسرائيل كى يكتسبوا خبرة بالمعارك ، وهذا مطلب هام جدا بالنسبة لهم . وتخشى حكومة جنوب افريقية ان يضطر سلاحها الجوى يوما الى الاشتباك مع طائرات سوفيتية الصنع وطيارين مدربين فى روسيا فى بلاد مجاورة لجنوب افريقية .

ويساعدنا نبأ (الديلى تلجراف) على فهم الباعث وراء تحذير الرئيس المصرى السادات حين قال ان بلده سيمنح وضع « أسير حرب » للاسرى من المواطنين الاسرائيليين فقط . لذا فان اى طيار من جنوب افريقية يقبض عليه المصريون لن يتم تبادله بمقتضى برنامج تبادل الاسرى .

ورغم ان اسرائيل لم توافق أبدا على وجود علاقات دبلوماسية كاملة مع جنوب افريقية ، الا ان الروابط بين البلدين نمت بشكل مطرد . ولقد عبر رئيس وزراء جنوب افريقية ، فورستر ، عن هذه المشاعر عندما قال «انهم مثلنا ، قد اضطروا الى مواجهة التسلل الارهابى عبر الحدود . وهم ، مثلنا ، يواجهون اعداء عقدوا العزم على تدميرهم » .

وترى جنوب افريقية فى اسرائيل حليفا يواجه نفس المشاكل ، بل نفس الاعداء ايضا . فالحكومة البيضاء بجنوب افريقية ، التى يفوقها السود ـ الذين تحكمهم ـ عددا (٥ الى ١) ، تجد نفسها موضع نقد عنيف من الأمم الأفريقية التى يحكمها سود .

كذلك فأن افريقية السوداء متحدة تماما فى وقوفها وراء القضية العربية . خلال العامين الماضيين قطعت ٢٦ دولة افريقية علاقاتها الدبلوماسية باسرائيل ، منها ١٨ دولة قطعت علاقاتها منذ ان نشب القتال الأخير .

ويظن تقرير (الديلى تلجراف) ان الطريق الذى سلكته نفاثات جنوب افريقية كان فى اتجاه الساحل الغربى لافريقية ، مع التزود فى القواعد البرتغالية بأنجولا وغينيا بيساو . ومن هناك يعتقد انها انضمت الى الطائرات الأمريكية التى طارت بأسلحة بديلة الى اسرائيل من الازور ، الجزر البرتغالية فى المحيط الأطلسى .

وفى مقابلة بالاذاعة البريطانية اصر ريتشارد كوكس ، كاتب مقال (التلجراف) ان مصدره موثوق به لكنه توقع ان تنكر جنوب افريقية النبأ.
وهذا ما حدث . فقد قال فورستر رئيس الوزراء ان قصة كوكس « غير صحيحة بالمرة » . واضاف ان حكومته غير مشتركة فى القتال الدائر فى الشرق الأوسط .

* * *

(ج) تعاطف جنوب افريقية مع اسرائيل (٢٢)

لويس هولتز

عبرت جنوب افريقية ، وبشكل كبير ، عن نواياها الطيبة تجاه اسرائيل فى محنتها الأخيرة وقليلة هى الدول ، خارج اسرائيل نفسها ، التى فاقت جنوب افريقية فى تتبع مصير اسرائيل فى الحرب بكل هذا التعاطف . ولقد كانت هناك نغمة سادت معظم الصحف ، والاذاعة ، والمنابر ، الا وهى ادراك الناس ـ على اختلاف ميولهم ـ بأن قتال اسرائيل من اجل البقاء والأمن هو قتال يؤثر بشكل مباشر او غير مباشر ـ على مستقبل هذا البلد .

كان هناك اعجاب بموقف اسرائيل ، وكان هناك رغبة جياشة لنجاح اسرائيل ، واقترن هذا بشعور للمصلحة المشتركة بين الشعبين . وفى

الفترات المعادية لكل شعب مشاكله واسلوبه فى الحياة غير أن مثل هذه الخلافات كانت تتبدد فى الأزمات ، وادراكا من جنوب افريقية بأن النضال فى الشرق الأوسط يؤثر على مصيرها ، بل وقد يؤثر على سلام العالم بأسره .

كان هناك من جنوب افريقية من يرون هذا الراى ، وكان هناك — بصفة خاصة — من تتلخص مهمتهم فى التفكير والتخطيط سلفا من اجل وضع الاستراتيجية وتوفير الأمن القومى . ورأى هؤلاء فى اسرائيل الحصن الشمالى فى مواجهة معتد قد يكون اكثر خطورة من العرب ، اما جنوب افريقية فكانت الحصن الذى يواجه نفس العدو فى الجنوب .

ان اسرائيل التى تقف عند ملتقى آسيا وشمالى افريقية ، وجنوب افريقية التى تقف عند ملتقى المحيطين فى أقصى الجنوب ، يكفل لهما وضعهما الجغرافى الهيمنة على ممرات عالمية بالغة الأهمية ولقد باتت جنوب افريقية تسلم ، فى تفكيرها ، بأن البلدين يتكافلان حول هذه النقطة . وخلال اسابيع التوتر وتقلبات المعركة كنا نسمع المرة بعد المرة انه اذا ما سقطت اسرائيل او تعرض وضعها لضرر كبير فان دور جنوب افريقية قد يحين فورا ، او بعد فترة .

وقد تكون هذه المخاوف مبالغا فيها . وقد لا تكون اسرائيل راغبة الى هذا الحد فى لعب دور الشرطى فى ذلك الجزء من العالم،اللهم الا فيما يتصل بأمنها ، بينما تود جنوب افريقية ان تحمى الطريق حول راس الرجاء . كذلك فان اسرائيل لا يشغلها ما يشغل جنوب افريقيــة من اعتبارات أيديولوجية .

وسط الجو العاطفى لهذه المعركة يتعين علينا ان نتذكر هذه الحقائق . كما يتعين علينا ان نتذكر ان جنوب افريقية ، التى لا تتعرض لخطر مادى مباشر ، تنظر الى اخطار المستقبل من زاوية تختلف عن زاوية اسرائيل . ان شغل جنوب افريقية الشاغل هو الخوف من التسلل الشيوعى التدريجى الى قلب افريقية ، الى ان يضرب جنوب افريقية نفسها من الداخل . وقد يكون هذا الخوف ايضا مبالغا فيه ، وايا كان الأمر فان اخطار هجوم مباشر كالذى تعرضت له اسرائيل قد تكون بعيدة جدا عند هذه المرحلة ، رغم ان هذا لا يعنى ان تقلل من استعدادها ويقظتها .

ورغم هذا كله ثمة شاغل مشترك يوثق عرا الروابط بين جنوب افريقية واسرائيل ، وان مستقبل جنوب افريقية يتوقف — الى حد كبير — على نتيجة الصراع فى الشرق الأوسط والتسوية التى يتم التوصل اليها فى

النهاية ان مصير قناة السويس وحده يشكل قضية تربط بين جنوب افريقية واسرائيل ، كما وضع ذلك تماما منذ اغلاق الممر المـائى .

غير ان مواقف جنوب افريقية من الحرب لم تحلها فقط الجـوانب العسكرية او المدلولات الاستراتيجية الأكبر . ان العقلاء من جنوب افريقية الذين رحبوا باسرائيل كعقبة فعالة امام المطامع الشيوعية ، توصلوا ايضا الى استنتاج هام من هذا الوضع .

وقفت اسرائيل امام عدو قوى ، وبدا ان كل الظروف غير مواتية لها ، مثلما كان الحال فى المـاضى . ووجدوا فى هذا تحذيرا بأن جنوب افريقيـة بحاجة الى شعور أكبر بالوحدة الوطنية وثمة تحذير آخر ، ان جنـوب افريقية تختلس من الزمن . وبعبارة اخرى ان امام جنوب افريقيه فتـرة لالتقاط الأنفاس ، لا يعرفون الى متى ستطول لكنهم يأملون فى ان تتسـع بحيث يجمعون صفوفهم ويضعون حدا للانقسامات التى لا يسـتطيعون الاستمرار فيها وسط عالم محفوف بالمخاطر .

كانت تلك احدى الاستنتاجات التى فرضت نفسها على المسـئولين بجنوب افريقية وهم ينظرون الى صورة الشرق الأوسط . واوجـزت فى بيان نسمعه كثيرا هذه الأيام ، مؤداه ان الاستعداد العسكرى رغم انه ضرورى فى حد ذاته لا يعدو ان يكون نصف المعركة . فمن الضرورى ان تقف وراء القوات المسلحة قوة ادبية مصدرها التضامن ، وروح التضحية ، وتلك من امضى اسلحة اسرائيل .

وثمة درس آخر من احداث الشرق الاوسط ويتصل بالمدرس الاول ، وهو انه يتعين على جنوب افريقية ان ترتب بيتها اذا كانت لا تريد ان تفاجأ بالقوات التى تبنى نفسها فى أماكن اخرى بافريقية بمسـاعدة نفس الدولة التى تشكل فى النهاية خطرا على اسرائيل . ربما كانت هذه هى النقطـة التى وضحت أكثر ما وضحت خلال تأملات جنوب افريقية الخاصة بالحرب.

تعرضت اسرائيل لهجوم تسانده روسيا ، هجوم نشب (هذا ما يجب ان نتذكره) فوق ارض افريقية ، واعقبته الصـدمة الخاطفة المتمثلة فى المواجهة العابرة — لكن المخيفة — بين واشنطون وموسـكو . وكانت تلك اشارة خطر لا تستطيع جنوب افريقية ان تتجاهلها .

***

قررت جنوب افريقية ان تستغل مفهوم البانتوستان كمدخل الى العلاقات الدولية (٢١) ، ورغم ان السود نددوا بهذا القرار بشدة الا ان الحكومة الاسرائيلية تعاطفت معه (أ ، ب ، ج ، د) .

* * *

(٢١)

البانتوستان وسياسة جنوب افريقية الخارجية

(أ) البانتوستان كاسلوب للسياسة الخارجية (٢٣)

كما سبق ان ذكرنا آنفا فان تحول برنامج البانتوستان فى مطلع الستينات من حكم محلى محدود الى برنامج يستهدف الاستقلال قد فرض نفسه على حكومة جنوب افريقية بسبب عزلتها الجديدة فى فترة تصفية الاستعمار . وكان هناك اندفاع الى تنفيذ هذا البرنامج فى السبعينات ، وظهر فى العزلة المتزايدة (وكان ايضا نتيجة لها) لنظام الفصل العنصرى الناجم عن عدوانيتها لا فى مجال السياسة العنصرية المحلية وحسب وانما فى الاحتلال غير المشروع ايضا لناميبيا وامتداد نظام البانتوستان الى ناميبيا ، ومساندة جنوب افريقية للنظام المتمرد غير الشرعى فى روديسيا (زيمبابوى) .

وحاولت حكومة جنوب افريقية الخروج من عزلتها فى القارة الافريقية، سعت فى السنوات الأخيرة الى جعل سياستها « طبيعية » مع البلدان الافريقية المستقلة كخطوة اولى لجعل افريقية ترضى باستمرار سياسات الفصل العنصرى وفى نفس الوقت سعت حكومة فورستر الى التوسع فى ارتباط الدول الغربية الكبرى باقتصاديات الفصل العنصرى ، وجعلها اكثر ارتباطا فى مجال العلاقات الاستراتيجية ، وبذلك تتغلب على القيود السياسية التى تجعل من الصعب بالنسبة للدول الغربية ان تدخل فى تحالف وثيق وسافر مع جنوب افريقية ، وهو ما يفضله نظام الفصل العنصرى دون شك .وبالنسبة لمجالات السياسة الخارجية فى افريقيةوالدول العربية صورت حكومة جنوب افريقية برنامج البانتوستان على انه بديل للسياسات التى تحبذها حركات التحرر ، ومنظمة الوحدة الافريقية والامم المتحدة والحركات المناهضة للفصل العنصرى ، والمنظمات التقدمية الاخرى فى انحاء العالم .

واذ فعلت بريتوريا ذلك ، وجدت حلفاءها التقليديين على استعداد المساعدة ــ وذلك بالاعتراف الرسمى والاعلام عن الشخصيات التى وضعتها بريتوريا فى موضع المسئولية فى البانتوستان وفى السنوات الاخيرة

كانت اول بادرة لها دلالتها فى هذا الصدد توجيه الدعوة من حكومة الولايات المتحدة الأمريكية الى الرئيس بوثيليدى لكى يطوف بالولايات المتحدة شهرين من ابريل حتى يونيه ١٩٧١ ، ولما يمض عام على تعيين الرئيس بوثيليدى رئيسا تنفيذيا لاقليم الزولو . وفى اكتوبر من نفس العام امضى الرؤساء مانتاتزيما ، بوثليدى ، مانجوبى ثلاثة اسابيع ونصف اسبوع فى بريطانيا ضيوفا على الحكومة البريطانيه ، ثم قضوا بعد ذلك اسبوعين فى المانيا الغربية ضيوفا على الحكومة الاتحادية . ومنذ ذلك الحين ومعظم زعماء البانتوستان قد اتفقوا على الاقل شهرين او ثلاثة فى زيارات للولايات المتحدة وجمهورية المانيا الاتحادية ، وبريطانيا ، وسويسرا ، وهولندا ، والدول الغربية الاخرى . يضاف الى هذا ان الرئيس بوثيليدى زار عددا من الدول الافريقية بما فيها الدول التى شغلها الصراع فى جنوب افريقية ، وبعض الدول الأكثر تعاطفا مع سياسة نظام فورستر ، الخاصة بالحوار والوفاق.

توافر زعماء البانتوستان كمبعوثين جوالين لبرنامج البانتوستان الذى وضعته حكومة جنوب افريقية . وخلق هذا بعدا جديدا للسياسة الخارجية لجنوب افريقية . فلاول مرة يسافر متحدثون سود الى الخارج لينادوا بالسياسة العنصرية لنظام الفصل العنصرى ، وعلاوة على ذلك هؤلاء المتحدثون قادرون فى دخول الدوائر المؤثرة فى الغرب ــ مسيحية ، مالية ، تجارية ، فكرية ــ دوائر عجزت حكومة جنوب افريقية نفسها ، ولو قت طويل من ان تؤثر فيها بالأساليب الدبلوماسية التقليدية .

وعلاوة على ذلك ، فى هذه الدوائر الهامة التى تصنع الراى ، يستطيع المتحدثون ان ينشدوا المساهمة فى التنمية الاقتصادية لـ « اوطانهم » وان يعارضوا السياسات التى تستهدف جنوب افريقية « العنصرية » على اساس ان هذه السياسات ستؤذى الذين نريد مساعدتهم وفى مثل هذه الدوائر يقل او ينعدم ادراك ان هذه البانتوستان ، ليست ولا تستطيع ان تكون ، دولا مستقلة تقارن حتى بدول افريقية مستقلة مثل بوتسوانا ، ليسوتو ، سوازيلاند (التى يعقدون معها احيانا مقارنات مضللة) ان البانتوستان قطع من الأرض تجمع بينها فكرة وكلها تشكل جزءا من ارض جنوب افريقية ، وتخضع لاقتصاد جنوب افريقية . لكن هذه الحقيقة كثيرا ما تغيب عن الافكار والنتيجة ان مشكلة التنمية الاجتماعية والاقتصادية لهذه المناطق كثيرا ما ينظر اليها على انها فى جوهرها ــ مشابهة لاحتياجات التنمية العامة فى العالم الثالث ، لكن الواقع ان جنوب افريقية بلد صناعى وان تخلف « الوطن » يرجع ، بطريقة مباشرة ، الى سياسات العزل العنصرى التى سارت عليها حكومات جنوب افريقية المتعاقبة .

وكما رأينا فان تخلف المعارك مرجعه التوزيع الفج غير العادل ، والذى يتم فى جانب واحد وعلى اساس عنصرى ، مع استبعاد كافة المراكز الصناعية الرئيسية ومراكز التعدين ، فى هذا التوزيع . كما يرجع الى اعادة توطين ملايين الافريقيين - رجال ونساء واطفال - من « جنوب افريقية البيضاء » - موجز القول انها مستودعات من الأيدى العاملة الرخيصة التى تخدم اقتصادا عنصريا . وعلى ضوء هذا فان من باب النفاق الصارخ ان يصور نظام فورستر نفسه على انه مشغول بأكبر برنامج للتنمية فى العالم الثالث ان لم يكن فى العالم كله . ومما هو اكثر من النفاق ان يتظاهر النظام بأنه يسعى الى جمع الموارد الحكومية وغير الحكومية ، فى العالم المتقدم ، من اجل هذه المهزلة ، مهزلة برنامج التنمية . ان تحمس حكومة جنوب افريقية لهذه السياسة بين عشية وضحاها مرجعه انها ادركت ان تصوير البانتوستان امام العالم سيكفل لها وسيلة جديدة تضفى بها الشرعية على تدفق راس المال الاجنبى الذى تحتاج اليه جنوب افريقية بشدة ، على الصعيد الاقتصادى والصعيد السياسى خلال العشر السنوات الماضية . كان هذا هو الاعتبار الاستراتيجى الأول الذى حفز حكومة جنوب افريقية الى تغيير سياستها القديمة عام ١٩٧٣ لكى تفتح « بانتوستان » للاستثمار الاجنبى .

واذ واجه المجتمع الدولى هذا التطور الجديد فانه بحاجة الى الاطلاع على واقع البانتوستان وان نكون فى منتهى اليقظة حتى لا نتقبل سياسة عنصرية - على صورتها الحالية - ندد بها الرأى العام بشدة فى مظاهرها السابقة . ويتعين على المنظمات والهيئات ، التى تشعر بمسئولية ادبية خاصة تجاه الافريقيين المضطهدين والتى تبحث عن طرق عملية للتخفيف من عذابهم يتعين عليها ان تتجنب من الخطوات ما قد يشجع حكومة جنوب افريقية على الاستمرار فى موقفها من اراضى الوطن ، ويعفيها من المسئولية الكاملة التى تحملها لتحقيق رفاهية كافة الاجناس فى جنوب افريقية . وعلاوة على ذلك ، وعلى الصعيد الحكومى ، بات لزاما على الأمم المتحدة ان تستجيب لطلب الدول الافريقية الذى قدم فى الدورة غير العادية مجلس وزراء منظمة الوحدة الافريقية الذى انعقد بدار السلام فى ابريل ١٩٧٥ ، وتكرر فى مؤتمر القمة المنعقد بكامبالا فى اغسطس ، لرفض برنامج البانتوستان كله . وجدير بالذكر ان الجزء الخاص بجنوب افريقية فى القرار الذى انعقد اتخذ آنذاك يهيب بالدول الاعضاء فى الأمم المتحدة الا تقيم اية اتصالات مع « زعماء » البانتوستان .

ان هذا الاتجاه ـ الذى يعد جزءا من حملة اكبر لعزل نظام الفصل العنصرى فى كافة المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية والعلمية والرياضية ـ يصلح اساسا واقعيا ومعقولا لحل مشكلة الفصل العنصرى ، وللتضامن مع نضال شعب جنوب افريقية ضد هذا النظام .

* * *

(ب) ثناء من الجنرال دايان (٢٤)

بعد زيارة طويلة لجمهورية جنوب افريقية قال الجنرال موشى ديان وهو يستقل الطائرة الى تل ابيب من مطار جان سمطس ، جوهانسبرج .

« ان جنوب افريقية تنتمى الى العالم الحر . ويهم اسرائيل جدا ان تتوثق الصلات مع حكومة جنوب افريقية . ان جنوب افريقية بلد متقدم ، والعمل قائم فى مشروعات تنمية هائلة ، غير ان عليها ان تأخذ مشاكلها العسكرية مأخذ الجد » .

وقال الجنرال دايان « وانا على يقين من انكم لا تريدون مستشارين وحسب ، وانما تشعرون ايضا بما اشعر به عندما ينصحنى الناس بما يجب ان افعله فى اسرائيل » .

وكان قد اجرى مباحثات مطولة ومثمرة مع رئيس الوزراء ، مستر ب.ج. فورستر ، كذلك عقد مباحثات مع الرئيس جاتشا بوثيليدى (كوازولو) .

* * *

(جـ) طبق تابيوكا الدسم فى ناتال (٢٥)

لورانس مورجان

تأكدت الامكانيات الاقتصادية الهائلة لمنطقة ماكاتينى ، فلاتس نباتال ، اكدت ذلك منظمة استشارية اسرائيلية للتنمية الزراعية ، وهى منظمة معروفة دوليا .

وبعد امكانيات هائلة مستفيض فى ماكاتينى تحدثت عن وجود امكانيات هائلة لانتاج المحاصيل بما فى ذلك الكاسافا (تابيوكا) .

وقامت مجموعة (تايجار اوتس) بتكليف المكتب الاستشارى الاسرائيلى لقاء مبلغ كبير ، وذلك للبحث فى امكانية انتاج الكاسافا على نطاق واسع فى ماكاتينى ، حتى طاقة ٢٠٠٠٠ .

كذلك تنظر تايجار اوتس فى امكانية توفير خدمات للشحن والتفريغ على نطاق واسع وذلك فى ريتسارد باى ، بغرض تصدير كميات ضخمة من المحصول وقد اهتمت بالمشروع شركة المانية لها مركزها فى تجارة الكاسافا الدولية الآخذة فى الاتساع السريع .

* * *

لكن حدث توقف كبير فالحكومة لم تتخذ قرارا بعد ، ولا يحتمل ان تتخذ القرار قبل ان تعرض على البرلمان كافة الخطط الخاصة بتدعيم كوزولو ، وقد يكون ذلك فى اواخر العام .

والى ان يتم ذلك لم يتضح بعد من الذى سيملك او يشغل الارض .

و (تايجار اوتس) تعد الآن واحدة من المنظمات الضخمة التى اخذت تدرس ماكاتينى وكوازولو بصفة عامة بهدف الاسهام فى تنمية البلاد على اساس التوكيل الرسمى .

* * *

(د) معونة اسرائيلية للبانتوستان (*) (٢٦)

تستطيع اسرائيل ان تسهم فى تنمية المواطن الافريقية (البانتوستان) هذا ما نشرته (ها ارتس) الصحيفة الاسرائيلية ذات النفوذ ــ فى مقال خاص .

ويقول مساعد رئيس التحرير ــ مستر ا. شفاتيزر ــ ان اسرائيل تستطيع تعليم اهالى المواطن الاساليب الزراعية الحديثة وكيفية التغلب على تفتت التربة .

ولقد نجحت اسرائيل فى الماضى فى مساعدة دول سوداء اخرى . هذا ما كتبه شفاتيزر ، الذى اورد مثال الترانسكى التى ستحصل على استقلالها قريبا والتى يمكن ان تتلقى عونا كهذا . بل لقد تنبأ بأن روابط اسرائيل بجنوب افريقية سترفع شأنها وسط افريقية السوداء . وهو يقول انه على ضوء العلاقات التى تحسنت فمن المسلم به ان جنوب افريقية ستسمح لاسرائيل بأن تشترك فى مشروعات التنمية .

ويضيف الكاتب ان اسرائيل ترفض انتقاد الاجانب لزيارة مستر فورستر ومستر مولر لاسرائيل ، ذلك ان البلد المستقل يستطيع ان يوجه الدعوة الى اى اشخاص يشاء . ومن يريدون ان ينددوا بجنوب افريقية على اسس

اخلاقية يجب ان تكون ايديهم نظيفة اولا . وقليلة هى البلاد التى تستطيع أن تثبت هذا بالنسبة لنفسها وضيوفها .

* * *

(بعد حرب ۱۹۷۳ وعزلة اسرائيل فى افريقية ازداد تقارب البلدين على نحو سافر (۲۲) ، (۲۳) .

* * *

(۲۲)

التعاون العسكرى و « الخطر الاسود » (۲۷)

شهد الشهر الماضى تصعيدا جديدا للروابط بين اسرائيل وجنوب افريقية فى الميادين السياسية ، والعسكرية ، والتجارية . ولا يزال البلدان ــ على الصعيد الرسمى ــ يهونان من تصوير اهمية العلاقات ، لكن اهمية كل بلد بالنسبة للاخر فى كافة المجالات آخذة فى التزايد .

وفى مطلع ديسمبر كشفت صحيفة لندنية ان بحرية جنوب افريقية ستشترى صواريخ جبرييل من اسرائيل . ولقد تم تطوير هذا الصاروخ فى اسرائيل ، وهو صاروخ بحر ــ بحر ، ومداه حوالى عشرين ميلا ، ولقد اثبت فعالية خلال حرب اكتوبر العام الماضى ، عندما استخدم ضد البحرية السورية ، وفى هجمات على ميناء اللاذقية . وقد اهتمت به الأسلحة البحرية فى عدد من الدول الغربية وبالنسبة لجنوب افريقية سيشكل هذا الصاروخ اضافة هامة الى قوتها فى مجال الصواريخ . وهذه أول مرة تبرز فيها الى السطح ، ولفترة من الزمن ، ادلة دافعة على الروابط العسكرية بين البلدين ، رغم ان القيادة العليا للقوات المصرية المسلحة اعلنت خلال حرب اكتوبر انها اسقطت نفاثة ميراج من جنوب افريقية على جبهة السويس ، وفى مارس من هذا العام اتهم كاوندا ، رئيس زامبيا ، اتهم اسرائيل بأنها اوفدت الى جنوب افريقية ضابطا برتبة بيجور جنرال لتدريب قواتها على مواجهة عمليات العصابات والتمرد .

وفى أواخر اغسطس واوائل سبتمبر ذهب ضيفان اسرائيليان هامان الى جنوب افريقية كان احدهما هو الجنرال مير اميت ، وكان فى الماضى الثانى فى القيادة بعد موشى ديان ، ابان ان كان ديان رئيس الاركان عام ١٩٥٣ . اما الضيف الثانى فكان ديان نفسه ويراس اميت الآن (كور) ، وهى الشركة الصناعية التى يملكها الهستادروت ، اتحاد نقابات العمال الاسرائيلية . والفت (كور) شركة مشتركة مع عملاق الصلب الافريقية

(اسكور) لاستيراد وتوزيع الصلب فى اسرائيل ، كما اعلنت هذا العام عن صفقة جديدة مع شركة جنوب افريقية (ادكوك انجرام) للاشتراك فى تمويل مصنع ضخم فى ايست لندن ، بجنوب افريقية . وتعد (كور) الآن قاسما مشتركا اعظم فى الروابط الاقتصادية المزدهرة التى تربط بين البلدين . ولقد اثارت زيارة اميت تكهنات باحتمال عقد صفقة جديدة .

اما ديان ، الذى صحبته زوجته ، فكان بجنوب افريقيه ضيفا على (مؤسسة جنوب افريقية) وهى مجموعة رجال الأعمال التى تشكلت اساسا لتحسين صورة جنوب افريقية فى الخارج ، والساسة الاسرائيليون الذين يذهبون الى جنوب افريقية يكونون عادة ضيوفا على احدى الهيئات الصهيونية فى الطائفة اليهودية بجنوب افريقية ، مما يخفى ــ ولو الى حد ضئيل ــ الحقيقة المحرجة ، حقيقة وجودهم . غير ان ديان اختار قبول دعوة الاتحاد ، وكانت معظم ايام بقائه تسير وفقا لبرنامج معد . اما زوجته فسبقته الى جنوب افريقيه للعلاج فى عيادة بجوهانسبرج ولم يتضح تماما لماذا اختار الاتحاد ديان ضيفا عليه . لكن قد يكون فى الأمر ما هو اكثر من المصادفة حين نرى ان دكتور شلوموبير ــ وهو اسرائيلى ساعد ديان وبن حوريون على تشكيل حزب رافى فى مطلع الستينات ــ هاجر بعد ذلك الى جنوب افريقية حيث اصبح احد كبار المحركين لرابطة التجارة بين اسرائيل وجنوب افريقية ، وعضوا فى لجنة الاتحاد .

وخلال مقام ديان بجنوب افريقية تحدث امام المؤتمر السنوى للاتحاد الصهيونى بجنوب افريقية وقال ديان ان اكبر مشكلة تواجه اسرائيل اليوم لا تتمثل فى الميادين العسكرية او الاقتصادية وانما فى الحقيقة التالية : ان المهاجرين من اليهود الشرقيين يفوقون فى العدد المهاجرين من اصل اوروبى وحث ديان ان يفكر مزيد من يهود جنوب افريقية فى الهجرة . واثار نقطة « الخطر الاسود » خمس وترا فى قلوب سامية بجنوب افريقية ، وكثيرون منهم مخلصون فى تأييدهم لـ « الفصل العنصرى » .

* * *

(٢٣)

الرباط الاسرائيلى بجنوب افريقية (٢٨)

ستانلى اويس

كيب تاون . يقوم عدد مر كبار العسكريين الاسرائيليين بزيارة جنوب افريقية بصفة منتظمة ليحاضروا ضباط جنوب افريقية فى اساليب الحرب الحديثة ، واساليب مواجهة التمرد والعصيان .

وتشكل هذه العلاقة واحدة من العلاقات الهامة المتعددة التى تربط بين اسرائيل وجنوب افريقية فى المجالات العسكرية والصناعية .

وثمة مشروعان آخران ، احدهما اشتراك سكك حديد جنوب افريقية ـ التى تملكها الدولة فى مد خط حديدى باسرائيل ، وانشاء مصنع اسرائيلى فى جنوب افريقية لازالة ملوحة البحر لأغراض الشرب والرى .

وتأكد هذان المشروعان على لسان جنرال ميراميت فى مطلع هـــذا الأسبوع بجوهانسبرج . وجدير بالذكر ان اميت كان رئيس المخـــابرات الاسرائيلية فى المـاضى وهو الآن مدير صناعات (كور) العملاقة .

وتضم صناعات (كور) ١٥٠ شركة مستقلة ، ٧٥ منها للانتاج الضخم ، ولها صلة باسكور ، مؤسسة الحديد والصلب بجنوب افريقية التى تملكها الدولة ، وخمس مؤسسات صناعية اخرى فى جنوب افريقية .

وقيل لأميت خلال مقابلة انه الى جانب المشروعات الصناعية الضخمة هناك روابط عسكرية طيبة بين اسرائيل وجنوب افريقية ، فكان رده «هناك ما هو اكثر من هذا» .

واشار اميت الى مشروعى السكك الحديدية وازالة الملوحة قائلا « ان دقائق المشروع لا تزال موضع دراسة على اعلى مستوى حكومى وهناك ايضا اعتبارات تتعلق بالامن واعتبارات سياسية ، مما يقتضى عـدم اذاعة كافة التفاصـيل الآن » .

واماط اميت اللثام عن الآتى : سيتم تشغيل مشروع مشـــترك بين اسرائيل وجنوب افريقية لصناعة الكيماويات الزراعية ، بما فى ذلك المبيدات الحشرية ، وان هذا المشروع سيبدأ فى اقليم الكيب العام التالى .

واماط اللثام ايضا عما يلى : يتم الآن بناء خزانات ما فى اسرائيل لتخزين البترول وسط ترتيبات امن مشددة ، وان هذا المشروع مشترك . وقـد قامت شركة بجنوب افريقية بصنع خزانات البترول التى يتم جمعهـــا فى اسرائيـل .

ووفقا لنبأ من لندن اهديت احدى الجامعات الاسرائيلية مجمـوعة من الكتب القيمة عن بترول جنوب افريقية قيمتها ٢ر٣ مليون دولار على شريطة ان تنشىء الجامعة قسما يتخصص فى تطوير العلاقات التاريخية ، والثقافية والسياسية بين الاسرائيليين والافريكانيين .

هذا وقد قام دكتور دانييل مالان ، رئيس الوزراء الافريكانى الاسبق، بزيارة اسرائيل بعد ان تقلدت الحكومة الوطنية الحالية مقاليد السـلطة . وكثيرا ما اكد الافريكانيون تشابههم للاسرائيليين متحدثين عن التماثل بين اسرائيل وجنوب افريقية كأمم صغيرة تناضل من أجل البقاء وسط جيران معـــادين .

* * *

(ابدت الأقلية البيضاء بجنوب افريقية ، وزعامتها ، تعاطفا كبيرا تجاه المثل الصهيونى الاعلى والنشاط الصهيونى فى مجال الاستيطان ، واعتبرت ذلك تعبيرا مشروعا عن « الأمة اليهودية » فى فلســطين ، مشـــابها تماما لجهودهم الرامية الى تحقيق « امة بيضاء » فى افريقية . وعندما صـــدر قرار الأمم المتحدة الذى يندد بالصهيونية كشكل من اشكال العنصرية رأوا فى ذلك فرصة لتأكيد نفس النقطة) .

« ملاحظات الجزء الثانى »

1. South African Jewry 1969 Ged. Leon Feldperj, Tohannesburj, 1965. pp. 141 — 153.
2. South African Jewry 1965, pp. 51—59.
3. Herzi year Book, Voll, السجل الصهيونى ١ مايو ١٩٥٩
4. Edited by Raphael pata, with a preface by Emanuel Neumann (Herzl Bess, New York).
من وايزمان الى صمتس ٢٦ فبراير ١٩٤٣ .
5. Zionsit Record, May 22, 1959.
6. The Judean, September, 1953, P. 32.
7. Jewish Chronicle, September 2, 1960.
8. Jewish Affairs, May 1960PP. 42 — 46.
9. Jewish Affairs, May 1961, pp. 2 — 3.
10. Jewish Affairs. November 1961, PP; 15—18.
11. Jewish Affairs, September 1966, PP. 465.
12. Jewish Affairs, june 1967, PP. 12 — 17.
13. Jewish Affairs, November 1967, PP. 7—9.
14. Jewish Affairs. January 1968, pp. 6—7.
15. Jewish Affairs, November 1970, PP. 6—7.
16. كريستيان سانيس مونيتور ٦ يناير ١٩٧١

17. نيـوزويك ، ٨ مايو ١٩٧٢
18. Contrast"
91. ٢٠ اكتـــوبر ١٩٧٧
20. South African Digest. نيويورك تايمز ٨٢ ابريل ١٩٧١
الأسبوع المنتهى فى ١٩ اكتوبر ١٩٧٣
21. Africa News, Volum eI, Number 39, Thursday, November 8, 1973.
22. Tewish Affoits, November 1973, PP. 14—15.
23. The South African Bantustan Bogramme: Its Domestie and International in Plications. Xprinted from Cobjctive Justic) Vol. 8, No. 1, Spring 1976(PP. 9—10.
24. South African Digest, September 15, 1974.
25. South Arrica Finnuncial Gozette, May 17, 1974.
26. South African Digest, April 30, 1976.
27. Third Wold Reports, Vol. 5, No. 7, September 1974.
28. نيويورك بوست ، ١٤ يولية ١٩٧٥ .

* * *

قرار الأمم المتحدة المناهض للصهيونية

(ا) ازمة الأمم المتحدة (١) :

انتهت عشرات السنوات من التساهل والضعف فى الأمم المتحـــدة ، بالوصول الى لحظة الحقيقة الحتمية .

فقرار الجمعية العامة الصادر بأغلبية الأصوات وينص على وصـــف الصـهيونية ــ راى القومية اليهودية ــ بالعنصرية ، يعرض المنظمة الدولية للخطر .

وقد نجح أعداء اسرائيل العرب فى رفع مناهضتهم للسامية الى مستوى « الرأى العام العالمى » . وبالمثل وهم مضطهدو جنوب افريقية ، أهدافنا المثالية للمحافظة على بقاء دولة بيضاء حـــرة فى افريقية ، بالشر المتناهى وذلك على المستوى الدولى .

وأصبحت الكرة الآن فى يد الدول الغربية ، التى لابد أن توازن الآن بين خوفها من الانتقـــام العربى وبين الضمير والأخلاق . وكانت الولايات المتحدة بالذات هى التى اتاحت أمكانية القيام بشىء أكثر من مجرد الاحتجاج الشـــــفوى .

وجدير بالذكر أن المتنبئين من جنوب أفريقيا منذ ايام الجنرال سمطس، لم يكفوا ابدا عن التحذير من ان الأمم المتحدة باجرائها غير الشرعى ضدنا ، انما تضع قنبلة زمنية فى جوفها ، اذ ان العادات اصبحت الآن تتحول الى عرف . وقد انفجرت القنبلة بالفعل .

ومن الواضح ان هذا يعتبر بداية لفصل جديد فى تاريخ الأمم المتحدة . وربما اصبح ايضا الفصل الأخير .

(ب) الأمم المتحدة والصهيونية (٢) :

لا يستطيع احد ان يلوم جنوب افريقيا اذا ما نظرت بشىء من الابتهاج الخبيث الى رد الفعل العنيف ازاء قرار الجمعية العامة للامم المتحـــــدة بمساواة الصهيونية بالعنصرية .

لقد ظلت جمهورية جنوب افريقيا طوال سنوات عديدة مجرد صـــوت يتردد فى الفضاء وأن ما تردده من أن مهاجمة الشيوعيين والعـــالم الثالث لسياسة جنوب افريقيا العنصرية بتأييدالعناصرالغربية اليســاريةوالليبرالية

✱ داى بيرجر ، ١٢ نوفمبر سنة ١٩٧٥

قد يؤدى الى انهيار الهيئة العالمية هذا الذى تردده لم يحظ على اذن صاغية .

غير ان جنوب افريقيا لا تسعى لتبرير سياستها عن طريق النقد السلبى لاسرائيل وكل ما نأمل فيه هو ان يدرك الغرب فى نهاية الأمر ان الخطوة الأولى فى الطريق نحو تدمير الذات تعقبها حتما خطوة ثانية ، ويتم بلوغ نهاية الطريق بأسرع مما يتوقع المرء .

(ج) العنصرية (٣) :

اذا نظر المرء الى السيل المتدفق من ردود الفعل الغاضبة على آخر قرارات الأمم المتحدة الا وهو وصم الصهيونية بأنها نوع من العنصرية ، لكان عليه ان يدرك مدى اهمية تعليقات كبار المسئولين فى الهيئة العالمية . وكان رد فعل د. فالدهايم موجزا ومباشرا : ان الامم المتحدة فى وضع حرج . اما تعليق مستر جاستون تورن ، رئيس الجمعية العامة ، فهو ان المتطرفين قد ذهبوا الى ابعد مما يجب فى هذه المرة .

وقد شعر المراقبون منذ فترة ، ان الامم المتحدة قد فقدت هدفها الحقيقى كأداة لحل الخلافات بين الدول وتدعيم المصالح المشتركة . غير انها أصبحت فى المجال السياسى ــ وفقا لأقوال السفير الأمريكى ــ مجرد الاداة التى تستغلها الاغلبية التى تتضمنها الهيئة العالمية من الدكتاتوريات المستبدة فى املاء ارادتها على باقى العالم .

وكانت افريقيا هى الدولة التى تحملت على مر السنين هذا العبء . ونظرا لأن جمهورية جنوب افريقيا لم تكن قادرة على ممارسة اى نفوذ دولى ذى مغزى ، فانه حتى الدول الغربية الصديقة اضطرت للسكوت على تحريف ميثاق الأمم المتحدة حتى يمكن اساءة تفسير سياسات جنوب افريقيا ولم تقرر اللجنة السياسية الا مؤخرا عدم الاعتراف باستقلال الأوطان واعلان عدم شرعية حكومة جنوب افريقيا .

وكانت العصا الملائمة لضرب جنوب افريقيا ، هى اتهامها بالعنصرية وكان هذا اعتقادا عاطفيا جعل التفكير السليم وقبول الحقائق الفعلية امرا لا داعى له ... وجعل النقاد يحصلون على التعاطف التلقائى الذى يسعون للحصول عليه . وكان من الطبيعى ان تقوم محاولة لضرب اسرائيل ــ وهى هدف آخر فى صراع القوة مع الغرب ــ بنفس الاسلوب الذى ثبت نجاحه.

ولكنهم فى هذه المرة بالغوا فى اعمالهم . فان مهاجمة الصهيونية يعتبر امرا لا يمكن ان تقبله اى دولة غربية . وهذا هو السبب فى ان الحديث

يتردد الآن عن وصول الأمم المتحدة الى نقطة تحول ، بينما كان هنــاك من يتحدث فى الكونجرس الامريكى عن انهاء عضوية امريكا .

وينطوى هذا الوضع على بعض المزايا بالنسبة لجنوب افريقيا . برنامج عمل الأمم المتحدة ضد العنصرية قد تم فضحه الآن ، على أنه لا يزيد عن كونه حمله سياسية لا علاقة لها بالعنصرية وان الغرب لم يعد يؤيده . بيــد أن احتمالات التفكك بالنسبة للامم المتحدة لم تكن واقعية فى اى وقت مضى كمــا هى الآن .

(د) اســتعداد العجلة للدوران (٤) :

من المحتمل ان يكون بدء التحرك الذى طالمــا تاقت له جنوب افريقيــا من جانب اعضاء الأمم المتحدة الاذكياء والذين يشــعرون بالقلق ، قد بدا يتحقق بالفعل بموقف هؤلاء الأعضاء ضد حملة مناهضــة الســامية التى تشنها الاغلبية . وعندما تنضم الدول الاسكندينافية وكندا ونيوزيلندا الى الولايات المتحدة وبريطانيا والدول الأوربية فى التصويت ضد القرارات التى تصف جنوب افريقيا بالعنصرية ، يبدو عندئذ ان العجله تستعد للدوران . وكما يتضح من التصويت فى الجمعية العامة نرى الشقاق حول الصهيونية، يجتاح افريقيا السوداء كلها .

ويبدو ايضا ان هناك شكوكا متزايدة حول مدى صدق اهداف الدول المناهضة للفصل العنصرى ، والتى ذهبت الآن الى حد وصف الصــهيونية بالعنصرية . ومن المنطقى ان ينظر اعضاء الأمم المتحدة الذين خاب املهم ، الى اوجه التشابه والفرق بين الصهيونية ، التى لا يرغبون فى أن يمســـها احد ، وبين التنمية المنفصلة ، التى نددوا بها هم انفسهم لمدة ســـنوات طويلة الى درجة انهم وصفوها مع الآخرين ، بالعنصرية الملعونة .

عندئذ سيجدون أن هناك قدرا من التشابه أكبر من الاختلاف . فان الصهيونية تقوم أساسا أيضا على الحق فى الحصول على اقليم تقيم عليه وطنا قوميا لها ، والحصول على دولة مستقلة . وقد تم اقامة مثل هذا الوطن لليهود بمباركة الأمم المتحدة . ويريد العرب وغيرهم الآن تدمير هذه الدولة وهم يستخدمون نفس الأمم المتحدة لتحقيق أهدافهم وقد تمتعت جنوب افريقيا ، بصفتها عضوا مؤسسا ، بالعضوية الكاملة فى الأمم المتحدة ويريد الشيوعيون وغيرهم تدميرها كما يريدون اســتغلال الأمم المتحــدة لتحقيق هذا الهدف .

وبالنسبة لقضية جنوب افريقيا ، تغاضى الغرب عن عمليات التدخل فى الشئون الداخلية لتلك الدولة ، خروجا على ميثاق الأمم المتحدة ، لأن

الغرب كان يريد الاحتفاظ برضاء العالم الثالث ، يتكلم عن العنصرية فى جنوب افريقيا . وعندما تم تاكيد سابقة التدخل ، بدىء فى التصدى للهدف التالى ، الا وهو اسرائيل ، والآن اصبح بامكان عدد كبير من اعضاء الأمم المتحدة ان يروا الى اين ينقادون .

ومما يبعث على الأمل انهم سيدركون الآن ان الحملة ضد جنوب افريقيا ليست موجهة ضد اقامة وطن منفصل للبيض فحسب ، بل انها موجهة أيضا ضد قيام دول مستقلة منفردة للسود أى أن الأمر الذى يضايق الأغلبية فى الأمم المتحدة ليس هو العنصرية فى جنوب افريقيا ، بل ان اكثر مثيرى الشغب نفوذا بينهم يريدون انتزاع جنوب افريقيا من الغرب واثارة الفوضى والصداع الداخلى هنا ، كما هو الحال فى أنجولا ، حتى يمكن استغلال ثروة هذا الاقليم وموقعه الاستراتيجى فى المعركة العالمية ضد الغرب الحر .

كانت صحافة جنوب افريقيا ترى أن الموافقة على اشتراك منظمة التحرير الفلسطينية فى مناقشات مجلس الأمن ، مع معاملتها معاملة الدولة الكاملة العضوية ، بمثابة سابقة خطيرة للغاية . وقد أجرت صحيفة « ذى مزيند » مقارنة بين منظمة التحرير الفلسطينية ورجال العصابات وحركات التحرير فى جنوب افريقيا .

* * *

(٢٥) مجلس الامن يسمح بانضمام منظمة التحرير الفلسطينية

(ا) استرضاء (٥)

تفكر الدول الغربية من جهة فى اتخاذ عمل مشترك ضد الارهاب المتمثل فى الاختطاف والهجوم بالقنابل واختطاف الطائرات الذى هز العالم فى سنة ١٩٧٥ . ومن جهة اخرى يستمر فى حماس ترضية الارهابيين ، او على الاقل ترضية اخوانهم الروحيين .

فقد سمح لمنظمة تحرير فلسطين أثناء مناقشة مجلس الأمن لمستقبل الشرق الأوسط ، بالاشتراك فى المناقشات . والوصف الادق لهذه المنظمة هو « المنظمة الارهابية » . فان كثيرا من الجرائم البشعة التى ارتكبت سنة ١٩٧٥ كانت من أعمال الجماعات الارهابية الفلسطينية التى تعتبر منظمة التحرير بمثابة الهيئة المنظمة لها .

وآخر مثال على محاولات الترضية هذه هو تأجيل اجتماع اليونسكو (منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة) فى باريس لتجنب حدوث مواجهة متوقعة حول قرار الجمعية العامة الذى سوى بين الصهيونية والعنصرية وهذا يحدث فيما يفترض أنها منظمة غير سياسية .

ومن الواضح أن نية الكف عن استرضاء الارهابيين وأولئك الذين يساندونهم ليس من بين أقوى نوايا العام الجديد عند الدول الغربية .

(ب) سابقة خطيرة للغاية (٦)

فقدت الجمعية العامة للامم المتحدة مؤخرا كثيرا من التقدير العالمى لها نتيجة للتصرف غير المسئول من جانب الدول النامية والذى يعتبر انتهاكا للوائحها وتقاليدها . وأصبح مجلس الأمن ، وهو اهم هيئات المنظمة العالمية معرضا الآن لنفس الخطر . ومن الممكن أن يؤدى سير ونتائج مناقشة مسألة الشرق الأوسط التى استغرقت عشرة ايام والتى تعتبر اخطر برميل بارود فى العالم ، الى اصابة مجلس الأمن بأضرار بالغة لا يمكن اصلاحها .

وقد توالت الأخطاء . وكان الخطأ الأول هو استقبال ياسر عرفات ، زعيم منظمة التحرير الفلسطينية سنة ١٩٧٤ فى الأمم المتحدة وكأنه بطل ، بل لقد سمح له حتى بتوجيه كلمة فى الجمعية العامة . ومن الواضح أن أعضاء حركه ارهابية أقسمت على تدمير اسرائيل ـ وهى دولة تتمتع باعتراف الأمم المتحدة الكامل ـ كل هذا التقدير والمكانة ، يعتبر عملا عدوانيا بالنسبة لاسرائيل .

وتزايد الاضطهاد العربى لاسرائيل داخل الأمم المتحدة . ولم تسفر المحاولات التى بذلت لطرد اسرائيل من المنظمة الدولية عن الشيء الكثير ، ولكنها طردت من بعض المنظمات مثل اليونسكو ومنظمة العمل الدولية . وبلغ الأمر ذروته فى نوفمبر من العام الماضى عندما قررت الجمعية العامه أن الصهيونية مساوية للعنصرية . وقد رفضت اسرائيل والدول الغربية هذه المقارنة فى سخرية دفعت باسحاق رابين رئيس وزراء اسرائيل الثائر ، الى اعلان أن هذا القرار جرد الأمم المتحدة من كل سلطة معنوية وسياسية

وبالرغم من المعارضة القوية من جانب اسرائيل والولايات المتحدة ، وتوصل مجلس الأمن ، ازاء اصرار سفير روسيا لدى الأمم المتحدة ، الى تفاهم « يؤدى الى السماح لممثلى منظمة التحرير الفلسطينية بحضور الجلسة الخاصة بالشرق الأوسط . واعلنت اسرائيل فورا انها ستقاطع الاجتماع .

وفي يوم الاثنين ، وهو اليوم الأول للمناقشة ، صوتت الولايات المتحدة بمفردها ضد اشتراك منظمة التحرير الفلسطينية . وامتنعت عن التصويت ثلاث دول غربية أخرى هي بريطانيا وفرنسا وايطاليا . وقد ندد مستر ايفور ريتشارد ، السفير البريطاني ، بشدة ، بكلمة القاها السفير الروسي . ولكنه قال انه لا يريد أن يصوت على مسألة اجرائية بحتة .

واذا كان مجلس الأمن يريد القضاء على سلطته وعلى التقدير الذى يتمتع به فان عليه أن يستمر في تجاهل الكلمات الحكيمة كتلك التي أدلى بها مستر دانيال مونيهان . فقد حذر من ان الاعتراف بحركة التحرير الفلسطينية ، التي لا تمثل دولة ، قد يؤدى الى ضرورة ترحيب الأمم المتحدة فيما بعد بحركات المقاومة من « نصف دول العالم » .

وهذه السابقة تحمل في طياتها مخاطر تكاد تهدد كل الدول التي تعاملت مع جماعات المقاومة والارهاب ، أو التي ما زالت تتعامل معها .

(جـ) سلاح ذو حدين (٧)

وقع حدثان خلال الأيام القليلة الماضية يبينان مدى قدرة الناس على نصب الفخاخ التي قد توقع بهم الكوارث .

ففي أوائل هذا الاسبوع حصلت منظمة التحرير الفلسطينية على حق حضور مناقشة بمجلس الأمن التابع للامم المتحدة ــ مع مساواتها في المعاملة من حيث المكانة والسلطة بالعضو الكامل ــ وذلك بموافقة ١١ صوتا في مقابل صوت واحد . وكانت الدولة المعارضة الوحيدة (حيث قاطعت اسرائيل الجلسة) هي الولايات المتحدة .

غير أن ثلاث دول أعضاء ، هي بريطانيا وفرنسا وايطاليا ، امتنعت عن التصويت الأمر الذى يعتبر بمثابة موافقة ضمنية على هذا التشويه المتحيز والصارخ لاجراءات الأمم المتحدة وبذلك تكون هذه الدول قد وافقت ضمنيا على الاعتراف بجماعة تتناقض سياستها الارهابية كلية مع الأهداف المحدودة للامم المتحدة .

(ربما لم يكن من المستغرب ان يحاط مبنى الأمم المتحدة في نيويورك في هذه اللحظة بحراسة مشددة لمنع تكرار حوادث القنابل الارهابية التي وقعت في أوائل هذا الاسبوع) .

واليوم ننشر نبأ قيام حزب العمال الحاكم في بريطانيا بدفع مبالغ من المال « للفدائيين وحركات التحرير » في جنوب افريقيا . وبطبيعة الحال

أن هذا يعد وفاء لتعهد سابق من جانب مستر ويلسون ، رئيس الوزراء . وتعتبر المنظمة الشعبية لجنوب غربي افريقيا (سوابو) وحركات التحرير فى روديسيا هما المنظمتان المستفيدتان من هذه الأموال .

ولا يمكن التنديد بدرجة كافية من القوة بالاضرار التى تنطوى عليها هذه المبالغ مهما كانت ضآلتها . فان المفاوضـــات تجرى الآن فى كل من روديسيا وجنوب غرب افريقيا حول التوصل الى حل دستورى لا ينطوى على استخدام العنف لمشاكلهما كل على حدة .

وليس هناك شىء يمكن أن يقوض هذه المفاوضات وأن يشجع على تحقيق الحل البديل الذى يتمثل فى استخدام العنف أكثر من ايماءة حزب العمال .

وجدير بالذكر ان المملكة المتحدة قد خسرت بالفعل ما يزيد على ١٤ ألف رجل وامرأة وطفل خلال الست السنوات الماضية على يد الارهاب فى شمال ايرلندا .

فكم عدد مئات الأرواح الأخرى المطلوب دفعها ثمنـا لادراك حقيقة ان الارهاب امر لا يمكن تجزئته ؟

* * *

زيارة رئيس الوزراء فورستر لاسرائيل فى ابريل سنة ١٩٧٦

(ا) زيارة تلقى ترحيبا واسعا (٨)

اســتقبل مستر ب.ج. فورســتر ، رئيس وزراء جنوب افريقيا ، استقبالا رسميا حافلا هذا الاسبوع عندما هبطت طائرته ، التابعة لشركة العال ، بمطار بن جوريون القريب من القدس .

وقد تم اصطحابه من باب الطائرة الى ساحة المطار حيث كان فى انتظاره مستر اسحاق رابين ، رئيس وزراء اسرائيل مضيفه خلال زيارته التى تستغرق ٤ أيام ، وكذلك مسز رابين والشخصيات الهامة الأخرى ، التى كانت تنتظره للترحيب به .

وقد اصطحب مستر فورستر معه ، مسز فورستر ، ووزير الخارجية الدكتور هيلجارد مولر ، ومسز مولر ، ومستر براند فورى ، ســكرتير الخارجية وقد رافقه ايضا فى رحلته وفـد صحفى يضم ١٢ صحفيـا من جنوب افريقيا .

وقد بدأ رئيس وزراء جنوب افريقيا اليوم الأول من زيارته لاسرائيل ، بزيارة الاماكن المقدسة بالبلاد . ووضـــع اكليلا من الزهور على نصب « يادفاشيم » التذكارى .

ثم اجرى مستر فورستر بعد ذلك محادثات مع مســـتر رابين وبعض وزرائه . وتضمنت المحادثات غداء عمل حضره مستر بيجال آلون ، وزير خارجية اسرائيل ، ود . مولر ، ومستر فورى . كمـا قام بزيارة ودية للبروفيسور افرايم كاتزير ، رئيس اسرائيل وفى المساء استضافه مستر يتدى كوليك ، عمدة القدس .

وقد أجرى خلال أربعة أيام مشحونة ، اتصالات شخصية مع كثير من الشخصيات الاسرائيلية الهامة فى جميع أنحاء البلاد .

وقد نشرت الصحف الاسرائيلية الرئيسية الثلاث ، مقالات افتتاحية ترحب بزيارة مستر فورستر . ونشرت احداها تعليقا تحت عنوان « زيارة على الرحب والسعة » . وقالت صحيفة جيروساليم بوست ، واســـعة الانتشار ، فى تعليقها « لقد اثبت انه تلك الشخصية النادرة الوجود ـ اى الزعيم السياسى الذى علم نفسه كيف يواجه الحاجة لاعادة تخطيط سياسة بلاده العنصرية والخارجية استجابة للحقيقة المتغيرة » .

ويعتبر مستر فورستر ، ثانى رئيس وزراء من جنوب افريقيا يقوم بزيارة لاسرائيل . فقد زارها سنة ١٩٥٣ المرحوم الدكتور ف.مالان ـ وكان أول رئيس وزراء أجنبى يزور اسرائيل منذ انشائها سنة ١٩٤٨ .

هذا ، ويشترك البلدان فى عدد من المشروعات المشتركة كما يتم توسيع حجم التبادل بينهما . وقد تم رفع مستوى العلاقات الدبلوماسيـة بين البلدين الى مستوى السفارة ابتداء من يناير الماضى .

وقد قام مستر فورستر منذ سنة ١٩٧٠ بزيارة عشر دول اخـرى فى افريقيا واوروبا وامريكا الجنوبية ، وتقوم سياسته على اساس تطـــوير العلاقات لتصبح طبيعية بين جنوب افريقيا وجميع الدول غير الشـيوعية والمعادية للشيوعية .

وقد كتب اورماند بولك يقول ان مستر فورستر ومستر رابين ، رئيسى وزراء جنوب افريقيا واسرائيل ، قد اكدا تمسكهما بالعمل من أجل اقرار السلام فى منطقتيهما .

وقد ورد هذا التأكيد فى الكلمة التى القاها كل من الزعيمين فى المـادبة التى أقيمت فى القدس عشية مغادرة رئيس وزراء جنوب افريقيا لاسرائيل بعد انتهاء زيارته الناجحة التى نزل خلالها على مستر رابين .

وقد حضر المادبة حوالى نصف أعضاء مجلس الوزراء الاسرائيلى . وقال مستر رابين فى كلمته ان مواطنى جنوب افريقيا يستطيعون فهم المغزى التاريخى والروحانى لنضال اسرائيل من أجل الاستقلال . غير ان اسرائيل لم تكسب بعد معركة السلام ، ولن تستسلم اسرائيل ابدا .

وقال مستر فورستر ردا على هذه الكلمة : « ان السلام هو ما نسعى جميعا الى تحقيقه .. لقد كرست نفسى للعمل من أجل السلام فى افريقيا . وربما حدثت بعض النكسات المؤقتة ولكننى واثق من ان الذين يسعون لتحقيق السلام سيبذلون فى نهاية الأمر أقصى الجهود فى سبيل الوصول لهذا الهدف » .

وأشار مستر رابين بتبرعات يهود جنوب افريقيا لاسرائيل وقال ان اسرائيل كانت تحظى دائما منذ عهد الجنرال سمطس (وهو رئيس وزراء سابق) بتعاطف جنوب افريقيا ازاء عودة الشعب الاسرائيلى الى أرض صهيون .

(ب) مد الأيدى عبر افريقيا (٩)

أعلن مستر فورستر ، رئيس الوزراء ، فى الاسبوع الماضى نبأ ابرام اتفاق اقتصادى وعلمى وصناعى مع اسرائيل عن طريق انشاء لجنة مشتركة بين البلدين على مستوى مجلس الوزراء .

وقال مستر فورستر ضيف اسحاق رابين ، رئيس وزراء اسرائيل ، فى المؤتمر الصحفى الذى عقده بالقدس فى نهاية زيارته التى استغرقت أربعة أيام لاسرائيل والذى أعلن فيه هذا النبأ قال : « لقد قررنا انشاء لجنة وزارية مشتركة تضم وزراء جنوب افريقيا واسرائيل . »

واضاف ان اللجنة ستجتمع مرة على الأقل سنويا لاجراء استعراض شامل للعلاقات الاقتصادية بين البلدين ولمناقشة أساليب ووسائل توسيع النطاق الاقتصادى وحجم التبادل التجارى .

وسيتم تشكيل مجموعة ارشادية لتنظيم تبادل المعلومات والآراء . وأعلن أن من بين أهداف اللجنة السعى لتوسيع نطاق الاستثمار وتنمية التبادل التجارى والتعاون العلمى والصناعى وانشاء مشروعات مشتركة تستغل المواد الخام من جنوب افريقيا والأيدى العاملة الاسرائيلية .

ويقول سابا ان القدس تعتبر تشكيل اللجنة على المستوى الوزارى لتدعيم الروابط بين البلدين بمثابة توثيق للزيارة التى تعد ناجحة من جميع النواحى .

ويضيف سابا ان صادرات جنوب افريقيا من الحديد والصلب الى اسرائيل تتزايد بسرعة . فقد زادت هذه الصادرات من ٣٠ ألف طن سنة ١٩٧٣ الى ما يقدر بـ ١٧٠ ألف طن ، وتنوى اسرائيل زيادتها الى ٢٠٠ ألف طن سنويا .

هذا ويتم أيضا تدعيم الروابط الصناعية بين البلدين . فان سكةحديد جنوب افريقيا تساهم بعدة ملايين راند فى سكة حديد اسرائيل ، بينما تقوم اسرائيل ببناء مشروع لازالة الملوحة من مياه البحر فى جنوب افريقيا .

وقد أدت حملة التصدير الاسرائيلية الى وصول أول شحنة من موالح يافا الى مدينة الكاب فى فبراير من العالم الحالى .

وصرح مندوب تصدير الموالح الاسرائيلية فى ذلك الوقت ان هذه الفاكهة ستعزز المعروض من الفواكه محليا وتساعد على تدعيم العلاقات التجارية القائمة بين جنوب افريقيا واسرائيل .

(جـ) فورستر يزور جنوب سيناء (١٠) :

مسادا ، اسرائيل ، فى ١٠ ابريل (ى.ب.ا) ــ قام اليوم مستر جون فورستر رئيس وزراء جنوب افريقيا ، بجولة فى قلعة « المسادا » الجبلية، حيث صعد بالتليفريك والسلالم الخشبية الى آخر المعاقل اليهودية ابان الثورة ضد حكم الرومان فى الفترة من ٦٦ : ٧٣ بعد الميلاد .

وكان مستر فورستر قد زار فى وقت سابق من نفس اليوم الطرف الجنوبى لصحراء سيناء المحتلة وصرح بأن هذه المنطقة لها أهمية استراتيجية بالنسبة لاسرائيل . وجدير بالذكر انه قام بالجمع بين الجولات السياحية والمحادثات الرسمية وذلك أثناء زيارته التى استغرقت أربعة أيام لاسرائيل وقد قام بجولة فى مدينة أوفير عند شرم الشيخ وقاعدة بحرية قريبة تحمى مضيق تيران .

وأعلنت اذاعة اسرائيل « ان فورستر ابلغ الصحفيين ان العلاقات بين جنوب افريقيا واسرائيل لم تكن على هذه الدرجة من المتانة فى أى وقت مضى . وقال انه لا يعتقد ان هذا سيؤثر على علاقات جنوب افريقيا بالعرب الذين يمدونها بالبترول » .

(د) زيارة فورستر لاسرائيل تثير النقد (١١)

بقلم تيرانس سميث

القدس فى ١٧ ابريل ــ اسفرت زيارة مستر جون فورستر ، رئيس وزراء جنوب افريقيا ، هذا الاسبوع لاسرائيل عن سيل من العناوين

الرئيسية ، واربعة أيام من الخطب حول العلاقات بين اسرائيل وجنوب أفريقيا ، كما أسفرت فى نهاية الزيارة عن معاهدة جديدة للتعاون الاقتصادى الشامل .

غير ان الزيارة اثارت ايضا بعض التساؤلات ، سواء كان ذلك بين الاسرائيليين أو فى الخارج ، حول حكمة وجدوى هذه العلاقة الأخيرة فى النمو بسرعة بين القدس وبريتوريا . وقد تعرضت للنقد فى الداخل على أسس معنوية وعملية ، أما فى الخارج فقد تعرضت الزيارة للنقد من جانب الدول الغربية الصديقة مثل هولندا ، التى أعربت رسميا عن قلقها ازاء هذه الزيارة .

ووفقا للمصادر الدبلوماسية ، نصحت الحكومة الهولندية الحكومة الاسرائيلية بأن الزيارة ستعقد من الجهود التى يبذلها اصدقاء اسرائيل فى الخارج لاقناع العالم بعدم وجود اى صلة بين الصهيونية والعنصرية .

وكما كان متوقعا ، تعرضت الزيارة لهجوم من جانب منظمة الدول الافريقية ومتحدث باسم الجامعة العربية بالقاهرة . وقد تردد صدى هذا النقد فى تعليق صحيفة برافدا لسان حال الحزب السوفييتى ، حيث ندت الصحيفة بالتحالف « الصهيونى العنصرى ضد حركات التحرير العربية والافريقية » .

وبالرغم من ردود الفعل السلبية يبدو ان المسئولين الاسرائيليين راضون الى حد بعيد عن الزيارة والعلاقات المتطورة بين البلدين التى تنص عليها المعاهدة الجديدة ومن المتوقع أن تسفر الاتفاقية عن توسع مباشر فى حجم التجارة المتبادلة واستغلال المواد الخام لجنوب افريقيا والأيدى العاملة الاسرائيلية الماهرة ، فى مشروعات مشتركة وزيادة تقدم العلاقات العلمية والودية فعلا .

وربما تضمنت نتائج الزيارة زيادة كبيرة فى مجال امداد الأسلحة وذلك بالرغم من أن حكومتى البلدين انكرتا أن هذا تم بحثه . وترددت أنباء ملحة تفيد أن جنوب افريقيا مستعدة لتمويل عملية توسيع امكانيات اسرائيل فى مجال انتاج الأسلحة وانها مهتمة بشراء المقاتلة النفاثة من طراز كفير التى تنتجها اسرائيل .

وقد وصف مستر فورستر مثل هذه الأنباء بأنها « هراء تام » غير ان زيارته المطولة لمصنع كفير ساعدت على زيادة التكهنات بأن ثمة حقيقة هامة تلوح فى الأفق .

وقد ترددت تكهنات ايضا ـ وتم نفيها ايضا ـ بأن جنوب افريقياوافقت على تزويد اسرائيل باليورانيوم كجزء من اتفاق التبادل التجارى .

ومهما كانت التفاصيل الفعلية للاتفاقية ، فان الزيارة أبرزت العلاقة النامية بين هاتين الدولتين اللتين تجدان نفسيهما فى عزلة دبلوماسية وقد احاطتهما دول معادية . وتقوم هذه العلاقة على أساس التشابه فى وضعيهما والاعتبارات الاقتصادية والعسكرية والسياسية العملية على السواء .

وترجع العلاقة الرسمية بين البلدين الى سنة ١٩٤٨ ، عندما كانت جنوب افريقيا من أوائل الدول التى اعترفت باستقلال اسرائيل . غير ان العلاقة استمرت فاترة طوال الخمسينيات والستينيات ، عندما هاجمت اسرائيل بعنف العزل العنصرى ، وأقامت حملات وثيقة بدول افريقيا السوداء .

ولكن كل هذا تغير بعد الحرب سنة ١٩٧٣ . اذ قطعت جميع الدول الافريقية باستثناء ثلاث دول ـ وهى ملاوى وسوازيلاند وليسوتو ـ علاقاتها الدبلوماسية باسرائيل وبدات فى التصويت ضدها فى الأمم المتحدة. واصبحت جنوب افريقيا هى المؤيد الوحيد فى القارة ، وواحدة من الحكومات القليلة التى لا تطالب بانسحابها من الاراضى العربية المحتلة .

وفى الوقت نفسه ، قدمت اسرائيل خدمة عملية لجنوب افريقيا . اذ فتحت لسلعها سوقا لا يؤمن بالتمييز كما ساعدت أحيانا على اخفاء علامة جنوب افريقيا فمثلا لا يتم شحن المنسوجات المنتجة فى جنوب افريقيا والمخصصة للتوزيع فى دول افريقيا السوداء ، الى اسرائيل حيث يتم تكميلها ثم تسوق وهى تحمل علامة « صنع فى اسرائيل » .

(هـ) جبل الزيتون وشرم الشيخ :

رابين يشيد بمساعى جنوب افريقيا من اجل الوفاق (١٢)

اشاد رابين ، رئيس وزراء اسرائيل ، فى حفل العشاء الذى اقامه مساء الأحد بالقدس تكريما لرئيس وزراء جنوب افريقيا ، جون فورستر ، الذى يزور اسرائيل حاليا ، بجهود بريتوريا من اجل الوفاق الافريقى والتعايش المثمر بدون تدخل .

وبعد الحديث عن « تأييد جنوب افريقيا الطويل لاسرائيل بصفتها دولة يهودية حرة ومستقلة ، قال رابين : « انى اعتقد أن بلدينا يشتركان فى مشكلة كيفية اقامة حوار اقليمى واستقرار وتعايش سلمى فى مواجهة عدم الاستقرار والتهور الناتج عن الايحاء الخارجى » .

واستطرد يقول فى كلمته الموجهة الى المستر فورستر : « وهـذا هو السبب الذى جعلنا نتابع هنا بشعور من التعاطف ، جهودكم التاريخية من اجل تحقيق الوفاق فى قارتكم وبناء الجسور نحو مستقبل آمن وافضل ، وتحقيق التعايش السلمى الذى من شأنه ان يضمن سيادة جـو من التعاون من اجل رفاهية جميع الشعوب الافريقية بدون تدخل او تهديد خارجى ».

وكان المسئولون فى القدس ، قد نفوا قبل هذا ، ان فورستر جاء لشراء اسلحة أو لاقامة « حلف مناهض للشيوعيين » . وكانت بعض الأنبـاء الصحفية الواردة من بريتوريا قد تضمنت ، تكهنات بهذا المعنى .

وقد اعلن مستر فورستر بنفسه يوم الجمعة على الصحفيين أن اى كلام عن قرب عقد صفقة اسلحة يعتبر « هراء تاما » . وصرح اسـحق اونا سفير اسرائيل لدى بريتوريا ، والموجود هنا لفترة الزيارة ، فى حديث ادلى به الى مراسل اذاعى ، ان احتياجات اسرائيل وجنوب افريقيا تختلف تمـاما .

وقال مستر اونا ان الزيارة ليس لها « هدف سياسى محدد » . وانها تعتبر رمزا لتطور العلاقات بين البلدين . واشار السفير الى ان جنـوب افريقيا تعتبر واحدة من الدول التى لم تول ظهرها لاسرائيل بعـد حـرب « يوم كيبور » ، وان العلاقات بينهما اصبحت طبيعية بعد ان رفعا مستوى التمثيل بينهما فى اعقاب الحرب الى مستوى السفارة .

وقال ان مواطنى جنوب افريقيا يعتبرون اسرائيل بمثابة القلعة الأمامية فى وجه التوسع السوفييتى . واضاف مستر اونا ان توجيه الدعوة لمستر فورستر لا يعنى بأى حال الموافقة على نظام الفصل العنصرى المتبع فى جنوب افريقيا . وتحتفظ اسرائيل بعلاقات طبيعية مع كثير من الدول التىلاتوافق على نظمها الداخلية ـ والعكس بالعكس .

وقد نقلت اذاعة اسرائيل تعليقا للمستر فورستر ادلى به أثناء زيارته لشرم الشيخ يوم السبت حيث وصف العلاقات مع اسرائيل بأنها اصبحت افضل مما كانت فى اى وقت مضى . وذكرت الاذاعة انه لا يعتقد ان زيارته لاسرائيل سنضر بعلاقات جنوب افريقيا بالعرب الذين يزودونها بالبترول .

وتعتبر الزيارة التى قام بها مستر فورستر لشرم الشيخ هى أول زيارة يقوم بها رئيس حكومة زائر للمنطقة . وقال معلقا امام مرافقيه الاسرائيليين انه يستطيع ان يدرك تماما الأهمية الاستراتيجية للمكان .

وقام مستر فورستر ، بمصاحبة قائد البحرية بزيارة « الوف بنيامين تيليم ، القاعدة البحرية القريبة وتجول فيها على ظهر زورق صاروخى من طراز رشيف » .

وهكذا وقد طار مستر فورستر والوفد المرافق له الى شرم الشيخ فى طائرة من طراز اركيا هيرالد ، وحلق على مستوى منخفض فوق دير سانت كاترين الذى يقع فى الطريق المؤدى الى شرم الشيخ ومن شرم الشيخ اتجه الزوار بالطائرة الى قلعة ماسادا ، حيث استمعوا الى قصة الصمود الاخيرة للطائفة اليهودية القديمة « الزيلوت » فى مواجهة السيطرة الرومانية على فلسطين ، والتى رواها عالم الآثار ، جدعون فيرستر .

وقد بدأ مستر فورستر ، الذى وصل الى اسرائيل فى وقت متأخر من مساء الخميس مع وزير خارجيته ، هيلجارد مولد ، وزوجتيهما و ١٢ مسئولا و ١٤ صحفيا ـ بدأ زيارته صباح الجمعة بحضور الصلاة فى نصب يادفاشيم هولوكوست التذكارى . وقد ابدى بصوت منخفض اعجابه بالمعروضات بينما كان مدير المعرض التذكارى ، اسحاق آراده يقوم بالشرح .

وكان فورستر نفسه قد عرض اشتراك بلاده فى الحرب العالمية الثانية الى جانب الحلفاء ، واعتقل للقيام بنشاط مناهض للحلفاء .

وقد استمع فى خشوع بينما كان احد قساوسة جنوب افريقيا يرتل الترانيم باللغة الافريكانية ويتلو الصلاة على روح الموتى : ثم وضع اكليلا من الزهور يضم ألوان علم بلاده واشعل « الشعلة الأبدية » .

واتجه الركب من يادفاشيم الى المتحف الاسرائيلى حيث قامت مسز هاداساه لفين ، أمينة المتحف المولودة فى جنوب افريقيا ، بمصاحبة فورستر والوفد المرافق له فى جولته حول « مقام الكتاب المقدس » . وقد تبادل رئيس الوزراء الزائر الذى كان من الواضح انه انبهر بمخطوط Isaiah! الأثرى ، تلاوة الأبيات من الكتاب المقدس مع مسز لفين باللغة الافريكانية .

وزار الوفد بعد ذلك بيت لحم حيث استضافه الياس فريج عمدة البلد . وقام مستر فورستر بعد ظهر الجمعة بزيارة ودية للرئيس كاتزير . وامضى المساء فى ضيافة العمدة تيدى كوليك بمنزله .

وامضى مستر ومسز فورستر يوم احد الزعف فى زيارة المواقع المسيحية المقدسة بالقدس والجليل .

وقد حضرا فى بداية اليوم الصلاة فى ضريح الحديقة فى طريق نابلس ، ثم زارا جبل الزيتون .

وبينما كان مستر فورستر وحرمه يشاهدان المنظــــر تحتهما وصلت سيارة تحمل مجموعة من السياح . من اقليم ناتال بجنوب افريقيا وعندما اكتشفوا وجود رئيس وزرائهم بدات المجموعة تنشد سلام جنوب افريقيا باللغة الأفريكانية .

والتفت رئيس الوزراء نحو الســياح وخلع قبعته ووقف فى صمت ثم سار اليهم وصافحهم وقال لهم بلغة بلاده « ان هذه لحظة مؤثرة جـــدا بالنسبة لى وانا اقدرها حق التقدير » .

وصرح احد اعضاء وفده فيما بعد لصحيفة الجيروســـالم بوست ان الوفد المرافق لفورستر قد تأثر جدا بروعة الأماكن المقدسة واعجب بالحالة الطيبة جدا التى تتميز بها تلك الأماكن .

وقد غادر وفد جنوب افريقيا اسرائيل امس بعد زيارة قاعدة جـوية ومصنع الطائرات الاسرائيلية .

* * *

(و) روابط اسرائيل بجنوب افريقيا (١٣)

بقلم : بنجامين بوجراند

(بعث بنجامين بوجراند من جنوب افريقيا بأنباء التكهنات والدهشـــة التى احاطت بزيارة رئيس الوزراء جون فورستر الأخيرة لاسرائيل ومعاهدة التعاون بين اسرائيل وجنوب افريقيا التى اعلنت فى ختام زيارته) .

اصيب أهالى جنوب افريقيا بالدهشة ازاء المعاهدة الاسرائيلية لجنوب افريقيا التى ابرمت اثناء زيارة مستر جون فورستر . وقد فاقت التفاصيل والمغزى البعيد المدى للمعاهدة ، التى حظيت بترحيب واســـع النطاق فى التعليقات ، كل ما كان متوقعا من الزيارة .

بيد ان هناك تعبيرا عن شىء من القلق حول احتمال ان يؤدى « العناق المبهم » كما وصفته احدى الصحف ، الى تصعيد للهجمات ضـــد كل من جنوب افريقيا واسرائيل .

وحقيقة ان مستر فورستر سافر الى اسرائيل . هذه الحقيقة ذاتها ، جاءت كمفاجأة تامة . ذلك ان عددا قليلا من دول العالم على اســـتعداد

لاستقبال زعماء من جنوب افريقيا فى زيارة رسمية ، وكانت آخر زيارة قام بها مستر فورستر فى الخارج ، هى التى قام بها منذ اكثـــر من عام الى باراجـــواى .

وقد حظيت الزيارة الى اسرائيل ، عندما اعلنت ، بالترحيب هنا عـلى أساس انها مرغوب فيها من وجهة نظر جنوب افريقيا ، لمساعدة البلد على الخروج من عزلته الداخلية واتاحة الفرصة لمستر فورستر للتعرف عـلى وجهات نظر مختلفة ومشاهدة اماكن جديدة .

وشعر مواطنو جنوب افريقيا بحماس خاص ازاء الزيارة . فلكونهم من الكالفانيين الذين يؤمنون بأن قدر الانسان محدود من قبل مولده ، ولكونهم شعبا ذا ميول دينية عميقة ينظرون الى اسرائيل على اساس انهـا « ارض الكتاب المقدس » . وفوق هذا فانهم يرتبطون باسرائيل ارتباطا وثيقـــا نتيجة لتشابه مصالحهما كدولتين من البيض ، عند قمة واسفل القـــارة الافريقية تناضلان بمفرديهما من اجل البقاء فى مواجهة تفوق عددى ضخم من السود الذين تساندهم الشيوعيه الدوليه . وهم يشـــعرون ان العالم يسىء فهمهم — ومنهم اسرائيل — وانهم ضحايا خيانه من جانب أولئك الذين يتعين ان يكونوا اصدقاء لهم .

ومع كل هذا ، فان اعلان نبأ ابرام معاهدة تعاون اقتصـــادى وعلمى وصناعى ، وانشاء لجنه على المستوى الوزارى بين الحكومتين ، مما كشف عن قيام درجة من التعاون والصداقه لم يسبق تصورها ، كان امرا مذهلا.
وكان هناك رد فعل حار من جانب البيض بغض النظر عن الفـــوارق السياسية واللغوية ، وكما هو متوقع كانت الصحف المؤيدة للحكومة اكثر مساسا ، فى تعبيرها عن الرضا والثناء من مثيلاتها الصادره باللغة الانجليزية والتى اشادت تماما بالانتصار الشخصى « لمستر فورستر » .

بل ان الصحف الصادرة بالانجليزية ، حتى اثناء تقديم التهنئة لمســتر فورستر على المعاهدة ، كانت تميل الى الاعراب عن القلق من احتمـال ان تسفر الاتفاقية عن نتائج عكسية ، فتدفع اعداء كل من جنـــوب افريقيـا واسرائيل الى مضاعفة الجهود ضدهما . واشارت الى ان الاتفاق المعقـود بين البلدين يساعد على ذر الرماد فى العيون لاخفـاء الفصـــل العنصرى ، وتساءلت عن الدوافع القوية التى شجعت على هذا الارتباط فى حين ان كل الشواهد تدل على انه قد يسفر عن كثير من الأضرار الواضحة ، خاصــة بالنسبة لاسرائيل .

ومن المعتقد هنا ان الرد على التساؤلات هو ان الرغبة المشتركة فى البقاء قد املت على كل من جنوب افريقيا واسرائيل الطريق الذى سلكاه معا من جهة ، ومن جهة اخرى هناك امل فى ان تستخدم اسرائيل النفوذ الاقتصادى الذى توفره الاتفاقية فى محاولة لاقناع جنوب افريقيا بتغيير اساليب التفرقة العنصرية التى تتبعها .

وقد استعرضت بعض الصحف الصادرة باللغة الأفريكانية ، المشاكل التى قد تثيرها المعاهدة . غير ان الخلاصة هى ان كلا البلدين سيستفيد من ارتباطهما ، وسيزداد قوة ، ومن ثم يصبح فى موقع افضل لمواجهة اعدائه .

وليس لدى الجالية اليهودية فى جنوب افريقيا ، التى عبرت عن رايها من خلال زعمائها ، اية تحفظات على المسالة . ويلخص احد العناوين الرئيسية فى احدى الصحف الوضع فيقول : « اليهود يحبون فورستر » . وقد وصفت الصحف اليهودية المعاهدة بأنها « عمل ذكى يدل على فن الحكم من جانب كلتا الدولتين » مع ابراز حقيقة ان يهود جنوب افريقيا « سيتخذون موقفا ايجابيا للغاية من الاتفاق بسبب روابطهما مع كلا البلدين » .

غير انه يجب قبول حقيقة ان بعض البيض من سكان جنوب افريقيا ، سواء كانوا يهودا او غير يهود الذين يعتنقون اتجاهات ليبرالية ، وان كانت هذه الحقيقة غير معلنة صراحة . لهم راى مختلف نوعا فان وجهة نظر هؤلاء الأفراد هى انهم صدموا ازاء ابداء اسرائيل اى درجة من درجات القبول لجنوب افريقيا التى تمارس الفصل العنصرى ، مهما كان السبب الذى يدعو لذلك ، وهو الامر الذى لم تقبله اى دولة اخرى من دول العالم .

ومن المؤكد ايضا ان راى السكان السود فى البلاد ، سيكون اكثر عداءا نحو اسرائيل لمساندتها لنظام الحكم فى جنوب افريقيا . وبالطبع ، ستحظى وجهة النظر هذه ، بمشاركة تامة من جانب دول افريقيا السوداء المستقلة ومن المعتقد انه عامل اخذته حكومة اسرائيل فى اعتبارها عندما قررت اقامة مثل هذه العلاقة الوثيقة مع جنوب افريقيا .

وليس هناك شك فى ان مستر فورستر قد احرز نصرا باهرا كما ان سعيه لاقامة علاقات ودية مع اسرائيل يعكس خيبة أمله فى الغرب ، وخاصة الولايات المتحدة ـ نتيجة لعدم تأييده لجنوب افريقيا فى مغامرتها فى انجولا .

ويعتبر تحدى مستر فورستر للراى العام العالمى عن طريق التفاهم مع اسرائيل محاولة لاثبات استقلاله وعدم اعتماده على الغرب .

***

(ى) سياسة اسرائيل غير المتبصرة الخاصة بجنـوب افريقيا (١٤)
بقلم : نعوص تشازان

تعتبر رابطة اسرائيل بجنوب افريقيا واحدة من اكثر الموضـــوعات حساسية فى سياسة اسرائيل الخارجية . وقد ظهر فى هذا الصدد مدرستان فكريتان رئيســيتان .

الأولى : وهى المدرسة الاخلاقية ، تعارض العلاقات مع جنوب افريقيا على أساس معنوى ويزعم مؤيدوها ان اقامة روابط مع نظام حكم يتمســك بتفوق البيض يعتبر امرا بغيضا يتنافى مع المبادىء الانسانية الاساسية التى قامت اسرائيل عليها . اما المنهاج الثانى فيبرر روابط اسرائيــل بجنـوب افريقيا على أساس المصلحة الوطنية .

ويقول مؤيدو سياسة التقارب الحالية ان المصالح العسكرية والسـياسية والاقتصادية العلمية ، تفوق كثيرا الاعتبارات الاخرى فى المرحلة الحالية . وهم يثبتون وجهة نظرهم بالاشارة الى العائدات غير المثمرة التى اســفرت عنها جهود اسرائيل فى افريقيا السوداء ، ويشيرون الى ان قيـــام روابط اقوى مع جنوب افريقيا انما هو نتيجة طبيعية لقطع العلاقات الجماعى بين دول افريقيا السوداء واسرائيل .

واذا القينا نظرة اعمق على جوهر العلاقات بين اسرائيل وجنوب افريقيا وانعكاساتها فلابد ان يثير ذلك شكوكا خطيرة حول مدى تدعيم هذه الروابط لصالح اسرائيل الدولية . وفى الواقع الايام قد تثبت ان العواقب الطـويلة الأجل للسياسة الحالية قد يكون لها مدمر على مصالح اسرائيل الخارجيــة والداخليــة .

ويتردد ان عددا من المصالح الاسرائيلية القصيرة الأجل هى الأســاس الكامن وراء العلاقة مع جنوب افريقيا . واول هذه المصالح هى مصـلحة اقتصادية فان جنوب افريقيا تعتبر واحدة من اكبر الدول المنتجــة للمواد الخام ــ خاصة الماس ــ المطلوبة فى اسرائيل . وقيل أيضا أن جنوب افريقيا توفر سوقا جاهزة للبضائع المصنعة فى اسرائيل . غير ان السجل التجارى لا يمكن وصفه الا بأنه مؤسف . فان التجارة مع جنوب افريقيا لا تشــكل اكثر من ٣٪ من مجمل تجارة اسرائيل . وكان الميزان التجارى لاسرائيــل مع جنوب افريقيا سلبيا على الدوام حيث تستورد اسرائيل ثلاثة اضعاف ما تصدره اليها . وبالاضافة الى ذلك فان حجم التجارة مع افريقيا السوداء حتى بعد قطع العلاقات الدبلوماسية ، يزيد كثيرا من حجم التجــارة مــع جنوب افريقيا .

وثمة مصلحة اسرائيلية اخرى تثار فيما يتعلق بجنوب افريقيا وهي خاصة بالجالية اليهودية هناك . فان اسرائيل كانت تنظر دائما الى اوضاع المائة والعشرين الف يهودى فى جنوب افريقيا على انها امر يهمها . وهذا الاهتمام ليس مجرد اهتمام اخوى . فالجالية اليهودية فى جنوب افريقيا تعتبر اغنى جالية فى العالم ، من حيث دخل الفرد . وكانت تبرعاتها لاسرائيل سخية دائما . وتعتبر الأموال التى يقدمها يهود جنوب افريقيا لاسرائيل ثابتة (باستثناء فترة قصيرة فى سنة ١٩٧١ عندما اوقفت حكومة جنوب افريقيا سيل هذه التبرعات الى اسرائيل مؤقتا ردا على المنح التى قدمتها اسرائيل لحركات التحرير الافريقية) ، وذلك بالرغم من التغييرات التى تطرأ على العلاقات الرسمية بين البلدين .

وبالرغم من انه يجب الا نقلل من شأن الجالية اليهودية فى جنوب افريقيا ، ثمة مجال للتساؤل عما اذا كان يجب على اسرائيل ، او حتى اذا كان فى مقدورها ، القيام بدور الوصى على يهود جنوب افريقيا . وتوجد امثلة كثيرة على عدم تأييد اسرائيل لانظمة حكم دول يقيم فيها اليهود ، وليس من الضرورى ان تكون جنوب افريقيا هى الاستثناء .

والعنصر الثالث فى العلاقة الاسرائيلية بجنوب افريقيا ، هو العنصر العسكرى . فبالرغم من انه من الطبيعى ان تكون التفاصيل المعروفة عن هذا العنصر ضئيلة ، هناك دلائل تشير الى ان لهذا العنصر ثقلا اكبر من المزايا القليلة التى تعود على اسرائيل من روابطها الأخرى مع جنوب افريقيا.

وخلال السنوات القليلة الأخيرة اضيفت الى شبكة العلاقات الاسرائيلية مع تلك الدولة العلاقات الثقافية والسياسية مع جنوب افريقيا . ومهما كانت المزايا المباشرة التى عادت على اسرائيل من هذه الروابط ، انه يمكن وصف نتائج هذه السياسة العملية ، بالنسبة لاسرائيل بأنها سلبية تقريبا . فان تدعيم العلاقات مع جنوب افريقيا اصبح عقبة حقيقية فى سبيل محاولات اسرائيل لاستئناف العلاقات الدبلوماسية مع افريقيا السوداء . كما ان الصلة بجنوب افريقيا قد زادت من عداء العالم الثالث لاسرائيل وجعلت احتمالات التقارب مع هذه الدول واهية .

وفضلا عن ذلك ، التحالف مع جنوب افريقيا ربط اسرائيل ، حتى لو كان بطبيعة الخطأ ، مع اكثر القوى رجعية ومحافظة فى المجال الدولى . وربما قال اصحاب النظرة العملية ان مثل هذه الصورة لا يجب ان تصبح فى حد ذاتها مثارا للقلق . غير ان وجهة النظر هذه لا يمكن تأييدها الا اذا أمكن تعزيزها بالعائدات السياسية الملموسة . ولكن هذه العائدات لا توجد

فى هذه الحالة . فقد تم طرد جنوب افريقيا فعلا من الأمم المتحدة وغيرها من المحافل الدولية ولم يعد لها مكان فى التجمعات العالمية . ويعتبر قرار الجمعية العامة الذى يدين الصهيونية بأنها شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصرى وانها لا تختلف عن الفصل العنصرى ويعتبر اخطر نتيجة حتى الآن للميل العام نحو وضع اسرائيل وجنوب افريقيا فى صف واحد .

ومن ثم هناك احتمال خطير من ان تدفع الدول الأفرو آسيوية التى لم تصوت ضد اسرائيل فى الأمم المتحدة الى ان تفعل ذلك نتيجة للصلة مع جنوب افريقيا ، كما ان الدول الافريقية قد اعترفت بالجيش الشعبى لتحرير موزمبيق فى انجولا كرد فعل لتدخل جنوب افريقيا فى صالح الـ UNITA.

* * *

(ح) اسرائيل تتخذ لنفسها حليفا جديدا غريبا (١٥)

بقلم : فيلكس كيسلر

القدس ــ تساءل السكرتير الاسرائيلى الشاب « ما هو الشىء المشترك بيننا وبين جنوب افريقيا ؟ » ثم قال « حسنا ، ان جيرانها يريدون ايضا ان يلقوا بها فى البحر » .

ويتردد هنا تساؤل حول ما تسعى اليه اسرائيل من توثيق علاقاتها بجنوب افريقيا بشكل متزايد ، وذلك بعد زيارة فورستر ، رئيس وزراء افريقيا ، الأخيرة واعلان ان كلتا الدولتين عملتا على دعم التعاون والروابط التجارية بينهما .

انه تساؤل يثير قلق كثير من الاسرائيليين على اساس معنوى وعملى . ويكشف احد كبار المسئولين الرسميين عن لمحة عاطفية من خلال هذه الشكوك الذاتية عندما تكلم بعصبية عن « النفاق » و « التناقض المعنوى » لكثير من الدول خاصة الدول الأروبية ازاء مثل هذه المسائل .

فقد قال « هاهم البريطانيون والفرنسيون بل وحتى الايطاليون ، يتصارعون على بيع مزيد من الأسلحة للعرب ، ثم يبدأون بعد ذلك فى القاء المحاضرات علينا عن فورستر » .

ومع ذلك فلا يمكن انكار انه يشعر بالقلق مثله مثل كثير من الاسرائيليين غيره ازاء بعض نواحى ارتباط اسرائيل المتزايد بجنوب افريقيا . فيقول ان سياسة جنوب افريقيا « ليست سليمة معنويا .. ونحن لا نوافق على الفصل العنصرى ونشعر بذهول تام » ازاء مغزاه الاجتماعى وهناك خلفية

سياسية وراء شعوره بالغضب فانه تأثر بشكل خاص نتيجة لبرنامج تليفزيونى امريكى صور مؤخرا معاملة اسرائيل للاقلية العربية الكبيرة لديها كشكل من اشكال « الفصل العنصرى غير الرسمى » .

وبالطبع اسرائيل لا تنتهج رسميا (او بصفة غير رسمية) سياسة تشبه من قريب او من بعيد القوانين والعادات العنصرية المتشددة القائمة فى جنوب أفريقيا .

ومن الناحية القانونية يتمتع السكان العرب فى اسرائيل بنفس الحقوق التى يتمتع بها اليهود . الا انه من الناحية العملية ، وفر هذا المجتمع اليهودى للعرب فرصا اقل فى المجالات التعليمية والاقتصادية والسياسية .

ويعترف معظم الاسرائيليين بهذا ، وان كان هذا الامر يثير بالضرورة قلقهم . وتؤكد احدى وجهات النظر ، وفقا لاحد كتاب الجيروزاليم بوست ، « انه يجب ان يتذكر عرب اسرائيل ان امامهم ما لا يقل عن عشرين دولة ذات ميول سياسية مختلفة تكرس جهودها لخدمة الأهداف العربية . اما اليهود فليس لديهم سوى دولة واحدة تعبر عن كيانهم القومى » . وبمعنى آخر فهو يقول ، ان اسرائيل دولة يهودية – اقبلها او اتركها .

وبالطبع فان هذه ليست وجهة النظر الاسرائيلية الوحيدة . فان هناك آخرين يجدون ان اثارة عداء السكان العرب الذين يسعون للاستفادة من مزايا الاندماج الكامل داخل الدولة اليهودية لا لابادتها ، يعتبر بمثابة انتحار لاسرائيل التى تحيط بها الدول العربية المعادية . ويقول ماتياهو بيليد – وهو جنرال اسرائيلى سابق وناقد من الحمائم لسياسة الحكومة « انه من حسن حظنا انهم يريدون مشاركتنا فى مزايا التمتع بالجنسية الاسرائيلية » .

ويشعر مستر بيليد بسخرية ازاء « الحب المفاجىء لجنوب افريقيا الذى يبديه كثير من الاسرائيليين وتبديه الحكومة ايضا على ما يبدو ويعيد الى الأذهان ان اسرائيل كانت فى الماضى تصوت دائما فى الأمم المتحدة ضد السياسة العنصرية لجنوب افريقيا . اما اليوم فان الاسرائيليين كما يقول ، يميلون الى المبالغة فى ايجاد اوجه شبه بين البلدين ، ربما كان ذلك لأن كلتيهما تبدو محاصرة وبلا اصدقاء .

ويستند كثير من النقد الموجه هنا ضد التقارب الجديد مع جنوب افريقيا الى الخوف من ان يساعد على زيادة تثبيت اسرائيل فى عزلتها السياسية ويرى بعض النقاد ان مثل هذه الصداقة تعتبر نوعا من التظاهر بالشجاعة السياسية وربما كان ذلك ناشئا عن عقلية اسرائيل المحاصرة ، حيث تدخل فى هذا التحالف بكل ما يتضمن من نتائج ضارة متوقعة ، ثم تثور على النقد الدولى الموجه اليها .

هذا ولم يتم اعلان تفاصيل معاهدة التعاون الاقتصادى الجديدةالمعقودة بين اسرائيل وجنوب افريقيا . وبالرغم من ان مستر فورستر قام بزيارة مصانع الطيران والسفن فى اسرائيل ، نفى الأنباء التى ترددت بأن الزيارة تعتبر بشيرا لقيام علاقة هامة على اساس التزودبالسلاح . كما ترددتايضا أنباء عن استعداد جنوب افريقيا بمد اسرائيل باليورانيوم . وان اسرائيل تدرب رجال جنوب افريقيا على اساليب الأمن .

ويقول احد الاسرائيليين من اصل امريكى ـ « ان اسرائيل تتخصص فى كيفية المحافظة على الوجود ان المحافظة على الوجود عملية شاقة . فليس الجميع اصدقاء لنا ، ونحن نعيش فى نوع من العزلة ونجد انفسنا الآن فى مأزق وهذا يؤدى الى نوع من تحديد الأولويات » .

والاسرائيليون الذين يخلقون المبررات لنمو العلاقات مع جنوب افريقيا، يفعلون ذلك بناء على اسس طويلة الأمد عملية . ومع ذلك تكن مزايا من التجارة مع جنوب افريقيا ، كبيرة بشكل واضح فى الماضى . فان ١٤ دولة اخرى ـ بما فى ذلك سويسرا والدنمارك والسويد ورومانيا ـ كانت خلال السنوات الاخيرة ، شريكا تجاريا اكثر اهمية من جنوب افريقيا ، التى لا يزيد حجم تجارتها مع اسرائيل عن ٣٪ من مجمل تجارة اسرائيل (وان كان يتعين هنا الاشارة الى ان اسرائيل تزود جنوب افريقيا بسوق ما كما فى حالة صناعة تكميل المنسوجات ، حيث كثيرا ما يعاد تصدير السلع الى دول افريقيا السوداء . كما ان مبيعات الأسلحة ليست مدرجة فى الجداول التجارية) .

ان العلاقة مع جنوب افريقيا تبعث على السخرية وخاصة بعد الغضب العام الذى ابدته الحكومة (ومعظم الاسرائيليين) ازاء تنديد الأمم المتحدة بالصهيونية كشكل من اشكال العنصرية الشبيهة بالفصل العنصرية . وفى هذا الضوء ، لا يمكن النظر الى المزج السياسى بين سياسة البلدين اليوم اليه ، الا على اساس انه فى صالح جنوب افريقيا وحدها وعلى حساب اسرائيل .

وقد حاول مستر فورستر ابراز هذه النقطة عندما اشار فى مؤتمر صحفى ـ تهرب فيه من معظم الأسئلة الموجهة اليه ـ الى ان اسرائيل وجنوب افريقيا تربطهما « اوجه شبه كثيرة جدا ابتداء من الاحوال الجوية الى اعلى » .

ولسبب ما ذهب اسحاق رابين ، رئيس وزراء اسرائيل ، الى ابعد من هذا فى اكتشاف اوجه الشبه بين البلدين ، وذلك اثناء شربه نخب مستر فورستر فى مأدبة العشاء التى اقيمت لوداع رئيس وزراء جنوب افريقيا .

اذ قال رابين « ان اسرائيل تتابع بعطف جهودكم التاريخية لتحقيق الوفاق في قارتكم ، ولبناء الجسور نحو مستقبل آمن وافضل ، ولخلق وفاق يضمن سيادة جو مزدهر من التعاون بين جميع الشعوب الافريقية بدون تدخل او تهديد خارجي » .

وربما ترجع بعض الأسباب وراء الارتباط بين اسرائيل وجنوب افريقيا الى رد فعل تدهور العلاقات مع الولايات المتحدة ويكاد السياسيون الاسرائيليون لا يحاولون في هذه الأيام التقليل من شأن الخلاف مع امريكا او يحاولون عدم تأكيد استيائهم ازاء اقتطاع الرئيس فورد ما قيمته ٥٠٠ مليون دولار من المعونة الأمريكية . غير أن الذين ينتقدون الحكومة يقولون ان هذا يعتبر تظاهرا لا معنى له بالاستياء على المستوى السياسي ، ولن تكون له الا مزايا مؤقتة في افضل الأحوال .

ويرد على هذه الاتهامات احد المسئولين الاسرائيليين — فيقول ان هذه الدولة اجبرت خلال الأشهر الأخيرة على اتخاذ هذا الموقف المتناقض . ويضيف « لقد ارغمنا على التصرف بشكل لا يرضينا » .

(ط) تحالف سياسي على « مستوى متوسط » (١٦)

يبدو ان الفوائد العائدة على جنوب افريقيا والناجمة عن زيارة فورستر لاسرائيل تزداد اهمية . فان نظام الحكم القائم على الفصل العنصري يتوقع ان تؤدي معاهدة التعاون الاقتصادي والصناعي والعلمي المبرمة . مع اسرائيل الى تمتع سلع جنوب افريقيا باعفاء جمركي في السوق الأوربية المشتركة وفي الولايات المتحدة . فان اسرائيل ترتبط باتفاقيات مع السوق المشتركة والحكومة الأمريكية تمنح اسرائيل حق المعاملة على اساس « الدولة الأولى بالرعاية » . ووفقا للمعاهدة الجديدة يستطيع نظام الفصل العنصري ارسال سلع نصف مصنعه الى اسرائيل ، حيث يتم « اكمالها » ، ويوضع عليها ختم « صنع في اسرائيل » وتباع الى المستهلك الأوربي والأمريكي . وعلى هذا فان هذا الاتفاق سيمكن جنوب افريقيا من التغلب على اي مقاطعة اقتصادية تفرض ضدها وبالاضافة الى ذلك اعلن مجلس جنوب افريقيا للبحث العلمي والصناعي ، انه سيتم عقد مؤتمرات جنوب افريقية — اسرائيلية مشتركة سنويا لبحث الموضوعات العلمية . (ستار ، جوهانسبرج ١٧ ابريل سنة ٧٦) .

وفي الوقت نفسه فان اعجاب جنوب افريقيا المعلن بتكتيكات اسرائيل العسكرية ضد حركات التحرير الفلسطينية قد اثار كثيرا من التكهنات بأن جيش اسرائيل يقدم للعسكريين في جنوب افريقيا فرصة التدريب على اساليب مقاومة التمرد . وقد ذكرت مسز مارسيا فريدمان عضو الكنيست

عن الحركة الاشتراكية المستقلة ، ان مئات من الجنود الاسرائيليين ملحقون بوحدات هامة وقواعد رئيسية فى جنوب افريقيا وانهم اشتركوا فى المناورات التدريبية مع جيش جنوب افريقيا وقد اعلن المؤتمر الوطنى الافريقى « ان التعاون بين اسرائيل وجنوب افريقيا يهدف الى شن حرب عدوانية ضد الدول المجاورة وضد حركات التحرير . (نيويورك تايمز ، أول يونيو سنة ١٩٧٦ ، نوتيكياس ، مابوتو ، ١٤ ابريل سنة ١٩٧٦) .

ان هذا النجاح الاقتصادى والسياسى والعسكرى الذى اسفرت عنه زيارة فورستر لاسرائيل دفع الحكومة العنصرية الى انتهاج استراتيجية جديدة للبقاء فى السلطة . ذلك انها سوف تسعى الآن الى عقد تحالفات مع القوى العالمية من « المستوى المتوسط » . وقد اعلن فورستر فى البرلمان فى ٢٢ ابريل عن اعتقاده « بأن الدول غير الشيوعية والمناهضة للشيوعية يمكنها ان تتعاون مع بعضها فى المجال الاقتصادى ، وذلك بالرغم من الاختلافات فى السياسات الداخلية والاختلافات فى وجهات النظر ، وانه من الضرورى أن تتعاون القوى من « المستوى المتوسط » . وبالاضافة الى دول وسط أوربا هناك احتمال ان تسعى الحكومة العنصرية الى اقامة تحالف رسمى مع الدول البوليسية اليمينية (التى تدعمها المعونة العسكرية الأمريكية) والموجودة فى الشرق الأوسط وامريكا اللاتينية وآسيا . وفى الواقع مثل هذه الأنظمة الحاكمة تشارك نظام حكم الفصل العنصرى فى جنوب افريقيا فى الكثير ، فهى جميعا تلجأ الى العنف للقضاء على المعارضة الديمقراطية ومنع اعادة توزيع الثروة على الشعب . وتعتبر تايوان من امثلة هذه القوة « ذات المستوى المتوسط » التى رفعت مستوى التمثيل الدبلوماسى مع جنوب افريقيا الى مستوى السفارة وتعتبر النمسا من الدول الاوربية المرشحة للدخول فى التحالف الجديد ، وقد اعربت مؤخرا عن اهتمامها بمقايضة الحديد الخام من جنوب افريقيا بالخبرة الفنية النمساوية . وفى ابريل الماضى قامت مجموعة تضم ٧٠ فردا من الأساتذة والباحثين والطلبة النمساويين التابعين للمدرسة التكتيكية ، فى جامعة جراز ، بزيارة مشروعات مؤسسة الحديد والصلب بجنوب افريقيا ، ونتيجة للزيارة اعلن رئيس المجموعة ــ وهى البروفيسور والدينمارفيد وهو من كبار رجال الصناعة النمساويين ــ ان النمسا تريد المشاركة فى مشروع سالداتها .ــ سايجن وفى الوقت نفسه اعلنت فنلندا ــ وهى دولة اوربية اخرى تتطلع جنوب افريقيا الى ضمها للتحالف الجديد ــ انها تقوم باعادة النظر فى روابطها التجارية مع جنوب افريقيا .

(ستار ، جوهانسبرج ، ٢٤ ، ٢٦ ابريل و ١٥ ، ٢٢ مايو سنة ١٩٧٦) .

(ى) الاحتجاج على التحالف الصريح مع حكومة جنوب افريقيا العنصرية(١٧)

عزيزى رئيس الوزراء رابين ـ ان الموقعين ادناه ، من اعضاء واصدقاء مؤسسة جيفات هافيفا التعليمية بالولايات المتحدة ، يعربون عن الشعور بالصدمة والانزعاج ازاء انباء زيارة رئيس الوزراء فورستر لاسرائيل بهدف الترتيب لصفقة اسلحةاسرائيلية كبيرة لحكومة جنوب افريقيا ، وذلك وفقا لما تردده الأنباء . وليس هناك شىء يزيد من الضرر الناجم عن قرار الأمم المتحدة الخاص بالصهيونية ـ والذى يستحق الشجب ـ اكبر من ان تدخل اسرائيل فى تحالف صريح مع حكومة جنوب افريقيا العنصرية . وبصفتنا صهيونيين نحثك بشدة على اعادة النظر فى هذا الشأن ـ ارسلت البرقية بتاريخ ٤ ابريل سنة ١٩٧٦ وبتوقيع ١٦ من مؤيدى جيفات هافيفا .

« بالرغم من الاحتجاجات الافريقية (الفصل ٢٧) ، ظلت العلاقة بين اسرائيل وجنوب افريقيا قائمة (الفصل ٢٨) » .

* * *

(٢٧) رد الفعل الافريقى

(ا) كاوندا وماتشيل يحذران من الصراع (١٨)

لوساكا ـ ندد رئيسا جمهوريتى زامبيا وموزمبيق ، بالروابط الجديدة بين جنوب افريقيا واسرائيل على اساس انه « تحالف عنصرى فاشستى » يستهدف استمرار السيطرة والضغط على شعبى جنوب افريقيا وفلسطين»

واعلن الزعيمان فى البيان المشترك الذى صدر فى ختام الزيارة الرسمية التى استغرقت خمسة ايام ، والتى قام بها كاوندا ـ رئيس زامبيا ـ لموزمبيق ، استمرار معارضتهما للفصل العنصرى على اساس انه نظام « عنصرى فاشستى » يشجبه العالم بأسره .

وقال الرئيسان ان انتصارات الفريليمو ، والجيش الشعبى لتحرير موزمبيق ، حطمت الأسطورة التى تقول انه لا يمكن لشعب افريقى مضطهد ان يحمل السلاح وان يصيب القوى الاستعمارية والامبريالية والعنصرية والفاشية بهزيمة منكرة » .

وقال الرئيس ماتشيل ان البيان « اكد ان وحدة القوى التقدمية والثورية ، تشكل قاعدة متينة ومنيعة لتوجيه ضربات مدمرة ضد العدو المشترك » .

وأكد الرئيسان مرة أخرى عزمهما على اقامة لجنة دائمة مشتركة لدعم التعاون الاقتصادي وغيره بين زامبيا وموزمبيق .

هذا وقد حذر الرئيس كاوندا فى خطاب القاه فى بيرا فى نهاية الاسبوع من أن جنوب افريقيا على وشك التردى فى صراع سيؤدى الى خسائر كبيرة فى الأرواح .

ووفقا لنبأ ورد فى الصنداى تايمز التى تصدر فى زامبيا قال ان الافريقيين السود لن يكونوا هم المسئولين عن هذا الصراع العنصرى ، لأنهم لم يختاروه بل انه فرض عليهم .

(ب) بيان المؤتمر الوطنى الافريقى لجنوب افريقيا الموجه الى الاجتماع الدولى حول الصهيونية والعنصرية المنعقد فى طرابلس – فيما بين ٢٤ ، ٢٧ يوليو ١٩٧٦

ان هذا الاجتماع الدولى حول الصهيونية والعنصرية ينعقد فى الوقت الذى يثبت فيه حكومة فورستر العنصرية بجنوب افريقيا للعالم طبيعتها الفاشستية الحقيقية وذلك بقتلها الوحشى لأفراد الشعب العزل ، وكثير منهم من الأطفال الذين تتراوح اعمارهم بين ١٣ ، ١٦ عاما . وينعقد هذا الاجتماع ايضا فى الوقت الذى يناضل فيه الشعب الفلسطينى البطل ، تحت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية ، ضد عدوه وعدو البشرية ، اى الصهيونية : وهو ينعقد فى الوقت الذى يحاول فيه الصهاينة والذين يمارسون التمييز العنصرى اضعاف حركات التحرير بأى ثمن ...

وكما تعرفون ، يشن شعب جنوب افريقيا منذ عدة سنوات نضالا مريرا ضد الحكومات البيضاء العنصرية المتتالية فى تلك البلاد ، وهو صراع مرير من أجل الاستيلاء على السلطة السياسية التى جعلها العنصريون ملكا خاصا لهم عن طريق استخدام نفس الأسلوب الذى اتبعه الصهيونيون فى فلسطين . وقد سلبت حكومة الأقلية البيضاء المتتالية فى جنوب افريقيا ، الأرض المملوكة لشعبنا ، واليوم ، تنشىء ما يعرف باسم « النانتوستانات » أو الأوطان وقد تم اجبار الآلاف من افراد شعبنا – نتيجة لمعارضتهم للسياسات العنصرية للحكومات – على مغادرة وطنهم الأصلى ليعيشوا فى بلاد اخرى كلاجئين او مواطنين من الدرجة الثانية ، وهذا هو نفس ما فعله الصهاينة باخواننا الفلسطينيين . وهذا يعد محاولة واضحة من العنصريين لاضعاف حركات التحرير عن طريق خلق بانتوستانات قبلية .

وقد خلقت الحكومة العنصرية البانتوستانات التى تضم حوالى ١٣٪ من مجموع مساحة الأرض فى البلاد ليشغلها ما يزيد على ٧٠٪ من سكان البلاد الأصليين ، وذلك حتى تظل الأغلبية العظمى من الشعب معتمدة الى الأمر على الأقلية البيضاء ، بينما تظل هذه الأغلبية منقسمة على نفسها وهذه البانتوستانات ، هى مناطق قاحلة جدباء متفرقة وقد فشلت بالفعل فى اعاشة سبعة ملايين شخص نقلوا بالقوة اليها . والعمل غير متوفر فى هذه المناطق ، ومن ثم يضطر المقيمون بها الى العودة الى جنوب « افريقيا البيضاء » للعمل بأجور غير انسانية واثناء وجودهم هناك ، يعاملون على اساس انهم مقيمون مؤقتون فى بلدهم الأم . وداخل البانتوستانات ذاتها ، تختار الحكومة البيضاء ، وليس افراد الشعب ، هم الذين يختارون — تختار الحكومة الزعماء المزعومين الذين يؤدون اليوم « الأعمال القذرة » نيابة عن العنصريين . وقد ندد المؤتمر الوطنى الافريقى بانشاء هذه البانتوستانات على اساس انها عملية احتيال ومحاولة « لتفتيت » بلادنا من اجل راحة الأقلية البيضاء والاحتكارات الدولية التى تحقق ارباحا ضخمة عن طريق استغلال شعبنا الى اقصى حد .

وتقع السلطة السياسية والاقتصادية فى البلاد فى ايديهم تماما ، بينما تعامل اغلبية الشعب — وهم السود — وكأنهم من ادوات العمل فى المصانع والمناجم والحقول والمنازل التى يملكها البيض وقد تم منذ سنة ١٩٦٠ تحريم التنظيمات السياسية الخاصة بالسود وتم الحكم بالسجن المؤبد فى جزيرة روبن على زعمائهم من امثال نيلسون مانديلاو والتر سيسولا وجوفان ميكى وذلك لمجرد انهم تجراوا وعارضوا السياسة العنصرية غير الانسانية التى تتبعها الحكومة والتى تقوم على اساس ان البشرة البيضاء تعنى التفوق والامتياز اما البشرة السوداء او البنية فتعنى الوضاعة ، والاضطهاد ، والحرمان . غير أن تحريم التنظيمات الشعبية لم يقض عليها بل جعلها تنتهج اسلوبا اكثر عنفا وتشددا واكثر اصرارا من اجل تحقيق اهدافها اى تحرير شعبها وبلادها .

ويناضل المؤتمر الوطنى الافريقى — شأنه شأن منظمة التحرير الفلسطينية — من اجل حقوق شعب جنوب افريقيا المشرد والذى يتعرض للاضطهاد والاستغلال فى الوطن ونحن نقول ان بلادنا من السعة بحيث يمكنها ايواء الجميع سواء سودا كانوا ام بيضا . ولو كنا نهدف الى القاء البيض فى البحر لكان ذلك يعتبر عنصرية من جانبنا ، ولهذا فاننا نقول ، فلنعش معا كأفراد متساوين امة متماسكة متينة .

وقد رفضت الحكومة العنصرية هذا وهى مصممة على استخدام كل عتادها العسكرى لحماية مصالح الاقلية البيضاء والاحتكارات الدولية ، مثلما فعلت مؤخرا فى سويتو وغيرها من المدن .

ومنذ اشهر قليلة فقط قام فورستر ، رئيس وزراء جنوب افريقيا المزعوم ، بزيارة اسرائيل وبصحبته القادة العسكريون وقادة الأمن فى الدولة ، مما يكشف عن الروابط الوثيقة بين الصهيونية والعنصرية . وقد بدات نتائج هذه الزيارة بالفعل : فبينما غزا الصهيونيون اوغندا قامت العناصر العنصرية بغزو انجولا وزامبيا . وبينما يثير الصهيونيون الشقاق بين الحلفاء والانصار الطبيعيين لمنظمة التحرير الفلسطينية بهدف اضعافها، فان العنصريين يتصرفون بنفس الأسلوب فى افريقيا ومن واجب القوى التقدمية الديمقراطية فى العالم ان تكون متيقظة تماما وان تقدم كل مساعدة الى حركات التحرير ، تماما كما تقدم القوى الامبريالية مثل الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا والمانيا الغربية التأييد للعنصريين فى جنوب افريقيا وللصهاينة فى صورة اسلحة وهذه الأسلحة لا تستخدم فقط ضد قوى التحرير بل تستخدم ايضا ضد الدول المستقلة ذات السيادة .

واليوم ، ونحن نجتمع هنا،تم التصديق على الميثاق الذى يعتبر الفصل العنصرى جريمة ضد البشرية تستحق العقاب ، ومع ذلك فأن الفرنسيين يساعدون جنوب افريقيا على التطور لتصبح قوة نووية على نحو ما تفعل الولايات المتحدة فى العمل على توفير نفس الامكانية للصهاينة وكلا الشرين، اى العنصرى التى تمثلها بريتوريا والصهيونية التى تعبر عنها تل أبيب ، سيشكل قريبا تهديدا لكل الدول الأفريقية والعربية . وهذا يدعوا الى زيادة روابط الوحدة الأفريقية العربية ، وتقديم مزيد من المساعدة لمنظمة التحرير الفلسطينية وحركات التحرير فى جنوب افريقية حتى تتمكن من تحطيم الحكومات الصهيونية والعنصرية قبل ان تصبح قوى نووية .

ويدعو المؤتمر القومى الافريقى فى جنوب افريقيا ، من فوق هذه المنصة الدولية العالم الى عدم الاعتراف باستقلال المناطق التى يطلق عليها البانتوستانات ، وان يؤيد قرار منظمة الوحدة الافريقية ، الذى ينص على ان الاعتراف بالبانتوستانات لن يعتبر خيانة لشعب جنوب افريقيا وحركة التحرير هناك فحسب بل سيعتبر خيانة للقارة الافريقية بوجه عام .

٢٨ ـ تدعيم العلاقات :

١ ـ نمو الروابط بين جنوب افريقيا واسرائيل

(تفيد الأنباء ان تدعيم العلاقات يتضمن ارسال مواد عسكرية) (١٩)

بقلم : وليام ماريل

القدس ، فى ١٧ اغسطس ـ زادت خلال الأشهر الاخيرة الروابط الدبلوماسية الاقتصادية بين اسرائيل وجنوب افريقيا ، زيادة كبيرة ، وتطورت الى علامة قوية بين البلدين وتفيد الأنباء انها تشمل صفقة معدات عسكرية اسرائيلية الصنع .

وبينما لا يتردد المسئولون الاسرائيليون فى مناقشة زيادة حجم التبادل التجارى بين الدولتين ، يحجمون عن مناقشة المعاملات العسكرية ومع ذلك تسربت المعلومات من عدة جهات ، بما فى ذلك الصحافة الأجنبيـة واذاعة اسرائيل . وتتضمن هذه المعلومات التى تم الكشف عنها ما يلى :

ـ تقرير من اذاعة اسرائيل يفيد بأن اسرائيل تقوم بتصنيع اثنتين من سفن المدفعية ذات المدى البعيد مزودتين بصواريخ بحر ـ بحر فى الحوض الجاف بحيفا . لحساب بحرية جنوب افريقيا . وتفيد انباء اخرى بأن عدد هذه السفن يبلغ ست سفن وحمولتها ٤٢٠ طن وتتكلف حوالى ستة ملايين دولار بدون عتاد اما اذا زودت بالصواريخ فان السفينة الواحدة تتكلف ١٨ مليون دولار تقريبا .

تقارير تفيد بأن حوالى خمسين من رجال بحرية جنوب افريقيا ، بصفة مدنية مؤقتة يتدربون فى منطقة تل أبيب للعمل على هذه السفن المزودة بالصواريخ ، وان أول السفن ستكون جاهزة فى يناير .

ـ تقارير غير مؤكدة تفيد بأن اتفاقية المبيعات المعقودة مع جنوب افريقيا ، تتضمن تسليمها حوالى ٢٠ طائرة نفاثة من طراز كفير الاسرائيلية الصنع .

ـ تقارير تفيد بأن اسرائيل ستزود جنوب افريقيا بأجهزة الكترونية عسكرية متطورة ، وفى مقابل المواد الخام من جنوب افريقيا بما فى ذلك حوالى مليون طن فحم سنويا لتعزيز صناعة الصلب فى اسرائيل .

الخوف من النقد :

ولا تحدو المسئولون الاسرائيليون الرغبة فى مناقشة ما يتردد عن الجوانب العسكرية للاتفاق التجارى بين البلدين نظرا لان جنوب افريقيا

تعتبر منبوذة من جانب كثير من الدول ونظرا للخوف بنوع خاص من النقد المتوقع من جانب بعض الدوائر فى الولايات المتحدة مثل المؤتمر الحـــزبى للسود ومن جانب المجموعات اليهودية الأمريكية الليبرالية .

ولطالما عارضت الحكومة الاسرائيلية السياسة العنصرية التى تنتهجها حكومة جون فورستر وتسفر اية تساؤلات حول معاملات اسرائيل الحالية مع جنوب افريقيا عن اعادة تأكيد هذه المعارضة .

وقد زار مستر فورستر اسرائيل فى ابريل المـاضى وتعتبر هذه اول زيارة من نوعها يقوم بها رئيس وزراء من جنوب افريقيا خـلال ٢٤ عاما . وقد صرح فورستر اثناء الزيارة ، بأنه بحث مع اســحاق رابين ، رئيس الوزراء وايجال آلون ، وزير الخارجية ، « طرق تنشيط التجارة وتشجيع الاستثمار ، واقامة مشروعات عملية وثقافية مشتركة ، ومنح القروض من أجل المشاركة فى استغلال المواد الخام فى جنوب افريقيا » . وقد نفى آنذاك ما تردد عن صفقة الأسلحة .

وقد تزيد تردد مثل هذه الانباء بعد ان قام مستر فورستر بزيارة زورق اسرائيلى مزود بالصـــواريخ فى قاعدة بحرية بالقرب من شرم الشيخ وبعد زيارته لمصنع الطائرات الاسرائيلى بالقـــرب من تل أبيب ، والذى ينتج الطائرات المقاتلة من طراز كفير .

تبرير السياسة الخارجية :

يقوم المسئولون الحكوميون هنا بتبرير تصعيد اسرائيل لمعاملاتها مــع جنوب أفريقيا بأساليب من بينها :

ــ القول بأن هذه المعاملات تتفق مع سياسة خارجية تقوم على اساس الموافقة على اقامة علاقات دبلوماسية مع اى دولة ترغب فى اقامتها مـــع اسرائيـــل .

ــ تفكير عملى يقوم على اساس معدل التضخم فى البلاد ، ويقدر هــذا العام بحوالى ٣٠٪ ــ وحاجتها الملحة الأجنبية والمواد الخام .

ــ حقيقة ان الضغوط العربية اجبرت كثيرا من الدول الافريقية على قطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل فى سنة ١٩٧٣ ، ومن بينهـا الدول التى وجهت اسرائيل نحوها ايماءات هامة على مر السنين تدل « حســـن الجوار » . ويقوم الاسرائيليون من معارض سياسة زيادة توثيق العلاقات بين الحكومة الاسرائيلية وجنوب افريقيا ، انها سياسة غير متبصرة ستعوق

بشكل خطير كل الجهود التى تبذلها اسرائيل لاستئناف العلاقات المقطوعة مع افريقيا السوداء .

ـ القول بأن رفض عرض الصداقة الذى تقدمه جنوب افريقيا قد يكون له اثر عكسى على الجالية اليهودية الصغيرة فى تلك البلاد التى تشمل ١٢٠ الف يهودى وهم عامة من الأثرياء كما ان معظمهم صهاينة .

ويشعر عدد من المسئولين الحكوميين الاسرائيليين بضيق ازاء الاهتمام الخاص الذى تحاط معاملات اسرائيل مع جنوب افريقيا . ويقولون انهم انما يتعرضون بذلك للقياس بمعايير مختلفة حيث أن كثيرا من الدول الاخرى التى ليس من الضرورى انها توافق على سياسة جنوب افريقيا العنصرية ، لها علاقات ايضا بتلك الدولة .

(ب) تدريب مواطنى جنوب افريقيا فى اسرائيل (٢٠)

تل ابيب فى ٩ اغسطس (ج ـ ت ـ ا) يتلقى ٥٠ من رجال البحرية فى جنوب افريقيا تدريباتهم فى اسرائيل للعمل على الزوارق المزودة بالصواريخ والمصنوعة فى اسرائيل ، وذلك وفقا لما جاء من اذاعة اسرائيل مساء امس وذكرت الاذاعة ان اسرائيل ستقوم ببناء زورقين من طراز ريشف لحساب جنوب افريقيا ، وهو نفس الطراز الذى شارك فى « عملية الابحار من نيويورك فى ٤ يوليو » . ومن المتوقع ان يتم تسليم اول زورق ، وهو مزود بصاروخ جبرييل بحر ـ بحر الاسرائيلى ، فى أوائل العام القادم . واعلنت اذاعة اسرائيل ايضا انه سيتم بترخيص خاص بناء زورق وحراسة ساحلية من تصميم اسرائيل فى جنوب افريقيا .

(ج) اسرائيل وافريقيا (٢١)

تجرى حاليا عملية هامة لتوسيع نطاق العلاقات بين اسرائيل وجنوب افريقيا وذلك بعد الزيارتين اللتين قام بهما للقدس كل من رئيس الوزراء جون فورستر ووزير العدل والتعدين ستيفانوس بوتا ، بالرغم من جهود كلا الجانبين للتقليل من شأن هذه العملية . وقد قامت جنوب افريقيا بشراء سفينتين اسرائيلتين من طراز ريشيف حمولة ٤١٥ طنا مزودتين بالصواريخ بالاضافة الى ٤ سفن أخرى . وتفيد الأنباء أن رجال بحرية جنوب افريقيا يتدربون الآن فى حيفا . (وقد تم نفى الأنباء التى ترددت حول شراء عدد من الطائرات المقاتلة النفاثة الاسرائيلية الجديدة من طراز كفير ، ومع ذلك ما زالت هذه الأنباء تتردد) . وسيشترك البلدان ايضا فى بناء خط سكة حديدية ، ومصنع صلب ومحطة لتوليد الكهرباء بالقوة المائية عن طريق قناة تحول مياه البحر المتوسط الى وادى البحر الميت .

وقدمت اسرائيل طلبا هاما للحصول على فحم جنوب أفريقيا وأبدت حكومة فورستر اهتماما كبيرا بالمعدات الالكترونية وأجهزة التحكم .

(ج) جنود اسرائيل فى « ناميبيا » (٢٢)

بقلم جون بوريل

لوساكا ــ زعمت المنظمة الشعبية لجنوب غرب أفريقيا (سوابو) أن جنوب افريقيا تستخدم المرتزقة الاسرائيليين والبريطانيين لمساعدتها على السيطرة على المنطقة العازلة التى يبلغ عرضها ٢٠ ميلا والتى أنشئت على حدود ناميبيا مع أنجولا وزامبيا .

وقال رئيس المنظمة ، مستر سام فوجاما ، فى حديث صحفى أدلى به هنا اليوم ان السوابو لديها الدليل على وجود خبراء اسرائيليين فى كيفية مقاومة التمرد ومرتزقة بريطانيين فى المنطقة العازلة .

(ولقد صرح اليوم متحدث عن وزارة الدفاع الاسرائيلية فى تل أبيب بأنه ليس لديه اى معلومات عن وجود اسرائيليين يساعدون فى السيطرة على حدود ناميبيا . وقال المتحدث : « ليس لدى علم بوجود أى اسرائيليين يقومون بمثل هذا العمل فى جنوب افريقيا أو غيرها من أجزاء أفريقيا » .)

وقال مستر نوجوما ان المرتزقة البريطانيين يعملون لدى حكومة جنوب افريقيا طوال ٤ أعوام تقريبا وهم يقومون بتركيب الأجهزة الالكترونية الخاصة باكتشاف الفدائيين الذين يحاولون عبور المنطقة العازلة واستطرد يقول ان أهالى جنوب افريقيا قد بداوا مؤخرا فى استخدام الاسرائيليين فى المنطقة العازلة ، لأنهم يعتبرونهم ــ كما قال خبراء فى أساليب الحرب الصحراوية .

وعندما سئل فوجوما عما لديه من أدلة على تورط الاسرائيليين فى ناميبيا ، رد قائلا : « ان قواتنا الفدائية تملك الدليل على وجود اسرائيليين هناك » . وعندما واجه مزيدا من الضغط ، قال ان الذين يعيشون فى القرى الواقعة على الحدود شاهدوا الاسرائيليين وهم فى زى جيش جنوب افريقيا .

وقال « ان شعبنا فى تلك القرى تعرفوا عليهم من ملامح وجوههم ومن حقيقة أنهم كانوا يتكلمون العبرية فى احاديثهم الخاصة وبدا أنهم لا يعرفون شيئا عن اللغة الافريكانية » .

وأشار زعيم المنظمةالشعبية لجنوب غرب افريقيا الى أن فورستر ، قد زار اسرائيل مؤخرا ، حيث اتفق مع الاسرائيليين ــ وفقا لمستر

فوجوما ـ على القيام بعمليات عسكرية مشتركة وقال : « أن هذا يعتبر دليلا واضحا على أن هناك عمليات اسرائيلية ـ جنوب افريقية مشتركة .

وقال مستر فوجوما ـ معلقا على ما أعلن فى ويندهوك من انه قد تم تحديد يوم ٣١ ديسمبر سنة ١٩٧٨ . موعدا لاستقلال ناميبيا ـ ان المنظمة لن تعترف بأى تحركات من جانب جنوب افريقيا فى أراضى ناميبيا .

واعلن ان « سوابو » ستستمر فى تكثيف نضالها المسلح . وسوف نواصل القتال حتى تحقيق الحرية والديمقراطية الحقيقة والاستقلال فى بلادنا . وسنشن كفاحا مسلحا ضد أى حكومة تابعة يقيمها مستر فورستر فى ناميبيا . بل اننا سوف نحطمها . »

وندد مستر فوجوما بمحادثات تيرنهول فى وينهوك على اساس انها تسخر بالديمقراطية « وقال ان أى اقتراح باجتماع وفود يترنهوك بسوابو » سواء فى زامبيا أو تانزانيا يعتبر اقتراحا أجوف .

وصرح بأن « سوابو » غير مستعد للتحدث الى زعماء الدول العميلة اذ أنه لا جدوى من ورائهم . ولكننا مستعدون لاجراء محادثات مع حكومة افريقيا فى اى وقت وأى مكان فيما عدا ناميبيا . وبالطبع ستدور محادثات معهم فقط حول اسس سحبهم لادارتهم من ناميبيا ومتى يكون ذلك . »

(د) مجموعة جنوب أفريقيا تقول ان الاسرائيليين يقاتلون هناك (٢٢)

لوساكا ، زامبيا ، فى ٢٢ اغسطس (ا.ب) ـ تؤكد المنظمة الشعبية لجنوب غرب افريقيا العسكرية ان اسرائيل تساعد جنوب أفريقيا فى العمليات العسكرية بجنوب غرب افريقيا أو ناميبيا ، وتعلن انها تتوقع الحصول على مساعدة من كوبا أو الاتحاد السوفييتى لتصعيد الحرب الفدائية فى المنطقة .

ووجه اليوم سام نوجوما ، زعيم المنظمة ، اتهاما لاسرائيل بالاشتراك فى العمليات العسكرية على طول الحدود بين جنوب غرب افريقيا وانجولا .

وصرح نوجوما هنا بأن « البيض فى جنوب افريقيا بداوا فى استخدام الاسرائيليين لمساعدتهم فى السيطرة على المنطقة العازلة التى تم اخلاؤها على طول الحدود بين انجولا وناميبيا » .

ولطالما تجاهلت الأقلية البيضاء فى جنوب افريقيا مطالبة الأمم المتحدة لها بالتخلى عن جنوب غرب افريقيا ، وهى مستعمرة المانية سابقة ، ولكنها تضم مجتمعا متعدد الجنسيات تسانده حكومة جنوب افريقيا ،

وحددت الأمم المتحدة مؤخرا يوم ٣١ ديسمبر سنة ١٩٧٨ ، موعدا للإستقلال .

« أسفرت العلاقات بين اسرائيل وجنوب افريقيا واثرها على السود فى امريكا والمجموعات المهتمة بالفصل العنصرى ، عن شن حملة صهيونية ـ جنوب افريقيا فى صورة زيارات يهودية (٢٩) وبيان صادر عن المؤتمر اليهودى الأمريكى » .

***

(٢٩) العلاقة بين يهود امريكا وجنوب افريقيا وأهميتها المستقبلة

(أ) رؤساء التحرير الأمريكيون يطوفون بدولة الفصل العنصرى :

تشجيع العلاقات بين الصهيونية ـ وجنوب افريقيا (٢٤)

اخبر اسحاق يونا ، سفير اسرائيل لدى جنوب افريقيا ، ورؤساء تحرير الاثنتى عشرة صحيفة يهودية امريكية رئيسية ، الذين زاروا جنوب افريقيا فى مايو الماضى ، انه باتخاذهم موقفا ايجابيا فى صحفهم ازاء جنوب أفريقيا ، يخدمون العلاقات بين جنوب افريقيا واسرائيل « كما انهم يخدمون جنوب افريقيا » . وقال يونا ان الظروف فى جنوب افريقيا تعتبر فى واقع الأمر أفضل بكثير « مما تحاول الدعاية المناهضة لجنوب افريقيا اظهارها بها » . وقد أدلى السفير بهذه التصريحات قبل شهر فقط من انتهاج جنوب افريقيا لأسلوب وحشى فى قمع المقاومة المناهضة للفصل العنصرى التى اشتعلت فى مسويتو فى يونيو والتى سرعان ما امتدت الى باقى أنحاء جنوب أفريقيا .

وقد تحملت « منظمة السياحة بجنوب أفريقيا » ـ وهى وكالة شبه حكومية تكاليف رحلة رؤساء التحرير ، وذلك بالمشاركة مع شركة طيران بان امريكان وقد صاحبهم فى رحلتهم ، ويليام ايفانز ، مدير المشروعات الخاصة ببان أمريكان ، كما صاحبهم مدير مكتب منظمة جنوب افريقيا للسياحة فى نيويورك . واستهدفت هذه الرحلة ، التى أعلن انها زيارة للجالية اليهودية فى جنوب افريقيا ، الدعاية بان امريكان الجوى الجديد بين نيويورك وريد وجوهانسبرج ، والسياحة فى جنوب افريقيا .

وقد شرح فيليب هوتشستاين ، رئيس تحرير وناشر صحيفة جويش ويكلى ، الذى اشترك فى الرحلة ، الاهداف التى سعى منظمو الرحلة الى

تحقيقها وذلك فى مقال نشر بعدد الصحيفة الصادر فى ٢٧ مايو . فقد جاء فى المقال « ان افتتاح خط بان أمريكان الجديد بين نيويورك وجوهانسبرج المار بريودى دى جانيرو قد دفع رجال العلاقات العامة ، الى بذل جهد لجذب السياح اليهود .. وتسعى افريقيا بوجه خاص لجذب السياح اليهود نظرا لكبر عددهم وأيضا نظرا للامل فى ان يؤدى وجود اهتمام مشترك باستمرار وجود اسرائيل ومقاومة امتداد النفوذ الاستعمارى الروسى ، الى نشر التفهم فى الخارج للمشكلة العرقية المعقدة للغاية فى جنوب افريقيا والدور الاستراتيجى الذى تلعبه على النطاق العالمى ولمواجهة احتمال أن تعمل روسيا على تقويض جنوب افريقيا عن طريق تأييد منح السود حقوقا متساوية فان كلا من روسيا والسود فى جنوب افريقيا قد يعملون على قيام دولة افريقية متحدة عنصريا قبل الأوان فيصبح البيض عندئذ عاجزين أمام حكم الأغلبية السوداء التى تفتقر الى الحنكة » .

وقد عملت القيادة الرسمية للروابط اليهودية بجنوب افريقيا ، وهى هيئة نواب يهود جنوب افريقيا ، لمدة سنين طويلة ، وبنجاح غير منتظم ، من أجل تحقيق تأييد المنظمات اليهودية الدولية والامريكية للعنصرية او على الأقل تحديد موقف هذه المنظمات من هذه المسألة .

وبالرغم من طبيعة الرحلة التى أثارت الجدل ، لم يرفض اى رئيس تحرير الاشتراك فيها لأسباب أخلاقية او سياسية ــ وذلك وفقا لما قاله ايفانز ، مدير بان أمريكان الذى اختار رؤساء التحرير على اساس حجم توزيع صحفهم والمواقع الجغرافية ، لأحد كتاب صحيفة « فلسطين » .

وقد صرح جيسى لورى ، رئيس التحرير التنفيذى لصحيفة هاواسا ، أنه أيد مقاطعة السياحة الصهيونية للمكسيك فى العام الماضى ، نتيجة لتصويت حكومة المكسيك لصالح قرار الأمم المتحدة الذى ندد بالصهيونية والفصل العنصرى فى جنوب افريقيا كشكل من اشكال العنصرية ، ولكنه اضاف انه لم يجد اى غضاضة فى تشجيع الرحلات لجنوب افريقيا . ويكتب لورى يقول فى تعليقه : « ان جنوب افريقيا تعتبر بلدا جميلا وجذابا . وليس هناك أى سبب يدعو لمقاطعته : « واضاف يقول انه قال لوزير السياحة فى جنوب افريقيا » ان بلادكم جميلة وهى تذكرنى كثيرا باسرائيل فهى مثلها تواجه مشاكل لا حل لها » .

ووفقا لما ذكره لورى فان المجموعة قابلت أعضاء هيئة نواب يهود جنوب افريقيا وكثيرا من الشخصيات الحكومية ، ولكنه لم يقابل شخصيا سوى واحد اسود من جنوب افريقيا ، وكان مليونيرا .

وهذه الرحلة تتفق والاجراءات الرسمية الأخيرة من أجل تدعيم العلاقات بين جنوب افريقيا واسرائيل . وقد جاءت رحلة رؤساء التحرير بعد وقت وجيز من زيارة فورستر ، رئيس وزراء جنوب افريقيا ، لاسرائيل حيث وقع اتفاقا تجاريا هاما . وقد استقبلت الحكومة الاسرائيلية ، فورستر الذى اعتقل ابان الحرب العالمية الثانية بصفته جنرالا فى منظمة النازى بجنوب افريقيا ،وعضوا بجناحها العسكرى استقبالا حافلا . وقد شرب اسحاق رابين ، رئيس وزراء اسرائيل نخب فورستر أثناء مأدبة عشاء ، قائلا « انى اعتقد ان بلدينا مشتركان فى مشكلة واحدة وهى كيف نبنى جسرا للحوار الاقليمى والتعايش السلمى والاستقرار فى مواجهة عدم الاستقرار والتهور الموعز بهما من الخارج » .

وقد رتب ايفانز ، مدير بان أمريكان ، لقاء بين رؤساء التحرير الاثنى عشر ويونا ، سفير اسرائيل لدى جنوب افريقيا ، الذى حدد ، وفقا للصحافة اليهودية « بعض الفلسفات والأسباب الكامنة وراء التقارب غير العادى الذى نما بين اسرائيل وجنوب أفريقيا » . وقد تم نشر الحديث الصحفى الذى أدلى به السفير الاسرائيلى ، فى الصحف اليهودية بالولايات المتحدة .

(ب) اسرائيل وجنوب افريقيا : التقارب فى عالم معاد (٢٥)

أوضح اسحاق يونا سفير اسرائيل فى جنوب افريقيا فى حديث صحفى أدلى به ، لمجموعة صغيرة تمثل الصحافة اليهودية الامريكية بما فى ذلك صحيفة جويش بريس ، بعض النظريات الفلسفية والأسباب الكامنة وراء التقارب غير العادى النامى بين اسرائيل وجنوب أفريقيا .

وقد أشار السفير يونا فى مستهل حديثه الى الزيادة الحادة فى حجم التجارة المتبادلة بين اسرائيل وجنوب افريقيا . ففى سنة ١٩٦٩ بلغ حجم التبادل التجارى بين البلدين ٣ مليون دولار ووصل خلال السنوات السبع الأخيرة الى ٨٠ مليون دولار . وأهم واردات اسرائيل من جنوب افريقيا هى الصلب والحديد وغيرهما من المعادن اما اهم صادراتها الى جنوب افريقيا فهى الأسمدة الكيماوية والأجهزة الالكترونية والآلات والمنسوجات والملابس الحديثة ومنتجات الموالح .

وفيما يلى بعض المقتطفات من الحديث الصحفى .

س ــ ما هى العوامل الرئيسية التى قربت بين اسرائيل وجنوب افريقيا ؟

ج ـ استطيع ان اقول انك اذا سألت احد سكان جنـوب افريقيا وخاصة أحد الأفريكانيين فانه سيعطيك ثلاثة أسـباب لهذا التقارب . وسيقول لك أولا ان لنا تراثا مقدسا واحدا ولا أستطيع ان أقلل من شأن هذا الشعور . ان الافريكانيين يعتبرون شعبا مسيحيا متدينا ، وربمـا يعرفون الكتاب المقدس بما فى ذلك العهد القـديم ، اكثر مما نعـرفه وهم يقدمون لنا مجالا للمقارنة فكثيرا ما تجدهم يقارنون بين الهجرة الكبرى التى قام بها الافريكانيين ، للابتعاد عن البريطانيين الى اقليم الترنسـفال وبين الخروج العظيم لليهود من مصر . وكما قلت لبعض الأصدقاء فانهم كانوا يطلقون على القرى والمدن التى يمرون بها ويستقرون فيها أثناء هجرتهم الجماعية شمالا ، اسماء من الانجيل مثل بيت لحم وبيتال وبينونى وما الى ذلك . وعلى ذلك فان هناك تراثا انجليا مشتركا يتمتع باحترام كبير فى اسرائيل . ثم هناك شعور ، ربما كان مبسطا بشكل مبالغ فيه ، من جانب الافريقيين الذين يشعرون بأن مصير جنوب افريقيا واسرائيل واحد فكلاهما يعتبر مجتمعا صغيرا محاطا بأعداء يتفوقون عليه من النـاحية العـددية ولا بد له رغم ذلك من أن يحافظ على وجوده ويبلغ تعداد الجالية اليهودية هنا حوالى ١١٧ ألف شخص ، وهم من اليهود المعروفين باخلاصهم المتناهى لاسرائيل والذين يشعرون بولاء كبير نحوها ، والذين يساهمون ماديا وثقافيا وروحانيا فى سبيل بناء اسرائيل والذين هاجروا من هنا الى اسرائيل بفضل العلاقات الطيبة القائمة بين حكومة جنوب افريقيـا واسرائيل . ويحتـل اليهود وصفا متميزا الى حد ما من حيث قدرتهم على ارسال الأموال الى اسرائيل ، أى ان بمقدورهم استثمار أموالهم فى اسرائيل وعلى ذلك لدينا هنا مكانة مميزة نعترف بها فيما يتعلق بعلاقتنا بجنوب افريقيا ، وكما قلت هناك أيضا العلاقات التجارية النامية . وخلال السنتين أو الثلاث السنوات الأخيرة كانت هناك ايضا علاقة تبادل علمى نامية بين البلدين . وهناك كثير من المشاكل المشتركة بين جنوب افريقيا واسرائيل قبل الحاجة للمحافظة على خصوبة التربة وازالة الملوحة من مياه البحر ويتزايد تبادل العلماء بين البلدين الذين يحاولون سبر غور المجالات ذات المصلحة المتبادلة ويعملان فى المشروعات المشتركة وما الى ذلك . وعلى ذلك فانها علاقة تنمو باطراد وتزداد قربا بالرغم من الخلافات السـياسية المتأصلة والواضح وجودها بين البلدين .

س : السيد السفير ، ما رأيك فى ردود الفعل غير العادية فى جميـع الدول لاسرائيل ؟

ج ـ حسنا ، انى أعتقد أن هناك مبالغة فى تقدير زيارة رئيس الوزراء لاسرائيل ، وربما أستطيع أن أقول انه يتم تقويم الزيارة بمعيار مزدوج أيضا ، اذ أن رئيس وزراء رومانيا قام منذ بضعة سنوات بزيارة اسرائيل، وعندما ردت مسز جولدا مائير الزيارة لرومانيا ، لم ترتفع الصيحات التى تردد ان اسرائيل تتحول نحو الشيوعيين لأن رئيس وزراء رومانيا زار اسرائرل أو ان رئيسة وزراء اسرايل قامت برد الزيارة لرومانيا . ولقد زار بلادنا العديد من رؤساء الدول من العالم الثالث ، والذين لا يعتبرون تماما من حملة شعلة الليبرالية التقدمية الفكرية ، ولم يذكر احد فى تلك المناسبات ان اسرائيل بدات تتهاون فى اتجاهاتها الليبرالية . وانا اعتقد انه يوجد هنا ، بالنسبة لزيارة رئيس وزراء جنوب افريقيا لاسرائيل ، ميل الى ما أصفه بتطبيق معيار مزدوج فى هذه الحالة . ولقد صرح رئيس وزراء جنوب افريقيا بنفسه بعد زيارته لاسرائيل ، بان التعاون بين البلدين يعتبر مثالا على التعاون بين أى بلدين فى المجالات الاقتصادية والصناعية والعلمية بالرغم من الخلافات السياسية بينهما . ونحن لا نتدخل فى شئون جنوب افريقيا ، ولا تتدخل جنوب افريقيا فى شئوننا ، وفى واقع الأمر ان مستر فورستر ذهب منذ بضعة أيام الى حد التصريح بان جنوب افريقيا تشعر بأنها حرة فى اقامة علاقات مع دول غير صديقة لاسرائيل تماما كما انه من الواضح ان اسرائيل لها مطلق الحرية فى اقامة علاقات ودية مع دول قد تشعر بعداء نحو جنوب افريقيا . وعلى هذا فانها تعتبر علامة عملية ، وانا اعتقد انه من فى اعقاب زيارة رئيس الوزراء ستتزايد المزايا التى تعود على اسرائيل ، خاصة فى المجال الاقتصادى . وكذلك بالنسبة للتسهيلات التى ستمنح للجالية اليهودية فى جنوب افريقيا للمشاركة بشكل ايجابى أكثر مما اتيح لها فى الماضى وذلك من خلال الاستثمارات وغيرها من الأساليب التى تساعد اسرائيل على تدعيم موقفها الاقتصادى . ومن الواضح اننا أخذنا فى اعتبارنا أنه ستحدث ردود فعل عكسية فى البلاد الأخرى نحو هذه الزيارة ، ولكننى أعتقد انه على المرء أن يوازن خلال ظروف الحياة السائدة اليوم ، بين المزايا والمساوىء ، فلا يمكن القول بان هناك حلولا تعتبر مثالية تماما أو سلبية تماما ، وانا أعتقد انه فى حالة اجراء موازنة ستسفر زيارة رئيس وزراء جنوب افريقيا لاسرائيل عن بعض المكاسب بالنسبة لاسرائيل فى كشف الموازنة .

س : سيدى السفير ، هل تعتقد انه يجب على المجتمعات اليهودية فى أمريكا واسرائيل بل فى اى مكان ، أن تنظر برضاء نحو جنوب افريقيا ، نظرا للعلاقة الخاصة بين جنوب افريقيا واسرائيل ؟

ج : سألتزم هنا بالخط العريض الذى اتضح من خلال تصريحات مستر مارياس شتاين ، وزير السياحة ، اليكم مساء امس . فان جنوب افريقيا ليست « المدينة الفاضلة » ، هناك فى واقع الأمر كثير من الدول التى يمكن اعتبارها كذلك ، حتى اسرائيل ذاتها لا تعتبر « مدينة فاضلة » فاننا نعانى جميعا من مواطن الضعف ، ولا أحد يشك ـ بما فى ذلك شعب جنوب افريقيا ذاته ـ فى ان جنوب افريقيا تعانى من بعض نواحى النقص، ولكننى أعتقد ان زيارتكم هنا كضيوف على منظمة السياحة فى جنوب افريقيا وبان امريكان ، ستمكنكم من القاء نظرة صادقة على جنوب افريقيا وأنا اعتقد انكم ستستطيعون ان تميزوا بين الدعاية المعادية وبين الأوضاع الحقيقية ، التى اعتقد انها تدعو للتفاؤل بدرجة اكبر مما ينصح من الدعاية المضادة لجنوب افريقيا ، واذا قدمتم فى صحفكم المختلفة صورة اصدق وأكثر واقعية لما ترونه فى جنوب افريقيا ـ وأنا لا اشك فى أن هذا هو ما ستفعلونه ـ فانكم ستخدمون بذلك العلاقات بين جنوب افريقيا واسرائيل . بل اعتقد انكم ستخدمون بذلك ايضا نزاهتكم الفكرية . وهذا اقصى ما استطيع قوله فى هذا الصدد .

س ـ سيدى السفير ، بالنظر الى علاقة جنوب افريقيا بالدول المصدرة للبترول ، كيف يتطابق وضعكم هنا مع الجغرافيا السياسية للموقف ؟

ج : ان جنوب افريقيا ، بالطبع ، تعتمد مثل اسرائيل على استيراد البترول . وكلاهما يعتمد بشدة على ايران التى تربطها باسرائيل وجنوب أفريقيا علاقات ودية للغاية . وبالاضافة الى ذلك فان جنوب افريقيا احدثت بعض الاتصالات مؤخرا ببعض الدول العربية . وقد ترددت أنباء فى العام الماضى تفيد بان سفير جنوب افريقيا فى لندن قام بزيارة العربية السعودية والكويت وغيرها من الامارات الغنية بالبترول ، وانا اعتقد انه يمكن للمرء أن يتكهن بانه لم يقم بهذه الزيارات لأمور صحية فقط . واذا أخذ المرء فى اعتباره أن جنوب افريقيا تملك الذهب الذى ربما كان أكثر جاذبية بالنسبة للعقلية العربية من العملات الورقية ، فقد تراوده بعض الأفكار التى قد تطابق الصورة القائمة .

س : سيدى السفير ، هل يمكنك أن تعلق على النواحى العسكرية ، ان وجدت ، فى اتفاقيات اسرائيل وجنوب افريقيا ؟

ج : من الواضح ، ان مستر فورستر أثناء زيارته لاسرائيل ـ وكنت معه ـ كان مهتما للغاية بجيشنا وبحريتنا وسلاحنا الجوى ، وقد شاهد عرضا جويا ، ولكنكم تعرفون ان هذه الأمور تعتبر ، من وجهة نظر سياسية،

بمثابة أحد المجالات ذات الجاذبية السياحية مثل الحائط الغربى وجبل صهيون . والمرء يحب أن يستعرض عضلاته العسكرية ولدى جنوب افريقيا خط امداد يمتد نحو فرنسا ، فسلاحها الجوى قائم على أســاس نظام تسليح تزوده به فرنسا . وحتى اذا افترضنا ان اسرائيل مستعدة لتزويد جنوب افريقيا بنظم تسليح ، وهى غير مستعدة لذلك ، فان الفرنسيين يحرصون على الا ينافسهم أحد فى السوق ، وبامكانهم منع الجميـع من دخوله . وليس هناك أى صفقات عسكرية من اى نوع ، وفى الواقع ليس هناك اى اتفاق لقد حدث نوع من المبالغة فى الموضوع . والذى حدث هو انه قرب نهاية الزيارة ، واثناء المحادثات بين الوزراء ، تم تقديم اقتراح باجتماع الوزراء دوريا ، ربما مرة كل عام ، لمناقشـة نواحى التعـاون الاقتصادى والصناعى والعلمى القائمة ، وفى الواقع لدينا اتفاق مماثل مع الولايات المتحدة ، لدينا لجنة وزارية مشتركة يمثل فيها سيمون ، وزير مالية امريكا ، الولايات المتحدة،ويمثل روبينو فيتز ، وزير المالية ، اسرائيل فى اللجنة « وهم يجتمعون من وقت الآخر ، مرة أو مرتين ، واحيانا فى اسرائيل وأحيانا أخرى فى الولايات المتحده ، ولكن هـذا ترتيب لمواجهة أغراض معينة ولمعالجة الأمور الجارية ، وهذا هو ما تم الاتفاق عليه عندما كان وفد جنوب افريقيا موجودا فى اسرائيل اى ان تقيم جهازا لمعـالجة الشئون الاقتصادية والصناعية والعلمية الجارية ، ولكن لم يتم تشكيل هذا الجهاز بعد .

س : سيدى السفير ، ماذا عن الاحتمالات الفعلية بالنسبة لتحسـين العلاقات بين أسرائيل ودول افريقيا السوداء ، كيف يمكنك تقويمها ، وماذا تم بالنسبة لهذه الاحتمالات ؟

ج : حسنا اننا نتلقى بالفعل اشارات من بعض دول افريقيا تفيد بانها تشعر بشىء من الأسف لاستسلامها للارهاب العربى وانها تشعر بأنها اخطأت وأنه اذا عرضت عليها شروط ملائمة وفرص طيبة فانها سترحب باستئناف علاقاتها باسرائيل ، ومن الأمور الشيقة فى نطاق العلاقات بين اسرائيـل وجنوب افريقيا نلحظ عدم وجود أى تناقض فى هذا لان الدول الافريقيـة التى ترسل تلك الاشارات الى اسرائيل حول استعدادها من حيث المبـدا لاستئناف العلاقات مع اسرائيل ، هى نفس الدول التى تجرى حوارا مع جنوب افريقيا ، وانا أشير بوجه خاص الى دول مثل سـاحل العـاج وليبيريا وجمهورية أفريقيا الوسطى وخلافه . وبالاضـافة الى ذلك فان هناك عددا قليلا من الدول المستعدة لاستئناف العلاقات معنا ، ولكن ليس

من الضرورى ان تجرى محادثات مع جنوب افريقيا ، الا ان هذه الدول التى تجرى محادثات مع جنوب افريقيا تصدر ايضا بعض الاصوات نحونا ، وفى الواقع زادت تجارتنا وصادراتنا الى افريقيا السوداء فى عام ١٩٧٤ – وهو العام التالى لقطع العلاقات مع دول افريقيا السوداء – بنسبة ٦٥٪ عن العام السابق . وعلى ذلك فان التجارة مستمرة ولنا تمثيل تجارى فى معظم الدول الافريقية ، بل اننا فى الواقع ممثلون تجاريا فى كل الدول الافريقية باستثناء أوغندا . وما زالت الشركات الاسرائيلية تعمل هناك ، وما زالت اعمالنا فى كثير من النواحى تسير كما كانت من قبل .

(حـ) المعلقون يتأثرون بالفصل العنصرى (٣٦)

اندلعت مظاهرات الاحتجاج المعادية بين الطلبة السود فى جنوب أفريقيا ضد سياسات الفصل العنصرى التى تنتهجها الحكومة بعد شهر واحد من زيارة ١٢ من رؤساء تحرير الصحف اليهودية لجنوب افريقيا . ووفقا لتقارير الأمم المتحدة فان ما يقرب من ١٠٠٠ شخص من المتظاهرين قتلوا بواسطة قوات الأمن فى جنوب أفريقيا أثناء محاولات قمع التمرد .

وقد سخر فينيس ستون ، كاتب المقال الافتتاحى فى صحيفة الجويش ويك التى كان رئيس تحريرها ، فليب هرشتاين ، قد عاد لتوه من رحلة رؤساء التحرير الى جنوب افريقيا سخر من الغضب الدولى ازاء طرق القمع الوحشية التى تم استخدامها ويربو توزيع هذه الصحيفة على ١٠٠ الف نسخة فى الولايات المتحدة .

وقد انتقد ستون فى مقاله الملىء بالافتراءات العنصرية ، الليبراليين الذين يرون « تحرك جنوب افريقيا تدريجيا نحو المساواة » وجادل بأن تحقيق المساواة بين « أغلبية سوداء ساحقة ولكن بدائية » و « والاقلية البيضاء الحاكمة المتقدمة » سوف تؤدى أولا الى طرد البيض ثم الى « سنوات وربما تصل الى عشرات السنين من تبادل المذابح » بين القبائل السوداء المتنافسة فى البلاد .

وكتب ستون يقول ان « مجموعة رؤساء التحرير اليهود الذين زاروا جنوب أفريقيا منذ بضعة أسابيع تأثروا بوجه عام بالمنطق والاخلاص وراء برنامج التنمية المنفصلة « الفصل العنصرى » الذى تطبقه الحكومة .

(د) الدفاع عن اسرائيل بشأن مسألة جنوب افريقيا (٣٧)

نشرت منظمة يهودية أمريكية دراسة تزعم ان العرب ودول افريقيا السوداء تقيم « علاقات تجارية مزدهرة مع جنوب افريقيا ، فى الوقت

الذى تهاجم فيه نفس هذه الدول توسيع نطاق العلاقات الاقتصـــادية بين جنوب افريقيا واسرائيل .

وجاء فى هـــذه الدراســة ، التى أعدتها منظمة « المؤتمر اليهودى الأمريكى » ، انه « بينما ترفع دول افريقيا السوداء صوتها بالهجوم علينا على سياسة جنوب افريقيا العنصرية تعترف سرا بانه لا بد ان تحافظ على تجارتها مع نظام الفصل العنصرى ، اذا أرادت الحفاظ على بقاء ونمو اقتصادياتها . »

وذكر المؤتمر اليهودى الأمريكى ان ١٩ دولة افريقية تتاجر مع جنوب أفريقيا وان كثيرا من هذه الدول ندد بالزيارة الأخيرة التى قام بها رئيس وزراء جنوب افريقيا لاسرائيل والتى أسفرت عن تدعيم الروابط الاسرائيلية الجنوبية الافريقية .

وتعتبر المعاملات التجارية مع حـكومة موزمبيق الاشــتراكية ، أهم معاملات جنوب افريقيا فى القارة . ووفقا للتقدير ، قامت جنوب افريقيا بتوفير ما يقرب من نصف مجمل واردات موزمبيق من الخارج فى العـام المـاضى .

ووفقا لدراسة صادرات جنوب افريقيا الى باقى الدول الافريقية بلغت فى عام ١٩٧٥ ٤٩٣ مليون دولار ، بينما بلغت وارداتها من تلك الدول ٢٦٦ مليون دولار . وبالاضافة الى ذلك ، يزعم التقرير ان السعودية العـربية « قامت بشراء كميات ضخمة من المواد الغذائية من جنوب افريقيا وانها بعثت بوفد الى جوهانسبرج لبحث شراء ما قيمته عدة ملايين من الدولارات من مواد البناء المصنعة مسبقا » .

وصرح الحاخام آرثر هيرتزبيرج ، رئيس المؤتمر اليهودى الأمريكى ، بأنه « كثيرا ما يتم التغاضى عن الخلافات السياسية العميقة فى سبيل البقــاء الاقتصادى . وهذا هو الحال مع أفريقيا السوداء ، وهو الحال أيضا مع اسرائيل » .

وكان بايارد راستين ، زعيم الحقوق المدنيين الذى يرأس لجنة تعرف باسم « الأمريكيون السود المؤيدون لاسرائيل » ، قد بعث برســالة الى هيرتزبيرج ، أعرب فيها عن « أسفه » ازاء العلاقات التجارية النامية بين اسرائيل وجنوب افريقيــا . وأعلن راستين ، بعد قراءته لتقرير المؤتمر اليهودى الأمريكى ، انه عدل « من تفكيره » .

وقال راستين « انني أشعر بالحزن عندما تعمل اسرائيل على توسيع نطاق تجارتها مع جنوب افريقيا . ولكنني أشعر بمزيد من الحزن عندما يفعل الافريقيون ذلك. واني أندد بالنفاق من جانب الافريقيين الذين يهاجمون هذه التجارة فى الوقت الذى يقومون فيه هم أنفسهم بممارستها .

غير ان راستين أضاف يقول « انني لن أكف عن ما فى الشعور بالحزن ازاء قيام أية دولة بالاتجار مع أخرى يجرى فيها اطلاق الرصاص على الأطفال السود . »

(هـ) مراسلات بين راستين وهيرتزبيرج (*) (٢٨) .

ارفقت بالدراسة التى أصدرها المؤتمر اليهودى الأمريكى نسخ من الرسائل المتبادلة بين بايارد راستين ، مدير لجنة الأمريكيين السود المؤيدين لاسرائيل والحاخام آرثر هيرتزبيرج ، رئيس المؤتمر اليهودى الأمريكى . وقد أعرب راستين فى رسائله عن « شعوره بالقلق العميق والانزعاج » لزيارة جون فورستر ، رئيس وزراء جنوب افريقيا ، لاسرائيل فى يوليو الماضى وأعلن راستين انه هو « وجميع أصدقاء اسرائيل فى المجتمع الأسود يشعرون بالأسى » نحو هذه الزيارة .

وأبرز هيرتزبيرج فى رده على الرسالة ان الاسرائيليين المسئولين « ابتداء من رئيس الوزراء رابين الى أقل المناصب » حرصوا على مهاجمة الفصل العنصرى فى المجالات العامة والخاصة وكتب هيرتزبيرج يقول ان رابين رغم ذلك قد استقبل فورستر بالفعل « وقرر الطرفان توسيع نطاق العلاقات التجارية » . وأضاف أنه « ربما نجد الجواب على هذا فى عزلة اسرائيل الفعلية عن العالم وتعرضها للهجوم السياسى والحرب الاقتصادية والغزو العسكرى » .

وأورد — كمثل على ذلك — حقيقة أن السنوات الطويلة التى شهدت علاقات اسرائيل الوثيقة بكثير من الدول الافريقية السوداء وما تقدمه لها من مساعدات قد انتهت عندما قطعت هذه الدول علاقاتها باسرائيل سنة ١٩٧٣ .

« ان نمو العلاقات بين اسرائيل وجنوب افريقيا يدل على تصميم الدولتين على المحافظة على الوضع القائم وعلى جميع المزايا الناجمة عنه ، بغض النظر عن الثمن الباهظ الذى يدفعه سكان البلاد الأصليون . غير ان المقاتلين فى سبيل الحرية فى كلا البلدين ، يعملون فى نطاق رؤيا محدودة ، وهى اقامة دولة ديمقراطية علمانية تحمل فى طياتها الأمل فى الحرية والمساواة للجميع ».

* وكالة التلغراف اليهودية ، النشرة اليومية للانباء ٧ سبتمبر سنة ١٩٧٦ .

(٣٠) الحلول الوطنية « لمشكلة الاستيطان » (٢٩) الاحتمالات والمشاكل *

بقلم : جورج جابور

ربما كان الوقت لا يزال مبكرا للحديث عن الحلول الوطنية للمشاكل المتعلقة بالاستيطان فى جنوب افريقيا ، وروديسيا الجنوبية ، واسرائيل . وهناك فى هذه الدول الثلاث مقاومة من سكان البلاد الأصليين واصرار وتصميم ، وليس هناك أى افتقار الى الشجاعة ، ومع ذلك لا يبدو ان السكان الأصليين سيتولون ناصية الأمور فى المستقبل القريب . وعلى الرغم من اصرار السكان الأصليين على استعادة حقوقهم ، فانهم يعترفون صراحة بأن صراعهم سيكون طويلا ، وتعترضه المصاعب والعقبات . وفى هذه المرحلة من النضال ضد المستوطنين الاستعماريين ، لا يجد الأهالى انفسم فى وضع يمكنهم من وضع برامج عمل مستفيضة ومفصلة . ومع ذلك يملكون الخطوط العريضة لما يودون تحقيقه .

ومن المعروف لدى الجميع أن هذه الخطوط العريضة تتمثل فى اصرارهم على التحرر من العنصرية والتفرقة على أساس الجنس أو العقيدة ، وما يلفت النظر ويستحق الثناء أن السكان الأصليين فى جنوب افريقيا وروديسيا الجنوبية واسرائيل - يصرون ، بالرغم من أن لديهم الحق الكامل فى كراهية المستوطنين ، على انهم مستعدون لمعايشة المستوطنين على أساس المساواة للجميع . وشرطهم الوحيد لهذا هو ازالة الأساس العنصرى الذى تقوم عليه جميع المؤسسات الخاصة بالمستوطنين . وهذا يعتبر بالنسبة لكثير من المستوطنين بمثابة الدمار الفعلى لأنهم اعتادوا على التفكير فى أن وجودهم مستحيل بدون التمتع بالمزايا والتفوق . ولكن يجب توضيح انه ليست هناك أى حركة وطنية ، سواء فى جنوب افريقيا أو فلسطين ، تنادى بالابادة أو بالطرد الجماعى بالقوة للمستوطنين وبدون تمييز . فان الأمر الذى يعارضه الوطنيون ليس وجود المستعمرين بصفتهم هذه . فهم لا يناهضون المستوطنين على أساس لونهم أو بشرتهم أو معتقداتهم الدينية بل انهم يناهضون التفوق الذى يستمتع به المستوطنون ، والتمييز الذى يمارسونه والأساليب التى ينهجونها . وحقيقة أن معظم المستوطنين يوافقون على السياسة العنصرية التى يتبعها زعماؤهم ضد الوطنيين لا يشوش على ايمان الوطنيين الواضح بأنه اذا كانوا هم ضحايا التفرقة العنصرية فانه لا يتعين عليهم أن يمارسوها ضد مضطهديهم . وعلى ذلك فان تأكيد

---

* الاستيطان الاستعمارى فى جنوب افريقياواسرائيل (بيروت : مركز ابحاث منظمة التحرير الفلسطينية سنة ١٩٧٠)

المساواة فى الحقوق بالنسبة لجميع الديانات والجنسيات هو أهم ما يميز الخطوط العريضة لرؤيا الوطنيين بالنسبة للمستقبل .

وتزخر وثائق حركات التحرير الوطنية بمادة كافية توضح هذا التركيز على المساواة . ففى جنوب افريقيا ما زال ميثاق الحرية الذى تمت الموافقة عليه فى ٢٦ يونيو سنة ١٩٥٥ ، هو الوثيقة الرئيسية التى توجه أعمال المؤتمر الافريقى الوطنى ، وتعتبر بمثابة الخط العريض الذى يحدد المستقبل وميثاق الحرية واضح وصريح تماما من تأكيده للمساواة . ويبدأ الميثاق بالكلمات التالية :

« نحن شعب جنوب افريقية نعلن أمام بلادنا كلها وأمام العالم أجمع .. »

ومن الملاحظ أن الاعلان صدر نيابة عن شعب جنوب افريقيا كله وليس نيابة عن الوطنيين وحدهم . وتتضح هذه الحقيقة بدرجة أكبر فى الفقرة التالية من الديباجة » .

ان جنوب افريقيا ملك لكل من يعيش فيها . سودا كانوا أم بيضا ، ولا يمكن لاية حكومة ان تتولى السلطة بحق ما لم تقم على أساس ارادة جميع أفراد الشعب ... »

وبذلك فمن الواضح أن المؤتمر الوطنى الافريقى يسلم تماما بحق المستوطنين فى البقاء ، كما يسلم تماما بأن جنوب أفريقيا تعتبر وطنهم كما أنها وطن للافريقيين والملونين ، ولكن يجب ضمان حق اكتساب الجنسية بالميلاد بالنسبة للجميع ويعلن ميثاق الحرية فى هذا الصدد :

« ان الدولة الديمقراطية وحدها ، التى تقوم على أساس الارادة الجماعية للشعب ــ تستطيع أن تضمن للجميع حق اكتساب الجنسية بالمولد بدون تمييز من حيث اللون أو الأصل أو الجنس أو العقيدة » .

« ثم يعلن الميثاق بناء على هذه الفقرات الاستهلالية ــ وغيرها ــ « اننا نحن شعب جنوب افريقيا السود والبيض معا ــ كمواطنين متساوين وكأخوة ــ نقر ميثاق الحرية هذا ... » .

ويستطرد ميثاق الحرية ليؤكد فى الفقرات العملية التركيز المستمر على فكرة المساواة ، أن حقوق الجميع تتساوى بصرف النظر عن الأصل أو اللون أو الجنس و « ستتمتع كل المجموعات الوطنية والجنسيات المختلفة بالمكانة المتساوية امام هيئات الدولة والمحاكم وفى المدارس » ، « ان جميع المجموعات الوطنية ستتمتع بحماية القانون ضد الاهانات التى مبعثها الجنس والكبرياء الوطنى » ، « ان المناداة بالتميز والازدراء على اساس القومية أو الجنس او اللون أو ممارسة مثل هذا التمييز أو الازدراء سيعتبر جريمة يعاقب عليها القانون » ، « سيتمتع الجميع حيثما يشاءون بالمساواة

من الحقوق فى مجال التجارة والصناعة فى اى مجال وحق ممارسة اى حرفة او مهنة ، الخ ، الخ » ...

هذا ولم تضع منظمة التحرير الفلسطينية مخططا للمستقبل الخاص بفلسطين المحررة . بيد انه من الواضح ان منظمة فتح ، وهى اعرق واقوى منظمات التحرير ، تتبنى وجهة النظر التى لا تهدف الى طرد اليهود بل الى طرد اليهود بل الى اقامة دولة فلسطينية ديمقراطية حرة يعيش فيها اليهود والمسيحيون والمسلمون جنبا الى جنب متمتعين بحقوق متساوية ومضمونة بالنسبة للجميع بصرف النظر عن الأصل او العقيدة . ومن المهم هنا ان نلاحظ تمييز منظمة فتح – وغيرها من منظمات المقاومة – بين اليهودية والصهيونية وهم ينظرون الى اليهودية ، مثل كثير من اليهود غير الصهاينة، على انها عقيدة دينية لا علاقة لها بالصهيونية التى تعتبر حركة سياسة امبريالية . وهى تقيم موقفها من هذه المسألة على اساس المنشورات اليهودية التى تناهض الصهيونية . وعلى ذلك فمن اهداف فتح – وحركات المقاومة الاخرى – تحرير الشخص اليهودى من الصهيونية وهو نفس الهدف الذى تسعى لتحقيقه كثير من المنظمات مثل المجلس الأمريكى لليهودية الذى تم تشكيله بناء على برنامج بلتيمور ، ومثل المنظمات التى يشكلها الآن الحاخام المربيرجر تحت اسم مؤقت وهو « الحل اليهودى البديل للصهيونية » . ويجب الاشارة فى هذا الصدد الى ان منظمة فتح نشرت فى مارس سنة ١٩٦٩ ، نداء موجها الى يهود العالم تحثهم فيه على تشكيل جبهة مناهضة للصهيونية .

وسيؤدى قيام دولة فلسطينية علمانية ، كما تتصورها حركات المقاومة الى معاملة جميع المواطنين بها على قدم المساواة بصرف النظر عن الاصل أو اللون او العقيدة . وقد اعلن متحدث باسم منظمة التحرير الفلسطينية «واننا لا ننوى انفاءهم (أى المستوطنين) فى الخارج مثلما طردونا من قبل» واكد أن المستوطنين يستطيعون أن يظلوا من دولة فلسطين الديمقراطية العلمانية بعد تحريرها : « والشرط الوحيد هو ان يقبلوا التعايش كمواطنين مسالمين » .

وتعنى مسألة اقامة دولة على اساس المساواة للجميع انه يجب تغيير جميع المؤسسات فى الدولة التى تقوم على اساس التفرقة العنصرية . ويعلن ميثاق الحرية فى جنوب افريقيا مثلا ان « جميع قوانين واسس الفصل العنصرى سيتم الغاؤها ، » ستلغى القيود المفروضة على ملكية الاراضى على اساس عنصرى ، ويتم تقسيم الأرض بين الذين يفلحونها ، من أجل القضاء على المجاعة والتعطش للارض » « لن يحرم الافراد من ماشيتهم

وسيتم الغاء السخرة والسجون الزراعية » ، « سيتم الغاء جميع القوانين التى تؤدى الى التمييز على اساس الجنس أو اللون او العقيدة .. » الخ .

ولا بد وأن يؤدى منح المساواة للجميع الى وضع هيكل جديد للدولة بدلا من ذلك القائم على التمييز العنصرى . ففى جنوب روديسيا مثــلا يصر الوطنيون على ان قيام حكم ديمقراطى لابد ان يعنى التخلى عن قانون توزيع الأراضى لسنة ١٩٧٠ وكذلك الغاء جميع القوانين الاخرى التى تقـوم على أساس التمييز العنصرى كما يعنى اعادة تشكيل هيكل مؤسسات الدولة . ويقول ZAPU فى تعليقاته على المقترحات « الجـريئة » : ان البــوليس والجيش والادارة الحكومية والتشريعات كلها مشكلة بأسلوب يســاعد على اضطهاد واستغلال الشعب الافريقى . ويجب حلها كلها واعادة بنائها حتى تخدم العدالة والحرية . ثم يجب تطهير الدستور من جميع القوانين التابعة من العنصرية وتعديل الاقتصاد من أجل مصلحة شعب البلاد بأسره وليس من اجل مصلحة فئة قليلة فقط » .

وفى ظل دولة علمانية فلسطينية ، ينبغى القضاء على الصهيونية وتميزها وعنصريتها . وكما يقول ميشيل هادسون « القضاء على صهونية الشــعب اليهودى لا بد أن يتضمن اساسا اعلان تخليه عن هدفه الخاص بأن تصــبح فلسطين يهودية تماما كما تعتبر انجلترا انجليزية » . وهذا يعنى الغــاء قانون العودة ، الذى ينص على انه يمكن لليهود فى جميع انحاء العالم التمتع تلقائيا بالجنسيةالاسرائيلية . كما يعنى انه لا بد منالتخلى عن الرموزالعميقة الجذور للدولة اليهودية ـ اى العلم واسم اسرائيل . ويصبح من الضرورى اعادة تنظيم الأحزاب الاسرائيلية السياسية والمؤسسات شبه الحــكومية بصورة جذرية ويؤكد الفلسطينيون ان هذا لن يعنى اى تعد على ممارســة اليهود من جميع المذاهب شئونهم الدينية التى يتمتعون بها الآن فى اسرائيل.

ومن ثم فان التركيز على المساواة يعتبر ابرز النواحى من الحلول التى يفكر فيها الوطنيون لمشكلة المستوطنين . وينبغى ان نقول هنا مرة اخــرى ان المساواة تستدعى اجراء تغييرات اساسية فى المؤسسات الحكوميةالقائمة وان تحل محلها مؤسساتديمقراطية جديدة تكون ذات طبيعة غير عنصرية. وهناك مظهر مميز آخر بالحلول التى يتصورها الوطنيون لمشكلة المستوطنين فانه ليس هناك اى تلميح يفيد بأن الوطنيين سيجبرون المستوطنين عــلى مغادرة البلاد . وهذه علامة بارزة هامة جدا ، لا لطبيعتها الانســانية ولا لانها تدل على ايماءة نبيلة من جانب الوطنيين نحو المستوطنين الذين طالمــا اضطهدوا الوطنيين بطرق شتى وعاملوهم بطريقة غير انسانية ، فحسب ،

بل لأنها تتضمن ايضا اهمية عملية . وهذه النقطة الهامة انما تعتبر فى واقع الأمر بمثابة نداء موجه الى المستوطنين المتنورين ، والى المستوطنين الذين يلمسون ويتفهمون ويقدرون الروح المعاصرة المناهضة للعنصرية ، وموجه الى أولئك المستوطنين الذين يتعاطفون مع سعى الوطنيين نحو تحقيق المساواة واستعادة الحقوق ـ وهو فى النهاية نداء موجه الى كل هؤلاء ليقفوا الى جانب العدالة والحرية .

ومن الحقائق المعروفة ان الاتجاه العام للمجتمعات الاستيطانية يعتبر اتجاها رجعيا ، وربما يعتبر واحدا من اكثر الاتجاهات رجعية فى العالم . وهذا ينطبق بوجه خاص على زعماء المستوطنين والشخصيات البارزة بينهم فى المجالات الاقتصادية والمالية . غير أن هذا الاتجاه الرجعى العام للمجتمعات الاستيطانية يجب الا يستبعد ، او يؤدى الى التحامل على حقيقة بعض المستوطنين مستعدون لتفهم وجهة نظر الوطنيين ، اما لأنهم يتعرضون هم انفسهم للاضطهاد (مثل كثير من اليهود الشرقيين فى اسرائيل) او لأنهم يعارضون من وجهة نظر اخلاقية او دينية او انسانية التمييز العنصرى الذى يقوم على اساس الاصل او العقيدة .

ويعتبر مثل هؤلاء الأشخاص بالطبع حلفاء محتملين بل حلفاء فعليين احيانا للعناصر الوطنية . وهم لا يخشون شيئا من انتصار الوطنيين فى النهاية على الحكومات الاستيطانية . بل على العكس فان الفرص متاحة لان يكسبوا من الاقامة فى دولة ديمقراطية . ولا يبدو ان دورهم هام من الناحية العملية حتى الآن ، ولكن عندما تزيد احتمالات انتصار الوطنيين فى النهاية ، ستزداد هذه القطاعات من المستوطنين جراة واستعدادا لاعلان رايها صراحة بل حتى للعمل بأسلوب يتفق مع الاستراتيجية الوطنية . وبذلك تعتبر وجهة نظر الوطنيين الخاصة بعدم اجبار المستوطنين على مغادرة الوطن بعد ان يتم تحريره وتطبيق الحياة الديمقراطية فيه ، تعتبر ذات اهمية كبرى من وجهة نظر انسانية وعملية كذلك . وهذا يثير مسألة أخرى : وهى مسألة من هم اولئك المستوطنون الذين سيرغبون فى ترك البلاد وما هو السبب فى ذلك ؟ .

واكبر احتمال هو انه بعد انتصار الوطنيين فى النهاية ، سيجد المستوطنون الذين يؤمنون تماما بسلامة وصحة العنصرية ، والذين يخشون « الاندماج » لانه لا يضمن لهم التفوق والامتياز ، والذين يوجدون فى اراض ليست ملكا لهم بل مجرد استغلالها ـ ان كل هؤلاء المستوطنين سيجدون انه من غير المحتمل بالنسبة لهم ان يعيشوا فى دولة ديمقراطية تسيطر عليها العناصر الوطنية بالمشاركة مع حلفائها .

وهنا عامل آخر فى هذه المشكلة . فان تحرير الأراضى الوطنية لن يتم بأسلوب سلمى : فان المستوطنين سيقاومون هذا الأمر كما سيقاومون حلفاءهم الاستعماريين وعلى اكبر احتمال سيقاومه أيضا المرتزقة من أمثال أولئك الذين ساندوا تشومبى فى كاتنجا . ومن المؤكد ان المستوطنين سيقاتلون مثل الوحوش ، وسيكشفون عن كراهيتم للوطنيين بكافة الطرق غير الانسانية الممكنة . ويقدم لنا المستوطنون فى الجزائر فى حربهم ضد العناصر الوطنية ، خاصة عندما اصبح من الواضح ان فرنسا بدات ترضخ للمطالب الوطنية ، مثالا حيا على ما قد يحدث فى جنوب افريقيا وروديسيا الجنوبية واسرائيل . ويقدم المستوطنون الفرنسيون ومنظمة جيشهم السرى مثلا حيا عن الفظائع التى قد يرتكبها المستوطنون ضد الأهالى ، ويعتبر دليلا على أن المستوطنين اليائسين والمسلحين ، يستطيعون العمل بوحشية ضد الاهالى ، وبأسلوب يشبه تصرفات المغامرين فى المناطق الموحشة واثبتت منظمة الجيش السرى بصورة لا تدع مجالا للشك ، انه يوجد فى قلب المستوطنين الاوربيين المتدينين الذين يفدون الى أراض غير أوربية من اجل نشر المدنية بها ، نوع من البدائية الوحشية التى من المؤكد انها لا تجد لها نظيرا بين الشعوب البدائية التى جاءوا لتطويرها .

واصبح من غير المعقول الآن ان يشكل المستوطنون من امثال مرتكبى جرائم « منظمة الجيش السرى » فى الجزائر ، العناصر الرفيعة داخل مجموعة تساهم فى اقامة دولة ديمقراطية او ترضى بالالتزامات التى تفرضها الحياة داخل مثل هذه الدولة . وعلى ذلك لا بد ان يكون هناك بعض المستوطنين الذين سيرغبون فى الرحيل او الذين لابد انيدفعوا ثمن جرائمهم وقد يكون عدد هؤلاء كبيرا او قليلا ، ويتوقف هذا على رد الفعل من النضال الوطنى مستقبلا . وكان المستوطنون الفرنسيون فى الجزائر يصرون دائما على انهم جزائريون تماما مثل اى جزائرى مولود بالجزائر ، وكانوا يصرون على انه ليس لهم مكان آخر يلجئون اليه . فهل سيؤدى اكتشاف عدد كبير من المستوطنين فى جنوب افريقيا وروديسيا الجنوبية واسرائيل ان عليهم ان يرحلوا الى خلق مشكلة انسانية ان بعض سكان جنوب افريقيا من أصل هولندى ويعيشون هناك منذ قرنين ونصف من الزمان ، بينما يعيش بعض المستوطنين فى روديسيا الجنوبية واسرائيل منذ جيلين او اكثر . ماذا يكون مصير امثال هؤلاء الأفراد ؟ هل سيجدون مكانا يلجئون اليه ؟

يستدعى الأمر التأكيد المرة تلو الأخرى بأنهم غير مضطرين للرحيل ، فهم غير مضطرين لمغادرة جنوب افريقيا وروديسيا الجنوبية واسرائيل اذا كانوا

يستطيعون تأكيد التزامهم بمبادىء العدالة والحرية والديمقراطية وهم يستطيعون أن يساهموا ايجابيا فى سبيل اقامة دولة علمانية ديمقراطية فى جنوب افريقيا وكذلك فى روديسيا الجنوبية واسرائيل . والا فسيضطر الذين يرفضون التعايش سلميا مع الأهالى على اساس من المساواة ، الى البحث عن مكان آخر يعيشون فيه وجاء فى « تاريخ » جنوب افريقيا الذى كتبه كيپيل ـ جونز فى سنة ١٩٤٧ ، أن كثيرا من البوير (سكان جنوب افريقيا من اصل هولندى) قد يجدون انه من الملائم ان يقيموا فى امريكا اللاتينية واستراليا . ويفكر كثير من المستوطنين فى روديسيا الجنوبية فى انفسهم على انهم بريطانيون ، ولهم أقارب فى بريطانيا ، ويمضون أجازاتهم هناك ويعود كثير منهم الى بريطانيا عندما يتقاعدون . وكثير منهم قدموا من بريطانيا الى روديسيا الجنوبية على امل تكوين ثروة هناك والعودة الى بلادهم كأثرياء . ويحتفظ كثير من المستوطنين فى اسرائيل ـ جميع الاسرائيليين المهاجرين من دول غربية تقريبا ـ بجنسيتهم الاصلية ويحتفظون بجوازات سفرهم « الأجنبية » ويقومون بتجديدها بانتظام ويحتفظون بعلاقاتهم مع بلدهم الاصلى بل انهم يحتفظون هناك احيانا ببعض الاعضاء ذوى القربى من اسرهم . وتعتبر فترة وجودهم فى اسرائيل شبيهة برحلة يقوم بها احد المغامرين الذين يسافرون فى رحلة صيد ولكنه يكون مستعدا دائما للاحتفاظ بولائه القديم لبلده الأصلى . وهؤلاء المغامرون الذين يعرفون أن ديارهم توجد فى مكان آخر هم أكثر الشخصيات التى يحتمل ان تقاوم الوطنيين لأنهم لا يستطيعون ابدا ان يتصوروا امكان معايشتهم للاهالى على اساس من المساواة . ولا يشكل رحيل هذه العناصر اى مشكل حيث انهم يعرفون تماما ان ديارهم توجد فى مكان آخر .

وانه لمن السابق لأوانه ، بالطبع ، ان نناقش حاليا بالتفصيل مستقبل المستوطنين الأوربيين بعد أن يتم الاطاحة بمؤسساتهم الحاكمة والقضاء على الامتيازات التى يتمتعون بها . ومن غير المعقول ان يحتفظ المستوطنون بمكانتهم المميزة الحالية . وليس من المعقول الا يتم القضاء على استعمار المستوطنين فى جنوب افريقيا ورديسيا الجنوبية واسرائيل وتؤكد الدروس المستفادة من التاريخ الحديث للوطنيين انهم محقون فى اعتقادهم بأنهم سيخرجون منتصرين فى نهاية الأمر . وابرز هذه الدروس هو الدرس المستفاد من الجزائر ، حيث كانت جذور المستوطنين ثابتة فى تلك البلاد بشكل أعمق ولمدة اطول مما هى عليه بالنسبة للمستوينين فى روديسيا الجنوبية او فلسطين . وكان عددهم كبيرا ولم يكن من المشكوك فيه على الأطلاق انهم سيواصلون الاحتفاظ بمكانتهم المميزة فى الجزائر . الا انهم

واجهوا معارضـــة قوية ، ليست من جانب الثوار الوطنيين ــ الأهالى الجزائريين ــ فحسب بل ايضا من جانب روح العالم المعـــاصر الذى كان ينظر اليهم دائما على انهم دخلاء ومغتصبون واجانب لا ينسجمون معالبيئة التى حولهم وحقيقة ان معظمهم رحل عن الجزائر بعد استقلالها ليس دليلا على اى سوء فيه من جانب الجزائريين نحوهم ولا دليل على عدم وجـود استعداد لمعاملتهم على اساس من المساواة . بل ان رحيلهم يعتبر دليلا على قصر نظرهم ورفضهم التأقلم مع الظروف المتغيرة وتصميهم على الاحتفـاظ بمكانتهم المميزة والمتفوقة فى الجزائر ــ اما هذا او الرحيل ، عن الجـزائر الديمقراطية . ولابد ان تتعمق المجموعات الباقية من المستوطنين فى افريقيا والشرق الاوسط فى حفظ الدرس المستفاد من وضع المستوطنينالفرنسيين فى الجزائر ــ وقد كانوا اكبر مجتمع منفرد امكن القضـــــاء عليه ــ لأى مستوطنين اوربيين فى بلد غير اوربى . ويجب ايضا ان يدرس المستوطنون الذين يريدون البقاء حيث هم والذين يرغبون فى التعاون مع الاهالى مناجل انشاء مؤسسات ديمقراطية حقيقية فى جنوب افريقيا وروديسيا الجنوبية وفلسطين ــ يجب ان يدرس هؤلاء الاساليب الرجعية لزعامة المستوطنين فى الجزائر وأساليب تعويق البرلمـان والفظائع التى ارتكبتها منظمة الجيش السرى . بأن مثل هذه الدراسة تستطيع أن تكشف لهم كيف يمكنهم تجنب المساهمة فى تدهور الموقف وتستطيع ان تقنعهم بدرجة اكبر بضرورة بنـاء الجسور واحترام الوطنيين وبالحاجة الى قبولهم للتعايش معهم على اساس من المســاواة .

وتعتبر الدروس المستفادة من التاريخ المعاصر واضحة : فانه لا يوجد مكان فى هذه المرحلة من التاريخ ، للمستوطنين اصحاب الامتيازات . وانه لابد من ازالة الجيوب الباقية للاستعمار الاستيطانى وذلك تمشـيا مـع نمط الحياة المعاصرة ولم يعد هناك وجود للمكانة الممتازة التى كان يتمتـع بها المستوطنون فى شمال افريقيا وكثير من انحاء شرق ووسط افريقيـا . وقد رحل كثير من المستوطنين الأوربيين عن افريقيا فى الستينات ، ولـكن ما يقول البروفيسور فريدج بيرك فان « الأغلبية العظمى من الأوربيين الذين فضلوا ان يبقوا فى شرق ووسط افريقيا هم اولئك الذين اصبحوا يعرفون ويتفهمون ويحترمون اخوانهم من المواطنين السود » .

وفى الختام يمكن القول بأن حلول الوطنية لمشكلة المستوطنين تقوم على اساس بعض المبادىء البسيطة مثل مبادىء المساواة والديمقراطية للجميـع وضرورة اقامة مؤسسات جديدة لتحل محل المؤسسات القائمة التى تقـوم على اساس التمييز سواء كان ذلك ضمنيا أو علنيا ويستطيع المستوطنون

الذين يدركون مساوىء الأوضاع العنصرية غير العادلة الحاليـة ، والذين يستطيعون أن يتعاونوا مع الوطنيين فى بناء مجتمعات ديمقراطيـة ودول خالية من التمييز على اساس اللون او الجنس او العقيدة او الأصل ، ان يلعبوا دورا عظيما فى تخفيف عملية نقل السلطة من المستوطنين الى الوطنيين وفى تخفيف آثار الفترة الانتقالية على انفسهم وعلى غيرهم من المستوطنين. حقيقة ان هذا الدور يعد صعبا للغاية ولكنه يعتبر لنفس هذا السبب دورا ضروريا جـدا .

* * *

القسم الثانى

ردود الفعل على مستوى الامم المتحدة والمسـتوى الدولى

(١) الموقف فى جنوب افريقيا نتيجة لسياسات الفصل العنصرى

قرار الجمعية العامة رقم ٣١٥١ (د ــ ٢٨) الصادر فى ١٤ ديسـمبر سنة ١٩٧٣ ان الجمعية العامة :

اذ تعيد الى الأذهان قراراتها الخاصة بسياسات الفصل العنصـرى لحكومة جنوب افريقيا قرارات مجلس الامن الخاصة بالموضوع .

٤ ــ تندد بتصرفات تلك الدول والشركات التى تواصل تزويد حكومة جنوب افريقيا بالمعدات والامدادات العسكرية ، وتقدم المساعدة للصناعات المحلية لتلك المعدات والامدادات او اى شكل آخر من أشـكال التعـاون العسكرى وهو ما يعد انتهاكا لقرارات الجمعية العامة ومجلس الامن .

٥ ــ وتندد بوجه خاص بالتحالف المشين بين الاسـتعمار البرتغالى والعنصرية فى جنوب افريقيا وبين الامبريالية الصهيونية والاسرائيلية .

(٢) الموقف فى جنوب افريقيا

قرار الجمعية العامة رقم ٣٣٢٤ (د ــ ٢٩) هـ الصادر فى ١٦ ديسمبر سنة ١٩٧٤ ان الجمعية العامة :

اذ قامت بالنظر فى تقارير اللجنة الخاصة بالفصل العنصرى ، واذ تعيد الى الأذهان قراراتها بشأن سياسات الفصل العنصرى التى تمارسها حكومة جنوب افريقيا وقراراتها خلال الدورة الحالية بشأن تمثيل جنوب افريقيا.

٥ ــ تندد بتدعيم العلاقات السياسية والاقتصادية والعسكرية وغيرها من العلاقات بين اسرائيل وجنوب افريقيا .

(٣) العلاقة بين الامم المتحدة وجنوب افريقيا

قرار الجمعية العامة رقم ٣٢٠٧ (د ـ ٢٩) الصادر فى ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٧٤ ان الجمعية العامة :

اذ تعيد الى الأذهان قراراتها ٢٦٣٦ أ (د ـ ٢٥) الصادر فى ١٣ نوفمبر سنة ١٩٧٠ ، ٢٨٦٢ (د ـ ٢٦) الصادر فى ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٧١ ، ٢٩٤٨ (د ـ ٢٧) الصادر فى ٨ ديسمبر سنة ١٩٧٢ وقرارها الصادر فى ٥ اكتوبر سنة ١٩٧٣ ، الذى قررت بموجبه رفض اوراق اعتماد جنوب افريقيا .

واذ تعيد الى الأذهان أن جنوب أفريقيا لم تكترث بأى من القرارات المذكورة فيما سبق واستمرت فى انتهاج سياستها القائمة على الفصل العنصرى والتمييز العنصرى عند الأغلبية العظمى لشعب جنوب افريقيا .

واذ تؤكد من جديد ان سياسة الفصل العنصرى والتمييز العنصرى لحكومة جنوب افريقيا تعتبر انتهاكا صارخا للمبادىء الواردة فى ميثاق الامن والاعلان العالمى لحقوق الانسان .

واذ تشير الى رفض جنوب افريقيا المستمر التخلى عن سياستها القائمة على الفصل العنصرى والتمييز العنصرى تنفيذا للقرارات الخاصة بهذا الموضوع وقرارات الجمعية العامة ، تدعو مجلس الامن الى اعادة النظر فى العلاقة بين الأمم المتحدة وجنوب افريقيا فى ضوء الانتهاك المستمر من جانب جنوب افريقيا لمبادىء الميثاق والاعلان العالمى لحقوق الانسان .

الدولة المؤيدة

أفغانستان ، ألبانيا ، الجزائر ، الارجنتين ، استراليا ، النمسا ، جزر البهاما ، البحرين ، بنجلاديش ، بربادوس ، بلجيكا ، بوتان ، بوليفيا ، بوتسوانا ، البرازيل ، بلغاريا ، بورما ، بوروندى ، بلبيلوروسيا ، كندا جمهورية أفريقيا اوسطى ، تشاد ، تشيلى ، الصين ، كواومبيا الكونجو ، كوستاريكا ، قبرص تشيكوسلوفاكيا ، كوبا ، داهومى ، اليمن الديمقراطية ، الدنمارك ، الدوميسيكان ، اكوادور ، مصر السلفادور ، أثيوبيا ، فيجى ، فنلندا ، جابون ، جابيا ، المانيا الديمقراطية ، المانيا الاتحادية ، غانا ، اليونان ، جرينادا ، جواتيجالا ، غينيا ، غينيا بيساو ، غيانا ، هايتى ، هندراوس ، المجر ، اسلندا ، الهند ، أندونيسيا ، العراق ، ايرلندا ، ايطاليا ، ساحل العج ، جمايكا ، اليابان ، الأردن ، كينيا ، جمهورية خيمر ، الكويت ، لاوس ، لبنان ، ليسوتو ، ليبيريا ، ليبيا ، لوكسمبرج ، مدغشقر ،

ماليزيا ، مالى ، مالطة ،موريتانيا ، المكسيك ، مونغوليا ، المغرب ، نيبال، ، هولندا ، نيوزيلاندا ، النيجر ، نيجيريا ، النرويج ، عمان ، باكستان ، بنما ، بيرو ، الفلبين ، بولندا ، البرتغال ، قطر ، روندا ، السعودية ، السنغال ، سيرالون ، سنغافورا ، الصومال ، سرى لانكا ، السودان ، السويد ، سوريا ، تايلاند ، توجو ، ترينداد ، وتوباجو ، تونس ، تركيا ، أوغندا ، اوكرانيا ، الاتحاد السوفيتى ، الامارات العربية المتحدة ، جمهورية الكاميرون المتحدة ، جمهورية تانزانيا المتحدة ، فولتا العليا ، اورجواى ، فنزويلا ، اليمن ، يوغوسلافيا ، زائير ، زامبيا .

الدول التى امتنعت عن التصويب

فرنسا ، ايران ، اسرائيل ، ملاوى ، نيكارجوا ، برجواى ، اسبانيا ، المملكة المتحدة ، الولايات المتحدة .

الدول المعارضة

جنوب افريقيا .

(٤) مناقشة الجمعية العامة لوضع جنوب افريقيا وضع وفد جنوب افريقيا فى الدورة التاسعة والعشرين للجمعية العامة

أبدت الجمعية العامة فى جلستها العامة ٢٢٨١ المنعقدة فى ٢١ نوفمبر سنة ١٩٧٤ بموافقة ٩١ صوتا ، مقابل ٢٢ صوتا وامتناع ١٩ عن التصويت، القرار التالى الذى اعلنه رئيسها : « بناء على تمسك الجمعية العامة برفض قبول أوراق اعتماد وفد جنوب أفريقيا ما يمكن الاستدلال قانونا بأن الجمعية العامة سترفض بالمثل اوراق اعتماد اى وفد آخر مفوض من قبل حكومة جمهورية جنوب افريقيا لتمثيلها ، الأمر الذى يعنى القول صراحة بأن الجمعية العامة ترفض السماح لوفد جنوب أفريقيا بالاشتراك فى اعمالها »

الدول المؤيدة

افغانستان ، البانيا ، الجزائر ، الارجنتين ، البحرين ، بنجلاديش ، بربادوس ، بوتان ، بوتسوانا ، بلغاريا ، بورما ، بوروندى ، بيلورسيا ، جمهورية افريقيا الوسطى ، تشاد ، الصين ، الكونجو ، كوبا ، قبرص ، تشيكوسلوفاكيا ، داهومى ، اليمن الديمقراطية ، مصر ، غينياالاستوائية ، اثيوبيا ، جابون ، جامبيا ، المانيا الديمقراطية ، غانا ، جرينادا ، غينيا

بيساو ، غيانا ، هايتى ، المجر ، الهند ، أندونيسيا ، العراق ، ساحل العاج ، جمايكا ، الأردن ، كينيا ، جمهورية خيمر ، الكويت ، لاوس ، لبنان، ليبيريا ، ليبيا ، مدغشقر ، ماليزيا ، مالى ، مالطة ، موريتانيا ، مونجوليا، المغرب ، نيبال ، النيجر ، نيجيريا ، عمان ، باكستان ، بنما ، بيرو ، الفلبين، بولندا ، قطر ، رومانيا ، رواندا ، السنغال ، سيراليون ، سنغافورة ، الصومال ، سرى لانكا ، السودان ، سوزيلاندا ، الجمهورية العربية السورية، تايلاند ، توجو ، ترينداد وتوباجو ، تونس ، اوغندا ، اوكرانيا ، الاتحاد السوفيتى ، الامارات المتحدة ، جمهورية الكاميرون المتحدة ، جمهورية تنزانيا المتحدة ، فولتا العليا ، اليمن ، يوجوسلافيا ، زائير ، زامبيا .

الدول التى امتنعت عن التصويت

بوليفيا ، البرازيل ، شيلى ، كولومبيا ، الدومينيكان ، اكوادور ، فيجى ، اليونان جواتيمالا ، ايران ، اليابان ، ليسوتو ، مالاوى ، المكسيك، براجواى ، البرتغال ، أسبانيا ، تركيا ، فينزويلا .

الدول المعارضة

استراليا ، النمسا ، بلجيكا ، كوستاريكا ، الدانمرك ، السلفادور ، فنلندا ، فرنسا ، المانيا الاتحادية ، ايسلندا ، ايرلندا ، اسرائيل ، ايطاليا، لوكسمبرج ، هولندا ، نيوزيلندا ، نيكاراجوا ، النرويج ، السويد ، المملكة المتحدة ، الولايات المتحدة .

(٥) القرار الخاص بمسالة فلسطين

القرار ٧٧ (د – ١٢) الصادر عن اجتماع رؤساء دول وحكومات منظمة الوحدة الافريقية فى غسطس سنة ١٩٧٥ .

ان مجلس رؤساء دول وحكومات منظمة الوحدة الافريقية فى الدورة العادية الثانية عشرة المنعقد من ٢٨ يوليو الى اول اغسطس سنة ١٩٧٥ فى كامبالا بأوغنده .

وقد اخذ بعين الاعتبار ان الحكم العنصرى فى فلسطين المحتلة والحكومات العنصرية من زيمبابوى وجنوب افريقيا ذو اصل امبريالى مشترك يشكل كلا لا يتجزأ ويقوم على نفس الهيكل العنصرى ومترابط عضويا فى سياسته التى تستهدف القضاء على كرامة الانسان وسلامته ..

(٦) القضاء على جميع اشكال التمييز العنصرى

قرار الجمعية العامة ٣٣٧٩ (د ــ ٣٠) الصادر فى ١٠ نوفمبر سنة ١٩٧٥ ان الجمعية العامة :

اذ تعيد الى الأذهان قرارها ١٩٠٤ (د ــ ١٨) الصادر فى ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٦٣ الذى يتضمن « اعلان الأمم المتحدة الخاص بالقضاء على جميع اشكال التمييز العنصرى » ، وخاصة تأكيدها ان « اى مذهب ينص على التمييز العنصرى او التفوق العنصرى يعتبر غير سليم علميا ، ويستحق اللوم معنويا ، وهو غير عادل وخطير اجتماعيا واعرابها عن الانزعاج ازاء « مظاهر التفرقة العنصرية التى ما زالت واضحة فى بعض انحاء العالم ، والتى تفرضها بعض الحكومات المعنية من خلال الاجراءات التشريعية والادارية أو غيرها » .

واذ تعيد الى الأذهان ايضا ، ان الجمعية العامة فى قرارها ٣١٥١ ، و (د ــ ٢٨) الصادر فى ١٤ ديسمبر سنة ١٩٧٣ ، ندوة تضمن أمورا أخرى بالتحالف الآثم بين عنصرية جنوب افريقيا والصهيونية .

واذ تأخذ فى الاعتبار اعلان المكسيك حول مساواة المراة ومساهمتها فى التنمية والسلم الذى صدر عن المؤتمر العالمى للعام الدولى للمراة الذى انعقد في مكسيكوسيتى من ١٩ يونيو الى ٢ يوليو سنة ١٩٧٥ والذى اعلن المبدأ الذى يفيد بأن « التعاون الدولى والسلام يتطلبان تحقيق التحرير الوطنى والاستقلال والقضاء على الاستعمار والاستعمار الجديد ، والاحتلال الأجنبى والصهيونية والفصل العنصرى والتمييز العنصرى بجميع أشكالهما بالاضافة الى الاعتراف بكرامة الشعوب وحقها فى تقرير مصيرها .

واذ تأخذ فى الاعتبار ايضا القرار ٧٧ (د ١٢) الصادر عن رؤساء الدول والحكومات . منظمة الوحدة الافريقية الذى انعقد فى كمبالا من ٢٨ يوليو الى اول اغطس سنة ١٩٧٥ ، والذى اعلن ان « الحكومة العنصرية فى فلسطين المحتلة والحكومات العنصرية فى زمبابوى وجنوب افريقيا ترجع الى أصل امبريالى مشترك ، وتشكل كلا لا يتجزأ وتقوم على نفس الاساس العنصرى وتتحد عضويا فى سياستها التى تهدف الى قمع الكرامة والعزة الانسانية » .

واذ تأخذ فى الاعتبار ايضا « الاعلان السياسى والاستراتيجية الذى يستهدف دعم السلم والأمن الدوليين وتقوية التضامن والمساعدة المتبادلة بين الدول غير المنحازة ، والصادر عن مؤتمر وزراء خارجية الدول المنحازة

الذى انعقد فى ليمابيرو فى الفترة من ٢٥ ـ ٣٠ اغسطس سنة ١٩٧٥ ، والذى ندد بشدة بالصهيونية على أساس انها تهدد السلام والأمن العالمى والذى دعا جميع الدول الى معارضة هذه الأيدلوجية العنصرية والامبريالية

١ ـ تقرر ان الصهيونية تعتبر شكلا من اشكال العنصرية والتمييز العنصرى .

(٧) الوضع فى جنوب افريقيا

قرار الجمعية العامة ٣٤١١ (د ـ ٣٠)

الصادر فى ١٠ ديسمبر سنة ٩١٧٥

ان الجمعية العامة :

وقد نظرت التقرير المقدم من اللجنة الخاصة لمناهضة الفصل العنصرى

واذ يؤكد من جديد ان استمرار بعض الدول فى التعاون اقتصاديا وفى المجالات الاخرى مع الحكومة العنصرية فى جنوب افريقيا ، يعرقل الجهود المبذولة من اجل القضاء على الفصل العنصرى .

٤ ـ تندد مرة اخرى بتدعيم العلاقات والتواطؤ بين نظام الحكم العنصرى فى جنوب افريقيا واسرائيل فى المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية وغيرها ...

(٨) التواطؤ بين اسرائيل وجنوب افريقيا

بيان صاحبة السيادة السيدة جين مارتن سيسى (غينيا) رئيسة اللجنة الخاصة بمناهضة التمييز العنصرى التابعة للامم المتحدة (اكتوبر سنة ١٩٧٥ ـ ابريل سنة ١٩٧٦) الذى ادلت به فى ١٤ ابريل سنة ١٩٧٦ حول « التضامن الدولى مع النضال من أجل تحرير جنوب أفريقيا » أبريل سنة ١٩٧٦ من ٢٠ ـ ٢٢ .

لقد اضطررت منذ بضعة ايام ، الى اصدار بيان طارىء اعربت فيه عن القلق البالغ حول زيادة تدعيم العلاقات بين اسرائيل وجنوب افريقيا . ولقد نددت الجمعية العامة مرارا بزيادة التعاون بين الحكومة الاسرائيلية ونظام الحكم العنصرى فى جنوب افريقيا ـ وكانت آخر مرة فى القرار ٣٤١١ ، و (د ـ ٣٠) الصادر فى ١٠ ديسمبر سنة ١٩٧٥ ، الا انه بعد شهر واحد من صدور القرار ، رفعت جنوب افريقيا مستوى قنصليتها العامة فى اسرائيل الى مستوى سفارة . وقام مستر سى.جى. مولدر ، وزير

الداخلية والاعلام بجنوب افريقيا ، بزيارة اسرائيل يومى ٢٦ و ٢٧ مارس وتفيد الأنباء بأنه عقد اجتماعات مطولة مع رئيس وزراء ووزير خارجيـة اسرائيل . ووصل فى اعقابه الى اسرائيل مستر فورسـتر ، رئيس وزراء الحكومة العنصرية بجنوب افريقيا ، وذلك فى ٩ ابريل .

ولا يمكن تصديق ما تزعمه بعض الصحف التى تصف زيارة مسـتر فورستر بأنها حج الى الاماكن المقدسة . فلا يمكن اعتبار الاجتمـاعات الطويلة مع رئيس وزراء اسرائيل وزيارة القواعد العسكرية بمثابة رحلة حج مسـيحية .

ومنذ بضعة أيام قليلة ، أضطر مجلس الأمن الى بحث الشكاوى المتتالية المقدمة من الدول العربية ضد اسرائيل ومن الدول الافريقية ضد حكومة جنوب أفريقيا . فما هو السبب الذى يجعـل اسرائيل ، التى تواصـل احتلالها للأراضى فى شمال شرق أفريقية ، تجد أنه لزام عليها فى هذا الوقت بالذات ان تجرى مباحثات على مستوى عال مع حكومة جنوب أفرقية التى تواصل احتلالها غير الشرعى للطرف الجنوبى لافريقيا ؟ اعتقد أن هنـاك سـببين لذلك .

وسأعيد هنا الى الاذهان نبأ أذاعه راديو القدس فى ١٨ يناير سـنة ١٩٧٦ ، وجاء فيه :

« صرح اليوم وزير الخارجية (الاسرائيلى) فى اجتماع مجلس الوزراء بأن التحفظ حول مسألة انجولا الذى انهت به منظمة الوحـدة الافريقية اجتماعاتها يعتبر انجازا هاما للمعسكر المعتدل بين دول القارة . وقال وزير الخارجية ان هذا يعد نجاحا للدبلوماسية الامريكية ، وهناك امل فى ان يؤثر المعسكر المعتدل بين الدول الافريقية ايضا على العلاقات بين هـذه الدول واسرائيـل » .

فهل هذا يعنى ان الدولتين تواصلان جهودهما اليائسة من اجـل نشر بذور الشقاق فى افريقيا ، مع الامل فى الحصول على التأييد من مكان آخر ؟

لقد عملت حكومة افريقيا على زيادة ميزانيتها العسكرية فى آخر مارس بنسبة تزيد على ٤٠٪ وذلك من ٩٤٨ مليون رائد الى ١٫٣٥٠ مليون رائد ويجدر بى ان أعيد الى الأذهان هنا ان ميزانية جنوب افريقيا كانت ٤٤ مليون رائد فى سنة ١٩٦٠ ، وهو نفس العام الذى وقعت فيـه مذبحة شاربفيل . وقد تضاعفت هذه الميزانية الآن الى ثلاثين ضعفا . وهى تبلغ ثلاثة اضعاف الميزانية العسكرية لعام ٧٣ – ١٩٧٤ وخصص حجم الميزانية لعام ١٩٧٤ – ١٩٧٥ وقد قررت حكومة جنوب افريقيا هذه الزيادة

الضخمة فى حجم الميزانية العسكرية ، كرد مباشر على ادانة عدوانها فى انجولا ، وذلك بالرغم من الأزمة الاقتصادية الخطيرة فى البلاد . ووفقا للتقديرات الموثوق بها ستنخفض مستويات العيش فى جنوب افريقيا فى هذا العام ، وتشير كل الدلائل الى ان السود هم الذين سيتحملون العبء الأكبر من المعاناة نتيجة لذلك .

وينوى نظام الحكم العنصرى هناك الحصول على مزيد من المعدات العسكرية ـ وخاصة الزوارق المزودة بالصواريخ والطرادات والطائرات ذات المدى البعيد . ويدل توقيت زيارة مستر فورستر لاسرائيل ، على ما يبدو، على امل جنوب افريقيا فى استغلال اسرائيل لكسر حظر الاسلحة المفروض ضدها .

وقد اكتشفت الحكومتان وجود مصلحة مشتركة بينهما . فقد اعلن منذ بضعة اسابيع قليلة فى ٢ فبراير سنة ١٩٧٦ ، الميجور ـ جنرال نيل ويستار من قوات الدفاع بجنوب افريقيا :

« انه يجب على شعب جنوب افريقيا ان يعتاد شأنه شأن الاسرائيليين، على فكرة العيش فى حالة حرب لبضعة سنوات قادمة » . ويقال ان مستر فورستر قد صرح أمام الصحافة فى ١٠ ابريل بأن العلاقات بين جنوب افريقيا واسرائيل لم تصل اطلاقا الى مثل هذا المستوى الطيب من قبل . وزعم ايضا أن هذا لن يؤثر على علاقات جنوب افريقيا بالعرب الذين يزودونها بالبترول .

واود ايضا ان اقول ان اللجنة الخاصة متيقظة ، وستظل كذلك ، ازاء المناورات من اجل بث الشقاق بين الدول العربية . وكما تعرفون تهدف المناقشات التى تجرى بين امين عام الجامعة العربية وهذه اللجنة ، الى مواصلة الجهود من اجل تحقيق فرض حظر بترولى فعال ضد جنوب افريقيا .

وقد اعربت اللجنة الخاصة ، بالطبع ، عن قلقها لفترة طويلة ازاء تواطؤ اسرائيل مع حكومة جنوب افريقيا فى كثير من المجالات ، ولم تكترث اسرائيل حتى بالرد على مذكرة ارسلتها اللجنة اليها فى هذا الشأن ، ولذلك اضطرت اللجنة الى احالة المسألة الى الجمعية العامة للتصرف .

وسأكرر مرة اخرى هنا ، اعرابى عن الامل فى أن تمارس الحكومات والمنظمات نفوذها من اجل القضاء على هذا المحور والتواطؤ بين اسرائيل وجنوب افريقيا . ويجب ابلاغ حكومة اسرائيل بمنتهى الوضوح بأن الحكومات والشعوب التى تعارض الفصل العنصرى والتمييز العنصرى ــ

اى معظم الجنس البشرى ـ لا يمكنها السكوت على او تجاهل عـــلاقاتها (اسرائيل) بهذا النظام العنصرى الحاكم فى جنوب افريقيا تلك العـلاقات التى تعتبر انتهاكا صارخا لقرارات الأمم المتحدة .

(٩) القرار الخاص بالشرق الأوسط

المؤتمر الخامس لرؤساء دول وحكومات البلدان غير المنحازة كولومبو سـنة ١٩٧٦

ان المؤتمر الخامس لرؤساء دول او حكومات البلدان غير المنحـــازة والمنعقد فى كولومبو ، بسرى لانكا من ١٥ ـ ١٩ اغسطس سنة ١٩٧٦ ...

٩ ـ يدين التواطؤ بين اسرائيل وجنوب افريقيا الذى يؤكده تشـــابه سياستهما العدوانية ، والعنصرية بالاضافة الى تعاونهما فى كافة المجـالات بهدف تهديد الأمن والاستقلال الافريقى والعربى .

(١٠) التواطؤ المتزايد بين اسرائيل وجنوب افريقيا لجنة الفصل العنصرى تعتمد التقرير الذى يشير الى التواطؤ المتزايد بين اسرائيل وجنوب افريقيا

وتطالب الوكالة الدولية للطاقة الذرية بمنع نقل التكنولوجيا النـووية والمواد النووية الى جنوب افريقيا .

وافقت اللجنة الخاصة المناهضة للفصل العنصرى بعد ظهر اليوم عـلى تقرير عن العلاقات بين اسرائيل وجنوب افريقيا ، واعلن السـيد ليسلى هاريمان ((نيجيريا) ان المحور بين بريتوريا وتل ابيب اصبح يشكل خطـرا حقيقيا يهدد السلام والحرية فى افريقيا والمحيط الهندى » .

ويعلن التقرير ان هناك تواطؤا متزايدا بين نظام الحكم القائم على الفصل العنصرى فى جنوب افريقيا وحكومة اسرائيل » .

ويؤكد التقرير « ان الحكومتين لجأتا الى زيادة التعاون بينهما فى جميع المجالات ، نظرا للضعف الذى اصابهما نتيجة للتقدم الذى حققه النضـال من اجل التحرير ، ونظرا لزيادة عزلتهما نتيجة لزيادة التضامن العـربى الافريقى والادانة العالمية لسياستهما العنصرية » . وتتناول اجزاء خاصة عن التقرير العلاقات بين اسرائيل وجنوب افريقيا فى المجالات الدبلوماسـية والعسكرية والتجارية والاستثمارية والعلمية والتكنولوجية والثقـافية وغيرهـا .

وقد قامت اللجنة الفرعية لتنفيذ قرارات الأمم المتحدة والتواطؤ مع جنوب أفريقيا ، والمنبثقة عن اللجنة الخاصة باعداد التقرير تنفيذا لقرار اصدرته اللجنة فى الشهر الماضى .

وقد قررت اللجنة احالة التقرير الى الجمعية العامة ومجلس الامن وكذلك الى منظمة الوحدة الافريقية وجامعة الدول العربية ومؤتمر دول عدم الانحياز لتوزيعه على اعضائها .

* * *

تقرير عن العلاقات بين جنوب افريقيا واسرائيل

١٩ اغسطس سنة ١٩٧٦

اولا — خلفيــة .
ثانيا — مقــدمة .
ثالثا — تطور العلاقات : عام .
رابعا — العلاقات الدبلوماسية والقنصلية .
خامسا — التــواطؤ العسكرى .
سادسا — التجـــارة .
سابعا — الاســتثمار :
(ا) استثمارات جنوب أفريقيا فى اسرائيل ، (ب) استثمارات اسرائيل فى جنوب افريقيا .
ثامنا — التعاون العلمى والتكنولوجى .
تاسعا — الخطوط الجوية والبحرية .
عاشرا — العلاقات الثقافية .
حادى عشر — التعاون فى مجال الرياضة .

اولا — خلفيـــة

١ — أعربت الجمعية العامة خلال السنوات الأخيرة عن قلقها المتزايد ازاء تدعيم العلاقات السياسية والعسكرية وغيرها بين اسرائيل وجنـــوب افريقيـــا .

٢ — ادانت الجمعية العامة فى قرارها ٣١٥١ و (د — ٢٨) الصادر فى ١٤ ديسمبر سنة ١٩٧٣ « التحالف الشرير بين ... العنصرية الافريقيـــة ... والامبريالية الاسرائيلية » .

٣ ــ ادانت الجمعية العامة مرة اخرى فى قرارها ٣٣٢٤ هـ (د ــ ٢٩) الصادر فى ١٠ ديسمبر سنة ١٩٧٣ ، تدعيم العلاقات والتعاون بين نظام الحكم العنصرى فى جنوب افريقيا واسرائيل فى المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية وغيرها » .

٥ ــ تابعت اللجنة الخاصة المناهضة للفصل العنصرى ، بانتظام تطور العلاقات بين الحكومتين بقلق بالغ وقدمت تقارير للجمعية العامة حسب الاقتضاء .

٦ ــ فى مارس سنة ١٩٧٤ ، عقب قرار الحكومة الاسرائيلية رفع بعثتها الدبلوماسية فى جنوب افريقيا الى مستوى سفارة ، طلبت اللجنة الخاصة من اللجنة الفرعية المعنية بتنفيذ قرارات الأمم المتحدة والتعاون مع جنوب افريقيا ، واعداد تقرير عن التطورات الأخيرة فى العلاقات بين اسرائيل وجنوب أفريقيا . وقد صدر تقرير اللجنة بوصفه الوثيقة A/Ac. 115/L. 383

٧ ــ بعث رئيس اللجنة الخاصة فى ٢ ابريل سنة ١٩٧٤ برسالة الى المندوب الدائم لاسرائيل لدى الامم المتحدة اعلن فيها ان « رفع مستوى البعثة الدبلوماسية فى جنوب أفريقيا يعتبر انتهاكا صارخا لقرارات الجمعية العامة » وطلب منه فيها ان يبلغ حكومته بقلق اللجنة الخاصة العميقة واملها فى ان تعيد الحكومة النظر فى قرارها وان تنهى تمثيلها الدبلوماسى والقنصلى وغيره من العلاقات الرسمية مع حكومة جنوب افريقيا العنصرية تنفيذا للقرارات الخاصة بهذا الشأن والتى اصدرتها الجمعية العامة . وفى حين اعترف المندوب الدائم لاسرائيل باستلام رسالة رئيس اللجنة الخاصة ، لم يصل اى رد من حكومة أسرائيل .

٨ ــ قررت اللجنة الخاصة فى اكتوبر سنة ١٩٧٤ ، نشر دراسة شاملة حول تطور العلاقات بين اسرائيل وجنوب افريقيا فى الفترة من سنة ١٩٦٧ الى سنة ١٩٧٤ ، اعدها للجنة ، الخبير مستر بيتر هليار . وصدرت الدراسة بوصفها الوثيقة A/Ac. 115/L. 396 .

٩ ــ تم لفت نظر اللجنة الخاصة فى يونيو سنة ١٩٧٥ الى الانباء الصحفية حول وصول وزير داخلية واعلام جنوب افريقيا الى اسرائيل فى زيارة « خاصة » وذلك فى ١٧ يونيو سنة ١٩٧٥ ، وان القنصلية العامة لجنوب افريقيا فى اسرائيل سترفع الى مستوى سفارة . وطلبت اللجنة ، التى شعرت بالقلق ازاء الدلائل على تزايد الروابط بين البلدين ، من مقررها أن يعد تقريرا حول نواحى التعاون الأخرى بين جنوب افريقيا واسرائيل . وصدر التقرير بوصفه الوثيقة . A/Ac. 115/L. 411

١٠ ـ اصدرت مدام جين مارتين كيس (غينيا) رئيسة اللجنة الخاصة بيانا صحفيا فى ٧ ابريل سنة ٩١٧٦ وذلك فى أعقاب زيارة اخرى قام بها وزير الداخلية والاعلام بجنوب افريقيا لاسرائيل فى مارس سنة ١٩٧٦ ، وفى ضوء الانباء التى ترددت عن قرب زيارة مستر فورستر ، رئيس وزراء جنوب افريقيا لاسرائيل . واعربت عن الأمل فى ان تندد جميع الحكومات والمنظمات بتصرفات حكومة اسرائيل من اجل تنمية التعاون مع حكومة بريتوريا العنصرية متحدية بذلك قرارات الامم المتحدة وان تمارس نفوذها من اجل اقناع حكومة اسرائيل بالامتناع عن مواصلة سلوك هذا الطريق .

١١ ـ ناقشت اللجنة الخاصة فى جلساتها ٣٢١ و ٣٢٢ ، يومى١٤و٣٠ ابريل سنة ١٩٧٦ ، زيادة التعاون بين اسرائيل وجنوب افريقيا ، فى اعقاب زيارة رئيس الوزراء فورستر لاسرائيل فى الفترة من ٩ الى ١٢ ابريل سنة ١٩٧٦ ، وابرام اتفاق تعاون واسع النطاق بين البلدين . وطلبت اللجنة الخاصة من اللجنة الفرعية الخاصة بتنفيذ قرارات الامم المتحدة والتعاون مع جنوب افريقيا ـ اعطاء الأولوية لاعداد تقرير عن التعاون والتواطؤ المتزايد بين اسرائيل وجنوب افريقيا ، بهدف احالته الى الجمعية العامة ومجلس الأمن ، بالاضافة الى منظمة الوحدة الافريقية ومؤتمر دول عدم الانحياز وجامعة الدول العربية .

١٢ ـ اصدر رئيس اللجنة الخاصة السفير ليسلى هاريمان (نيجيريا) اثناء حضوره اجتماع وزارى لدول عدم الانحياز فى سرى لانكا فى ١١ اغسطس سنة ١٩٧٦ ، بيانا ندد فيه بأنباء بيع اسرائيل زورقين مزودين بالصواريخ لجنوب افريقيا . وفيما يلى نص البيان :

« ان اعلان اسرائيل عن عزمها بيع طرادين مزودين بالصواريخ لجنوب افريقيا يعتبر انتهاكا صارخا لقرارات الأمم المتحدة كما يعتبر عملا عدوانيا ضد شعب أفريقيا الذى يخوض حاليا النضال البطولى من أجل الحرية فى مواجهة المذابح التى يرتكبها نظام الحكم العنصرى ، كما انه يشكل تهديدا للدول الافريقيه المستقله وتحديا للجهود التى تبذل لجعل المحيط الهندى منطقة سلام وانى ادعو جميع الحكومات والشعوب لادانة هذا التصرف والتعاون الاسرائيلى المتزايد مع الحكومة العنصرية وان تطالب بوقف جميع اوجه التعاون مع بريتوريا . وانى واثق من ان وزراء دول عدم الانحياز المجتمعين الآن فى كولومبو سيولون هذا التهديد المتزايد لأفريقيا الاهتمام الواجب » .

ثانيا : مقدمة

١٣ ـ ان الهدف من التقرير الحالى هو توضيح مدى النمو فى العلاقات بين جنوب افريقيا واسرائيل . ويتضمن التقرير معلومات عن الخلفية التاريخية للتعاون بين جنوب افريقيا والحركة الصهيونية قبل انشاء دولة اسرائيل ، وهو يستعرض التطورات فى جميع مجالات التعاون بين البلدين فى الفترة من سنة ١٩٤٨ حتى الوقت الحالى :

١٤ ـ يوضح التقرير ان العلاقات بين جنوب افريقيا واسرائيل التى ترجع الى أصول ايديولوجية وتاريخية ، اكتسبت أبعادا جديدة وتدعمت كثيرا بعد حرب يونيو سنة ١٩٦٧ فى الشرق الاوسط بل انها ازدادت قوة بعد حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ . ونحيت جانبا الخلافات بين الحكومتين نتيجة لاختلاف اهداف السياسة الخارجية نحو الدول العربية والافريقية، عندما قامت الدول الافريقية بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل . وقد لجأت الحكومتان اللتان اضعفهما التقدم الذى احرزه النضال من اجل التحرير واللتان اجبرتا على مواجهة عزلة متزايدة نتيجة لتزايد التضامن العربى الافريقى وتنديد العالم لسياستهما العنصرية ـ لجأت الحكومتان نتيجة لذلك الى زيادة التعاون بينهما فى جميع المجالات :

(ا) سياسيا ، ويهدف التعاون بين هذا المجال الى بث الشقاق بين الدول الافريقية وبين الدول العربية ، والى ربط جنوب افريقيا والشرق الأوسط ببعض على اساس انهما مجال مشترك ذو اهمية استراتيجية للغرب . وتتوقع جنوب افريقيا الحصول على مكاسب سياسية هامة من توثيق علاقاتها باسرائيل وعلى مساعدة فى سبيل تعويض المقاطعة المفروضة عليها .

(ب) فى المجال العسكرى ، ان التعاون المتزايد فى هذا المجال ، زود كلا البلدين بمصدر اضافى للاسلحة وللمعرفة الفنية ، بالاضافة الى امكانية الحصول على معلومات سرية عن الاستراتيجيات والتكتيكات .

(ج) اقتصاديا ، استفادت اسرائيل من المواد الخام الحيوية بالنسبة لاقتصادها ، فى الوقت الذى استفادت فيه جنوب افريقيا بوضوح من ميل الميزان التجارى بينها وبين اسرائيل فى صالح الاولى (جنوب افريقيا) ومن امكانية استغلال تلك الدولة (اسرائيل) كنقطة انطلاق لتفادى المقاطعة الدولية وكذلك للمراوغة من الرسوم الجمركية المرتفعة للسوق الاوربية المشتركة . واما بالنسبة للاستثمار فانه يأخذ بشكل متزايد صورة اقامة

مشروعات مشتركة عن طريق المؤسسات العامة مع استغلال تكامل اقتصاد البلدين ـ المواد الخام من جنوب افريقيا والتكنولوجيا العلمية من اسرائيل ـ لدعم مشروعات التوسع الصناعى فى البلدين .

(د) فى المجال الثقافى ، ساعدت البرامج المتبادلة وغيرها من نواحى النشاط على تقوية الروابط الايديولوجية بين البلدين كمساعدات على نشر الدعاية الخاصة بجنوب افريقيا .

ثالثا ـ تطور العلاقات : عام

١٥ ـ ان التعاون المتزايد بين نظام الحكم القائم على الفصل العنصرى فى جنوب افريقيا وحكومة اسرائيل بلغ مرحلة جديدة فى ابريل سنة ١٩٧٦ عندما زار رئيس الوزراء فورستر ، اسرائيل وابرام اتفاقيات اقتصادية وعلمية واتفاقيات تعاون صناعى بين الدولتين . وقد أوضحت ايضا التقارير الصحفية والتطورات اللاحقة أن البلدين اتفقا على دعم التعاون العسكرى .

١٦ ـ ينبغى أن نعيد الى الأذهان أن العلاقات بين الأقلية العنصرية الحاكمة فى جنوب أفريقيا واسرائيل لها جذور تاريخية وأيديولوجية عميقة . فان الجنرال جان سمطس ، وزير الدفاع فى الحكومة الاتحادية وعضو المجلس الأعلى للحرب فى سنة ١٩١٧ ، كان واحدا من المخططين الرئيسيين لوعد بلفور الخاص بانشاء « وطن يهودى » فى فلسطين .

١٧ ـ أيدت الحكومة الوطنية ، العمالية الائتلافية برياسة الجنرال ج ب م . هيرتزوج ، تأييدا تاما بانشاء « وطن يهودى » فى فلسطين ، واصدرت قرارا فى هذا الصدد فى سنة ١٩٢٦ ، كما وعدت تلك الحكومة بتأييد الأهداف الصهيونية أمام عصبة الأمم . ولقد كانت جنوب أفريقيا ايجابية فى تأييدها لمشروع تقسيم فلسطين فى الأمم المتحدة . وكان من أول التصرفات التى اتخذها الحزب الوطنى عند توليه الحكم فى سنة ١٩٤٨ هو الاعتراف القانونى بدولة اسرائيل المنشأة حديثا . وكان الدكتور د. ف. مالان هو أول رئيس وزراء بريطانى فى الكومنولث البريطانى يقوم بزيارة ودية للدولة الجديدة . وبالاضافة الى ذلك سمح لضباط الاحتياط اليهود فى جنوب أفريقيا بالخدمة فى اسرائيل ووافق على تحويل الأموال والسلع الى اسرائيل بالرغم من الظروف الاقتصادية الصعبة التى كانت تمر بها جنوب افريقيا آنذاك .

١٨ ـ تمشيا مع سياسة الحزب الوطنى الخاصة بتأييد اسرائيل قام هذا الحزب بانتهاج سياسة عكسية تماما لسياسته السابقة نحو الأقلية

اليهودية فى جنوب افريقيا ، وقد تميزت هذه السياسة بالتطرف فى مناهضة السامية : واعلن د . مالان فى اعقاب توليه منصبه أنه سينتهج وحكومته سياسة عدم تفرقة ضد أى قطاع من قطاعات البيض وانه يتطلع الى اليوم الذى لن يكون فيه أثر « للمسألة اليهودية » فى البلاد . وتم رفع الحظر الذى كان مفروضا على عضوية اليهود فى الحزب الوطنى وتم تعيين الشخصيات اليهودية البارزة فى المناصب الرسمية الهامة .

١٩ ـ من الواضح أن السياسة الجديدة للحزب الوطنى لم تكن نتيجة لرغبة فى تدعيم التضامن بين البيض فقط ، بل نتيجة أيضا للدور الهام الذى أصبح المجتمع اليهودى يقوم به فى اقتصاد جنوب افريقيا . وقد خشى زعماء الحزب من أن تؤدى أى ممارسات عنصرية ضد اليهود الى سحب رأس المال اليهودى من جنوب افريقيا . وقد تمت ايضا الاشارة الى أن تأييد الافريقيين البيض للصهيونية يرجع الى أساس مشترك يتمثل فى معارضة البريطانيين فى ذلك الوقت ، بالاضافة الى الشعور المشترك بأنهم « شعب مختار » يحمل لواء مهمة مقدسة .

٢٠ ـ استطاع الحزب الوطنى ، عن طريق تأييده لاسرائيل والغائه رسميا لسياسة مناهضة السامية داخليا ، ان يحصل على الموافقة على سياسة الفصل العنصرى على كافة المستويات الرسمية المعبرة عن اليهود . وتعتبر الرابطة اليهودية الكبيرة فى جنوب افريقيا ذات ميول صهيونية قوية وحافظت على علاقاتها الوثيقة مع الآلاف من يهود جنوب افريقيا الذين هاجروا الى اسرائيل ، والذين أصبح بعضهم يحتلون مناصب بارزة فى الدولة الجديدة . واستجابة لسياسة د . مالان الجديدة . خفضت الهيئات اليهودية من انتقاداتها الصريحة السابقة للتفرقة العنصرية . وفى حين استمر اليهود كأفراد فى مناهضتهم للفصل العنصرى الى حد ان بعضهم انضم الى النضال من أجل التحرير ، سارت المنظمات اليهودية الرسمية ، على نهج مجلس نواب يهود جنوب أفريقيا فى موقفه الذى يقوم على أساس أنهم بصفتهم هيئات غير رسمية ـ « سيمتنعون عن اتخاذ أى موقف من المسائل السياسية » وانها لن تعبر عن وجهات نظرها من السياسات العنصرية المختلفة التى يتردد الكلام عنها » .

٢١ ـ ان اليهود ، كما شرح الحاخام د . وايلر فى كلمته امام المؤتمر الدولى الثامن للاتحاد العالمى لليهودية التقدمية الذى عقد فى لندن فى يوليو سنة ١٩٥٣ :

« ان اليهود بصفتهم مجتمعا مستقلا قد قرروا عدم اتخاذ أى موقف تجاه مسألة الوطنيين ، نظرا لانشغالهم بمشكلة مساعدة اليهودية فى بلاد

أخرى . ويبذل يهود جنوب افريقيا جهدا أكبر من اية مجموعة أخرى من أجل مساعدة اسرائيل . ولا يمكن لهذا المجتمع أن يطلب من الحكومةالسماح له بتحويل الأموال والسلع الى الخارج وفى نفس الوقت الذى يعارض فيه سياسة الحكومة » .

٢٢ ــ لم تخرج الصحافة اليهودية ومجلس النواب بجنوب افريقيا عن صمتها حتى ابان مذبحة شاريفيل فى سنة ١٩٦٠ . وفى مقابل ذلك تم السماح للاتحاد الصهيونى بجنوب افريقيا بالاستمرار فى تحويل كميات كبيرة من الأموال الى اسرائيل سنويا ــ مما جعل من المجتمع اليهودى فى جنوب أفريقيا أكبر مساهم بالنسبة للفرد لاسرائيل فى العالم .

٢٣ ــ ومن ثم كانت مجموعة المصالح المتبادلة بين دولة اسرائيل والحكومة العنصرية قائمة منذ بداية انشاء تلك الدولة ، مع قيام المجتمع اليهودى بجنوب افريقيا بدور حلقة الاتصال بين البلدين وذلك بالرغم من بعض المصاعب الانتقالية . وكما يقول بيتر هيليار :

« ان الأهداف السياسية المتباينة لكلتا الدولتين ، خاصة فى مناطق أفريقيا شبه الصحراوية فى الفترة من سنة ١٩٦٠ الى سنة ١٩٧٠ قد تسببت فى اثارة بعض المشاكل من وقت لآخر ، ولكن ثبت أن هذه المشاكل كانت ذات طبيعة انتقالية أساسا ، ويمكن وضعها فى المرتبة الثانية للسياسة الشاملة الخاصة باستمرار تنمية العلاقات » .

٢٤ ــ أدت محاولة اسرائيل اقامة علاقات دبلوماسية وغيرها من العلاقات مع الدول الافريقية المستقلة فى الستينيات الى اعلانها معارضتها للفصل العنصرى وذلك فى الأمم المتحدة وغيرها من الهيئات الدولية . وردت حكومة جنوب افريقيا على ذلك فى سنة ١٩٦٢ بأن ألغت كل الامتيازات الخاصة المتضمنة فى لوائح النقد الأجنبى التى كانت تسمح بحرية تحويل النقد الى اسرائيل . وحاولت المنظمات اليهودية فى جنوب افريقيا التأثير على اسرائيل لتمتنع عن التصويت « مع الدول الغربية الأخرى » عند الاقتراع على قرارات الأمم المتحدة الخاصة بمناهضة الفصل العنصرى . كما جعلت من نفسها أداة لترويج دعاية جنوب افريقيا وذلك بأن قررت أنه « يجب على المجتمع اليهودى أن يتخذ الخطوات اللازمة لشرح موقف جنوب افريقيا لليهود فيما وراء البحار وفى وطنهم » .

٢٥ ــ اتضحت المصالح المشتركة الكامنة بين الحكومتين بالرغم من الاختلاف فى السياسة الخارجية ، عندما أيدت جنوب افريقيا اسرائيل ابان حرب سنة ١٩٦٧ . فسرعان ما تم اعادة اللوائح الخاصة التى تسمح بحرية

تحويل النقـد الى اسرائيـل ، وتم توفير انواع أخرى من المسـاعدات المادية . وادت الحرب الى زيادة ادراك التشابه الأساسى بين موقف الدولتين فى المجال السياسى الدولى والحاجة الى قيام تعاون بينهما نتيجة لذلك ووضعت صحيفة « داى بيرجر » ، لسان حال الحزب الوطنى فى مقـاطعة الكاب ، الموقف كما يلى :

« هناك أسس مشتركة كثيرة بين اسرائيل وجنوب افريقيا . فكلتاهما تدخل فى صراع من أجل الوجود ، وكلتاهما فى صدام مستمر مع الأغلبيات المؤثرة فى الأمم المتحدة . وكلتاهما تعتبر مركز قوة يعتمد عليه داخل المنطقة ولولاه لوقعتا فى براثن القوى المعادية للغرب ونجاح اسرائيل فى احتواء أعدائهـا ، الذين يعتبرون من أعنف أعدائنـا ، يعتبر فى مصلحة جنـوب أفريقيا . ولو لم تتمكن اسرائيل من استخدام الطريق الملاحى حول رأس الرجاء الصالح مثلا ، نتيجة لتزعزع سيطرة جنوب افريقيا عليه لوجدت ان العالم كله ضدها . ولقد دفعت القوى المناهضـة للغرب باسرائيـل وجنوب افريقيا الى أن تصبحا ذواتا مصلحة مشتركة ، من الأفضل لهما استغلالها بدلا من انكارها » .

٢٦ ــ وقد رددت مجلة « جويش افيرز » الناطق الرسمى بلسان مجلس النواب اليهودى فى جنوب افريقيا ــ نفس هذا المنطق :

« ان القول بأن اسرائيل وجنوب افريقيا تربطهما مصـالح أساسية مشتركه فى الشرق الأوسط وجنوبه ، يعتبر قولا صادقا الى حد كبير . وليس فى هذا سر أو سوء . ان العلاقات الوثيقة بين البلدين ، التى ازدادت قوة منذ حرب سنة ١٩٦٧ ، لا تنفصم عن مواقعهما الجغرافية والاستراتيجية، ولا عن نظرتهما المعادية للشيوعية ، ولا عن جميع حقائق وجودهما القومى .. وباختصار يتفق مصير البلدين رغم اختلافه الى حد كبير فيما يتعلق بكثير من الحروب يتفق الى حد كبير من حيث الظروف الأسـاسية لبقائهما ، ويتداخل هذا المصير الى حد يفوق كثيرا ، تصور أى رجل دعاية للعـدو وبالأصح بشكل لن يسعده » .

٢٧ ــ نمت الروابط السياسية والعسكرية بين الدولتين نموا سريعا خلال السنوات التى اعقبت ذلك ، بالرغم من بعض التوتر المؤقت الذى نتج عن محاولات اسرائيل للتقارب من دول افريقيا المسـتقلة . فقـد قامت حكومة جنوب افريقيا مرة أخرى فى سنة ١٩٧١ بوقف حرية تحويل النقد الى اسرائيل احتجاجا على تقديم اسرائيل مبلغ ٥٠٠٠ دولار الى صندوق اعانة حركات التحرير التابع لمنظمة الوحدة الافريقية واضطرت اسرائيـل عندئذ الى سحب عرضها .

٢٨ ـ كانت حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ علامة هامة فى عملية نموالتعارف بين البلدين . فقد قطعت معظم الدول الافريقية علاقاتها باسرائيل اثناء الحرب أو بعدها الأمر الذى وضع حدا لحاجة اسرائيل الى الابقاء على مظهر معارضة الفصل العنصرى . وقد اتضح هذا مباشرة فى اقتراع اسرائيل على قرارات الأمم المتحدة المعارضة للفصل العنصرى : فمنذ سنة ١٩٧٣ تمتنع اسرائيل عن التصويت أو تصوت ضد هذه القرارات . وقد اعربت جنوب افريقيا صراحة عن تأييدها لاسرائيل أثناء الحرب : فقد أعلن مستر ب بوثا ، وزير الدفاع فى جنوب افريقيا ، ان حكومة بلاده ستقوم فى حدود امكانياتها وبدون اعلان الحرب بتقديم المساعدة لاسرائيل . وأعلن مستر فورستر ، رئيس الوزراء انه اذا خسرت أسرائيل الحرب فان هزيمتها سيكون لها عواقب هامة على جنوب أفريقيا . وبالمثل قد قامت جنوب أفريقيا فورا برفع القيود النقدية للسماح بحرية تحويل الاموال الى اسرائيل وقدمت أشكالا مختلفة من المساعدات المادية لها بما فى ذلك المساعدات العسكرية . وأصبحت جنوب افريقيا بعد الحرب ؛ وفقا لتصريحات أحد المراقبين ، المؤيد الهام الوحيد لاسرائيل فى القارة الافريقية وواحدة من الحكومات القليلة التى لم تدع الى انسحابها من الاراضى العربية المحتلة » .

٢٩ ـ وقد تحركت الدولتان فى السنوات التى تلت حرب سنة ١٩٧٣ ، بخطى حثيثة نحو اقامة تحالف قوى للدفاع عن المصالح المشتركة ولاضفاء الصفة الرسمية على الروابط بينهما . وقد رفعا مستوى التمثيل الدبلوماسى بينهما من مستوى المفوضية الى مستوى السفارة ، وتولت المؤسسات شبه الحكومية فى كلتا الدولتين تنفيذ عدة مشروعات من مشاريع الاستثمار المشترك ، كما تم تدعيم الروابط التجارية والعلمية عن طريق انشاء الأجهزة المناسبة وتبادل الزيارات على مستوى عال . وتم بوجه عام تكثيف الاتصالات السياسية . ومن بين كبار المسئولين الاسرائيليين الذين قاموا بزيارة جنوب افريقيا منذ سنة ١٩٧٤ : الجنرال موشى ديان ، وزيرالدفاع السابق ، والجنرال مائير أميت ، الرئيس السابق لجهاز المخابرات الاسرائيلى ورئيس مجلس الادارة المحلى لمصانع كور ، والجنرال حاييم هيرتزوج الذى كان وقت الزيارة ، المعلق العسكرى باذاعة اسرائيل والذى يتولى الآن منصب مندوب اسرائيل الدائم فى الأمم المتحدة . وبينما كان يتم فى الماضى السماح لمثل هؤلاء الزوار بدخول جنوب افريقيا فى المناسبات الخاصة بالجالية اليهودية المحلية ، تم الغاء هذا القيد فى سنة ١٩٧٤ ، وذلك وفقا لما تردده الأنباء .

٣٠ ـ قام الدكتور س.بى.مولدر ، وزير الداخلية والاعلام لجنوب افريقيا ، بزيارة اسرائيل مرتين ، وذلك فى يونيو سنة ١٩٧٥ ومارس سنة ١٩٧٦ واجتمع خـــلال تلك الزيارتين برئيس وزراء اسرائيل ووزير خارجيتها . ومن الواضح انه مهد خلال الزيارتين لقيـام اسحاق رابين ، رئيس وزراء اسرائيل بتقديم دعوة رسمية لرئيس وزراء جنوب افريقيا ، ج.ب. فورستر ، الذى زار اسرائيل لمدة أربعة أيام فى ابريل سنة ١٩٧٦ . وقد أجرى مستر فورستر ، الذى اصطحب معه وزير خارجيته مســتر هيلجارد مولر ، وسكرتير الشئون الخارجية ، مستر بيرنارد فورى وغيرهما، محادثات مع رئيس اسرائيل ووزير خارجيتها ووزير الدفاع وغيرهم من كبار المسئولين فى الحكومة الاسرائيلية ، كما زار المواقع الاستراتيجية فى جنوب سيناء (ويقال انه أول رئيس وزراء أجنبى يزور هذه المناطق) وزار أيضا مصنعا للطائرات الحربية .

٣١ ـ تم أثناء زيارة مستر فورستر ، ابرام اتفاق واسع النطاق بشأن التعاون الاقتصادى والعلمى والصناعى ، بين جنوب افريقيا واسرائيل . وصرح مستر فورستر ، فى اعلانه نبأ الاتفاقية فى المؤتمر الصحفى الذى عقده فى ١٢ ابريل بالقدس ، بان الحكومتين قررتا انشاء لجنة مشتركةعلى مستوى الوزراء تضم وزراء جنوب افريقيا واسرائيل ، وتجتمع مرة على الأقل سنويا لاستعراض موقف العلاقات الاقتصادية بين البلدين ولمناقشة الوسائل والأساليب التى تؤدى الى توسيع نطاق التعاون الاقتصادى بين البلدين وخاصة من حيث تشجيع الاستثمار ، والتنمية التجارية والتعاون العلمى والصناعى والاستغلال المشترك للمواد الخام من جنوب افريقيـا والأيدى العاملة الاسرائيلية فى المشروعات المشتركة وأعلن أيضا عن تشكيل مجموعة توجيه من أجل تنظيم تبادل المعلومات والأفكار ، وانه سيتم أيضا تشكيل لجان فى كلا البلدين . ومن المتوقع أن تضم اللجنـة الوزارية من جانب جنوب أفريقيا وزراء الدفاع والمالية والشئون الاقتصادية . وتشير الأنباء الصحفية الى أن الاتفاقية قد تتضمن « اقامة علاقة واسعة النطاق فى مجال الامدادات العسكرية » ، بالرغم من أن الحكومتين قامتا بنفى أن هذه المسألة كانت موضع مناقشة الا أن ما اعلن بعد ذلك عن قيام اسرائيل ببناء زورقين مزودين بالصواريخ لحساب الحكومة العنصرية ، أوضح أن التعاون العسكرى يزداد قوة فى اعقاب زيارة مستر فورستر .

٣٢ ـ رحبت معظم قطاعات مجتمع البيض فى جنوب افريقيا ، خاصة المنظمات اليهودية بفورستر على انه « رجل دولة عظيم » ووصفت الاتفاقية بأنها «عمل عظيم يدل على فن الحكم من جانب كلتا الدولتين» فى الوقت الذى

اثارت فيه هذه الاتفاقية شعورا بالاستنكار على المستوى العالمى . وعلقت صحيفة « ستار » التى تصدر فى جوهانسبرج على هذه الاتفاقية بقولها :

« من الواضح أن هذه الاتفاقية تذهب الى أبعد من اتفاقيات التعاون والتجارة المعتادة التى يتم توقيعها عادة فى نهاية زيارة رسمية بين الدول الصديقة .. ومن بين أسس الاتفاقية التبادل المشترك للمواد الخام والمعلومات العسكرية التى يحتاج اليها البلدان بشدة .

ويعتبر هذا الأمر بالنسبة لكل منهما بمثابة مسألة حياة أو موت . وربما كانت هذه الحاجة هى أكثر المسائل الملحة بالنسبة لهما » .

وجاء فى مقال افتتاحى لصحيفة « راند ديلى ميل » .

« لا يمكن انكار الطابع المميز للنصر الذى أحرزه مستر فورستر هذا الاسبوع . فانه بتحقيقه لاتفاقية التعاون الاقتصادى والعلمى والصناعى مع اسرائيل ، يكون قد انجز أكثر من مجرد اضفاء الصفة الرسمية على العلاقات التى كانت على أى الحالات تزداد قوة . فانه قد اكتسب لجنوب أفريقيا فى الواقع ، صديقا هاما وحليفا صريحا ، فى الوقت الذى يواجه فيه هذا البلد عالما يزداد عداء نحوه وقارة افريقية سوداء تزداد عدوانا » .

٣٣ ـ ان لزيادة الروابط مع اسرائيل مزايا سياسية هامة أخرى بالنسبة لجنوب افريقيا . وقد أوضح السفير الاسرائيلى لدى جنوب أفريقيا ، مستر استحاق أونا ، فى حديث ادلى به لمجموعة من رؤساء تحرير الصحف اليهودية فى الولايات المتحدة الامريكية ، ونشر « بالجويش بريس » فى ١٨ يونيو سنة ١٩٧٦ ، انه يتوقع أن يؤثر هذا الاتفاق بشكل مرض على موقف المجتمعات اليهودية الدولية من جنوب افريقيا .

رابعا ـ العلاقات الدبلوماسية والقنصلية

٣٤ ـ احتفظت اسرائيل منذ سنة ١٩٤٩ بمفوضية من بريتوريا وقنصلية عامة بجوهانسبرج . وقد فضلت جنوب افريقيا فى البداية أن يتم تمثيلها بصفتها عضوا فى الكومنولث ، من خلال المملكة المتحدة حتى تنمى روابطها مع الدول العربية . وفى أعقاب قطع العلاقات الدبلوماسية من جانب الجمهورية العربية المتحدة والانفصال عن الكومنولث ، سعت جنوب أفريقيا لاقامة روابط أوثق مع اسرائيل الا ان اسرائيل كانت قد بدأت تنتهج سياسة تقوم على أساس خطب ود الدول الافريقية التى نالت استقلالها حديثا ، وقامت بالتالى باستدعاء وزيرها المفوض فى بريتوريا ، وتركت البعثة تحت رئاسة قائم باعمال . وادى التدعيم الشامل للعلاقات

بين البلدين فى أعقاب حرب يونيو سنة ١٩٦٧ الى رفع مستوى التمثيل الدبلوماسي الاسرائيلي : ففى سنة ١٩٦٩ عينت اسرائيل قائما بأعمال بدرجة سفير كرئيس لبعثتها الدبلوماسية . وقامت فى ابريل سنة ١٩٧٣ بتوسيع نطاق قنصليتها العامة . وقررت فى أعقاب حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ رفع مستوى بعثتها الدبلوماسية الى مستوى سفارة ، وقامت بتعيين اسحاق يونا ، القنصل العام السابق ، كأول سفير لها هناك .

٣٥ ـ وردت جنوب افريقيا على ذلك بانشاء قنصلية عامة فى تل أبيب سنة ١٩٧١ ، برئاسة قنصل عام بدرجة سفير . وفى سنة ١٩٧٥ أنشأت جنوب افريقيا سفارة فى تل أبيب ، وقدم سفيرها فى اسرائيل أوراق اعتماده فى يناير سنة ١٩٧٦ .

خامسا ـ التعاون العسكرى

٣٦ ـ يرجع التعاون العسكرى بين اسرائيل وجنوب افريقيا الى بداية انشاء دولة اسرائيل فقد قاتل بضعة مئات من المتطوعين من جنوب افريقيا الى جانب الصهيونيين بعد نوفمبر سنة ١٩٤٧ ، وأرسلت جنوب افريقيا أثناء حرب سنة ١٩٤٨ بالأغذية والمعونة الطبية وغيرها الى الصهاينة . وكان أول طيار يسقط فى المعركة من السلاح الجوى الاسرائيلى هو أحد المتطوعين من جنوب افريقيا .

٣٧ ـ وقد زادت الاتصالات العسكرية بين البلدين كثافة أثناء حرب سنة ١٩٦٧ وبعدها ، مما أدى الى اقامة علاقات أوثق فى المجال العسكرى. وبينما زعمت جنوب افريقيا انها تلتزم بالحياد قامت بتقديم المساعدات المادية لاسرائيل سنة ١٩٦٧ ، وأهم هذه المساعدات رفع القيود المفروضة على تحويل النقد للخارج . ويقدر المبلغ الذى حصلت عليه اسرائيل نتيجة لذلك ـ بالرغم من انه لم يتم قط الكشف رسميا عن قيمة هذا المبلغ ـ بما يزيد على ٢١ مليون راند . وبالاضافة الى ذلك قامت الهيئة الرسمية المسئولة عن نقل الدم فى جنوب افريقيا باعارة الدم للخدمات الطبية الاسرائيلية وأعرب المتحدثون بلسان جميع الأحزاب السياسية للبيض عن تعاطفهم مع اسرائيل وساهمت هذه الأحزاب فى مجالات المعونة المختلفة .

٣٨ ـ قام المتطوعون اليهود من جنوب افريقيا بالخدمة فى اسرائيل ابان حرب سنة ١٩٦٧ بصفة رسمية فى المناصب غير العسكرية ، حيث استبدلوا بالاسرائيليين الذين تم استدعاؤهم للقيام بمهام قتالية وفتح الاتحاد الصهيونى لجنوب افريقيا اعتمادا خاصا لمساعدة اسرائيل .

وبالاضافة الى ذلك : اشترك كثير من قطاعات مجتمع البيض فى جنوب أفريقيا فى تقديم المساعدة لاسرائيل .

٣٩ ـ ان مساعدات جنوب افريقيا لاسرائيل ابان حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ ، تعتبر أكبر حجما ، الأمر الذى يعتبر مرحلة جديدة على طريق تنمية العلاقات بين البلدين . فقد خففت حكومة جنوب افريقيا جميع القيود المفروضة على النقد حتى تسمح بتحويل جميع الأموال التى تم جمعها الى اسرائيل فورا وبالرغم من انه لم يتم الكشف من قبل عن المبلغ الكلى الذى تم جمعه وتحويله ، أشارت التقارير الصحفية الى انه ربما بلغ حوالى ٣٠ مليون دولار . وكما حدث ابان حرب سنة ١٩٦٧ تولت جميع قطاعات مجتمع البيض فى جنوب افريقيا ، وليس اليهود وحدهم ، تولت عمليات جمع الأموال وتوجيه الأنشطة الخاصة بالمساعدة .

٤٠ ـ اتجه عدد كبير من المتطوعين فى جنوب افريقيا الى اسرائيل أثناء الحرب وبعدها للمشاركة فى المهام القتالية وغيرها . وأشارت التقارير الصحفية الى أن مئات من مواطنى جنوب افريقية ، يهودا كانوا أو غير يهود ، تطوعوا من أجل القتال فى اسرائيل فى أكتوبر سنة ١٩٧٣ . ويفيد احد التقارير ان عدد الرجال الذين ينحدرون من جنوب افريقيا والذين كانوا فى القوات المسلحة الاسرائيلية أثناء الحرب يبلغ حوالى ١٥٠٠ رجل . وفى أعقاب الحرب سافر مئات من المتطوعين من جنوب افريقيا الى اسرائيل ليحلوا محل عمال المستوطنات الاسرائيلية الذين كانوا ما زالوا فى القوات المسلحة .

٤١ ـ هناك دلائل تشير الى انه ربما تكون جنوب افريقيا قد لعبت دورا مباشرا بدرجة اكبر فى حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ . فقد اعلنت الحكومة المصرية انه تم أثناء الحرب اسقاط طائرة ميراج نفاثة يرجع أصلها الى جنوب افريقيا وذلك على جبهة السويس . وأشار نبأ ورد بعد ذلك فى صحيفة الديلى تلجراف اللندنية يفيد بأن جنوب افريقيا أرسلت بعدة طائرات من طائرات الميراج عن طريق جزر الأزور لمساعدة اسرائيل . وقد نفت كل من اسرائيل وجنوب افريقيا هذه الأنباء .

٤٢ ـ أفادت التقارير أن جنوب افريقيا قامت ، بالاضافة الى تقديم المساعدة لاسرائيل ابان الحرب ، بتزويدها أيضا بالمعدات العسكرية ، غير ان اسرائيل نفت هذه التقارير : فقد ذكرت وكالة الأنباء اليهودية مثلا فى يناير سنة ١٩٧٠ ، ان حكومة جنوب افريقيا تقوم بتصدير دبابات ضخمة زنة ٦٥ طن ، مصممة على طراز دبابات التشيفتين البريطانية ، الى اسرائيل.

وقد رفض وزير خارجية اسرائيل التعقيب على النبأ الذى نفاه ممثل اسرائيل فى الأمم المتحدة .

٤٣ ـ هناك دلائل متزايدة تشير الى تعاون اسرائيل عسكريا مع الحكومة العنصرية ، وذلك فى شكل تزويدها بأجهزة عسكرية والتدريب على وسائل مناهضة التمرد واستخدام الأسلحة المتطورة .

٤٤ ـ حصلت جنوب افريقيا فى أوائل فترة الستينات على ترخيص من شركة بلجيكية لتصنع المدفع الآلى من طراز أوزى الاسرائيلى التصميم وأصبح هذا الآن هو السلاح القياسى الذى يزود به جيش جنوب افريقيا .

٤٥ ـ تهتم جنوب أفريقيا منذ فترة طويلة بالحصول على طائرات حربية من اسرائيل . وتفيد الأنباء بأن أول اتصالات بين صناعة الطائرات الاسرائيلية ومؤسسة أطلس للطائرات فى جنوب افريقيا ، تمت فى سنة ١٩٦٧ ، ودارت حول احتمالات تصدير الطائرات الاسرائيلية ، « ارافا » الملائمة بوجه خاص لعمليات قمع التمرد ، الى جنوب افريقيا . وقد نقلت طائرات ارافا الى جنوب أفريقيا لاجراء اختبارات تجريبية عليها ، وتفيد بعض الأنباء غير المؤكدة بان هناك احتمالا بقيام جنوب افريقيا بشرائها

٤٦ ـ ثمة دليل آخر على احتمال قيام اسرائيل بتزويد جنوب افريقيا بالطائرات الحربية ، وقد جاء هذا الدليل فى مايو سنة ١٩٧١ ، عندما ترددت انباء تفيد بأن اسرائيل عرضت على فى جنوب افريقيا السلاح الجوى تعويضه عن ثلاث طائرات تابعة له سقطت فوق جبل تابل .

٤٧ ـ ترددت ايضا أنباء بأنه ربما قامت اسرائيل بتزويد جنوب افريقيا بالصاروخ « جبريل » المنقول بحرا والمصنوع فى اسرائيل . وقد نفى الناطق بلسان الصناعات الجوية الاسرائيلية فى سبتمبر سنة ١٩٧٤ ، هذا النبأ . غير ان صحيفة الديلى تلجراف أشارت بعد ذلك بفترة قصيرة الى احتمال أن يتم تزويد ٦ سفن كان يجرى تصنيعها فى جنوب افريقيا آنذاك ، بالصاروخ الاسرائيلى « جبريل » .

٤٨ ـ يعتبر تبادل الخبرة فى مجال أساليب مناهضة التمرد والتدريب على استخدام الاسلحة المتطورة ، من بين العناصر الهامة فى مجال التعاون بين اسرائيل وجنوب افريقيا . وذكرت الأنباء ان بعثة من جنوب افريقيا طارت الى اسرائيل فى يونيو سنة ١٩٦٧ لدراسة استخدام الاسلحة والتكتيكات الخاصة بتوجيه الضربات الخاطفة وذلك أثناء حرب الأيام الستة وقد قام رئيس اركان سلاح الطيران الاسرائيلى بعد الحرب بزيارة جنوب

افريقيا يشرح بالتفصيل لطلبة كلية الأركان فى جنوب افريقيا الدروس المستفادة من الحرب .

٤٩ ــ كشف الجنرال مائير أميت ، الرئيس السابق لجهاز المخابرات الاسرائيلية ورئيس مجلس الادارة الحالى لمؤسسة كور الصناعية ، أثناء الزيارة التى قام بها فى يوليو سنة ١٩٧٥ لجنوب افريقيا عن قيام كبار الشخصيات العسكرية الاسرائيلية بزيارة جنوب افريقيا بانتظام لالقاء المحاضرات على ضباط جنوب افريقيا حول أساليب الحرب الحديثة وطرق مكافحة التمرد . وصرح الجنرال أميت ، وان كان قد رفض الادلاء باية تفاصيل ، ان قوات الدفاع لجنوب افريقيا تستفيد من الخبرة الاسرائيلية ومن معلوماتها الفنية فى مجال صناعة الأجهزة الحربية الالكترونية .

٥٠ ــ ذكر مراسل الديلى تلجراف فى جوهانسبرج فى ٣ ابريل سنة ١٩٧٦ أن بعض الضباط الاسرائيليين اشتركوا اشتراكا فعليا فى خطة جيش جنوب افريقيا الخاصة بحملة انجولا . ووفقا للنبأ صرح الجنرال روجرز من سلاح الطيران جنوب افريقيا بان من الأسباب التى أدت الى انخفاض نسبة الخسائر فى الأرواح بين اهالى جنوب افريقيا فى الحملة هو الاتباع الدقيق للاساليب الاسرائيلية الخاصة بنقل وعلاج المصابين فى الخط الأمامى .

٥١ ــ أكدت مارشيا فريدمان ، عضو المعارضة فى البرلمان الاسرائيلى ، فى يونيو سنة ١٩٧٦ ان مئات من الجنود الاسرائيليين التحقوا بوحدات جيش جنوب افريقيا ، كمدربين وشاركوا فى المناورات التدريبية . وقد نفى وزير الدفاع الاسرائيلى هذا النبأ .

٥٢ ــ تفيد الأنباء بأن الرغبة فى الحصول على الخبرة الاسرائيلية فى التكنولوجيا العسكرية واساليب الحرب الحديثة من العناصر الهامة فى أسباب زيارة مستر فورستر لاسرائيل فى ابريل سنة ١٩٧٦ . وأشارت الأنباء الصحفية الى استعداد جنوب افريقيا لتمويل عملية توسيع مدى امكانية الاسرائيلية لانتاج الأسلحة ، بل وحتى لتزويد اسرائيل باليورانيوم فى مقابل الحصول على المقاتلة الاسرائيلية النفاثة من طراز كفير وغيرها من الأسلحة . وقد نفى مستر فورستر هذه الأنباء ، الا انه قام بزيارة مصنع طائرات كفير . وكان من المعروف ان أحد المسئولين فى صناعة الطائرات الاسرائيلية قد زار جنوب افريقيا فى يناير سنة ١٩٧٦ ووفقا لصحيفة التايمز اللندنية ، ألمحت بعض المصادر المطلعة الى ان الأسلحة الاسرائيلية كانت فى طريقها بالفعل الى جنوب افريقيا حتى قبل زيارة مستر فورستر.

٥٣ ـ اعلن راديو اسرائيل فى اغسطس سنة ١٩٧٦ ان اسرائيل تقوم ببناء زورقين بعيدى المدى ومزودين بصواريخ بحر بحر لحساب بحرية جنوب افريقيا . ونقلت الأنباء عن مصادر غير رسمية قولها ان ٥٠ من ضباط بحرية جنوب افريقيا واسرهم قد وصلوا الى اسرائيل وانهم سيتسلمون الزوارق فى يناير . وقد ألمحت الانباء الصحفية الى ان اسرائيل تقوم ببناء « عدد » من السفن المزودة بالصواريخ لحساب الحكومة العنصرية ، وانها ستحصل فى مقابل ذلك على الصلب والفحم .

سادسا ـ التجارة

٥٤ ـ زاد حجم التجارة خلال السنوات الأخيرة بين جنوب افريقيا واسرائيل زيادة سريعة خاصة منذ حرب يونيو سنة ١٩٦٧ فى الشرق الأوسط ، وتضاعفت تقريبا فى أعقاب حرب أكتوبر سنة ٧٣ ويوضح الجدول التالى نمو التجارة بين البلدين خلال فترة السنوات العشر التى تنتهى فى سنة ١٩٧٤ وهى آخر سنة تتوفر عنها الاحصائيات :

	صادرات اسرائيل لجنوب افريقيا	واردات اسرائيل من جنوب افريقيا
	بملايين الدولارات الأمريكية	
١٩٦٥	٢ر٧	٤ر٣
١٩٦٦	٢ر٣	٤ر٥
١٩٦٧	٤ر٠	٣ر٤
١٩٦٨	٥ر٧	٥ر٢
١٩٦٩	٨ر٢	٥ر٨
١٩٧٠	١٠ر٧	١٠ر٢
١٩٧١	٩ر٤	٨ر١
١٩٧٢	٨ر٨	١١ر٦
١٩٧٣	١٢ر٠	٣٤ر٣
١٩٧٤	٢٨ر٧	٤٣ر١

٥٦ ـ كنت واردات جنوب افريقيا من اسرائيل فى سنة ١٩٧٤ ، تتركز أساسا على الكيماويات والمنسوجات والسلع المصنوعة من المطاط ، والمستحضرات الصيدلية ، والمعدات الكترونية ، والآلات أما صادرات جنوب افريقيا الرئيسية فكانت تتكون من الصلب والأسمنت والخشب والسكر . ومن المتوقع ان يتم ضم الفحم والمواد الخام الى القائمة فى المستقبل القريب .

٥٧ ــ ان أهم واردات اسرائيل من جنوب افريقيا هى الماس الخام الذى لا يدخل فى الاحصائيات التجارية بين البلدين حيث ان المبيعات تتم عن طريق منظمة البيع المركزية التى يوجد مركزها الرئيسى فى لندن وهى أحد فروع « دى بيرز » . وتفيد الانبـاء بأن اسرائيل التى تعتبر أحد المراكز الرئيسية فى العالم لتصنيع المـاس ، تقوم بشراء نصف مشترياتها من الماس الخام من منظمة البيع المركزية بما يزيد على ١٠٠ مليون دولار سنويا .

٥٨ ــ بالرغم من ان الروابط التجارية بين البلدين قامت فور انشـاء دولة اسرائيل ، ظلت التجارة بينهما ضئيلة الى ان تم فتح مضايق تيران نتيجة للعدوان الثلاثى على مصر فى سنة ١٩٥٦ ولم تبذل الجهود المركزة من أجل تدعيم العلاقات التجارية بين البلدين واعطائها صفة رسمية الا بعد حرب سنة ١٩٦٧ فى الشرق الأوسط . وتم ارسال وفد من وزارة التجارة والصناعة الاسرائيلية الى جنوب افريقيا حيث أمضى هناك مدة أربعة أشهر فى نهاية عام ١٩٦٧ . وقد زار جنوب افريقيا ايضا ممثلو المصالح الصناعية وصناعة السفن الاسرائيلية بهدف ترويج التجارة .

٥٩ ــ تم فى أعقاب الحرب اقامة عدة اتحادات تهدف الى ترويج التجارة بين البلدين . فقد تم انشاء رابطة الصداقة الاسرائيلية لجنوب افريقيا فى اسرائيل فى يناير سنة ١٩٦٨ وضمت الرابطة فى عضويتها عددا من رجال السياسة والمستشارين المحليين ورجال الأعمال . وكان هدف هذه المنظمة هو العمل من أجل زيادة التجـارة وتحسين العلاقات بين البلدين . اما مؤسسة جنوب افريقيا ، وهى منظمة تضم كبار رجال اعمـال الدولتين ورجال اعمال من جنوب افريقيا وتهدف الى الترويج لمصـالح جنوب افريقيا فى الخارج ، فقد انشئت لجنة من اسرائيليين ومن جنوبيين أفريقيين وضمت فى عضويتها بعض كبار رجال السياسة الاسرائيلية السابقين وعددا من العسكريين وكانت اللجنة تعمل على تشجيع تبادل الزيارات وكبـار الزوار ودعم العلاقات الاقتصادية بين البلدين وتم كذلك انشاء اتحـاد اسرائيل ــ جنوب افريقيا التجارى فى عام ١٩٦٨ ، ويقال انه كان عاملا رئيسيا فى الزيادة السريعة فى التبادل التجارى بين البلدين .

٦٠ ــ قامت اسرائيل فى يونيو سنة ١٩٦٨ بتعيين منـدوب تجارى اسرائيلى فى جنوب افريقيا .

٦١ ــ تم تنظيم اسبوع ازياء اسرائيلى فى جوهانسبرج وكيب تاون فى اغسطس سنة ١٩٦٨ وكانت هذه أول عملية هامة تقوم بها اسرائيل للترويج للازياء فى جنوب افريقيا وقد تولت مؤسسة التصدير الاسرائيلية تنظيمه. وتم خلال الأعوال التالية تنظيم أسابيع اسرائيلية اخرى فى جنوب افريقيا .

٦٢ ـ وقعت شركة التنمية الصناعية المملوكة للدولة فى جنوب افريقيا اتفاقية مع بنك اسرائيل للتجارة الخارجية بفتح اعتماد مضمون بحد أقصى ١٠٫٧ مليون راند لتشجيع تصدير رأس المال من جنوب افريقيا الى اسرائيل . وتم بعد ذلك بفترة وجيزة تشكيل أول بعثة تجارية تمثل جنوب أفريقيا فى اسرائيل ، وقد تولى تشكيلها « اتحاد اسرائيل جنوب افريقيا التجارى » بالاشتراك مع غرفة الصناعات المتحدة ، وعدد من أكبر شركات وبنوك جنوب افريقيا . وكان هدف البعثة هو ضمان استغلال القرض بالكامل وتدعيم الروابط الاقتصادية بين البلدين .

٦٣ ـ تم فتح اعتماد جديد فى أول يونيو سنة ١٩٧١ بمبلغ ١٤٫٩مليون دولار مقدم من غرفة الصناعات المتحدة « لصالح اسرائيل . ووصلت الى اسرائيل من أوائل سنة ١٩٧٢ فى أعقاب توقيع الاتفاقية ، بعثة تجارية من جنوب أفريقيا بهدف زيادة تشجيع صادرات جنوب افريقية .

٦٤ ـ تعتبر حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ فى الشرق الأوسط نقطة تحول هامة أخرى فى العلاقات التجارية بين جنوب افريقيا واسرائيل . فقد تم فى يناير سنة ١٩٧٤ تشكيل غرفة اسرائيل ـ جنوب افريقيا التجارية فى تل أبيب . وتكهن القنصل العام لجنوب أفريقيا فى الحفل الافتتاحى بان التجارة بين البلدين ستزيد بشكل ملموس خلال عام (وقد تحقق هذا بالفعل) وقد انضم الى الغرفة حوالى ١٠٠ شركة اسرائيلية . وأدى نجاحها المباشر الى تشكيل غرفة جنوب افريقيا ـ اسرائيل التجارية بعد ذلك بفترة قصيرة فى جوهانسبرج .

٦٥ ـ نظمت اسرائيل وجنوب افريقيا فى سنة ١٩٧٤ حملة مشتركة فى المملكة المتحدة لترويج البرتقال يافا واوتسبان ولعصير البرتقال .

٦٦ ـ اشتركت اسرائيل فى ربيع سنة ١٩٧٤ لأول مرة منذ ١٠سنوات فى « معرض ايستراند » وهو أكبر معرض صناعى يقام فى جنوب افريقيا . وتفيد الأنباء بان اسرائيل كانت فى سنة ١٩٧٦ واحدة من أكبر المشتركين فى المعرض فى مجال المعدات الألكترونية وأجهزة التحكم .

٦٧ ـ أعلن وزير التجارة والصناعة فى اسرائيل فى ابريل سنة ١٩٧٥ اعتبار جنوب افريقيا « هدفا مفضلا للصادرات » الاسرائيلية ، وتحقيقا لذلك تم تقديم امتيازات مالية خاصة الى المصدرين الاسرائيليين وقامت بعثة لترويج التجارة على مستوى عال تمثل غرفة التجارة بجوهانسبرج بزيارة اسرائيل فى يونيو سنة ١٩٧٥ .

٦٨ ـ اعطت الاتفاقية التعاون التى وقعها رئيس الوزراء فورستر اثناء زيارته لاسرائيل فى أبريل سنة ١٩٧٦ دفعة هامة أخرى للتجاره بين جنوب افريقيا واسرائيل . ومن المتوقع ان تؤدى هذه الاتفاقية الى زيادة التبادل التجارى فى كلا الاتجاهين وزيادة تبادل البعثات التجاريه وايضا زيادة صادرات المواد الخام من جنوب افريقيا الى اسرائيل ، خاصة الفحم من ميناء ريتشارد زباى الجديد . ونتيجة لذلك كان من المتوقع أن يتم تطوير ريتشارد ز باى بسرعة . وتكهنت الصحف فى جنوب افريقيا آنذاك بان زيادة الروابط مع اسرائيل ستؤدى الى قيام حركة مرور بحريه فى اتجاهين وتقوم السفن بحمل الفحم من جنوب افريقيا الى اسرائيل وتعود حاملة البترول لجنوب افريقيا .

سابعا ـ الاستثمار

٦٩ ـ نمت استثمارات جنوب افريقيا فى اسرائيل منذ أوائل السبعينات ، خاصة بعد حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ . وقد أدى قرار حكومة جنوب أفريقيا فى مايو سنة ١٩٧١ بتخفيف القيود المفروضة على استثمار شركات جنوب أفريقيا المباشر فى اسرائيل مع رفع الحد الأقصى للاستثمار الى ١٠ ملايين راند الى تشجيع الاستثمار . وتم فى مايو ١٩٧٤ رفع الحد الاقصى الى ٢٠ مليون راند ومن المتوقع أن يتم رفعه الى ٣٢ مليون راند فى عام ١٩٧٧ .

٧٠ ـ زادت نسبة استثمار رجال الأعمال الاسرائيليين لرؤوس اموالهم فى جنوب افريقيا سواء كان ذلك فى صورة استثمار مباشر أو فى صورة قروض . وفتح بنك چافيت وبنك ليومى مكاتب فى جنوب افريقيا فى عامى ١٩٧١ ، ١٩٧٢ على التوالى ، وقد ساهم فرع بنك ليومى فى الولايات المتحدة فى تقديم قرض سرى قيمته مليونا دولار الى وزارة المالية فى جنوب افريقيا وذلك فى عام ١٩٧٢ وقد بعث بنك ليومى مؤخرا بواحد من كبار المسئولين التنفيذيين الى جنوب افريقيا لاكتشاف مزيد من فرص الاستثمار .

٧١ ـ تتم عمليات الاستثمار المباشر من قبل احدى الدولتين فى الدولة الأخرى اساسا من خلال عمليات مشتركة تقوم بها المؤسسات العامة والخاصة . وقد اشار مرارا كل من زعماء جنوب أفريقيا واسرائيل الى أن اقتصاد الدولتين يعتبر متكاملا وانه يمكن تحقيق افضل الامكانيات من خلال العمليات المشتركة وكما ذكر القنصل العام الاسرائيلى السابق فى جنوب افريقيا : « اننا نستطيع تحقيق الكثير اذا وحدنا قوانا وقمنا معا

باستغلال المواد الخام المتوفرة فى جنوب افريقيا والتكنولوجيا الاسرائيلية » وقد اشار القنصل التجارى الاسرائيلى فى جنوب افريقيا الى ان افريقيا غنية بالأيدى العاملة الرخيصة الأمر الذى تفتقر اليه اسرائيل .

٧٢ ـ من المزايا الهامة التى حصلت عليها جنوب افريقيا من العمليات المشتركة مع الشركات الاسرائيلية امكان استغلال اسرائيل كقاعدة صناعية يمكن عن طريقها تجنب المقاطعة المفروضة ضد نظام الحكم القائم على الفصل العنصرى . فمثلا تقوم جنوب افريقيا بتصنيع المنسوجات والكيماويات والأسمدة فى اسرائيل لتصديرها الى أفريقيا وغيرها من الدول . اضف الى ذلك ان جنوب افريقيا تستغل اسرائيل كنقطة انطلاق للمراوغة من الرسوم الجمركية المرتفعة التى تفرضها المجموعة الاقتصادية الأوربية والولايات المتحدة على منتجاتها . ويمكن تصدير السلع شبه المصنعة التى تنتجها جنوب افريقيا الى اسرائيل ثم يتم تكميلها هناك حتى يمكن وضع ختم « صنع فى اسرائيل » عليها وبذلك تستغل جنوب افريقيا اتفاقيات الاعفاء الجمركى التى تتمتع بها اسرائيل مع المجموعة الاقتصادية الأوربية والولايات المتحدة .

٧٣ ـ من المتوقع ان يؤدى اتفاق التعاون بين اسرائيل وجنوب افريقيا الذى تم ابرامه بمناسبة زيارة رئيس الوزراء فورستر لاسرائيل فى ابريل سنة ١٩٧٦ ، الى تحقيق زيادة هامة فى مشروعات الاستثمار المشترك . وتفيد الأنباء بأن غرفة جنوب افريقيا واسرائيل التجارية تدرس مسألة ارسال بعثة على مستوى عال الى اسرائيل لدراسة افضل طريقة لتنفيذ الاتفاق . وقد صرح مستر هوسمان ، رئيس الغرفة الصناعية فى ترانسفال بأن الغرفة مهتمة باكتشاف الفرص الاستثمارية فى اسرائيل وانها تدرس فكرة ارسال بعثة صناعية الى هناك . وقد اعلنت عدة شركات كبرى من شركات المصنوعات المشتركة عن اقامة مشروعات موسعة . ومن المتوقع أيضا ان يؤدى الاتفاق الى ابرام اتفاقية لتجنب الازدواج الضريبى فى المستقبل القريب .

٧٤ ـ فيما يلى قائمة بالمشروعات الاستثمارية المعروفة ، وان كان الحجم الحقيقى لهذه الاستثمارات لأى من البلدين الآخر غير معروف تماما .

(أ) استثمارات جنوب افريقيا فى اسرائيل

٧٥ ـ اشتركت « صناعة الانابيب الصلبية » ، التابعة لشركة « افريكان جيت هولدنجره » . مع شركة « انابيب الشرق الأوسط » فى حيفا فى بناء

مصنع لانتاج الانابيب الصلبية الحلزونية ويتكلف ٢٥٠ الف راند . وهذا يعتبرونه واحدا فقط من بين ٦ او ٧ مشروعات مماثلة فى مجال صناعة الانابيب .

٧٦ ـ ساهمت شركة الاستثمارات الافريقية الاسرائيلية ، وهى شركة اسرائيلية كبرى يملك الجنوبيون الافريقيون ٢٥٪ من اسهمها ، فى مشروع فى فنزويله بتمويل من مؤسسة التنمية الصناعيه بجنوب افريقيا .

٧٧ ـ انشأت مجموعة « ديزيريه للملابس بكيب تاون » مصنعا للمنسوجات فى اسرائيل باسم « سيسيل نيتس » .

٧٨ ـ استثمرت عدة مؤسسات فى جنوب افريقيا ، لم يتم الكشف عنها ، مبلغ ٤٠٠ الف جنيه استرلينى فى مصنع اسرائيلى لانتاج الاقمشة القطنية المطبوعة للتوزيع فى سوق السود بجنوب افريقيا والدولة الافريقية المستقلة .

٧٩ ـ دخلت « مؤسسة الحديد والصلب » بجنوب افريقيا ، وهى شركة مملوكة للدوله ، فى شركة مع مؤسسة كور الصناعية ، وهى شركة استثمار صناعية مملوكه لاحدى النقابات التابعة لاتحاد نقابات العمالية الاسرائيلى . وتقوم الشركة الجديدة ، وتعرف باسم اسكور ، وراس مالها مليون راند (تملك مؤسسة كور ٥١٪ من اسهمها بينما تملك مؤسسة الحديد والصلب ٤٩٪ منها) بتوزيع الصلب فى اسرائيل . وقد نجحت الشركة الجديدة الى حد انه يجرى الآن بناء مصنع الصلب فى كيرجات بالقرب من غزة . وقد ساهمت الشركة مؤخرا بنصيب كبير فى بناء مستودع للصلب ومركز لخدمة الصلب .

٨٠ ـ انشأت شركة دوربيل ، وهى واحدة من اكبر شركات جنوب افريقيا للصناعة الثقيلة ، فرعا لها بالمشاركة مع شركة كور الاسرائيلية للدخول فى المناقصات الخاصة بمشروعات الانشاءات الهندسية . وقد بلغت قيمة اول عقد حصلت عليه الشركة الجديدة ٢ر٩ مليون راند لمشروع انشاء المغناطيس الصلبية لتخزين مياه رى المزارع باسرائيل .

٨١ ـ تقوم سكك حديد جنوب افريقيا وشركات دورمان لونج ويونيون كاربيج ، بتشييد خط حديدى يمتد الى ميناء ايلات على البحر الاحمر .

٨٢ ـ تتضمن المشروعات الأخرى التى تساهم جنوب افريقيا فى اقامتها باسرائيل « ساوث افريكان هاوس » ، وهو مجمع مكاتب ومحلات

من ٢٦ طابقا فى تل ابيب ، مجمع مترو لكيماويات فى حيفا ، مجمع مصانع فى جولون بالقرب من تل أبيب ، للتأجير للصناعة الخفيفة ، مصنع الآلات الزراعية فى ايلات ، مصنع فى اشدود لصناعة السياج الشبكية ، طاحونة ارز فى حيفا ، مصنع اشغال معدنية غير حديدية ، كما ساهمت جنوب افريقيا فى مشروع تطوير ميناء ايلات وغيره من الموانىء الاسرائيلية .

(ب) الاستثمارات الاسرائيلية فى جنوب افريقيا

٨٣ ـ ظلت الاستثمارات الاسرائيلية فى جنوب افريقيا متواضعة حتى عهد قريب ، عندما اقامت مؤسسة كور الصناعية وكالة لها فى جوهانسبرج. بهدف تشجيع العلاقات الاقتصادية بين البلدين ، وخاصة تشجيع مشروعات الاستثمار المشترك . غير ان توسيع العلاقات ادى الى اقامة عدة مشروعات مشتركة هامة فى جنوب افريقيا .

٨٤ ـ قدمت مؤسسة كور الصناعية فى يونيو سنة ١٩٧٤ ، أول استثماراتها فى جنوب افريقيا وذلك بدخولها فى شركة مع مجموعة «ساوث افريكان ادكوك انجرام » الانشاء مصنع كيماويات زراعية ، فى برلين التى تقع على الحدود بالقرب من ترانسكى وتبلغ تكاليفه ٢٫٥ مليون راند . وتم تشكيل شركة جديدة : وهى شركة اجبرو لتأسيس وادارة المصنع وهى أول شركة من نوعها فى جنوب افريقيا . وتقرر ان تساهم مؤسسة كور بـ ٢٥ ٪ من راس المال بينما تساهم مجموعة جنوب افريقيا بالباقى ومن المتوقع ان تكفى طاقة المصنع الانتاجية لتوفير احتياجات جنوب افريقيا والمناطق المجاورة . و « الدول الاكثر بعدا » ، من مبيدات الاعشاب .

٨٥ ـ أنشأت « معامل آسيا الكيماوية » ، وهى شركة اسرائيلية اخرى للكيماويات ، فرعا لها فى جنوب افريقيا ، تحت اسم دينكافيت ، من اجل تصنيع الأغذية الكاملة العناصر ، وتملك شركة آسيا ٢٥ ٪ من اسهم المشروع مع فرصة لشراء الـ ٧٥ ٪ الباقية من الاسهم .

٨٦ ـ تقوم المصالح الاسرائيلية بتشييد محطة لازالة الملوحة من مياه البحر فى جنوب افريقيا .

٨٧ ـ ستتولى شركة تاديران ، وهى كبرى الشركات الاسرائيلية لصناعة الأجهزة الالكترونيه بناء مصنع فى « منطقة الحدود » عند روزالين ويتكلف ١٫٧ مليون راند . وتفيد الانباء بانه سيتم تجهيز هذا المصنع الذى سينتج البطاريات ومنتجات النيكل ، بأحدث المعدات الاسرائيلية . ومن المقرر ايضا ان تقوم شركة تاديران ، بتجميع معدات الاضاءة للطوارىء بالمشاركة مع شركة « كونلايت ساوث افريكا » فى مصنع بجوهانسبرج .

... ٨٨ ــ وكانت المشروعات الاسرائيلية التي اقيمت في الماضي في جنوب افريقيا والتي كانت اصغر حجما تتضمن شركة اليكترا ، وهي شركة لصناعة مكيفات الهواء ، وشركة « صناعة اجزاء السيارات » بالمشاركة مع شركة جنوب افريقيا ، ومشروعا مشتركا بين شركة شابال للاشغال الهندسية وشركة « جنوب افريقيا لأدوات ومعدات الطاقة » لصناعة العدد بترخيص رسمي .

٨٩ ــ ابدت اسرائيل مؤخرا ، اهتماما للاستثمار بالبانتوستانات (الأراضي المخصصة للسود في جنوب افريقيا) . وقد ذكرت صحيفة هاآرتس الاسرائيلية الواسعة الانتشار ، انه يمكن لاسرائيل ان تساعد على « تنمية » هذه الأماكن المخصصة للافريقيين بما لديها من معرفة فنية بالأساليب الزراعية الحديثة وبمقاومة تآكل الاراضي . وقد حضر وفد اسرائيلي في ابريل سنة ١٩٧٦ ، ندوة استغرقت ثلاثة ايام ، نظمها اتحاد الشئون الخارجية لجنوب افريقيا ، وعقدت في اومتاتا باقليم ترانسكي .

ثامنا ــ التعاون في المجالات العلمية والتكنولوجية

٩٠ ــ اقامت اسرائيل وجنوب افريقيا خلال السنوات القليلة الماضية، علاقات وثيقة تتزايد بانتظام في مجال التعاون العلمي والفني . ووفقا لتصريحات دافان دير مروى برينك ، رئيس مجلس جنوب افريقيا للابحاث العلمية والصناعية ، وهو وكالة شبه رسمية ، يمتد هذا التعاون الى مجالات مثل تنظيم استغلال موارد المياه ، والزراعة ، والبناء والتشييد ، والابحاث الخاصة بالمحيطات ، والانتاج الصناعي بما في ذلك صناعة المواد الكيماوية والاسمدة والالكترونيات ، وهندسة الطيران ، وغيرها من المجالات .

٩١ ــ اتخذت في سنة ١٩٧٢ الخطوات الأولى في سبيل تحقيق مثل هذا التعاون ، عن طريق تبادل البعثات العلمية والفنية لدراسة الامكانيات المختلفة وقام وزير شئون المياه والغابات بجنوب افريقيا ، في يونيو سنة ١٩٧٢ بزيارة اسرائيل لدراسة الاساليب التي تتبعها اسرائيل من اجل تخزين المياه ، وقد اجرى محادثات مع نده الاسرائيلي ، بهدف فتح باب التعاون مع اسرائيل في هذا المجال .

٩٢ ــ قامت بعثة من جنوب افريقيا تضم ١٥ رجلا ، لزيارة اسرائيل بعد عام من تلك الزيارة ، واستغرقت الزيارة اسبوعين ، لدراسة اساليب انشاء مدن جديدة ، ومشاريع احياء المدن ومشاريع البناء في حالة الطوارىء

واقامة المباني المصنعة . وقد رأس البعثة الدكتور ت.ل.ويب مدير الوحدة القومية لأبحاث الانشاءات التابعة لمجلس جنوب افريقيا للابحاث العلميـــة والصـــناعية .

٩٣ ـ قام الدكتور كروجير، المدير الفني لمحطة ابحاث مصايدالاسماك باللوفيلد ، التابعة لقسم المحافظة على الطبيعة باقليم الترانسفال ، في يوليو سنة ١٩٧٤ بزيارة اسرائيل لحضور ندوة عن مصايد الاسماك .

٩٤ ـ اتخذت في سنة ١٩٧٥ الخطوات اللازمة لاعطاء هـذه الاتصالات المبدئية صفة رسمية فتم تشكيل لجنة جنوب افريقيا التابعة لمعهد وايزمان وكان نائب رئيس اللجنه هو البروفيسور س.س. اسرائيلتام اســـتاذ الكيمياء بجامعة ويتواترزراند . وكان من اول المهام التي قامت بها اللجنـة تنظيم مؤتمر وايزمان العلمي المئوي ، بالاشتراك مع مجلس جنوب افريقيا للابحاث العلمية والصناعية ، الذي انعقد بجوهانسبرج في ابريل ســنة ١٩٧٦ ، واشترك فيه كبار العلماء من جنوب افريقيا ومن معهـد وايزمان للعلوم باسرائيل . وقام الدكتور فان دير مروى برينك رئيس مجلس جنوب افريقيا للابحاث العلمية والصناعية ، والدكتور فيربيك وزير الزراعة بجنوب افريقيا ، بزيارة اسرائيل ، بعد انشاء اللجنة للنهوض بالتعاون العلمي بين البلدين . وفي اوائل سنة ١٩٧٦ قام الدكتور تال ، مدير مجلس اسرائيـل القومي للبحوث والتنمية ، ومستر سافير ، مدير الشئون القومية بالمجلس والبروفيسور س.لاف ، مدير عام ادارة البساتين ، بزيارة جنوب افريقيا حيث نزلوا ضيوفا على مجلس جنوب افريقيا للبحوث العلمية والصناعية ، ردا على الزيارة السابقة الذكر .

٩٥ ـ أن تدعيم التعاون العلمي والتكنولوجي يعتبر واحدا من اهـداف الاتفاق الذي وقعه رئيس الوزراء فورستر مع اسرائيل بمناسبة زيارته لها في ابريل سنة ١٩٧٦ . واعلن في يونيو انه تم التوصل الى اتفاق لتبــادل الأبحاث بين مجلس جنوب افريقيا للبحوث العلمية والصناعية وبين العلماء الاسرائيليين وقد تمت اول ندوة علمية في اسرائيل في نوفمبر ســنة ١٩٧٥ حول اعادة استخدام فاقد المياه .. ومن المقرر ان تعقد الندوة التاليـة في سنة ١٩٧٧ بجنوب افريقيا ، وستتناول الموضوعات التي تحتـــل نفس المستوى من الاهمية والمصلحة المشتركة لكلا البلدين . وتم التوصـل الى اتفاق مماثل بين منظمة الأبحاث الزراعية الاسرائيلية وادارة الخــدمات الزراعية الفنية بجنوب افريقيا ووفقا للدكتور مايرنج نود ، المستشــار العلمي لرئيس الوزراء فورستر ، تتوقع جنوب افريقيا كسب مزايا علمية هائلة من زيادة تعاونها مع العلماء والفنيين الاسرائيليين .

٩٦ ـ ويبدو ان ثمة مجالا آخر تهتم جنوب افريقيا بالاتصال باسرائيل بشأنه وهو مجال الخبرة الاسرائيلية فى الادارة العلمية . فقد اعلن فى ابريل سنة ١٩٧٦ ان مستر اسرائيل ميدن ، رئيس معهد الانتاج الاسرائيلى والمعروف بأنه واحد من اكبر خبراء الانتاج فى العالم (ويقال ان المعهد اكبر معهد من هذا النوع فى العالم) ، قد تلقى دعوة لعقد سلسلة من الحلقات الدراسية فى اتحاد جنوب أفريقيا فى أواخر سنة ١٩٧٦ . وسيحاول مستر ميدن تطبيق خبرة اسرائيل فى مجال زيادة الانتاجية على الوضع فى جنوب افريقيا . وسينزل اثناء وجوده بجنوب افريقيا ضيفا على معهد الانتاج القومى فى بريتوريا وعلى المؤسسة القومية للتنمية والادارة .

تاسعا ـ الخطوط الجوية والملاحية

٩٧ ـ توفر شركة العال الاسرائيلية الجوية خط اتصال جوى منتظم بين اسرائيل وجنوب افريقيا . وقد زادت شركة العال على أثر زيادة التقارب بين البلدين فى أعقاب الحربين الشاملتين فى الشرق الأوسط ، من رحلاتها الجوية الأسبوعية من تل ابيب الى جوهانسبرج فرفعتها الى رحلتين اسبوعيا فى سنة ١٩٨٦ والى ثلاث رحلات اسبوعيا فى نوفمبر سنة ١٩٧٣ . وقد أدى فتح الطريق الأقصر عبر شبه جزيرة سيناء بعد احتلال اسرائيل لها الى زيادة كبيرة فى حجم الرحلات الجوية .

٩٨ ـ وتوفر شركة زيم وهى شركة الملاحة الاسرائيلية ـ الاتصال البحرى مع جنوب افريقيا وتقطع السفن هذا الخط بين اسرائيل وجنوب افريقيا ذهابا وايابا بانتظام .

عاشرا ـ العلاقات الثقافية

٩٩ ـ ازدادت العلاقات الاجتماعية والثقافية قوة بتدعيم الروابط السياسية والاقتصادية والعسكرية بين جنوب افريقيا واسرائيل . فمثلا زادت السياحة فى اسرائيل بسرعة بعد حرب سنة ١٩٦٧ ، نتيجة لارتفاع عدد الزوار عن جنوب افريقيا لاسرائيل بنسبة ٣٥٪ خلال عام واحد ، ومنذ ذلك الحين وعددهم يتزايد بانتظام وباستمرار . واسفر هذا النمو السريع عن فتح مكتب سياحة تابع للحكومة الاسرائيلية فى جنوب افريقيا سنة ١٩٦٨ ، وقد بلغ عدد السياح من جنوب افريقيا لاسرائيل سنة ١٩٧٢ نحو ١٥و٣١٩ سائحا . وقام ٢٦٠١ اسرائيلى بزيارة جنوب افريقيا فى نفس العام .

١٠٠ ــ أصبحت زيارات الفنانين الاسرائيليين لجنوب افريقيا تعتبر أمراً معتاداً متزايداً منذ سنة ١٩٦٨ : وفى تلك السنة قام فستيوق كارمون الاسرائيلى للغناء والرقص والممثل الهزلى شيمون دزيجان ، برحلة فنية فى انحاء جنوب افريقيا .

١٠١ ــ لعب اثنان من كبار الموسيقيين من اوركسترا الفيلهارمونيك الاسرائيلى فى جوهانسبرج فى اغسطس سنة ١٩٧٠ .

١٠٢ ــ قام اوركسترا الفيلهارمونيك الاسرائيلى فى سنة ١٩٧٤ بجولة فى جنوب افريقيا استغرقت اسبوعين . وكان هذا حدثا ثقافيا هاما بالنسبة لجنوب افريقيا ، الذى يقال انه لم يستضف فرقة موسيقية زائرة كبيرة ولها مكانتها منذ ١٨ عاما .

١٠٣ ــ قامت فرقة بات دور الاسرائيلية للرقص فى سنة ١٩٧٦ بجولة فى جنوب افريقيا وشملت جوهانسبرج وكيب تاون وبلومفونتين . واقيم فى مارس من نفس العام معرض للرسومات فى جامعة جوهانسبرج وابرز الفنانين الاسرائيليين .

١٠٤ ــ يعتبر الاتفاق الذى تم توقيعه فى فبراير سنة ١٩٧٥ بين مدينتى كيب تاون وحيفا ، مثلا آخر على تزايد العلاقات الثقافية بين الدولتين . وقد قام عمدة كيب تاون بزيارة حيفا بتلك المناسبة وصرح بأن الاتفاق يحظى بموافقة حكومة اسرائيل وادارة الشئون الخارجية بجنوب افريقيا وكان من المتوقع ان يؤدى الاتفاق الى زيادة الاتصالات الثقافية بين المدينتين ومن بين النتائج التى اسفر عنها الاتفاق هو اقامة جمعية الاتصالات الثقافية بجامعة حيفا بهدف توثيق العلاقات مع جنوب افريقيا . وقد قام رئيس جمعية العلاقات الخارجية فى جامعة حيفا فى يونيو سنة ١٩٧٦ بجولة فى جنوب افريقيا استغرقت ثلاثة اسابيع من اجل تحقيق اهداف الجمعية وخاصة عن طريق وضع برنامج للتبادل بين أساتذة وطلبة جنوب افريقيا وجامعة حيفا ، وكذلك وضع منهج دراسى بالمراسلة حول الشئون اليهودية فى جنوب افريقيا .

١٠٥ ــ تشير الانباء الى أن من بين نواحى التعاون الثقافى الأخرى بين البلدين ، الحالات التالية :

« يوجد فى اسرائيل عدة مؤسسات قامت بانشائها جنوب افريقيا وعلى سبيل المثال تقوم مؤسسة من جنوب افريقيا بتمويل معمل الطفيليات بالجامعة العبرية بالكامل ، وقاعة بياليك للغة العبرية ، وقاعة ووهلوشبرج

للزراعة ، ومتحف كوتشر ، وجناح كامل فى المكتبة العامة القومية، ومؤسسة سيلاس س. بيرى للابحاث الدينية » .

١٠٦ ـ اعلن بالاضافة الى ذلك ، عن قيام تاجر تحف اسرائيلى ثرى بعد زيارة لجنوب افريقيا فى سنة ١٩٧٥ ، بتقديم مجموعة كتب قيمة ، قيمتها حوالى ٢ر٣ مليون دولار الى الجامعة العبرية لاقامة ادارة تتولى تشجيع زيادة العلاقات بين الاسرائيليين والجنوبيين الافريقيين البيض .

١٠٧ ـ امتدت العلاقات الثقافية بين البلدين فى بعض الأحيان الى ناميبيا . فقد قامت مجموعة دراسية من جامعة تل ابيب فى سنة ١٩٧١ بزيارة ناميبيا حيث استضافهم نادى الروتارى بويند هوك لدراسة البناء الاقتصادى والسياسى للبلاد .

حادى عشر ـ التعاون فى المجال الرياضى

١٠٨ ـ تم فى سنة ١٩٧٠ احياء العلاقات الرياضية بين البلدين وكانت تعانى من حالة كساد منذ منتصف الخمسينات . ففى مارس سنة ١٩٧٠ امتنع اتحاد التنس الاسرائيلى عن التصويت فى اجتماع كأس ديفيز بلندن الذى كان سيحدد مسألة اشتراك روديسيا وجنوب افريقيا .

١٠٩ ـ قام فريق الجودو الاسرائيلى الرسمى بزيارة جنوب افريقيا فى سنة ١٩٧١ ، وتعتبر أول زيارة يقوم بها فريق دولى للجودو لتلك الدولة . وقد لعب « مكابى » الاسرائيلى لكرة السلة . فى يوليو ـ اغسطس سنة ١٩٧١ ضد جميع فرق البيض فى جنوب افريقيا . واشترك اثنان من الرياضيين الاسرائيليين فى الاجتماعات الرياضية المتعددة الاجناس التى عقدت بكيب تاون فى نوفمبر من ذلك العام .

١١٠ ـ سافر فريق التنس النسائى الاسرائيلى الرسمى الى جنوب افريقيا من مارس سنة ١٩٧٢ للاشتراك فى مباريات كأس الاتحاد للتنس .

١١١ ـ اشترك فريق من الرياضيين فى جنوب افريقيا يضم ١٢٠ رياضيا فى مباريات ماكابيا ، الرياضية التى اقيمت فى يوليو سنة ١٩٧٣ باسرائيل بمناسبة الاحتفال بالذكرى الخامسة والعشرين لانشاء دولة اسرائيل . وقد بعث الاتحاد الرياضى الاسرائيلى فى ديسمبر من نفس العام، فريقا رياضيا للاشتراك فى المسابقات الرياضية الدولية التى اقيمت بجوهانسبرج .

١١٢ ـ قام فريق الترانسفال الشمالية للرجبى فى يناير سنة ١٩٧٦ بزيارة اسرائيل .

ملاحظـــات

(١) داى بيرجر ، ١٢ نوفمبر سنة ١٩٧٥ .

(٢) ذاى ترانسفالير ، ١٢ نوفمبر سنة ١٩٧٥ .

(٣) التعليق على الانباء فى محطة (اس.بى.سى) ١٢ نوفمبر سنة ١٩٧٥ .

(٤) داى فولكسبلا (١٣ نوفمبر سنة ١٩٧٥) .

(٥) « بيلد » ١٦ يناير سنة ١٩٧٦ .

(٦) داى بيرجر ١٤ يناير سنة ١٩٧٦ .

(٧) ذى فرنيد ، ١٥ يناير سنة ١٩٧٦ .

(٨) ساوث آفريكان دايجست ، ١٦ ابريل سنة ١٩٧٦ .

(٩) ساوث آفريكان دايجست ، ٢٣ ابريل سنة ١٩٧٦ .

(١٠) نيويورك تايمز ، ١١ ابريل سنة ١٩٧٦ .

(١١) نيويورك تايمز ، ١٨ ابريل سنة ١٩٧٦ .

(١٢) جيروسالم بوست الاسبوعية ، ١٣ ابريل سنة ١٩٧٦ .

(١٣) جيروسالم بوست ، ٢٠ ابريل سنة ١٩٧٦ .

(١٤) انيتر تسينج ، المجلد الاول العدد التاسع مايو سنة ١٩٧٦ .

(١٥) وول ستريت جورنال ، ٢٣ ابريل سنة ١٩٧٦ .

(١٦) ساثرن افريكا المجلد التاسع العدد ٧ ، اغسطس سنة ١٩٧٦ .

(١٧) اينتر تشانج ، المجلد الاول ، العدد التاسع ، مايو سنة ١٩٧٦ .

(١٨) ستار ، أول مايو سنة ١٩٧٦ .

(١٩) نيويورك تايمز ، ١٨ أغسطس سنة ١٩٧٦ .

(٢٠) وكالة التلغراف اليهودية ، النشرة اليومية ، ١٠ أغسطس سنة ١٩٧٦ .

(٢١) نيوزويك ٢٣ اغسطس سنة ١٩٧٦ .

(٢٢) الجارديان ، ٢٣ اغسطس سنة ١٩٧٦ .

(٢٣) نيويورك تايمز ، ٢٣ اغسطس سنة ١٩٧٦ .

(٢٤) فلسطين يونيو أغسطس سنة ١٩٧٦ .

(٢٥) جويش برِيس ، ١٨ يونيو سنة ١٩٧٦ .

(٢٦) فلسطين ، يوليو واغسطس سنة ١٩٧٢ .

(٢٧) نيويورك بوست ، ٣ سبتمبر سنة ١٩٧٦ .

(٢٨) وكالة التلغراف اليهودية ، النشرة اليومية للانباء ، ٧ سبتمبر سنة ١٩٧٦ .

(٢٩) الاستيطان الاستعمارى فى جنوب افريقيا واسرائيل (بيروت : مركز ابحاث منظمة التحرير الفلسطينية سنة ١٩٧٠) ص : ٢١٠ - ٢١٦ .

فهرس